





# الإِسْلَامُ

## دينُ الفِطْرَةِ

تحت إشراف:

الفقيه والمرجع الديني الأعلى

سماحة آية الله العظمى المنتظري

المنتظري ، حسين علي ، ١٣٠١ هـ -  
الإسلام دينُ الفِطْرَة / تحت إشراف آية الله العظمى حسين علي المنتظري - قم : ارغوان دانش ، ١٤٢٩ هـ = ١٣٨٧ هـ ش .  
٥٤٤ صفحة .

ISBN : 978 - 964 - 2768 - 12 - 7

٦٠٠٠٠ ريال

فهرست نويسي بر اساس اطلاعات فيبا .

کتابنامه : ص [ ٥٣٣ ] - ٥٤٠ ، همچنين به صورت زيرونويس .

١ . الإسلام . بحث و عرض . ٢ . الإسلام . القائد . ٣ . الإسلام . بلسان واضح .

٤ . الأخلاق الاسلامي . الف . العنوان .

٢٩٧

٥ الف ٨ م ١١ / BP

١٣٨٧

## ﴿ الإسلام دينُ الفِطْرَة ﴾

تحت إشراف: سماحة آية الله العظمى المنتظري

الناشر: ارغوان دانش

المطبعة: عترة

الطبعة: الأولى

تاريخ النشر: صيف ١٣٨٧ (شعبان المعظم ١٤٢٩)

عدد النسخ: ٣٠٠٠ نسخة

سعر النسخة: ٦٠٠٠ تومان

الرقم الدولي: ٧-١٢-٢٧٦٨-٩٦٤-٩٧٨

« مراكز التوزيع »

قم، شارع الشهيد محمد المنتظري، الزقاق ١٢، الرقم ٣٢٦

هاتف: ١٤ - ٧٧٤٠٠١١ (٠٢٥١) \* فاكس: ٧٧٤٠٠١٥

طهران: شارع الانقلاب، شارع دوازده فروردين، تقاطع وحيد نظري، الرقم ٢٧

بناية فروردين، الطبقة الأولى، تفكر نو، هاتف: ٦٦٩٧٨١١٦ \* جوال: ٥٠٥٠ ٠٩١٢٢٥٢

البريد الإلكتروني: AMONTAZERI @ AMONTAZERI . COM





## ﴿ فهرس المواضيع ﴾

٥٤	الدين والتطور .....	١٩	تمهيد: .....
٥٧	الإسلام .....	٢٣	<b>الدين</b>
٥٨	الشيعة .....	٢٥	ما هو الدين؟ .....
٦١	<b>الباب الأول: الإعتقادات</b>	٢٥	فطرية الدين .....
٦٣	العقيدة .....	٢٧	الغاية من الدين .....
٦٤	العقيدة الحقّة .....	٢٨	أ - التوعية .....
٦٥	الإيمان .....	٢٩	ب - الحُكم .....
٦٦	درجات الإيمان .....	٣٠	ج - تعيين المسؤوليات .....
٦٨	ما يجب الإيمان به .....	٣١	د - معرفة الكون .....
٦٩	ضرورة الإيمان .....	٣٣	جواب عن سؤال .....
٧١	فوائد الإيمان .....	٣٤	النفور من الدين .....
٧٣	العلم والإيمان .....	٣٧	شمولية الدين .....
٧٤	العقائد الباطلة .....	٣٨	مجال تعاليم الدين .....
٧٥	الشرك .....	٤٠	العقل والدين .....
٨٠	الكفر .....	٤٢	شمولية فهم الدين .....
٨٢	<b>الله</b>	٤٣	مدخلية الافتراضات المسبقة في فهم الدين .....
٨٣	طرق معرفة الله .....	٤٧	يُسر الدين .....
٨٤	منهج الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> في إثبات وجود الله .....	٤٨	التدين .....
٨٥	الإنسان، آية الله .....	٥٠	الأديان .....
		٥٢	ختم النبوة .....

١١٤ .....	القضاء والقدر .....	٨٧ .....	نفي الصدفة .....
١١٧ .....	هل يمكن تغيير القدر؟ .....	٨٧ .....	معرفة الله أمر فطري .....
١١٨ .....	هل الإنسان مجبر؟ .....	٩٠ .....	صفات الله .....
١٢٠ .....	لا جبر ولا تفويض .....	٩١ .....	قرب الله .....
١٢١ .....	الإيمان بالقضاء والقدر .....	٩٢ .....	عدم رؤية الله .....
١٢٢ .....	الشُّرور .....	٩٥ .....	قدرة الله .....
١٢٦	<b>النبوة</b>	٩٦ .....	علم الله .....
١٢٦ .....	الحاجة إلى الدليل والهداية .....	٩٦ .....	عدل الله .....
١٢٨ .....	ضرورة بعث النبي في المصادر الدينية ...	٩٩ .....	التوحيد .....
١٣٠ .....	سؤال حول محدودية المنطقة التي بعث ...	١٠٠ .....	المراد من وحدانية الله .....
١٣١ .....	إتمام الحجة .....	١٠١ .....	مراتب التوحيد .....
١٣١ .....	مكانة الأنبياء .....	١٠٢ .....	المرتبة الكاملة للتوحيد .....
١٣٢ .....	الأصول المشتركة بين الأنبياء .....	١٠٣ .....	الأدلة على وحدانية الله .....
١٣٢ .....	١- الدعوة إلى التوحيد .....	١٠٥ .....	أقسام التوحيد .....
١٣٣ .....	٢- الإخبار عن الآخرة .....	١٠٦ .....	١- التوحيد في الذات .....
١٣٣ .....	٣- الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي .....	١٠٦ .....	٢- التوحيد في الصفات .....
١٣٤ .....	اصطفاء الأنبياء .....	١٠٧ .....	٣- التوحيد في الأفعال .....
١٣٥ .....	الوحي .....	١٠٨ .....	٤- التوحيد في العبادة .....
١٣٦ .....	تشخيص الوحي من قبل النبي .....	١١١ .....	أفعال الله .....
١٣٦ .....	طرق إثبات النبوة .....	١١١ .....	نظام فعل الله .....
١٣٧ .....	المعجزة .....	١١٢ .....	دور الموكّلين .....
١٣٧ .....	حقيقة المعجزة .....	١١٢ .....	اللوح المحفوظ ولوح المحو والإثبات ..
١٣٨ .....	المعجزة وقانون العلية .....	١١٣ .....	قواعد أفعال الله .....
١٣٨ .....	الهدف من المعجزة .....	١١٤ .....	هدفية أفعال الله .....
		١١٤ .....	مشيئة الله .....



١٦١ .....	١- العلم	١٣٩ .....	اختلاف المعجزات
١٦٢ .....	٢- العصمة	١٤٠ .....	عصمة الأنبياء
١٦٣ .....	٣- التحلي بصفات النبي	١٤٠ .....	حقيقة العصمة
١٦٣ .....	٤- الصبر	١٤١ .....	منشأ العصمة
١٦٤ .....	٥- الزهد	١٤١ .....	رد على شبهة
١٦٥ .....	الطريق إلى معرفة الإمام	١٤٣ .....	علم الأنبياء
١٦٦ .....	الإمامة الخاصة	١٤٣ .....	علم الغيب عند الأنبياء
١٦٦ .....	الإمامة بعد النبي ﷺ	١٤٤ .....	التفاوت بين الأنبياء
١٦٩ .....	خليفة النبي ﷺ على أساس القرآن ...	١٤٥ .....	بشرية الأنبياء
١٧٢ .....	الولاية	١٤٦ .....	سيرة الأنبياء
١٧٤ .....	الولاية التكوينية والولاية التشريعية ...	١٤٩ .....	خاتم الأنبياء
١٧٦ .....	إمامة الإمام علي عليه السلام في الروايات ...	١٥٠ .....	سيرة رسول الله ﷺ
١٧٨ .....	نبوءة رسول الله ﷺ	١٥١ .....	عبادته
١٧٨ .....	هواجس النبي ﷺ من العصبية الجاهلية	١٥٢ .....	مدارة الناس
١٧٩ .....	الإمام علي عليه السلام والخلافة	١٥٢ .....	النظافة والزينة
١٨٠ .....	الأئمة الإثنا عشر	١٥٣ .....	الاعتدال
١٨١ .....	أسماء الأئمة عليهم السلام	١٥٤ .....	موقفه من الأعداء
١٨٢ .....	اختيار الأئمة عليهم السلام	١٥٤ .....	الزهد والبساطة
١٨٣ .....	أهلية الأئمة عليهم السلام	١٥٥ .....	معجزة النبي محمد ﷺ
١٨٥ .....	الإمامة في الطفولة	١٥٧ .....	القرآن وأسلوبه
١٨٦ .....	آخر حجج الله	١٥٨ .....	تواتر وقطعية نص القرآن
١٨٧ .....	ظهور المهدي (عج)	١٦٠	<b>الإمامة</b>
١٨٨ .....	انتظار ظهور المهدي (عج) قبل ولادته ...	١٦٠ .....	أهمية الإمامة
١٨٩ .....	ولادة الإمام المهدي (عج)	١٦١ .....	شروط الإمامة

٢١٩	<b>الباب الثاني: الأخلاق</b>	١٨٩	غيبية الإمام المهدي (عج) .....
٢٢١	علم الأخلاق .....	١٩١	الحكمة من غيبية إمام الزمان (عج) .....
٢٢١	فلسفة الأخلاق .....	١٩٢	طول عمر إمام الزمان (عج) .....
٢٢٣	النظام الأخلاقي في الإسلام وخصائصه ..	١٩٢	إنتظار الفرج والحكمة منه .....
٢٢٣	١- التحول في الأخلاق .....	١٩٤	<b>الآخرة</b>
٢٢٤	٢- الواقعية .....	١٩٥	أجل الإنسان .....
٢٢٥	٣- الاهتمام بالجوانب الوجودية للإنسان	١٩٦	الموت .....
٢٢٥	النفس وأقسامها .....	١٩٧	سهولة وصعوبة النزح .....
٢٢٥	النفس الأمارة .....	١٩٨	الخوف من الموت .....
٢٢٦	النفس اللوامة .....	١٩٨	البرزخ .....
٢٢٧	النفس الملهمة .....	١٩٩	سؤال القبر .....
٢٢٧	النفس المطمئنة .....	٢٠٠	علل مشارف القيامة .....
٢٢٧	٤- الاعتدال .....	٢٠١	زمان وقوع القيامة .....
٢٢٩	٥- الترابط بين الأخلاق والعبادة .....	٢٠١	قرب وقوع القيامة .....
٢٣٠	٦- التقوى ركيزة للأخلاق .....	٢٠٢	أهوال القيامة .....
٢٣٣	٧- الاعتزاز بالنفس .....	٢٠٤	الحشر والمعاد .....
٢٣٤	٨- الأسرة التربوية .....	٢٠٧	هل المعاد جسماني أم روحاني؟ .....
٢٣٦	٩- الثبات والمرونة في القضايا الأخلاقية	٢٠٩	الحساب .....
٢٣٧	١٠- شمولية النظام الأخلاقي في الإسلام	٢١١	تجسّم الأعمال .....
٢٣٨	هدف النظام الأخلاقي في الإسلام ..	٢١٣	الشفاعة .....
٢٣٩	أسس النظام الأخلاقي في الإسلام ..	٢١٤	الصراط .....
٢٤٠	مكانة النظام الأخلاقي في الإسلام ..	٢١٥	الجنة .....
٢٤٢	الأخلاق الفردية .....	٢١٦	جهنّم .....
٢٤٣	السلوك الشخصي .....		

٢٧٥ .....	الكذب	٢٤٥ .....	الإخلاص
٢٧٥ .....	السب	٢٤٦ .....	العُجب
٢٧٦ .....	التكبر	٢٤٧ .....	الجاه و حُب الشهرة
٢٧٨ .....	الحسد	٢٤٨ .....	حُب الدنيا
٢٧٨ .....	الغضب	٢٥٠ .....	الزهد
٢٨٠ .....	العصبية	٢٥٢ .....	القناعة
٢٨١ .....	الحلم	٢٥٣ .....	الصبر
٢٨٢ .....	العفة	٢٥٤ .....	الدعاء والتوسل
٢٨٣ .....	الإحسان	٢٥٧ .....	الأخلاق الأسرية
٢٨٤ .....	التراحم والمودة	٢٥٧ .....	الزوج والزوجة
٢٨٥ .....	المدارة	٢٦٠ .....	الوالدان والأولاد
٢٨٧ .....	آداب المعاشرة	٢٦١ .....	الأقارب
٢٨٨ .....	أخلاق الأمراء والمسؤولين	٢٦٢ .....	صلة الرحم
٢٩٠ .....	١- الصفح	٢٦٣ .....	الأخلاق الاجتماعية
٢٩٢ .....	٢- تهذيب النفس	٢٦٤ .....	العزلة والتواصل
٢٩٣ .....	٣- مداراة الناس	٢٦٤ .....	حُسْن الخلق
٢٩٥ .....	٤- رفض التملق واجتناب سيرة الجبارة	٢٦٥ .....	علاقة الأخوة والإيمان
٢٩٨ .....	٥- كتمان السر	٢٦٦ .....	الموقف من المنكرات
٢٩٨ .....	٦- اجتناب الغضب	٢٦٧ .....	المحبة
٢٩٩ .....	٧- اجتناب الكبر	٢٦٩ .....	أصدقاء السوء
٣٠٠ .....	٨- سعة الصدر	٢٧٠ .....	الأصدقاء الصالحون
٣٠١ .....	٩- المدارة	٢٧٠ .....	الكلام
٣٠٢ .....	١٠- الحلم	٢٧٢ .....	النميمة
٣٠٢ .....	١١- العدالة	٢٧٢ .....	الغيبة
		٢٧٤ .....	النفاق

٣٢٢	مقدمات الصلاة .....
٣٢٢	وقت الصلاة .....
٣٢٢	مكان المصلي .....
٣٢٣	القبلة .....
٣٢٤	ثياب المصلي .....
٣٢٤	الطهارة .....
٣٢٤	أ - الطهارة الظاهرية .....
٣٢٥	النجاسات .....
٣٢٦	طرق إثبات النجاسة .....
٣٢٦	طرق تنجس الأشياء الطاهرة .....
٣٢٦	المطهرات .....
٣٢٦	١- الماء .....
٣٢٧	الماء القليل والكر .....
٣٢٨	٢- الأرض .....
٣٢٨	٣- الشمس .....
٣٢٩	٤- الاستحالة .....
٣٢٩	٥- ذهاب ثلثي العصير العنبي .....
٣٢٩	٦- الانتقال .....
٣٢٩	٧- الإسلام .....
٣٣٠	٨- التبعية .....
٣٣٠	٩- زوال عين النجاسة .....
٣٣٠	١٠- استبراء الحيوان الجلال .....
٣٣٠	١١- غيبة المسلم .....
٣٣٠	ب - الطهارة المعنوية .....
٣٣١	الوضوء .....

### الباب الثالث:

#### التكاليف والمسؤوليات ٣٠٥

٣٠٧	الأحكام .....
٣٠٨	أفضلية التشريع الإلهي .....
٣٠٩	مصادر التشريع .....
٣٠٩	١- القرآن .....
٣١٠	٢- السنّة (قول، فعل و تقرير المعصوم) ..
٣١٠	٣- الإجماع .....
٣١١	٤- العقل .....
٣١١	الاجتهاد و تاريخه .....
٣١٢	١- دور تعلّم و نشر الأحكام .....
٣١٢	٢- دور الاجتهاد الابتدائي .....
٣١٣	٣- دور الاجتهاد التخصّصي .....
٣١٣	التقليد .....
٣١٤	شروط مرجع التقليد .....
٣١٥	التكليف .....
٣١٦	شروط التكليف .....
٣١٧	الفرق بين التكليف والحق .....
٣١٨	أبواب الفقه .....
٣١٩	<b>العبادات</b>
٣١٩	الصلاة .....
٣١٩	أهميّة الصلاة .....
٣٢١	الصلوات الواجبة .....

٣٤٧ .....	شروط إمام الجمعة.	٣٣١ ..	الوضوء الترتيبي والارتماسي ..
٣٤٨ .....	صلاة العيدين .....	٣٣٢ .....	شروط الوضوء .....
٣٤٨ .....	كيفية صلاة العيد .....	٣٣٣ .....	مبطلات الوضوء .....
٣٤٩ .....	صلاة الآيات .....	٣٣٣ .....	الغسل .....
٣٥٠ .....	وقت صلاة الآيات .....	٣٣٤ .....	الأغسال الواجبة .....
٣٥٠ .....	كيفية صلاة الآيات .....	٣٣٥ .....	كيفية الغسل .....
٣٥١ .....	أحكام الموتى .....	٣٣٥ .....	أحكام الغسل .....
٣٥١ .....	الاحتضار .....	٣٣٦ .....	أحكام الجنابة .....
٣٥١ .....	أحكام ما بعد الوفاة .....	٣٣٦ .....	ما يحرم على الجنب .....
٣٥١ .....	غسل الميت .....	٣٣٧ .....	أحكام الحيض .....
٣٥٢ .....	أحكام غسل الميت .....	٣٣٧ .....	التيمُّم .....
٣٥٢ .....	الحنوط وأحكامه .....	٣٣٨ .....	كيفية التيمم .....
٣٥٣ .....	أحكام تكفين الميت .....	٣٣٨ .....	ما يصح به التيمم .....
٣٥٣ .....	أحكام صلاة الميت .....	٣٣٩ .....	موارد التيمم .....
٣٥٤ .....	الدفن .....	٣٣٩ .....	واجبات الصلاة .....
٣٥٥ .....	صلاة الوحشة .....	٣٤١ .....	أحكام الصلاة .....
٣٥٥ .....	نبش القبر .....	٣٤٢ .....	مستحبات الصلاة .....
٣٥٦ .....	الصوم .....	٣٤٣ .....	مبطلات الصلاة .....
٣٥٧ .....	من لا يجب عليهم الصوم .....	٣٤٤ .....	صلاة المسافرين .....
٣٥٨ .....	مبطلات الصوم .....	٣٤٥ .....	صلاة الجماعة .....
٣٥٩ .....	أحكام الصوم .....	٣٤٦ .....	شروط صلاة الجماعة .....
٣٦٠ .....	تكريم شهر رمضان .....	٣٤٦ .....	شروط إمام الجماعة .....
٣٦٠ .....	الاعتكاف .....	٣٤٦ .....	الصلوات الواجبة الأخرى .....
٣٦١ .....	شروط الاعتكاف .....	٣٤٦ .....	صلاة الجمعة .....
٣٦١ .....	أحكام الاعتكاف .....	٣٤٧ .....	كيفية صلاة الجمعة .....

٣٨٤	دور المرأة في صيانة العفاف في المجتمع .....	٣٦٢	الحج .....
٣٨٥	أحكام النظر واللمس والصوت .....	٣٦٢	١- الجانب العبادي للحج .....
٣٨٦	الواجبات الأسرية .....	٣٦٦	٢- تأثير الحج في الرقى والبقاء الثقافي ..
٣٨٨	النفقة وإدارة شؤون الأسرة .....	٣٦٧	٣- الجانب الاجتماعي والسياسي للحج .
٣٩٠	من تجب إعالتهم .....	٣٦٨	شروط وجوب الحج .....
٣٩٠	حقوق الطفل .....	٣٦٩	أقسام الحج .....
٣٩١	الأعمال المستحبة بعد الولادة .....	٣٦٩	كيفية حج التمتع .....
٣٩١	الزواج المؤقت .....	٣٧٠	١- عمرة التمتع .....
٣٩١	لماذا الزواج المؤقت؟ .....	٣٧١	٢- حج التمتع .....
٣٩٣	أحكام الزواج المؤقت .....	٣٧٢	العمرة المفردة .....
٣٩٤	تعدد الزوجات .....	٣٧٢	زيارة قبر النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام .....
٣٩٥	شروط تعدد الزوجات .....	٣٧٣	النذر والعهد والقسمة .....
٣٩٦	الطلاق .....		
٣٩٧	قيود وقوع الطلاق .....	٣٧٦	<b>الأسرة</b>
٣٩٨	أقسام الطلاق .....	٣٧٦	مكانة وأهمية الأسرة .....
٣٩٨	أ- الطلاق البائن .....	٣٧٧	الزواج .....
٣٩٩	ب- الطلاق الرجعي .....	٣٧٧	العلاقة الطبيعية بين المرأة والرجل .....
٤٠٠	أحكام العدة .....	٣٧٧	الزواج نوع من العبادة .....
٤٠٠	عدة الطلاق .....	٣٧٩	الاهداف الأساسية من الزواج .....
٤٠٠	المرأة التي لا عدة عليها .....	٣٧٩	اختيار الزوج .....
٤٠١	عدة المرأة في الزواج المؤقت .....	٣٨٠	١- الحرية في اختيار الزوج .....
٤٠١	عدة الوفاة .....	٣٨٠	إذن الأب في زواج ابنته .....
٤٠١	ما يجب على المرأة في عدة الوفاة .....	٣٨١	٢- معايير اختيار الزوج .....
٤٠٢	التغذية .....	٣٨٢	٣- من لا يقع الزواج بينهم (المحارم) .....
٤٠٢	١- اللحوم .....	٣٨٤	عقد الزواج .....

٤١٥	الملكية العامة.....	٤٠٢	أ- الحيوانات الحلال اللحم.....
٤١٦	الملكية الخصوصية.....	٤٠٣	شروط ذبابة الحيوان.....
٤١٦	الثراء.....	٤٠٤	أحكام الصيد بالأسلحة.....
٤١٧	الإسراف والتبذير.....	٤٠٥	صيد الأسماك.....
٤١٨	العمل والسعي.....	٤٠٥	ب- الحيوان المحرم اللحم.....
٤١٩	شروط الملكية.....	٤٠٥	٢- المأكولات المأخوذة من غير الحيوان.....
٤١٩	الوصية.....	٤٠٦	المأكولات الحرام المأخوذة من غير الحيوان.....
٤٢١	الإرث.....	٤٠٦	أ- النجاسات.....
٤٢٢	الغضب.....	٤٠٦	ب- المواد المضرة.....
٤٢٢	المحجور عليه.....	٤٠٦	ج- السوائل والأشربة المحرمة.....
٤٢٣	أنواع المعاملات.....	٤٠٦	أحكام الأطعمة.....
٤٢٦	الأحكام العامة للمعاملات.....	٤٠٧	وسائل الترفيه والتسليية.....
٤٢٦	أنواع البيع.....	٤٠٨	المسابقات.....
٤٢٧	موارد فسخ المعاملة.....	٤٠٩	أحكام بعض الوسائل الترفهية.....
٤٢٨	آداب البيع والشراء.....	٤٠٩	١- الغناء.....
٤٢٨	الاحتكار والتسعير.....	٤٠٩	٢- الألعاب السحرية.....
٤٢٩	المعاملات الباطلة.....	٤٠٩	٣- إحضار الأرواح والتنويم المغناطيسي.....
٤٣٠	الأعمال المحرمة.....	٤١٠	٤- القمار.....
٤٣٠	النقد.....	٤١٠	٥- المخدرات.....
٤٣١	القرض الحسن.....		
٤٣١	الربا.....	٤١١	<b>الاقتصاد</b>
٤٣٢	المعاملة والربا.....	٤١١	أهمية الاقتصاد.....
٤٣٣	أنواع الربا.....	٤١٢	القوانين الاقتصادية.....
٤٣٣	المصارف.....	٤١٣	الفقر؛ أسبابه وتأثيراته.....
٤٣٤	الكُمبالة (السند).....	٤١٤	الملكية وأنواعها.....

٤٥٤	ج - الولاية مستقاة من العهد والميثاق .....	٤٣٤	التكاليف المالية.....
٤٥٦	د - البيعة ودورها في شرعية الحكومة .....	٤٣٦	١- الإنفاق .....
٤٥٧	القيد الزمني للمناصب الحكومية.....	٤٣٦	٢- النهي عن تكديس الثروة.....
٤٥٨	السُّبُل القانونية لعزل الحاكم .....	٤٣٧	٣- إيتاء الزكاة .....
٤٥٩	شروط الحاكم .....	٤٣٨	مصرف الزكاة .....
٤٦٠	أ - الإسلام والإيمان .....	٤٣٩	زكاة الفطرة .....
٤٦١	ب - النضوج العقلي .....	٤٣٩	٤- الخمس .....
٤٦٢	ج - حُسن التدبير والسياسة .....	٤٤٠	مصرف الخمس .....
٤٦٣	د - العلم والإجتهد .....		
٤٦٥	هـ - العدالة .....	٤٤١	<b>السياسة</b>
٤٦٧	و - حُسن الخُلُق .....	٤٤١	الدين والحكومة .....
٤٦٧	كيفية الحكم .....	٤٤١	الحكومة، ضرورة اجتماعية .....
٤٦٨	أ - صيانة الحريات الفردية والاجتماعية .....	٤٤٢	الغاية من إقامة الحكومة .....
٤٦٩	ب - المساواة أمام القانون .....	٤٤٣	القدرة على تنفيذ القوانين وحماية المجتمع .....
٤٧٠	ج - الإشراف العام على المسؤولين .....	٤٤٤	الحكومة وسيلة لتحقيق الأهداف الدينية .....
٤٧٢	د - الرضا العام .....	٤٤٥	أنواع الحكومات، والحكومة الدينية .....
٤٧٣	هـ - التساهل .....	٤٤٥	أ - الحكم الاستبدادي والمطلق .....
٤٧٤	و - حفظ المصلحة العامة داخلياً وخارجياً .....	٤٤٧	ب - الحكم الدستوري .....
٤٧٦	ز - اجتناب إثارة التوتر .....	٤٤٨	ج - الحكم الديني الدستوري .....
٤٧٧	ح - الاقتصاد في النفقات .....	٤٤٨	خصائص الحكم الديني .....
٤٧٧	ط - حفظ حقوق الأقليات .....	٤٥٠	الاستفادة من التجارب البشرية في الحكم .....
٤٨١	الأحكام السياسية .....	٤٥١	الفصل بين السلطات .....
٤٨١	أ - الواجبات السياسية والاجتماعية الفردية .....	٤٥٢	الحكومة: وكالة أم ولاية .....
٤٨٢	صلاة الجماعة، والجمعة والعيدين .....	٤٥٢	أ - الوكالة، عقد جائز .....
٤٨٣	الحجّ، تجمع عبادي - سياسي دولي .....	٤٥٣	ب - الحكومة، عقد لازم .....



- ٤٨٤ ..... الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٤٨٦ ..... رعافة القوانفن الاآتماعفة
- ٤٨٧ ..... النقففة والكفمان
- ٤٨٨ ..... المشاركة فف الءفاة الاآتماعفة وءدم العزلة
- ٤٨٨ ..... ب - الواآباء السفاسة الاآتماعفة العامة
- ٤٨٩ ..... ١- الشؤون النقفافة
- ٤٨٩ ..... أ - الءعلفم والترففة العامة
- ٤٩٠ ..... ب - الءءوة إلى الءفن
- ٤٩١ ..... ج - العلاقات النقفافة الءولفة
- ٤٩٢ ..... د - الكفب و وسائل الإءلام
- ٤٩٣ ..... ٢- الشؤون الاآفصاءفة
- ٤٩٤ ..... أ - الأنفال
- ٤٩٥ ..... ب - المباحاا العامة
- ٤٩٥ ..... ج - الضرائب
- ٤٩٦ ..... د - الخمس والزكاة
- ٤٩٦ ..... هـ - الأوقاف العامة
- ٤٩٦ ..... العلاقات الاآفصاءفة الءولفة
- ٤٩٧ ..... العءالة الاآفصاءفة
- ٤٩٩ ..... ٣- الشؤون السفاسة
- ٤٩٩ ..... أ - الوءءة والأءوة الإسلامفة
- ٥٠٠ ..... ب - ءوار الأءفاان
- ٥٠١ ..... ج - النعافش السلمف
- ٥٠٢ ..... د - المعاهءاا الءولفة
- ٥٠٣ ..... هـ - تقففة المءاراة
- ٥٠٥ ..... و - الإصلاء بفن الناس فف السفاسة
- ٥٠٦ ..... ز - الاسفقالاا ناام
- ٥٠٦ ..... ٤- الشؤون العسكرفة والأمنفة
- ٥٠٧ ..... أ - آأسفس وإءارة القواا المسلءة
- ٥٠٧ ..... ب - الءهءاء والءفاع
- ٥٠٩ ..... ج - السلام والأمن
- ٥٠٩ ..... د - آأمن الطرق والءوء والمءن فف
- ٥١٠ ..... هـ - الأمن والمءابراا
- ٥١٢ ..... ٥- الشؤون القضاافة
- ٥١٣ ..... أ - القضاء وشروطه
- ٥١٤ ..... ب - كفففة القضاء
- ٥١٦ ..... ج - الءوء والءعزبراا
- ٥١٧ ..... د - القصاص
- ٥١٨ ..... هـ - الءفاا
- ٥١٨ ..... و - المرفلة الآالله من الأمر بالمعروف
- ٥١٩ ..... ز - الرءة و ءكم المرءء
- ٥٢١ ..... ء - الإساءة إلى النبف ﷺ والءءفء
- ٥٢٣ ..... ط - السآن والسآنا
- ٥٢٦ ..... ف - العفو عن المءكومفن
- ٥٢٧ ..... الأءكام فف ءءمة الأهداف
- ٥٢٧ ..... أ - ضرورة الانسآام فف الأءكام الاآتماعفة
- ٥٢٨ ..... ب - طرففة الأءكام الشرعفة
- ٥٣٠ ..... ج - الأهداف النهائفة هف الأءكام
- ٥٣٣ ..... المصاءر



تمهيد:

### ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين

الإنسان كيانٌ مركَّبٌ من شيئين؛ روح و جسد. وقد خلقه الله ببالغ حكمته و جميل تدبيره لغاية ذات أهمية قصوى. فالغاية من حياته هي أن يتكامل و تنضح شخصيته و يسير على الطريق المؤدية نحو الكمال الإلهي المطلق. فلو شاء الإنسان أن يحرث الخُطأ نحو هذا الهدف، لكي يرتقي و يسير نحو التكامل، فلا بد من ضمان متطلباته الروحية إلى جانب متطلباته الجسدية. و هذا ما يستدعي بطبيعة الحال توجيهاً و ارشاداً و هداية. والدين يؤدي هذه الوظيفة و ينهض بهذه المهمة. فهو يقدم للإنسان منهجاً كفيلاً بتوفير متطلباته، و هي المتطلبات التي يتعذر نيل الكمال إلا بها. كما أن الدين يسلط الأضواء على حقائق يحتاجها بنو الإنسان في حياتهم المعنوية، مما لا يمكن استيعابه بالعقل أو بالحس و لا بالحدس والظنون. و بعض التعاليم التي يبسطها بين يديه من سنخ آخر يفوق التجربة والإدراك العقلي مثل عالم الآخرة و عالم الغيب، و إن كان الأصل الذي يكون به الثواب والعقاب، أصل عقلي.

الملاحظة الأخرى في ما يخص مكانة الدين هو تأثيره الخاص في دفع الإنسان إلى ممارسات أشياء يهتدي إليها بالعقل. و دور الدين لا غنى عنه في تحفيز الإنسان على فعل العمل الصالح و اجتناب كل قبيح و رذيلة. و من الحقائق المشهودة هي أن الدين ينظم الحياة و يجعلها ذات نسق متسق و انضباط تام، و يزود الإنسان بمقدرة على التكيف مع مصاعب الحياة و تحمل مشاقها و تيسير العسير منها. كما أن الاعتقاد باليوم الآخر يهون من شدة المصائب التي قد تتكالب عليه بسبب السير على طريق الحق.

الدين يضيء على المجتمع انسجاماً و اتساقاً، و ينقل العادات والتقاليد الصحيحة

والأصيلة والتراث الثقافي من جيل إلى آخر. و مما لا يخفى أيضاً أنّ الدين يغمر الحياة بالبهجة والنشاط، فضلاً عن نشر و ترسيخ القيم الأخلاقية في الوسط الاجتماعي. و علاوة على دوره في تلبية الحاجات والمتطلبات الفردية، فإنّه يلبي المتطلبات الاجتماعية أيضاً. و هذا يعني أنه يقدم أفضل عون للإنسان على بسط الأمن والحرية والعدالة التي يمكن في ضوئها نشر و تفعيل القيم المعنوية.

و بناءً على ما سبق ذكره يتضح أن للدين دوراً في غاية الأهمية و لذلك لا بُدّ من معرفته، والاطّلاع على حقيقة تعاليمه جهد الإمكان.

و أولى المسؤوليات التي تفرض نفسها على المؤمن هي أن يتعرّف على الدين عن وعي و بصيرة، معتمداً في ذلك على العقل و على المصادر الدينية. و إذا عرف الإنسان دينه و ما فيه من تعاليم و ارشادات و ما يتطلع إليه من أهداف و غايات، يكون بذلك قد عرف سُبل الحياة و هذا ما يسهّل عليه طبعاً وضع المنهج الكفيل بالارتقاء به نحو الرقي والتكامل. و انطلاقاً من هذه الضرورة كُرس جانب مهم من رسالة الأنبياء للتعريف بالدين و إبلاغ رسالته.

و على العموم يمكن القول إنّ للإنسان ثلاث مراحل وجودية:

١- مرحلة العقل والتفكير، و هي أعلى المراحل، و بها يتميز عن الحيوانات.

٢- مرحلة الأهواء والغرائز والعواطف.

٣- مرحلة البدن والأعضاء والجوارح.

المرحلتان الاخيرتان خاضعتان لسيطرة و إدارة المرحلة الأولى. و معيار التكليف

وجود المرحلة الأولى. و الحيوانات ساقط عنها التكليف لأنها فاقدة لها.

الدين غاية تنظيم و ضبط و تكامل المراحل الثلاثة. و لذلك فهو يتألف من ثلاثة

مكوّنات:

١- المعتقدات والمعارف.

٢- الأخلاق.

٣- الأحكام العملية.

قطع علماء و فقهاء الإسلام منذ زمن بعيد أشواطاً طويلة على طريق التعريف

بالدين و مختلف جوانبه، و أَلَّفوا الكتب التي يتسنى للناس أن يطلعوا من خلالها على أصول الدِّين، والأخلاق والأحكام. و لقد كانت لديهم صورة واضحة بأن كل زمان له ظروفه و متطلباته التي تستدعي وضع مؤلفات تتناسب مع التطوُّر الفكري لذي المجتمع و تواكب حاجاته.

و استجابة لهذا الواقع فقد كُتبت مؤلفات تتناول الميادين الثلاثة؛ العقائد، والأخلاق، والأحكام، حتى بلغت الأمور حدّاً أخذ معها حجم الموضوعات يزداد يوماً بعد آخر، و أخذ حجم الرسائل العملية يتضخّم بالأسئلة الفقهية في مجال الأحكام. و قد أدّت كل هذه الأساليب مجتمعة إلى أن تكون عامّة الناس غير قادرة على الاستفادة من هذه الرسائل إلاّ في القليل النادر، و نادراً ما يُتاح لها معرفة أصول العقائد والمعارف والأخلاق. و هذا ما يدعو فقهاء الإسلام و علماءه إلى أن يهتموا - إضافة إلى الرسائل العملية التي تشتمل على الأحكام و قسم من الفروع الفقهية - بجوانب الإسلام الأخرى و تبين المعارف الإسلامية بأسلوبها التخصصي والمُبسّط، لمختلف المستويات الثقافية لأبناء الأُمَّة، و يتكفّلوا إلى جانب ذلك بمهمة الرد على الشبهات الجديدة والتساؤلات التي تراود أذهان الناس أحياناً و خاصّة جيل الشباب.

جاء تأليف هذا الكتاب استجابة لهذه الضرورة. والغاية من تقديم معرفة إجمالية لمنظومة المسائل الاعتقادية والأخلاقية و نبذة عن الأحكام الضرورية لعموم الناس. نأمل أن يكون خطوة على طريق تحقيق هذه الغاية.

في الختام أودّ أن أعرب عن شكري و تقديري لكل السادة الأفاضل الذين ساهموا في إعداد و تأليف و تعريب هذا الكتاب. و نسأل الله لهم جزيلاً الأجر والثواب. و أدعوا جميع الاخوة والأخوات إلى تشجيع و حثّ أبنائهم على قراءة الكتب الدينية التي تتناول المعارف والأخلاق والقيم الإسلامية. والسلام على جميع إخواننا المؤمنين و رحمة الله و بركاته.

ربيع الأوّل ١٤٢٧

حسين علي المنتظري



الدّين





## ما هو الدين؟

الدين بمعنى الجزاء، والقانون، والعادة، والعبادة، والطاعة.<sup>(١)</sup> وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم بهذه المعاني: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(٢)</sup> فالله تعالى مالك يوم الجزاء، ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾<sup>(٣)</sup> أي ما كان يستطيع حبس أخيه وفقاً لقانون الملك. ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾<sup>(٤)</sup> أي اعلموا أنّ الطاعة الخالصة لله.

و أمّا في المعنى الاصطلاحي، فتطلق كلمة الدين على بعض الأمور المقدّسة التي لها صلة وثيقة بذات الإنسان، و تلبّي حاجاته المعنوية، و تروي ظمأه. و في رأينا إنّ هذا لا يكون حقاً إلا إذا كان مُنزلاً من الله تعالى. و في هذه الحالة فقط يصحّ إطلاق تسمية الدين عليه حقيقة. و قد ورد في القرآن الكريم صراحة: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾<sup>(٥)</sup> أي أنّ كل من يطلب ديناً آخر غير الإسلام لن يقبل منه أبداً.<sup>(٦)</sup>

تُستعمل كلمة الدين أحياناً في مقابل الشريعة، و يُراد به اصول الدين، بينما تضمّ الشريعة الجوانب الأخلاقية والفقهية.

### فطرية الدين

الفطر: بمعنى الشق طويلاً. و «الفطرة» مصدر نوعي بمعنى خلق و إبداع الشيء، بحيث

١- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢٢٥.

٢- سورة الفاتحة (١)، الآية ٤.

٣- سورة يوسف (١٢)، الآية ٧٦.

٤- سورة الزمر (٣٩)، الآية ٣.

٥- سورة آل عمران (٣)، الآية ٨٥.

٦- تجدر الإشارة إلى أنّ مقولة الدين المقبول عند الله متفاوتة من حيث الجزاء على العمل الصالح، و كما يلاحظ في آيات أخرى من القرآن الكريم أنّ أتباع سائر الأديان إن كانوا يؤمنون بالله و يعملون عملاً صالحاً، سيكون لهم أجرهم.

يظهر منه عمل خاص. والفطرة -كالغريزة والطبع- عبارة عن ميل و نزوع ذاتي. أي أنّ الموجود الفطري هو ما خلق بحيث يكون له توجه ذاتي نحو شيء معين بدون تعليم و تجربة، مثل فهم الحسن والقبح. و مثل هذا التوجّه والانجذاب الذاتي ليس أمراً مادياً و خاضعاً للمقاييس، و لا يمكن حسابه و تقييمه بالحسابات الماديّة. وللأمور الفطرية خصائص و هي أنّها: عمومية، ذاتية، ثابتة لا تتبدل، غير مادية.

إنّ النظر الدقيق في ميول الناس و سلوكهم يكشف بكل جلاء عن حقيقة، و هي أنّ لبني الإنسان توجهات و ميولاً باطنية. فبنو الإنسان على العموم يبدون ميلاً نحو الجمال، و السلوك الاخلاقي، و حبّ الحقيقة، و حبّ الاستطلاع و الانبهار بالموجودات المتميّزة، و الميل إلى الكشف عن الأماكن و الأشياء الجميلة، و الاعتناء بالذات، و إظهارها بمظهر حميد حسن، و إنفاق أموال طائلة من أجل التوصل إلى الحقيقة، و الرغبة في إظهار سلوك أخلاقي حميد منذ الأيام الأولى لإدراكهم العقلي. فلماذا كل هذه الميول؟ و الجواب: لأنّ الأخلاق الحميدة كالصدق و الأمانة جزء من الفطرة الأولى للإنسان، أمّا الأخلاق السيئة كالاحتيال و الخداع و الكذب فهي تتعارض مع الفطرة؛ لأنها دخيلة على فطرة الإنسان السليمة.

الإنسان بطبيعته يبجل الكائنات العظمى و ينحني إجلالاً لها، بل قد يصل به الحال إلى عبادتها. و هذا ما يكشف عنه تاريخ البشرية بكل جلاء، و هناك شواهد دالة على فطرية هذا الميل في ذات الإنسان، تتجلى في ظهور الأديان و الممارسات العبادية الغريبة، و تقديم القرابين لتلك الآلهة التي يقع عليها اختياره، و تضرّعه لها بهدف استعطافها و نيل القرب منها، فضلاً عن اتخاذ السحر كوسيلة للنفوذ إلى قلوبها، إضافة إلى ما يحتفظ به الكهنة من أحرار و أورد للتعامل مع تلك الآلهة. و يكشف تاريخ الإنسان أنّ حياته كانت حافلة بالأسرار و الألغاز. و كان الاعتقاد بوجود عالم غيبي غامض غير هذا العالم المادي، من الحقائق المشهودة في تاريخه. و ما عبادة الظواهر الطبيعية أو حتى عبادة الأصنام إلاّ تعبير عن هذا الميل الذاتي، و إن كان من المحتمل -طبعاً- وقوع انحراف عن الإرادة الأصلية عند ممارسة هذا الميل. و على العموم فإنّ الميل إلى العبادة يعكس احد معاني فطرية الدّين.

وقد صرّح القرآن الكريم عن هذه الحقيقة بقوله: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ»<sup>(١)</sup>.

إنّ فطرية الدِّين تعني أنّ الدِّين جاء إلى الناس بما يميلون إليه بفطرتهم الذاتية. و أمّا الوجه الآخر لفطرية الدِّين فهو أنّ الناس يسعون إلى العثور على القوانين والأحكام التي تضمن لهم سعادتهم، بيد أنّ ما يتوصلون إليه في هذا المضمار لا يحقق لهم هذه الغاية، لذلك فهم يتطلعون إلى سبيل أكثر وثوقاً. والدِّين هو السبيل الموثوق الذي يسعى الناس بجِدِّ للعثور عليه.

أمّا الجانب الثالث لفطرية الدِّين فيعزى إلى نزعة المنفعة والكمال عند الإنسان. فالإنسان يسعى على الدوام في سبيل تحقيق مصلحته و منفعته الذاتية، ليتسنى له إضافةً إلى تحقيقها، بلوغ مرتبة أعلى على طريق التكامل. ولاشكّ في أنّ متابعة الطريق الآمن لبلوغ الكمال و جني المنفعة الذاتية تمثل قضية حيوية لبني الإنسان. والدِّين و ما فيه من تعاليم يرشدهم إلى هذا الطريق الآمن. إذ أنّ فطرية الدِّين هي التي تلبّي نزعة الإنسان إلى العبادة، و ترشده إلى طريق آمن نحو السعادة، و تضمن له تحقيق منفعته و بلوغ ما يصبو إليه من الكمال.

### الغاية من الدِّين

نبدأ كلامنا حول هذا الموضوع بإثارة عدد من الأسئلة و هي: ماذا سيحصل لو لم يكن هناك دين؟ و هل الحياة متعذرة بلا دين؟ ألا يكفي عقل الإنسان و تجاربه لرسم مصيره؟ رغم أنّ المجتمعات البشرية لم تعش تجربة حياتية خالية من الدِّين -بما يعنيه من أمر يتعاطى مع الفطرة- يمكن في ضوءها بيان حالة الحياة بدون وجود الدِّين، ولكنّ واقع الحال ينبئنا عن مدى ضرورة الدِّين، و أنّه من المتعذر أن تكون حياة الناس خالية منه. فوجود الدِّين يدور مدار حياة الإنسان. و من غير الممكن وجود الإنسان مجرداً من هويته

١- سورة الروم (٣٠)، الآية ٣٠.

الإنسانية، فميله الذاتي إلى ممارسة الشعائر الدينية جزء من هويته. ويمكن القول بعبارة أخرى: إنَّ الدين عبارة عن استجابة مناسبة لنداء الفطرة. ويؤدي الدين بالدرجة الأولى عدّة وظائف مهمة، ويضطلع تبعاً لذلك بأدوار مهمة في الحياة. ويمكن إيجاز وظائف الدين -فضلاً عما سبق ذكره- بما يلي:

### أ- التوعية

يكتسب الناس عادة الكثير من التجارب عند إدارة شؤون حياتهم والتعاطي مع الواقع المحيط بهم. وهم عادة يكتسبون أو يكتشفون كل ما يلزم لحياتهم و سلامتهم والدفاع عن كياناتهم. ورغم كل ذلك، فهناك جوانب في الحياة لا تخضع للتجربة، وإخضاعها للتجربة يعني فقدان كل شيء. ومن الأمور التي يتعذّر على الإنسان تلمّسها حتى عن طريق الحدس والظن، وجود كائنات غير مادية في هذا الوجود، وكيفية تدبير شؤون هذا الكون، ومصيره، وبعث الناس من جديد في عالم آخر، وما شابه ذلك. وقد تحدّث القرآن الكريم عن رسل أرسلهم الله ليعلموا أقوامهم: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فقد تحدّث هذه الآية عن نوعين من التعليم: تعليم الكتاب والحكمة، وتعليم الأشياء التي لا يمكن أن يتعلّمها الناس إلا عن طريق الأنبياء بواسطة الوحي. تظهر تجارب بعض النحل والاتجاهات مثل البوذية، أنّ البوذيين على الرغم من إنكارهم لما وراء الطبيعة وبعث الأنبياء،<sup>(٢)</sup> غير أنهم يتصفون بمسلكية أخلاقية شبيهة بما تدعو إليه الأديان التوحيدية، ويُعزى سبب ذلك إلى ما تنطوي عليه البوذية من تعاليم معنوية.

وانطلاقاً من ذلك يبدو أنّ المتديّنين استطاعوا تحقيق ما هو صالح وما ينبغي لهم العمل

١- سورة البقرة (٢)، الآية ١٥١.

٢- هذا على فرض أن بوذا لم يكن نبياً ولم يكن دينه ديناً سماوياً، واعتبرناه مجرد إنسان دعا إلى الاهتمام بالجوانب المعنوية.

به، عن طريق الوحي والتعاليم الدينية على نحو أفضل، سواء على صعيد الاعتقاد بما في هذا العالم من حقائق خفية و ظاهرة، أو عن طريق السلوك الفردي والجماعي. فعلاقة الفرد مع ربه، ومع أبناء جنسه، وحتى مع البيئة المحيطة به، من جملة الأمور التي تعالجها التعاليم الدينية. ومن الطبيعي أن تكشف حقائق هذه الأشياء متعذر على البشر، ولكن لا يمكن لأحد الحزم بأن ما توصل إليه بنو البشر و جزبوه هو ما ينبغي أن يكون دون غيره.

و يتضح من خلال رسالات الأنبياء أنهم لم يكونوا يرتضون أي نوع من العلاقة بين العبد و ربه. و ليس كل أنواع العلاقة بين العبد و ربه -اي كل ما يعبر عنه باسم العبادة- مقبولة. إن علاقة البشر مع بعضهم من قبيل علاقة المرأة بالرجل، و علاقة الجيران، والرجال مع أزواجهم، والأبناء مع آبائهم، والعلاقة بين أتباع الدين الواحد، و غير ذلك، تقوم أحياناً على التجربة و رعاية المصالح العامة. كما يؤكد الدين على المصالح المعنوية والأخروية التي لا يمكن التوصل إليها بالتجربة. فالناس قد يحسبون الخير شراً، أو يرون في الشر خيراً،<sup>(١)</sup> غير أن الواقع ليس كذلك: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾.<sup>(٢)</sup>

### ب - الحكم

يؤدّي الدين دوراً في موضوع الحكم بين الناس و البتّ في ما ينشأ بينهم من خصومات. فالتعارض بين المصالح يوقع الناس أحياناً في نزاعات و خصومات. و أفضل الحلول لمثل هذه المنازعات هو القضاء فيها، مع أخذ كل جوانب مصالحهم بنظر الاعتبار، وإصدار الحكم فيها تبعاً لما تقتضيه مصالحتهم في الدنيا والآخرة: ﴿... فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾.<sup>(٣)</sup> و في ضوء الملاحظتين المذكورتين آنفاً، لا بدّ من التنبيه إلى أن الدين يؤازر عقل الإنسان للوصول إلى ما يحتاجه من حقائق، و يُعتبر بمثابة محكّ تُقاس به معطيات العقل و

١- ﴿عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾؛ سورة البقرة (٢)، الآية ٢١٦.

٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٨٠. ٣- سورة البقرة (٢)، الآية ٢١٣.

يتقرر خطؤها من صوابها. والعقل رغم ما يتسم به من قدرات إلا أنه يقع أحياناً أسيراً لأهواء النفس و يبقى عاجزاً عن إدراك ما هو حسن، بل قد يسوق الإنسان أحياناً إلى الفساد وإراقة الدماء.

فالكثير من الحروب والدمار كان الموجّه والقائد إليها هو العقل. و انطلاقاً من ذلك لا بُدّ من وجود قوة رادعة و هادية أخرى تأخذ بزمام العقل.

### ج - تعيين المسؤوليات

وضع الدين على رأس اهتماماته إبلاغ الناس بتكاليفهم، أو ما يمكن أن نسمّيه بتعبير آخر: هدايتهم. فعلى الناس تكاليف و مسؤوليات في كل ما يواجههم من شؤون الحياة. وهذه المسؤولية إن كانت معيّنة عن طريق الوحي فهي عين الواقع. إضافة إلى أن المرء إذا تعرض لأية مؤاخذة أو مساءلة في هذا المضمار لا يمكنه أن يدّعي الجهل بما عليه من التكاليف: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا \* وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا \* رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(١)</sup>

إنّ ما يعلمه الدين للناس -سواء في باب الاعتقادات أم في باب الأحكام- إنما يهدف إلى إيصالهم إلى مرحلة الكمال والسعادة اللذين يُعتبران من الحاجات الأساسية لكل إنسان. ولا بُدّ من الإشارة إلى أن مثل هذا الكمال و هذه السعادة لا يتوقّف تحقيقهما على التطوّر المادي و اضلال وسائل العيش المرفّه؛ إذ كثيراً ما يحصل الناس على هذه المعطيات ولكنهم لا يشعرون بأنهم قد بلغوا السعادة و الكمال، و نحن نرى كثيراً من الناس ينالون ما يصبون إليه من رفاه مادي، و لكنهم يواصلون السعي من أجل نيل السعادة. في حين أنّ الله

عز وجلّ قد بيّن في سياق ما شرّعه من أحكام الدِّين بأن الالتزام بما أمر به من عبادة و جهاد و تقوى كفيل بإيصال العبد إلى ساحل النجاة والسعادة: ﴿...اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

#### د - معرفة الكون

إضافة إلى ما سبق ذكره، للدِّين تأثيرات و معطيات أخرى في أذهان الناس و قلوبهم، لا تقل عن الغاية الأساسية التي جاء من أجلها الدِّين. فالدين يعلم الإنسان ما يجعله يعيش في انسجام و تناغم مع العالم الذي يعيش فيه؛ لأنّه في حالة انعدام مثل هذا الانسجام بين الإنسان و العالم المحيط به تصبح الحياة عسيرة، و يشعر الإنسان معها بالخواء و الضياع. و رغم أن الإنسان لا دور له في صنع العالم الذي يعيش فيه، أو ليس لديه معلومات وافية عن بدايته و نهايته، غير أنّ التحليل و الرؤية التي يقدمها الدِّين للإنسان عن الكون و الحياة يذللان أمامه الكثير من هواجس الحياة و آلامها، و يبعثان في نفسه الأمل بحياته و مستقبله، و ينتشلانه من عواصف الأزمات الروحية، و يخلقان لديه القدرة على التكيف مع المصاعب و الشدائد، و ينتزعانه من ظلمة الأوهام و مشاعر الخواء و العبثية، و ينقلانه إلى ظروف إيجابية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾<sup>(٢)</sup>.

الإنسان المؤمن و المتديّن يعتبر نفسه عبداً لله، و يدرك أنّ العالم مخلوق، و أنّ الخالق إله رحيم تمتد خيمته رأفته و لطفه لتظلّل بظلالها كل شيء في هذا الوجود. و هو يستشعر قرب العلاقة بينه و بين الله، و لا يتخالجه مشاعر الغربة عن هذا الكون. و هو لا ينظر إلى الآلام و المتاعب كشوكة تعيقه عن مواصلة الدرب. و يلمس مشيئة الله في كل شيء و على كل حال. و في ضوء مثل هذا الفهم و الشعور يأخذ على عاتقه عبء المسؤولية و الالتزام. و يحمل على الدوام مشاعر ايجابية إزاء العالم، و هو يعيش كل شيء في هذا الوجود لما يمثّله من آية دالة على خلق الله.

١- سورة المائدة (٥)، الآية ٣٥.

٢- سورة ابراهيم (١٤)، الآية ٥.

و أخيراً، فإنّ الدّين يمثّل بالنسبة إليه ملاذاً معنوياً في الظروف العصيبة و في أوقات الشدائد، و باعثاً على الأمل و البهجة في ظروف العافية و الراحة. و يرى فيه طاقة لا تنضب عند ما يتخلّى عنه الجميع، فيولّد في نفسه النشاط و الحيوية.

الدّين يرَبّي الإنسان على حالة من الاتزان أساسها التوكّل عند الفقر، و الاحتراز من الانانية و الطغيان عند الغنى. و يستنقذ الإنسان من الجمود و الضحالة المادية، و يخلع عليه طابع النضارة و الحيوية، و يمنحه الحصانة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾. (١) و في المقابل يواجه المعرضون عن دين الله و عن ذكر الله ضنكاً و عسراً في الحياة حتى و إن كانوا يتقلّبون في وافر النعمة و الرفاه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾. (٢) أمّا المؤمن بالله، فيعيش حياة زاخرة بالمعنوية، و هي الحياة التي يصفها القرآن الكريم بالحياة الطيبة، بعيداً عن الرذيلة و الفساد و الانحطاط، و تغمرها البهجة الروحية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. (٣)

إنّ ما سبق ذكره لا ينطبق على الحياة الفردية فحسب، و إنّما يشمل الحياة الاجتماعية أيضاً، فعندما يعيش كل واحد من أفراد المجتمع في حالة من الاتزان الروحي و الحياة المعنوية، فهذا يعني أنّ ذلك المجتمع يعيش في صفاء كصفاء الحياة في المدينة الفاضلة، حيث تقوم العلاقات الاجتماعية وفقاً للمثُل و القيم السماوية، و تكون الحياة فيه خالية من كل أنواع الضيق و الاستياء، و القلق و المخاوف.

إنّ الدّين بصفته دافعاً ذاتياً يحمل للبشرية ضمانة تنفيذية للمبادئ الأخلاقية. فالأحكام الدينية إضافة إلى ما فيها من إرشادات و نصائح مؤكّدة على السلوك الأخلاقي، و ما تدعو إليه من قواعد أخلاقية كثيرة، فهي تحمل العناصر الكفيلة بحثّ الإنسان على الالتزام بالوازع الأخلاقي. فعلى الرغم ممّا تتسم به الأخلاق من طابع فطري، غير أنها تبقى هشّة و واهنة بسبب ما يتهددها من وساوس و مغريات نابعة من ذات الإنسان أو من

٢- سورة طه (٢٠)، الآية ١٢٤.

١- سورة النحل (١٦)، الآية ٩٧.

٣- سورة الأنفال (٨)، الآية ٢٤.



خارجها، بحيث لا يتسنى الحفاظ عليها بأساليب القهر والإكراه و ذلك لأنَّ الأخلاق ذات دوافع ذاتية تُبادر إليها النفس طواعية. وهذا يعني أنها لا تتوج بالعمل والتطبيق إلاَّ بالتشجيع والحوافز الذاتية، والدِّين يضطلع بهذا الدور الحيوي أيضاً.

و في الختام تجدر الإشارة إلى أنَّ تعاليم الدِّين حملت للبشرية بشائر الحضارة والمدنية المبنية على فكرة التدين. ويمكن القول: إنَّ ازدهار كثير من العلوم رهين بالدِّين. ومع أن مثل هذه المعطيات لم تكن هي الغاية الأساسية للدِّين، غير أن الدِّين قدَّمها للمجتمع البشري كهدية كبرى.

### جواب عن سؤال

و في ضوء ما عرضناه من صورة عن الدِّين، قد يتبادر إلى الأذهان سؤال مفاده: إن هذه التوضيحات بشأن الدِّين أنما كانت لزم من كان فيه الإنسان يفتقر إلى التطوُّر ولم تكن لديه إمكانات واسعة، فجاء الدِّين لتسكين معاناة و آلام مجتمعات العصور المظلمة التي كانت تنعدم لديها بوارق الأمل بالمستقبل، أمَّا اليوم، فقد تطوُّر الإنسان و أصبحت لديه الكثير من الإمكانيات، و بلغت الصناعة ذروتها، و حتى الفضاء غدا مسخراً للإنسان، و غير ذلك من معالم التقدم التقني والعلمي الذي ساهم في حلِّ أسرار الحياة و ألغازها لصالح البشرية، و بلغ الإنسان ذروة الرفاه، فما الحاجة إلى الدِّين و مسكِّناته؟

والجواب هو: أنَّ الدِّين ليس مهنة يؤدِّي تعلُّمها إلى تسكين الآلام و إزالة الاضطراب، وإنَّما هو شعور قلبي تتمخض عنه الآثار والمعطيات التي سبق ذكرها. وإضافة إلى ما يجلبه الدِّين من تقدُّم و رفاه، فإنَّ الشيء المهم الذي يُعطي الحياة معناها هو الجانب المعنوي فيها، و هو ما يُنال عادة بفضل الدِّين. فتتنظيم العلاقات بين الناس، و راحة البال والسكينة، حقائق لا يمكن بلوغها بالرفاه وحده. فمن المعروف أنَّ وجود الإنسان في هذه الدنيا لا ينحصر في الجانب المادِّي حتى يمكن القول: إنَّ مقوماتها و أسبابها متوقِّرة و لم يعد للدِّين أيُّ دور في الحياة. فكلُّما تعاظم التطوُّر العلمي والصناعي، ازدادت حاجة الإنسان إلى الشؤن المعنوية والأخلاقية. و مهما كسب من الأمور المادية، يغدو - إن كان مجرداً من المعنوية -

أشدَّ حرصاً و أبعَد عن القناعة.

إنَّ التطوُّر المادي والصناعي لا يهب الإنسان حياة طيِّبة مليئة بالعدالة والإنصاف والروح الإنسانية، بل إنَّ الإنسان أدرك بالتجربة أنَّ التطوُّر العلمي والتقني لا يحلُّ مشاكله الروحية، فالاكتشافات وما رافقها من تطوُّر أتاحت لأصحابها التفوُّق على خصومهم، وربَّما ممارسة الظلم على من وقع تحت سلطتهم، في حين أنَّ البشر بحاجة إلى سلوك أخلاقي قويم، وهذا ما يأتي عن طريق الدِّين.

### النفور من الدِّين

و هنا قد يتبادر إلى الأذهان سؤال مفاده: إن كانت للدِّين كل هذه الفوائد، إضافة إلى حاجة الإنسان الماشئة إليه، فلماذا يواجه على الدوام مثل هذا الهجوم، و يظهر لنا أن الكثيرين ينفرون منه، أو يرفضون قبول الدِّين الحق؟ وإن كان الدِّين من المتطلِّبات الفطرية للإنسان، فلماذا يأبى البعض الانضواء تحت لوائه، بل يرفضون قبول أي دين؟

إنَّ الفهم الذي يلزم الصحيح للإجابة عن السؤال المذكور، يستدعي الفصل بين مجموعتين: الأولى: هم كل من آمنوا بدِّين و شعروا بأنَّه يلبي حاجاتهم، فهم بطبيعة الحال يعتبرونه حقاً مطلقاً، و لا يقبلون أي دين غيره. والثانية: هم كل من لم يؤمنوا بدِّين، أو تخلَّوا عنه بعد الإيمان به، و تُطلق عليهم تسمية الكفرة.

بالنسبة إلى الجماعة الأولى، لا يمكن وصفها بالنفور من الدِّين حتى وإن كانت على غير الدِّين الحق؛ لأنَّ اعتناق أي دين يمثل في واقع الحال استجابة لحاجة قلبية، و أداءً لتكليف، و تلبية لنداء الفطرة. و أكثر الناس في العالم يعتقدون ديناً و يعيشون معه و يشعرون بالانشداد إليه.

و أمَّا الذين لا يؤمنون بدِّين أو أعرضوا عنه بعد الإيمان به، فقد يُعزى سبب ذلك إلى العوامل التالية:

أ - للإنسان جوانب و نوازع شتى، و من الطبيعي فإنَّ الاهتمام ببعضها يؤدي إلى تجاهل الأخرى. فقد يهتم الإنسان باللذائذ العابرة و يتغاضى عن غيرها من المتطلِّبات، و هو ما قد

يؤدي بالنتيجة إلى عدم بروزها بوضوح، أو قد يحل محلها بديل زائف كمن يشعر بالجوع فيتناول أطعمة تسد الشهية بدلاً من تناول أطعمة مفيدة.

ب - أن يأتي سلوك الإنسان ورد فعله من مزيج من المشاعر والقوة العقلية. ومتى ما سار الشعور والعقل سيراً متزناً بعيداً عن الإفراط والتفريط، يكون فعلهما منسجماً، و ينتهج الإنسان على أثر ذلك منهجاً معتدلاً، و يتصرف تصرفاً عقلاً في الوقت المناسب، أو يتصرف وفقاً للمشاعر والأحاسيس في الموضوع المناسب أيضاً.

و عند التعامل مع المفاهيم والمقولات الدينية، إذا كان هناك انسجام بين العقل والمشاعر، سيكون موقع الدين في النفس قوياً و رصيناً، ولكن لو تم تجاهل أحدهما فسوف يخرج عن حدّ الاتزان، فإذا عطّل العقل و تعامل مع الدين من منطلق المشاعر فلن يجد فيه سوى مجموعة من الشعارات والغيبيات والخوارق. و من الطبيعي أن مثل هذا التوجّه يخلق فجوة بين الدين والعقلانية، و يظهر الدين وكأنه ممّا لا يمكن الدفاع عنه دفاعاً عقلياً.

كما أن التعامل العقلي الصرف مع الدين، يجعل المرء يقف حائراً و لا يجد إجابة مقنعة إزاء الكثير من المفاهيم ذات الطابع التعبدية المحض. و نتيجة لعدم اقتناع العقل، يجد الإنسان نفسه مدفوعاً إلى الإعراض عن الدين. كما أن النظرة العقلية الصرفة إلى الدين قد تصوّر الحاجات الفطرية للإنسان، و كأنها أشياء وهمية فيعرض عنها، ثم يحاول اصطناع بديل عن الدين. و قد حدّرت النصوص الدينية من هذه النزعة، فقد روي عن الإمام السجّاد عليه السلام أنه قال: «إنّ دين الله لا يُصابُ بالعقول الناقصة»<sup>(١)</sup> والمراد من ذلك هو ان يُستعان لهذه المهمة بمحض العقل و ليس بالعقل المحض. فالباري عزّ وجلّ يجعل اعتباراً للعقل المحض، أمّا ما يضل الإنسان فهو الاكتفاء بمحض العقل.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «واعلموا أنّه ليس من علم الله و لا من أمره أن يأخذ أحدٌ من خلق الله في دينه بهوى و لا رأي و لا مقائيس»<sup>(٢)</sup>.

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٠٣، الحديث ٤١.

٢- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٦ من أبواب صفات القاضي، ج ٢٧، ص ٣٧، الحديث ٢.

و جاء في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَخَذَ دِينَهُ عَنِ رَبِّهِ وَ لَمْ يَأْخُذْهُ عَنِ رَأْيِهِ»<sup>(١)</sup>.

و لاشكّ في أنّ مثل هذه المواجهة بين العقل والدين، لاتأتي على الدوام من النزعة العقلية المفرطة، بل كثيراً ما يؤدي عدم فهم كُنه و حقيقة مفهوم من المفاهيم الدينية إلى زعزعة الإيمان. و قد يكون عدم التوجيه العقلاني لجوانب من الدين مدعاة لردود فعل سلبية من العقل تجاه الدين.

و بناءً على ذلك ينبغي السعي - في ذات الوقت الذي يكون هناك انسجام بين العقل والمشاعر - لتبيين المفاهيم التي تتطلب توجيهاً عقلانياً.

**ج -** التأثير السلبي لبعض الشخصيات التي تعدّ أنفسها رموزاً دينية، و لمن يوصفون بالقدوات المعنوية، في نفوس و تديّن من يأخذون دينهم عنهم. فالسلوك المتناقض للرموز الدينية مع أحكام الدين، يترك تأثيرات سيئة في نفوس الأفراد، و قد يكون سبباً لنفورهم من الدين. و لعل تأثير هذا العامل في ظروف معيّنة يفوق تأثير العوامل الأخرى.

**د -** كذلك تؤدّي النظرة المادية، إلى إنكار المفاهيم الدينية، والشك فيها بسبب عدم القدرة على قياسها بالمعايير المذكورة؛ أو قد لا يجد المرء إجابة وافية عنها. و هو ما ينتهي - بالنتيجة - بأصحاب هذه النظرة إلى الابتعاد عن الدين.

**هـ -** عوامل البيئة والتربية تدخل في عداد العوامل التي قد تحجب المرء منذ البداية و بالتدرج عن الشؤون المعنوية والدينية. فهناك من الناس من ينشأون - بسبب ظروف البيئة والتربية - على عادات و تقاليد و ثقافة من نوع خاص و يتخذونها ديناً لهم.

و لاشكّ في أنّ طبيعة الأفراد و إرادتهم و عزمهم لها دورها في تعيين مدى تأثير العوامل، و لا يمكن القول: إن الإنسان خاضع لتأثير العوامل الخارجية وحدها.

و مع كل ذلك يبدو أنّ ضرر هذه العوامل يلحق بالمؤسسات والمظاهر الدينية، وإلا فإن أصل الدين شمس لا تغرب.

١- المصدر السابق، ص ٤٥، الحديث ٢١.

## شمولية الدِّين

جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ تَبْيَاناً كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى وَاللَّهِ مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ. حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُ عَبْدٌ يَقُولُ: لَوْ كَانَ هَذَا نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ؟ إِلَّا وَ قَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِيهِ».<sup>(١)</sup>

يدل هذا الحديث إضافة إلى أحاديث أخرى و آيات قرآنية، على أن كل ما يحتاجه الناس قد جاء في تعاليم الدِّين، وأن كل شيء قد ورد ذكره في الدِّين. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه التعليمات الشاملة بقوله: «تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ»<sup>(٢)</sup> و «تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ»<sup>(٣)</sup>.

و لتسليط الضوء على معنى شمولية الدِّين ينبغي الالتفات إلى أن شمولية كل شيء تُقاس بالشيء نفسه، و بالهدف المراد تحقيقه من ورائه. فأَيُّ شيء إن كان فيه كل ما يلزمه فهو كامل و شامل. و الدِّين غير مستثنى من هذه القاعدة. و شمولية الدِّين و كماله، تتمثل في ما يتضمّنه من تعليمات على طريق هداية الإنسان نحو الغاية المرسومة، و هو ما يُعبّر عنه بالهداية. و سرّ هذه التعليمات، هو إيجاد علاقة متناسبة بين الإنسان و عالم الوجود. و مجموعة التعاليم الدينية تكشف عن حقيقة أن الغاية من الدِّين هي الهداية. ففي الآيتين المذكورتين آنفاً وردت بعد الجملتين المذكورتين كلمة «هدى» و هي تبين الغاية العامة للدِّين. إن المراد من قول الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ تَبْيَاناً كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى وَاللَّهِ مَا تَرَكَ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ»<sup>(٤)</sup>، و كذا قول الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَدَعْ شَيْئاً تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَّا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ وَ بَيَّنَّهُ لِنَبِيِّهِ».<sup>(٥)</sup> إن الدِّين فيه دعوة الناس إلى الله و بيان للقيم المعنوية، و هي أمور لا سبيل للناس إليها بغير الدِّين. و على هذا الأساس، لا ينبغي أن يرتجى من الدِّين ما يمكن تحقيقه بالعقل الفردي أو الجماعي.

١- الكُلَيْبِيُّ، الكافي، ج ١، ص ٥٩، الحديث ١.

٢- سورة يوسف (١٢)، الآية ١١١.

٣- سورة النحل (١٦)، الآية ٨٩.

٤- الكُلَيْبِيُّ، الكافي، ج ١، ص ٥٩، الحديث ١.

٥- المصدر السابق، الحديث ٢.

## مجال تعاليم الدين

التوجه الأساسي للدين، هو دعوة الناس إلى الله وإلى إصلاح أمورهم بأنفسهم. وجوهر الدين، هو توجه الناس إلى الله، واليقين بأنه حاضر في كل مكان و ناظر إلى كل شيء.

إذا سلمنا بأن قبول الدين أمرٌ اختياريٌّ و قلبيٌّ، فعلينا الإجابة عن السؤال التالي: إن كان الدين يكتفي بتقديم الإرشادات اللازمة للناس، و يتحاشى التدخل في شؤونهم، وإنما يتركهم على حالهم و لا يكلفهم بأية مسؤولية إلى يوم القيامة حيث يُنظر هناك في أعمالهم، ثم إن الكثير منهم انصرفوا و وقعوا في الضلال بسبب انعدام الرقيب والناظر، فهل يكون الدين في مثل هذه الحالة قد بلغ الغاية المنشودة منه؟

و بعبارة أخرى، إذا لم ينجح المصلحون الدينيون في إصلاح الأمور بالإرشاد والموعظة، و أدت العوامل الخارجية المدعومة بالأجهزة الإعلامية والوساوس النفسية إلى إغواء الناس، فهل تقع على المؤمنين مسؤولية إيجاد مؤسسات تتكفل بمهمة السهر على حماية القيم الدينية؟

والجواب هو: إن الغاية الأساسية للدين هي الهداية والإرشاد إلى الطريق القويم، و من يطلب السعادة هو الذي ينبغي أن يختار الطريق و يسير عليه. و هذا طبعاً مما لا إكراه فيه و لا إجبار، وإنما ينبغي أن يحصل التدين عن رغبة و إقدام ذاتي. والإكراه في مثل هذا الحال لا يؤدي إلى التدين.

نعم، هناك مجموعة من الأحكام الهادفة إلى تنظيم الشؤون والعلاقات الاجتماعية، ولكن الغاية إجراء هذه الأحكام بنفسها، و لا يشترط فيها القصد والنية، و هذه الأحكام شبيهة بالقوانين الموجودة في كل مكان في العالم و هي إلزامية، و عليها تتوقف مسيرة الحياة الاجتماعية. و هي حتى و إن لم يرد فيها أمر مباشر، فإن مجرد الأمر بها يستدعي إيجاد المؤسسة الكفيلة بإجرائها، كما هو الحال بالنسبة إلى الأحكام القضائية التي يُراد من ورائها إحقاق حقوق الناس، و لكن ليس في برنامج الدين - طبعاً - تقديم نمط خاص

للحياة، كأن يدعو إلى حياة بدوية أو حضرية أو قروية. وإنما يدعو الدِّين الناس حينما كانوا إلى الالتزام بمجموعة من التعاليم، والعيش وفقاً لما يقتضيه الدِّين. والدِّين لا يجيز - طبعاً - تعدي الحدود التي رسمها، سواء أكانت على صعيد الفرد أم على صعيد المجتمع.

الدِّين يقدّم منهجاً عاماً للحياة، ولا يبيّن أسلوباً خاصاً لحل المشاكل الاجتماعية، فهو - على سبيل المثال - ينظر باهتمام إلى قضية العدالة الاجتماعية لما يُمثله الظلم و فقدان العدالة من عائق أمام سعادة الناس وإقبالهم على عبادة الله. أمّا أساليب معالجة هذه القضية فقد تُركت إلى الناس ليتعاملوا معها حسب ظروفهم وأجوائهم وبيئتهم، ولم يأمرهم الدِّين باتباع أسلوب أو منهج معين لحلّها، وذلك لأنّ تدخل الدِّين في أمثال هذه الأمور يجرّه إلى معضلات كثيرة ويزيحه من ساحة الحياة، بسبب ما يستجد فيها من تطوّرات و تغييرات لتحل محلّه المعطيات التجريبية والعلمية، وعندئذ تتكشف لبني الإنسان عدم كفاءة الدِّين و عدم قدرته على بعث الازدهار والتقدم. في حين أنّ الدِّين يؤدي دوره في ما يقدّمه على الدوام من إرشادات و مواعظ لرعاية الأصول والقيم. و انطلاقاً من ذلك تُلاحظ في تعليمات الأنبياء - بكل جلاء - أحكام تهدف إلى تنظيم العلاقات الاجتماعية تنظيماً عادلاً، و من ذلك مثلاً، قول البارئ تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرَاكُمْ بِخَيْرٍ...﴾<sup>(١)</sup> و في ضوء ما سبق ذكره يتضح أنّ الدِّين لا يرمي إلى الدعوة إلى الاكتشافات، والصناعة، والزراعة، و تربية الحيوانات، و بناء المدن و ما شابه ذلك، و إنّما يُعنى بتعيين الأصول والمبادئ و يدعو إلى الالتزام بها.

عند المقارنة بين نظرة الدِّين إلى الدنيا والآخرة، يجعل الدِّين من الآخرة هدفه الأساسي. و بدون الدِّين لا يهتدي الإنسان إلى الطريق الموصول إلى السعادة الأخرية. وهذا الكلام لا يعني طبعاً أنّ الدِّين لا يولي أهميةً للدنيا؛ فالسعادة في الآخرة يمرّ طريقها عبر هذه الدنيا، بل إنّ السعادة الأخرية تنتفي ما لم يتم تبين العلاقات الصحيحة في الدنيا. ولو كان الدِّين قد تجاهل الدنيا لعدّ ذلك تقصير منه في بيان السبيل إلى سعادة الآخرة.

١- سورة هود (١١)، الآية ٨٤.

## العقل والدين

العقل يعني في الأصل الإمساك والاستمساك كعقل البعير بالعقال،<sup>(١)</sup> وهو يعني اصطلاحاً القوّة التي يكون بها التمييز بين القبح والحسن.<sup>(٢)</sup>

تحدثت النصوص الأخلاقية عن القوى الثلاث الشهوية والغضبية والعقلية. والفارق بين العقل التقليدي الذي يُقرن بالشهوة والغضب، والعقل الحديث، هو أنّ العقل التقليدي ذو طابع فردي، وهو ما يُسمّى بالعقل الغريزي. بينما العقل الحديث عقل نقّاد وقائم بذاته، ويكشف عن ذاته عن طريق الحوار وتبادل الآراء، وله بطبيعة الحال مكانة قيّمة.

و سواء اعتبرنا العقل خاضعاً لتأثير الأمور الفطرية (العقل الغريزي)، أم خازناً يحمل الكثير من التجارب والمكنوزات العلمية، أم صاحب رؤية في المجال العملي «العقل العملي»، أم غيره «العقل النظري»، فعلى جميع هذه الاعتبارات ثبت بأنه ينطوي على قدرات هائلة. والعقل يزود الإنسان بالمعرفة إلى جانب ما يزوده به الوحي. ويمكن القول: إنّ هناك طريقتين لاستقاء المعرفة، أحدهما الوحي، والآخر العقل. والمصادر الدينية أثنت على العقل وقالت في وصفه ما يلي:

١- العقل حجة الله: «الحُجَّةُ فيما بين العباد وبين الله، العقل».<sup>(٣)</sup> وقد ذم الله عزّ وجلّ في عدّة آيات من كتابه الكريم من لا يتفكرون في آيات الله وحقّانية الأنبياء.<sup>(٤)</sup> ووردت مشتقات كلمة العقل في القرآن تسعاً وأربعين مرّة، وجاءت كلمة «أولو الألباب» ستّ عشرة مرّة، كما وردت كلمات: القلب، والفؤاد، والفكر، مرات عديدة في القرآن الكريم.

٢- يُعتبر العقل من المستقلات العقلية، إلى جانب الكتاب والسنة والإجماع، أيّ أنّه من المصادر المستقلّة للأحكام الدينية. وكمثال على ذلك، إنّ العقل يدرك بصورة مستقلة حُسن العدل وقُبْح الظلم. وهذا العقل مشابه من عدّة جوانب لما يُسمّى اليوم بالعقل

١- الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٧٨.

٢- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٤، ص ١٨. ٣- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٥، الحديث ٢٢.

٤- سورة المائدة (٥)، الآية ٧٥؛ سورة المؤمنون (٢٣)، الآية ٧٠؛ سورة العنكبوت (٢٩)، الآية ٦٣.



المستقل أو العقل الحديث.

جاء في روايات عن رسول الله ﷺ و عن الأئمة المعصومين عليهم السلام أنهم وصفوا العقل بأنه أفضل شيء: «ما قَسَمَ اللهُ للعباد شيئاً أفضل من العقل». (١) وُوصِفَ أعلم الناس بأمر الله، بالأحسن عقلاً: «أعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً» (٢) وإنَّ كمال إيمان المؤمن رهين بكمال عقله: «لا يكون المؤمن مؤمناً، حتى يكون كامل العقل». (٣)

و من ناحية أخرى وصف العقل بعدم القدرة على إدراك كُنه و حقيقة الدِّين في كل الظروف والأوضاع، و أنه عاجز عن فهم جزئيات الدِّين والأُمور القدسية: «إنَّ دينَ الله لا يصاب بالعقول الناقصة». (٤)

السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هنا هو: كيف يمكن التوفيق بين هاتين الرويتين؟ حيث ترى إحداهما أنَّ أعلم الناس بأمر الله أكملهم عقلاً، و أنَّ كمال إيمان المؤمن بكمال عقله، بينما ترى الأخرى أنَّ دين الله لا يدرك بالعقول.

نعم! إنَّ العقل أفضل ما يدرك به أمر الله و تُفهم به الحقائق، و بدونه لا يكون على الإنسان تكليف، و العقل يكشف طريق استنباط الأحكام. و قد يُعد العقل أحياناً بمثابة قرينة لفهم القرآن و السنة، و الاستدلال العقلي يجعل القلب مهيباً لقبول الشيء. و الدِّين يمدد العقل و يدفعه نحو التفكير. فقد نُقل عن الإمام علي عليه السلام أنه قال في كلمة له: «و يُشِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ». (٥) فالدين يعلم العقل أشياء لا يتسنى له تعلّمها بدون الدِّين.

إنَّ العقل و رغم كل ما يتّسم به من قدرات، إلا أنه عاجز عن الإحاطة بجميع الحقائق، بسبب ما يشوبه من أهواء و أوهام و تقاليد بالية و تعاليم مغلوطة، و الأهم من كل ذلك إنه معرّض للوقوع في الخطأ. و في ضوء ذلك لا يمكن الوثوق بصواب ما يتوصل إليه العقل.

١- الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٢، الحديث ١١. ٢- المصدر السابق، ص ١٦، الحديث ١٢.

٣- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١، ص ١٠٩، الحديث ٥.

٤- المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠٣، الحديث ٤١. تجدر الإشارة إلى أن هذا الحديث نقله ابن عمام عن الكليني، غير أن الكليني نفسه لم يورده في مذمة العقل (ج ١، ص ٥٧) و هذا هو الحديث الوحيد الوارد في ذم العقل. ونظراً إلى أنه ورد مقروناً بقبود مثل الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة فمن المحتمل جداً أنه يشير إلى تيار فكري خاص كان في زمن الإمام السجاد عليه السلام. ٥- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١، ص ٤٣.

فتبيين المتطلّبات الأساسية للروح وما يكتنف طريق الإنسان من مصاعب يستلزم مصدرًا وثيقاً، وذلك هو الدين والتعاليم القادمة عن طريق الوحي. وهناك بطبيعة الحال أمور لا يدركها العقل ما لم يرشده إليها الوحي، مثل عالم الغيب، وعالم الملائكة، والحياة الآخرة.

### شمولية فهم الدين

إنّ مصدري الدين - وهما الكتاب والسنة - طبقاً لما ورد فيهما، يمكن لكل الناس فهمهما، وهما ليسا حكراً على طبقة أو فئة بعينها: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ...﴾<sup>(١)</sup> ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وردت تأكيدات مكررة على التفكّر في آيات الله، وعلى التعلّم واكتساب المعرفة، وأنّ الإعراض عن تعلّم الدين دلالة على البداوة،<sup>(٣)</sup> وأنّ الله لا ينظر إلى من لا يسعون لتعلّم الدين.<sup>(٤)</sup> وهذا مما يدل بكل جلاء على إمكانية فهم الدين من قبل جميع الناس.. ورغم أنّ فهم الدين متاح لجميع الناس وليس حكراً على فئة معيّنة، إلّا أنّ ذلك لا يعني أنه مجرد من القواعد والضوابط، بل لا يمكن التوصل إلى حقيقة الدين إلّا برعاية أصول الفهم. فالدين عبارة عن مجموعة من التعليمات والإرشادات الإلهية التي أبلغت في مدة زمنية، وقد أخذت بنظر الاعتبار عند تشريعه ظروف ومقتضيات الزمان والمكان. وجاءت بعض أحكامه مجتمعة في حين جاء بعضها الآخر مفصّلاً وناظراً إلى موارد خاصة، وبعضها قد نسخ، بينما يشكّل فهم البعض الآخر أرضية للتوصل إلى الحقيقة. وكان ابتعاد الأجيال اللاحقة عن صدر الإسلام، وامتزاج الأذهان بالعادات والتقاليد الشائعة في كل إقليم وولاية، أن تترك تلك العوامل تأثيرها في فهم الدين على نحو متفاوت، وإلى احتمال وقوع تحريف ودسّ في الدين.

وفي ضوء ذلك لا بدّ أن يحرز العاملون في حقل التحقيق في الدين، الشروط اللازمة

١- سورة التوبة (٩)، الآية ١٢٢. ٢- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ١٠. ٣- الكافي، ج ١، ص ٣١، الحديث ٦. ٤- المصدر السابق، الحديث ٧.

لهذه المهمة ثم يجتهدون في الدِّين، كما هو الحال في سائر العلوم. إلاَّ أنَّه - وللأسف طبعاً - من الظواهر غير المحبَّذة أن ينبري من ينبري للإدلاء برأيه في قضايا الدِّين - بكل أبعاده وسعته - من غير حيازة الشروط اللازمة. في حين يعتقد في المجالات الأخرى برأي أصحاب النظر و أصحاب الاختصاص.

من الطبيعي أن الدِّين يختلف عن سائر مجالات الحياة بسبب حُبِّ الناس له و تعلقهم به، ولهذا فالمرجو هو أن تُراعى عند إدلاء النظر في قضايا القواعد والأصول المسلَّمة، وضوابط الاجتهاد، و فهم الدِّين والمقدمات الضرورية لها، و لا ينبغي لأحد أن يظنَّ في نفسه القدرة على الفهم والاستنباط الصحيح للأحكام قبل حيازة المقدمات التمهيديَّة لهذه المهمة، وإنهاء المراحل العلمية اللازمة لها.

### مدخلية الافتراضات المسبقة في فهم الدِّين

ربَّما يقترن فهم الدِّين - فضلاً عن القواعد والأصول اللازمة - بافتراضات مسبقة يكون لها تأثير واضح في فهمه. أمَّا بالنسبة إلى مدى تأثير هذه الافتراضات المسبقة في فهم الدِّين، و هل يمكن التوصل إلى حقيقة الدِّين مع وجودها، فهو مما ينبغي التأمل فيه بدقَّة. فقد ظهرت طيلة تاريخ الاجتهاد في الدِّين و جهات نظر متفاوتة في الفهم بين الفقهاء والمتكلمين، و انبثقت على أثر ذلك نحل و مشارب شتى. فهل كانت كل تلك الاجتهادات صحيحة و تمثِّل حقيقة المعطيات الدينية؟

لاشكَّ في أن من يسمعون الوحي أو كلام الأولياء يحملون في أذهانهم تصورات عن تلك المفاهيم، بل قد تكون لديهم تصوّرات حتى عن الله، والملائكة، والمعاد، والجنَّة، والعبادة، والتضرُّع إلى الله و كيفية ارتباط العباد به. و هذا ما بيَّنه قول الإمام الباقر عليه السلام: «كلُّ ما ميَّزتموه بأوهامكم في أدقِّ معانيه مخلوقٌ مصنوعٌ مثلكم، مردود إليكم و لعلَّ النمل الصغارَ تتوهَّم أنَّ لله تعالى زبانيتين»<sup>(١)</sup>.

١- المجلسي، بحار الانوار، ج ٦٦، ص ٢٩٢ و ٢٩٣، الحديث ٢٣.

هناك عوامل تؤثر في فهم الدّين، و تجعل كل من يشاء يستنتج منه ما يشاء، و من ذلك التطوّر الذي قد يطرأ على مرّ الزمان على بعض المفاهيم، والتغيّرات الاجتماعية و ما يرافقها من تبدّلات في أوضاع المجتمعات، إضافة إلى ما تبتغي التيارات المختلفة انتزاعه من فهم يصب في سياق تطلّعاتها. فهل هذه كلها من الدّين، والسائرون عليها سائرون على الطريق الصحيح القويم؟ أم أنّه يُعتبر مثل هذا الفهم تطويعاً للمفاهيم الدينية وفقاً لمشتبهات الأذهان والرغائب؟

إنّ التفاوت في تفسير الدّين والاستنباط منه، شيء صحيح طبعاً، ولكن لا ينبغي هنا إغفال قضية مهمّة، وهي أنّ من تلقّوا الدّين و أبلغوه كانوا على اتصال بالوحي من جهة، و على صلة مع الناس من جهة أخرى. و كان من المهام الملقاة على عاتق الأنبياء تبيين الدّين للناس على وجه دقيق: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ...﴾،<sup>(١)</sup> ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾،<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.<sup>(٣)</sup>

عندما أدّى حملة الوحي رسالاتهم في تبيين الآيات الإلهية كما ينبغي، تكوّن لدى الناس والمتلقين فهم جماعي متقارب للأشياء، و كان هناك اتفاق في الآراء حول مختلف القضايا. و هو ما أدّى إلى إيجاد سيرة المتشرعة التي انتقلت تدريجياً إلى الأجيال اللاحقة. و قد أدّى أوصياء الأنبياء و خاصة أوصياء النبي محمد ﷺ هذه المهمة الخطيرة؛ إذ كان لهم حضور بين الناس مدّة طويلة و جابهوا يومذاك ما دخل في الدّين من بدع و تحريفات، و بيّنوا للناس حقيقة الدّين، و قاربوا بين وجهات نظر المتديّنين رغم اختلاف الرؤى والأفهام. و قد انتهت هذه الجهود إلى إيجاد فهم عرفي و جماعي، و رسم منهج واضح بين المتشرعين.

وقعت في الأديان السابقة للإسلام تغييرات، و هي ما يُعبّر عنها بالتحريفات و البدع. و قد كشف القرآن عن هذا الواقع بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ

٢- سورة ابراهيم (١٤)، الآية ٤.

١- سورة المائدة (٥)، الآية ١٥.

٣- سورة النحل (١٦)، الآية ٤٤.

قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴿١﴾ كثيراً ما جاء هذا النمط من التعاطي مع أحكام الدين انطلاقاً من دوافع نفعية، أو لفرض المعتقدات والرؤى والأذواق الفكرية على تعاليم الدين، وهو ما يفضي بالنتيجة إلى وضع الدين ضمن دائرة ضيقة. وهذا المنهج بيّنه القرآن الكريم عند وصفه لموقف بعض اليهود من الإسلام: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

و بالإضافة إلى ذكر القضية الآتفة في القرآن، هناك أيضاً آيات تبين أن ما أَرَادَهُ اللهُ هو الدين الحقيقي، ولا يحق للآخرين - وحتى النبي - أن يضيف إليها إضافة: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٣﴾.

لاريب في أن الخوض في المباحث الدينية من غير رعاية القواعد اللازمة، يثير المخاوف من احتمال وقوع تحريف في الدين. والتحريف بطبيعة الحال لا يقتصر على التحريف اللفظي فحسب، وإنما قد يكون التحريف معنوياً أحياناً، أي أن نستفيد من قضية دينية على وجهة غير الوجهة التي أَرَادَهَا اللهُ. وقد ورد في كتاب أصول الكافي باب حول البدعة والرأي والمقاييس في الدين، و تناول في أحاديث هذا الباب آثار البدعة والمبتدعين، و وصف في سياقه الأحكام الإلهية بأنها ممّا لا يقبل التغيير والتبدل: «حلالٌ مُحَمَّدٌ حَلَالٌ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ حَرَامُهُ حَرَامٌ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». (٤) وهذا حديث صحيح و دلالتة واضحة. و استناداً إلى مفاد هذا النوع من الأدلة لا يمكن حمل أي إسناد إلى الدين و أي فهم له على محمل الصحة.

نذكر من ذلك على سبيل المثال أن بعض التأويلات الباطلة التي تذهب إليها بعض الفرق لاتتناسب مع ظواهر الألفاظ، و لا مع قواعد فهم الدين. إن منهج النظر إلى الدين نظرة سطحية تزايلها الأحاسيس، والتشبث باعتباطاً (و من غير دليل) بآية أو رواية، وإصدار

١- سورة المائدة (٥)، الآية ١٣.

٢- سورة البقرة (٢)، الآية ٧٥.

٣- سورة الحاقة (٦٩)، الآيات ٤٣-٤٦.

٤- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٥٨، الحديث ١٩.

حكم ديني على أساسها لا يُعدّ من الصواب. بينما المنهج الذي يتبعه ذوو الاختصاص فهو يقوم على قواعد وأسس معروفة، وفي ضوء ذلك يجرون عملية الاستنباط، وبشكل يتماشى مع سائر فقرات الدّين وجوهره و حقيقته. وفي مثل هذه الحالة يمكن قبول تباين الأّفهام مثلما يحصل عادة بين الفقهاء و حتى المتكلمين.

إنّ جوهر و حقيقة الدّين ليس أمراً مغلقاً و متعذّر المنال، و إنّما يعني الغاية من تشريع الدّين، والهدف المراد من بعث الأنبياء و إنزال الكتب، و هو الرقي الأخلاقي والمعنوي لبني الإنسان.

و من الضروري أيضاً استذكار هذه القضية، و هي أن المراد من ثبات الأحكام الإلهية -الذي أُشير إليه في الحديث الآنف ذكره- هو الحفاظ على حكم الشريعة مع بقاء موضوع الحكم؛ و ذلك لأنّ نسبة أي حكم إلى موضوعه كنسبة العلة إلى المعلول، و لا يمكن عقلاً زوال المعلول مع بقاء العلة. و على هذا الأساس ففي حالة تعيّر الموضوع، و هو ما يعني بالنتيجة زوال الموضوع الأول، يتغيّر حُكمه. و هذا التغيّر يمكن أن يقع بطرق شتى، منها: تبدّل ماهيّة موضوع الحكم، كالاتحالة في الأشياء النجسة، و انطباق أحد العناوين الثانوية على الموضوع عرضاً، و تراحم حُكّمين في مقام الامتثال على فرض رجحان أحدهما على الآخر، و انتهاء الموسم في الأحكام الموسمية، و زوال العلة في الحالات التي يكون فيها الحكم منصوص العلة. و في كل الحالات المذكورة رغم أنّ كشف مصالح أو مفسد الأحكام المتغيّرة لا يتيسّر إلا للشارع المقدّس، و لكن إذا تبدّل الحكم فمن المؤكّد أنّ المصالح أو المفسد لا يبدّد و أن يطالها التغيّر و التبدّل. و على أساس ذلك يمكن للفقهاء -في مجال الأحكام غير التبعديّة- إذا أيقن -استناداً إلى تشخيص ذوي الاختصاص- بتغيّر المصلحة و المفسدة الواقعيّتين، بحيث يكون بقاء الحكم الأول عبثاً، يمكنه استنباط حكم جديد. و الحقيقية هي أنّ الحكم السابق في مثل هذه الموارد لم يتغيّر، و إنّما الذي تغيّر هو موضوعه الحقيقي و هو المصالح و المفسد الواقعية، و أمّا إطلاق عبارة تغيّر الحكم عليه فهو نابع من التسامح في التعبير.

## يُسِرُّ الدِّينَ

إنَّ المشرِّعَ للدِّينِ هو اللهُ عزَّ وجلَّ، وقد جعل تشريعَه لصالحِ الناسِ. والناسِ على مستوياتٍ متباينةٍ من القدراتِ العقليةِ والمؤهلاتِ والاستعداداتِ الفكريةِ. فبعضهم ضعفاءٌ من حيثِ الاستعدادِ وبعضهم الآخرُ أقوىاءٌ. وقد راعى الدِّينُ أحوالهم في تشريعاته. والدِّينُ ينسجمُ معِ الفطرةِ، وهذا يعني أنه لا يمكنُ أن يكونَ عسيراً ومُعقداً ومنهكاً وبعثاً على الأذى. فلو أنَّ الدِّينَ فرضُ فرائضٍ عسيرةٍ على المكلفين لكانَ مدعاةً لابتعادِ الناسِ عنه، وفرارهم من طروحاته المعنويةِ. وهذا نقضٌ للغرضِ الذي من أجله جاءَ الدِّينُ، ولا يتيحُ له تحقيقَ أهدافه.

إنَّ الغايةَ من انسجامِ الدِّينِ معِ الطبيعةِ وفطرةِ الناسِ، هي تربيَتهم. ومن الطبيعي أنَّ الشدَّةَ والقسرَ والاكراهَ في تطبيقِ فرائضِ الدِّينِ لا يأتي بالنتيجةِ المنشودةِ، لأنَّ ذلكَ يتعارضُ معِ طبيعةِ الإنسانِ. قال اللهُ تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ...﴾<sup>(١)</sup>... ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>.

إنَّ يسرَ التكليفِ الدينيةِ لا يعني رفعها أو زوالها أو خلوها من المصاعبِ كلياً. فالتكليفِ الدينيةِ مقرونةٌ بالمشقةِ، ولكن إذا كانَ هناك تعلقٌ قلبيٌّ بها، ورغبةٌ واندفاعٌ ذاتيٌّ لأدائها، فهي تبعثُ في النفسِ بهجةً ولذةً لا يشعر معها بأيةِ معاناةٍ أو مشقةٍ. وعلى الرغمِ من سهولةِ التكليفِ الدينيةِ ومبدأ التيسيرِ على العبادِ في الأعمالِ الدينيةِ، بيد أنَّ هناك تكاليفَ ذاتَ مشقةٍ، أو أنَّ بعضَ الناسِ لا تحدوه رغبةٌ في أدائها. وهذا الشعورُ بعدمِ الرغبةِ يودِّي بحد ذاته إلى جعلِ التكليفِ أشقَّ وأعسرَ. وقد وصفَ البارِي عزَّ وجلَّ شعورَ الإنسانِ تجاهَ بعضِ التكاليفِ بالتململِ والإستياءِ كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ

١- سورة المائدة (٥)، الآية ٦.

٢- سورة الأعراف (٧)، الآية ١٥٧.

هُوَ شَرُّ لَكُمْ ﴿١﴾.

و لا بد من الالتفات إلى أن أصل تشريع التكليف إنما جعل من أجل صقل النفس وتهذيبها وكمالها، وهذا مما لا ينال من غير تعب و عناء و مشقة. والعسر الذي تصطبغ به بعض الفرائض الدينية أشبه ما يكون بالتمارين المتواصلة التي يمارسها رياضي، أو كاحتماء المريض من بعض الأشياء المحببة إليه، وامتناعه عن تناولها، أو مداومته على تناول أشياء تفرض عليه حالته تناولها، حتى وإن كان يشمئز منها. مع كل ذلك فإن مشقة التكليف لا تقع على الجميع، وإنما يُرفع التكليف حيثما لا تُطاق المشقة. وهذه قاعدة عامة وهي أن كل إنسان يقع عليه من التكليف على قدر طاقته.

### التدين

التدين يعني الالتزام بالدين والعمل وفقاً له. والتدين يتطلب التزاماً قلبياً، ولا يكفي منه العمل بالظواهر، فحرمة التطاهر والرياء والعجب وغيرها تكشف عن أن الأعمال الدينية تُقبل إذا جاءت عن نية صالحة، وقصد نيل رضا الله تعالى، أما إذا شابتها شائبة من الرياء، وقُصد بها غير وجه الله، فلا تعدّ تديناً. بل إن التطاهر والرياء في بعض الأعمال يوجب بطلانها، وإذا أدّى الإنسان فريضة دينية من غير تيّبة وقصد فلا تُقبل منه، وتكون مثل مئات الأعمال اليومية، والعمل إنما يعتبر من الدين إذا ما جاء لوجه الله، وحتى الأمور المباحة إذا أداها المرء بقصد القربة إلى الله يكون لها الأثر الوضعي للتدين، وتُقربُه إلى ربّه.

للدين مجموعة من الآداب والشعائر التي يمكن وصفها بالقشريات والظواهر. وحتى هذه الأمور -فضلاً عن صورتها الظاهرية- لها طبقة داخلية أيضاً وهي التسليم لله. وأداء الأعمال الظاهرية علامة دالة على الميل والرغبة الباطنية للشخص، ولكن يمكن أن تكون في الوقت ذاته خداعاً وتحايلاً، أو عادة دأب على ممارستها. ويصح التدين فيما إذا كان هناك ترابط وثيق بين الأعمال الظاهرية وجوهرها وحققتها. وأما إذا جاءت هذه الأعمال



بدافع العادة أو بقصد الخداع فستكون ذات تأثير سلبي؛ أو لاتكون ذات أثر ديني في النفس على الأقل.

إنّ للتدين مراتب. والعباد ليسوا كلهم على درجة واحدة من الرغبة والاستعداد. فالبعض قد يصل إلى درجات عليا من التدين على أثر الاستعداد والمثابرة والمجاهدة. والبعض الآخر قد لاينال مثل هذه الدرجات لسبب. ودرجة تدين العباد يعلمها الله، ولايحقّ لأحد أن يحاسبهم على مرتبة تدينهم. وحتى لو كانت للتدين تجليات ظاهرية فحقيقته باطنية، ولايحقّ لأحد تصنيف عباد الله وفقاً لدرجات تدينهم.

هناك ملاحظة مهمة ينبغي الانتباه لها بشأن التدين، وهي أنّ وصف حقيقة التدين بأنّه شأن يتعلق بالنفس، قد يفهمه البعض أنه مجرد تطهير للنفس من الرذائل والقبائح، وأنّ الظواهر والفرائض الدينية غير ذات أهمية. والتصور في هذه الرؤية هو أنه إذا كان المراد من التدين التسليم لله والتقرب إليه، فإنّ القلب منشغل على الدوام بذكر الله ولا حاجة لظواهر الشريعة، وأنّ التوجّه الداخلي يكفي لتحقيق الغاية المنشودة من التدين.

نعم! إنّ حقيقة التدين أمر داخلي، ولكن ظواهر الشريعة جزء لايتجزأ من الدين، وإثما جعلت لأجل الحفاظ على ذلك الجوهر. وكانت الغاية من ذلك أن تمتزج الصورة الظاهرية للتدين بجوهره وحقيقته، وأن ينصب الاهتمام على الاثنين معاً؛ إذ لايتحقق التدين بدونهما معاً.

التدين هو الالتزام بجميع أحكام الدين. وأما التبعض فيها وانتقاء البعض منها ورفض الباقي فلا يُعتبر من التدين. وقد وصف الله عزّ وجلّ هذه الظاهرة بالكفر، فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا \* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١).

## الأديان

يظهر من تاريخ البشرية أنّ سلوك المجتمعات كان حافلاً بالميل إلى الدين. ويمكن القول: إنّ تاريخ الإنسان وتاريخ الدين شيء واحد ومتطابق. وهذا ما تكشف عنه المصادر الإسلامية أيضاً. واستناداً إلى ما ورد في القرآن الكريم فإنّ الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام كان قد تحدّث عن أمر الله ونهيه له، وبعثه بالنبوة<sup>(١)</sup> واستجابة لما تمليه عليهم ميولهم و متطلباتهم فقد اصطنع الناس لأنفسهم أدياناً، أو جاءهم الأنبياء بدين حق من الله تعالى. كالأديان التي جاء بها موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ونبينا محمد ﷺ.

ونحن هنا لسنا بصدّد تسليط الضوء على الجوانب التاريخية للدين؛ وإنما بصدّد معرفة هل إنّ لكل واحد من الأديان نصيب من الأحقية أم لا؟ وهل إنّ من يعتنقون ديناً جريباً وراء مقتضيات بيئتهم و تربيتهم، يُقبل منهم أم لا؟

وهنا يمكن تقسيم الأديان إلى طائفتين: الأديان الوضعية، والأديان التي جاء بها الأنبياء من الله تعالى وأبلغوها للناس. فالأديان الوضعية بما أنها ليست منزلة من الله ولا جاء بها الأنبياء فهي كبقية المعطيات البشرية تفتقر للقدسية، حتى وإن أطلقت عليها تسمية الدين. وما عُرف من الأديان الإلهية هي: اليهودية، والمسيحية، والإسلام.

وهناك رأي يفيد أنّ المجوسية (الديانة الزرادشتية)، وديانة الصابئة تعدّ في عداد الأديان السماوية أيضاً ويستند هذا الرأي إلى الآيات القرآنية التي ذكرت أسماء هؤلاء، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولكنّ الحق أنّ هذه الآية لا تنفي بأن المجوسية كانت ديناً سماوياً، رغم أنّ الأخبار

١- سورة البقرة (٢)، الآية ٣٠؛ سورة آل عمران (٣)، الآية ٣٣.

٢- سورة البقرة (٢)، الآية ٦٢. ٣- سورة الحج (٢٢)، الآية ١٧.

الواردة تفيد بأن المجوس أصحاب كتاب سماوي.  
يعتقد المجوس بكتاب سماوي ونبوة زرادشت. ويدّعي الصابئة أنّ لهم كتاباً سماوياً و  
أنهم يؤمنون بالله، والملائكة، والجنة، والنار، وبعض الأنبياء.<sup>(١)</sup>  
تعرضت الأديان للتحريف تدريجياً في معناها وفي محتواها. وهو ما يعني بالنتيجة أنها  
فقدت دورها، فبعث الله على أثر ذلك نبياً جديداً.  
كان كل واحد من الأنبياء في زمن ظهوره يدّعي أحقيته، و يعلن نسخ الشريعة السابقة له  
و انتهاء عهدها. ولكل نبيّ في الوقت الحاضر أتباع في شتى أرجاء العالم، و يدافعون عن  
وجودهم و أحقيتهم.  
أظهر الأنبياء في زمن بعثتهم أموراً خارقة للعادة كالمعجزات من أجل إثبات أحقيتهم.  
و على صعيد آخر جاء كل دين بتعاليم مختلفة عن تعاليم الدين الآخر، و لم تقتصر على  
مجرد الاعتقاد بالأمور الغيبية. فاليهود يعتبرون المعيار في صحّة المعتقد، الإيمان بنبوة  
موسى ﷺ، و أمّا المسيحيون فيرون معيار الانتماء للمسيحية، الإيمان بنبوة المسيح ﷺ،  
بينما يرى المسلمون أنّ الاعتقاد بنبوة محمد ﷺ خاتم الأنبياء هو معيار الدين المقبول  
عند الله.

من الواضح طبعاً أنّ مجرد الاعتقاد بموسى ﷺ الذي عاش قبل عدة آلاف من السنين،  
والاعتقاد بالمسيح ﷺ الذي عاش قبل ألفي سنة، أمر غير مقبول لدى من بُعث إليهم آخر  
الأنبياء. والسبب الذي يدعو إلى اعتناق الدين القديم هو ذات السبب الذي يدعو إلى  
اعتناق الدين الخاتم. إذ بعد ظهور الأديان اللاحقة لا يكفي التشبث بالأديان السابقة لإثبات  
أحقيتها. فعندما يُبعث رسول من الله و يقدّم الأدلة الكافية لإثبات حقايقته، يكون مبعثه  
كمبعث أول نبي. و لا يجوز لأحد رفض اعتناق الدين الجديد بسبب اعتقاده بدين و تقاليد  
معينة. و قد تحدّث القرآن الكريم عن أقوام سابقين وقفوا ضد الأنبياء و لم يستجيبوا  
لدعواتهم و كانت ذريعتهم أنهم أخذوا عن آبائهم ما كان لديهم من معتقدات و تقاليد

١- للاطلاع على مزيد من المعلومات حول الصابئة راجع كتاب: دراسات في ولاية الفقيه و فقه الدولة  
الإسلامية، ج ٣، ص ٣٩٢-٤١٢.

موروثه: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتْلِفَتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِتَابَ فِي الْأَرْضِ وَ مَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

إذا أعلن أتباع الأديان السابقة تمسكهم بمعتقداتهم رغم ظهور دين جديد، فهناك حالتان يمكن تصوّرهما لهذا الوضع وهما: أن يكونوا مؤمنين حقاً بدينهم السابق ولم تثبت لهم أحقية الدين الجديد، أو أنهم يرفضون الدين الجديد عناداً و مكابرة. وفي الحالة الأولى يُقبل إيمانهم بدينهم القديم، والإسلام يعترف بوجودهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (٢).

و أمّا في الحالة الثانية فإنّ من يرفضون الدين الحق عناداً و تعصباً فهم الكفار الذين يرفضون الانصياع للأنبياء: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٣).

### ختم النبوة

بعث خاتم الأنبياء قبل حوالي ألف و أربعمئة و أربعين سنة، و أعلن ضمن إبلاغه رسالة الله، ختم الوحي و النبوة. و هذا ما صرّح به القرآن الكريم الذي هو آخر الكتب السماوية: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (٤). هناك شيء ينبغي التنبيه إليه، و هو أنّ أنبياء كثيرين بعثوا على مدى الزمان، و لكن الله بعث نبياً واحداً لآخر الزمان مهما امتد، و لا يبعث نبيّاً من بعده أبداً. و السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هنا هو: إذا كان الدين من المتطلّبات الأساسية للبشر، و هو يتعرّض على مرّ الزمن للتحريف و التغيير، و يفقد كفاءته و تأثيره، ثم إنّ هناك مستجدات تطرأ على الحياة، فلماذا لا يشرع دين جديد ليواكب كل عصر في تلبية المتطلّبات المستجدة للبشر؟ و قبل الإجابة عن هذا السؤال لأبّد من تسليط الضوء على الأمور التالية:

١- أن ختم النبوة و تشريع دين ثابت لآخر الزمان لا يعني ختم الهداية.

٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ١١٣.

٤- سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٤٠.

١- سورة يونس (١٠)، الآية ٧٨.

٣- سورة آل عمران (٣)، الآية ٧٠.

٢- من أسباب بعثة أنبياء كثيرين في بقاع مختلفة من الأرض هو أن أداء رسالة الله ما كان يكتمل بنبي واحد أو بضعة أنبياء، في حين أن آخر الزمان شهد اكتمال أداء الرسالة و يمكن أن تكون رسالة النبي الخاتم في متناول أيدي جميع الناس بكل سهولة. و في مثل هذه الحالة لا تبقى ثمة حاجة لدين جديد.

٣- الناس القدماء لم يبلغوا حدًا من التجربة والعقلانية بحيث يستطيعون استدامة حياتهم الجماعية بلا أنبياء و بلا تعاليم تأتيهم تبعاً من السماء، والمحافظة على الدين الذي أنزل إليهم والاستفادة منه في تلبية متطلباتهم الدينية، بينما في آخر الزمان يبلغ الناس مرحلة من الرقي يستطيعون معها مواصلة حياتهم مستنيرين بهدي آخر رسالة سماوية، وبها يُلبّون متطلباتهم المعنوية.

٤- كانت الشرائع والكتب السماوية في العهود السالفة تتعرض للتحريف والتغيير بسبب انعدام المستلزمات الضرورية، في حين لا يهدد مثل هذا الخطر آخر كتاب و دين سماوي.

٥- الدين الخاتم يضم جميع القضايا التي يحتاجها الإنسان، و يقوم ذوو الأهلية العلمية باستنباطها من بين ثناياه و وضعها في متناول أيدي الآخرين.

٦- الدين الخاتم كامل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾<sup>(١)</sup> و كل ما بلغ كماله لا داعي لإعادة النظر فيه. و كل ما يحتاجه البشر ورد فيه مجملًا، و أمّا التفاصيل الجزئية فلا ضرورة للخوض فيها. و ليس هذا فحسب، بل ان طرحها يؤدّي إلى الإنغلاق و انسداد باب المعرفة.

٧- آخر الكتب السماوية، و أوصياء النبي ﷺ، و علماء الدين، يؤدّون دورهم على مدى الزمان و يُهيئون الأذهان كما ينبغي، و عن هذا الطريق تنتقل القضايا اللازمة إلى الأجيال اللاحقة.

إنّ الأديان السماوية السابقة مثل سلّم صفوف الدراسة الجامعية، والإسلام آخر صفّ

فيها، حيث يصل الطلبة هناك إلى حدٍّ من المعرفة والفهم والعلم لا يحتاجون معها إلى معلم و مرشد جديد، وإنما يقبلون هم بأنفسهم على التفكير والتحقيق.

### الدين والتطور

بقيت الأديان السابقة تتبدل تبعاً لما يمرّ به الإنسان من تجارب جديدة، وما يستجد من ظروف و مقتضيات، ويُشرع على أثر ذلك دين جديد من الله تعالى، ليحل محلّ الدين السابق، و يواكب التطوّرات التي تحصل في المفاصل المهمّة من الحياة. واستمرت هذه التبدلات متواصلة إلى حين عصر ختم النبوة، حيث أخذت الأحكام تُشرع في عصر ظهور آخر الأديان السماوية (الإسلام) على نحو تدريجي، و تبعاً للظروف ومدى استعداد الناس، وُنسخت في الوقت ذاته أحكام أخرى كانت قد سُرعّت من قبل. و قد بيّن الله سبحانه و تعالى هذه الحقيقة على النحو التالي: ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا...﴾<sup>(١)</sup>.

و بعدما تم تشريع جميع جوانب آخر الأديان أعلن ختم النبوة. و غدا ما شرع من أصول و كليّاته أمراً ثابتاً لا يقبل التغيير والتبدل، و سيبقى الدين الإسلامي ثابتاً و خالداً إلى يوم القيامة.

قطع الإنسان و لا يزال يقطع أشواطاً طويلة على طريق التقدّم، و استطاع أن يُسخّر الطبيعة لخدمته على نحو يدعو للدهشة، و أخذ يُدخل كثيراً من التعديلات التي شملت الإنسان نفسه و الحيوان و الكائنات النباتية و الطبيعية لأجل تحسينها و الاستفادة منها على نحو أمثل، و لكن بعض هذه التغييرات تتعارض مع مبادئ الدين؛ لأنّ كل واحد منها يأتي على حساب شيء آخر. و من الأمثلة على ذلك تبديل الجنس، و تحسين النسل، و التلقيح الصناعي، و تحديد النسل من خلال إحداث تغييرات في الجسم، و زرع الأعضاء. و السؤال الذي يُثار هنا هو: هل يقَرّ الدين مثل هذه التغييرات أم يرفضها؟ فإن كان يقَرّها، كيف يمكن

١- سورة البقرة (٢)، الآية ١٠٦.

حلّ هذا التعارض؟ وعبارة أخرى كيف يتسنى للدين مواكبة هذه المتغيّرات المتزايدة؟ إنَّ التطوُّر الذي ينجزه الإنسان له جوانب سلبية وأخرى إيجابية. أمّا السلبية منها فلا يماشيها الدِّين ولا يتأمل منه مماشاتها. والمراد من التطوُّر السلبي تلك التغيّرات التي لا تؤخذ فيها مصلحة الإنسان بنظر الاعتبار، حتى وإن كان ظاهرها يوحى بالإيجابية، لأنَّ الجديد لا يحمل بشائر الخير والصلاح دائماً. وأمّا التغيّرات التي تساهم في تذليل سبل الحياة، و تنسجم مع العقل والتجربة والمبادئ الإنسانية، فلا ينظر إليها الدِّين نظرة سلبية. ويمكن شرح كيفية استجابته للتطوُّرات على النحو التالي:

للناس جوانب ثابتة لا يؤثر فيها التغيير والتبدل. والدِّين في هذا المجال ثابت أيضاً و يُلبّي تلك المطالب الثابتة. والدِّين فيه جوانب اعتقادية، وأخلاقية، و عملية. والجوانب الاعتقادية تتعلق بتلك الجوانب الثابتة التي ليس من المنطقي ان يحصل أي تغيير فيها. نعم قد تؤدّي بعض المعطيات والإنجازات العلمية حول العالم، أو التفسير العلمي للعالم، إلى تغيير نظرة بعض الناس إلى الكون وعلاقته بمبدأ الوجود؛ فتوحى بعدم أو قلة تأثير الله والقوى غير المادية. و مهما كانت التطوُّرات فإنها لا تؤثر في واقع العالم. وهي قد تُحدث تغييراً في أمور جزئية ولكنها لا تُفسد النظام العام للوجود، ولا تُبطل مفعول نظام العلية، ولا تنقض القوانين السائدة في عالم الوجود أو تبدلها. فالاعتقادات قائمة على واقع الوجود، وان الناس يجب أن يؤمنوا استناداً إلى ما هو قائم. وهذا الواقع الثابت يستدعي اعتقادات ثابتة لا تبدل فيها. ولهذا فالأديان السابقة مهما حصل فيها من تغيير، بقي هذا الجانب منها ثابتاً لا يقبل التغيير.

أما بالنسبة إلى التعاليم الأخلاقية، فهي ذات صلة وثيقة بالطبيعة الإنسانية. والكثير من الوصايا الأخلاقية للدين جاءت من باب الإرشاد بحكم العقل أو الفطرة. والناس يدركون هذا الجانب من الأمور الأخلاقية حتى من غير وجود التعاليم الدينية. وأمثال هذه التعليمات تستمد جذورها من الناس أنفسهم، وهي كسابقتها ثابتة و تُعدّ من المتطلّبات الأساسية لبني الإنسان، ولا يمكن الاستغناء عنها مهما تقدّم اجتماعياً و علمياً و صناعياً و عقلياً، وهي من لوازم الإنسان سواء كان متخلّفاً أم متطوّراً.

بعض هذه التعاليم يتعلّق بكيفية عبادة الله، ولهذا نادراً ما يطلّها تغيير. ومهما كان التطوّر فهو غير قادر على أن يكشف للناس خطأها أو صوابها. وهذه الطائفة من التعاليم ثابتة لا تقبل التغيير.

أمّا الجانب المعني بتنظيم العلاقات الاجتماعية، فقد لا ينسجم في بعض الحالات مع ما يحصل من تطوّرات. وهناك جوانب رئيسية تابعة لمبادئ إنسانية ثابتة كالعدالة، والتعاون، و حقوق الناس، و حسن المعاشرة، و ما شابه ذلك. و هي عند التعارض مع المبادئ المذكورة تسقط من الاعتبار. قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(١)</sup>.

و ينبغي خلال كل ذلك الالتفات إلى عدم إهمال و تجاهل الأهداف الكلية للدين في ضوء ما يحصل من تطوّرات، بحيث لا يؤدي عمل أو موقف إلى إلغاء حكم ديني؛ وذلك لأن الأحكام تابعة لمصالح، و تلك المصالح تابعة لظروف و مقتضيات واقعية. جاء في كتاب فقه الرضا عليه السلام: «... لم يحرم الله الا ما فيه الضرر والتلف والفساد»<sup>(٢)</sup> و مع ذلك فقد جعلت في الأحكام الدينية نفسها آليات تُكسبها قابلية التطابق مع الظروف و المقتضيات في المواضيع اللازمة. فهناك آيات تدل على أن بعض الأحكام رغم قداستها تتصف بالمرونة و يمكن أن تتبدل في ظروف خاصة أو حتى تُعطل، مثلما هو الحال في رفع الحرمة عن الميتة و لحم الخنزير و ما شابه ذلك. و هذا يعبر عن حقيقة و هي أن الأحكام تابعة لمقتضيات و ظروف، و هي تدور مدارها و تنتفي بانتفائها.

و مع كل هذا فإنّ بقاء باب الاجتهاد في الأحكام الدينية مفتوحاً، يعدّ بحد ذاته حلاًّ لكثير من المستعصيات. فالفقيه الجامع للشرائط يمكنه استناداً إلى الأصول تطبيق الأحكام على الموضوعات و الاجتهاد في تطبيقها. و الاجتهاد يحظى بتأييد الدين، و هو يمهد الطريق

١- سورة الحديد (٥٧)، الآية ٢٥.

٢- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ١ من أبواب الأطعمة المحرمة، ج ١٦، ص ١٦٥، الحديث ٥. تجدر الإشارة إلى ان مضمون هذا الكلام جاء في رواية وردت عن الإمام الباقر عليه السلام في حرمة الخمر. راجع: الصدوق، علل الشرائع، الباب ٢٣٧، ج ٢، ص ١٩٦، الحديث ١.



لكي يتماشى الدِّين مع مستجدّات كل عصر. قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّما علينا أن نُلقَى إليكم الأصول و عليكم أن تفرّعوا». (١) و روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «علينا ألقاء الأصول و عليكم التفريع». (٢)

و على العموم يمكن القول فيما يخص جميع الأحكام العملية للإسلام: أما أن المجتهد العارف بمقتضيات الزمان يستخرج الملاك القطعي للحكم الشرعي، أو أنه لا يستخرجه، وفيما إذا استخرج الملاك القطعي للحكم الشرعي، فأما أن يكون ذلك الملاك ثابتاً لا يقبل التغيير، أو أنه خاضع للتغيير والتبدل تبعاً لتبدل الظروف والأحوال. و في الحالة الأخيرة يبدي المجتهد رأيه في تعيّر ذلك الحكم و تطابقه مع مستجدّات الزمان. والكثير من أحكام الإسلام السياسية والاجتماعية من هذا القبيل.

### الإسلام

كلمة (الإسلام) مشتقة من مادة «سَلِمَ» التي تعني (التسليم). و هذا الاسم هو ما اختاره الله لدينه كما جاء في القرآن: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾. (٣) كما صرّح القرآن الكريم أيضاً في موضع آخر بكمال و شمولية هذا الدِّين، بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. (٤) والنبي الذي جاء بهذا الدِّين هو محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، الذي اصطفاه الله بعد حوالي ستمئة سنة من ميلاد المسيح عليه السلام في مكة المكرمة لإبلاغ دينه إلى الناس بتمامه، وليكون خاتمة النبوات والشرائع السماوية.

الدِّين الإسلامي امتداد للشرائع السماوية السابقة و مكمل لها. و هو دين الدنيا والآخرة على حد سواء. و قد حرّم هذا الدِّين الرهبانية، و لكنّه امتدح الزهد. و قد أباح الإسلام للإنسان الاستفادة الصحيحة من النعم الإلهية، غير أنه في الوقت نفسه حرّم التهالك على

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٦ من أبواب صفات القاضي، ج ٢٧، ص ٦١-٦٢، الحديث ٥١.

٢- المصدر السابق، ص ٦٢، الحديث ٥٢. ٣- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٩.

٤- سورة المائدة (٥)، الآية ٣.

الدنيا والإفراط في طلب ملذّاتها: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ...﴾<sup>(١)</sup>.

يتألف الإسلام من ثلاثة مكونات وهي: الاعتقادات، والأخلاق، والفقه. وقد شبّهوا منشأ هذا التقسيم بمراحل وجود الإنسان، وقالوا بأنَّ المرحلة الأولى تمثّل المرحلة العليا للإنسان وهي العقل والفكر وإليهما تنتهي الاعتقادات والرؤية الكونية التي يحملها الإنسان. وأمّا المرحلة الثانية فهي عبارة عن المرحلة المتوسطة التي تدخل ضمن إطارها الغرائز والعواطف والمشاعر وما ينبغي فعله لضبطها وتهذيبها، والأخلاق هي التي تضطلع بمثل هذا الدور طبعاً. والمرحلة الثالثة تمثل الوجود النازل للإنسان ويتألف من الأعضاء والجوارح التي يُعنى الفقه ببحث ما يتعلّق بها من وظائف.

وفي ضوء ذلك قُسم هذا الكتاب الذي بين أيديكم وهو كتاب «الإسلام دين الفطرة» - إلى ثلاثة أبواب، وهي: الاعتقادات، والأخلاق، والتكاليف والمسؤوليات.

### الشيعة

ينقسم المسلمون إلى فرق ومذاهب متعددة مثل: الزيدية، الحنبلية، الشافعية، المالكية، والحنفية، والشيعة الاثني عشرية، والاسماعيلية، و فرق أخرى. وهذه الفرق والمذاهب تشترك و تتفق على الاعتقاد على الأصول الأساسية للإسلام، كالتوحيد، والنبوة، والمعاد، وكتاب الله. وكلهم متفقون على تكريم واحترام الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة عليها السلام. أمّا الفرق الأساسية في الإسلام فهي عبارة عن المذاهب السنيّة الأربعة والمذهب الشيعي. والفارق الأساسي بينها هو أنّ الشيعة يؤمنون بعصمة الإمام علي عليه السلام و فاطمة الزهراء عليها السلام، إضافة إلى أحد عشر إماماً آخرين من ذريّة علي عليه السلام.

و على هذا الأساس فإنّ الشيعة تطلق اصطلاحاً على أتباع الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة عليها السلام والائمة المعصومين. والشيعة هم من يعتقدون بأن الخلافة والإمامة قد جعلت

١- سورة الأعراف (٧)، الآية ٣٢.

من بعد رسول الله ﷺ مباشرة إلى الإمام علي عليه السلام، وهم يستندون في ذلك إلى نص متواتر جاء فيه: إنَّ علياً نصب يوم الثامن عشر من ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة عند غدِير خم، بأمر من الله، على يد النبي ﷺ لمنصب الولاية والإمامة بعد النبي.

واصطلاح الشيعة هذا أطلقه رسول الله ﷺ في زمان حياته على أتباع الإمام علي عليه السلام. فقد روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: «كنا عند النبي ﷺ فأقبل علي، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إنَّ هذا و شيعته لهم الفائزون يوم القيامة».(١)

وقال ابن عباس: «لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٢) قال رسول الله ﷺ لعلي: هم أنت و شيعتك».(٣) ونقل الشيخ المفيد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «سُئِلْتُ أُمَّ سَلْمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ عَلِيًّا وَ شِيعَتَهُ هُمُ الْفَائِزُونَ».(٤)

من البديهي أنَّ هذه الأحاديث لا تعني أنَّ مجرد الانتماء إلى التشييع يكون مدعاة لغفران الذنوب والنجاة أو الفوز يوم القيامة، وأنَّ كلَّ مَنْ لا ينتمي إلى الشيعة - وإن لم يكن عن جحود و عناد- لا ينجو يوم القيامة.

و قد كانت كلمة الشيعة شائعة في عصر النبي ﷺ حتى أنَّ جماعة من أصحابه كسلمان و أبي ذر و المقداد و عمار بن ياسر رضوان الله عليهم كانوا يُعرفون بالشيعة.(٥)

١- السيوطي، الدر المنثور، ج ٨، ص ٥٣٨، ذيل الآية الأخيرة من سورة البيّنة.

٢- سورة البيّنة (٩٨) الآية ٧.

٣- البحراني، السيّد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٣٥١، الحديث ١٣؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٣، ص ٦٨.

٤- المفيد، الارشاد، ج ١، ص ٤٢-٤٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ٧، الحديث ١؛ ص ٩، الحديث ٥؛ ص ٢٢، الحديث ٣٩.

٥- سعد بن عبد الله الأشعري الثمّني، المقالات والفرق، ص ١٥، الرقم ٥٠.



الباب الأول:

الإعتقادات



## العقيدة

العقيدة: تعني انشداد فكر الإنسان و ذهنه إلى شيءٍ، وتخصيص حيزٍ له في قلبه. و تأتي كلمة الاعتقاد عادة في وصف ما يربط الشخص من و شائج بما يعتقد به. و هذا يعني بطبيعة الحال أنّ العقيدة نوع من التصديق الذي يتعلق به خاطر المرء، سواء كان حقاً أو باطلاً، واقعياً كان أم وهمياً. و العقيدة حصيلة لنمط من أنماط المعرفة التي قد تكون دعائمها راسية على أو هام و ظنون، أو ربّما تكون عقيدة اكتسابية. و في مثل هذه الحالة، يبلغ المرء درجة من الثقة بمعتقده، بحيث إنه يجاهر به و يعلنه على رؤوس الأشهاد، بل و قد يبدي تعصبه له و تمسكه به.

العقيدة إفراز لا إرادي مبعثه الفكر، و ينحصر تأثير الإنسان في تقويمه و توجيهه و لا تأثير له في أصل منشئه. و الإنسان مجبول على أن لا يكون خلوّاً من عقيدةٍ، و هي عادة الإطار الذي يتحرك ضمنه الفكر والسلوك. بل يبدو أنّ الاعتقاد يؤلف جزءاً من تكوين الإنسان.

العقيدة أمر لا مناص منه، حتى أنّ أصل وجودها لا يتطلّب دعوة إليها، و لا يستدعي تحريضاً و حثّاً عليها. و لغالبية الناس رؤاهم و اعتقاداتهم بما يجري حولهم في هذا العالم. و كل شخص يختار عقيدته في ضوء ظروفه الفكرية و بيئته التربوية و يتعايش معها. غير أنّ القضية المهمة، هي صواب المعتقد و أحقيّته، فما كلّ ما يعتنقه المرء من المعتقدات صحيح و صائب. فهو كثيراً ما يرث معتقداته من محيط الأسرة أو البيئة الاجتماعية التي يشبّ و يتربّع بين أحضانها. و في مثل هذه الأجواء، يتبلور قوام العمود الفقري لمعتقداته التي يؤدي ترسيخها إلى أن ينزع المرء في حياته نزعة دينية. بيد أنّ أمثال هذه المعتقدات لا تكاد تخلو من خرافات و أوهام، أو ربّما كانت واهية و بعيدة عن الرصانة، بحيث تضحل

و تتلاشى عند أدنى شبهة. فمجرد شيوع شيء بين الناس لا يعد برهاناً على صوابه. وحتى المؤمنون قد تتغلغل بين ثنايا معتقداتهم وسلوكهم مكوّنات مغلوطة. وهذا ما يفرض علينا بطبيعة الحال استقاء معتقداتنا من مناهلها السليمة، وإحكام بنائها.

### العقيدة الحقّة

العقيدة الحقّة: هي ما قامت على العقل السليم ويُقرّ صوابها الوحي والأنبياء عليهم السلام، أو كانت مستقاة من الوحي الذي جاؤوا به. ويمكن القول بكلمة أدق: إنّ المعيار الذي تُقاس به أحقيّة العقيدة هو مدى تطابقها مع الوحي والفطرة، وانسجامها مع الموازين العقلية. فإنّ كانت الاعتقادات الدينية تتسق مع ما تقضي به موازين العقل و أثبتت على مرّ الزمن مقدرتها على تلبية المتطلّبات الدينية لبني الإنسان، فهذا يعني أنها حقّة.

إنّ مجرد إطلاق تسمية الدّين على مجموعة من التعاليم والأحكام، أو محض ادعاء من يدعى بأنه قد جاء بدين من عند الله، لا يُعدّ برهاناً كافياً على الحقّانية؛ إذ ربّما يستغل بعض ذوي المكر والحيلة جهل الناس و يبتدعون لهم ديناً من عند أنفسهم، وربّما يجد هذا الدّين أتباعاً و أنصاراً إلى أمدٍ. والقول الفصل في هذا المضمّار هو إنّ احقيّة الدّين لا بُدّ أن تثبت ببراهين قطعية، و أن تكون مختومة بخاتم التأييد الإلهي.

قد تكون هناك بين مكوّنات الدّين تعاليم و أحكام يتعدّد الحصول على تفسير عقلي لها، و لا يمكن فهمها على وجه الدقّة. و هذه الأمور إن كانت مدعومة بأدلة رصينة تُثبت أنّها من الدّين، فهي من غير شكّ جزء من الدّين و لا بُدّ من الإيمان بها؛ و ذلك لأنّ الله تعالى قد أنزل أحكاماً و فرض على عباده العمل بها تعبّداً و إظهاراً للطاعة، و بعضها ذات أسرار خفيّة وضعت للاختبار والعبودية. فعندما يثبت أنّ هناك حكماً أمر به الله، فلا مناص من القبول به.

و على أية حال فإنّ ما ينبغي على كل مسلم، بل و على كل إنسان، هو أن يكون لديه إمام -ولو بسيط- بالمعتقدات الحقّة والباطلة، ليتسنى له اختيار الحق والصحيح منها و هضمه و تمثيله في حياته، واجتناب الفاسد والباطل منها.



## الإيمان

كلمة الإيمان: مشتقة من «أمن» الذي هو ضد الخوف.<sup>(١)</sup> والإيمان عبارة عن شغف قلبي يأتي كحصيللة لنوع من المعرفة التي يمازجها حُبٌّ واندفاع، ويعقبها حصول الفراغ والأمن والراحة للقلب. ولا بُدَّ من التنبيه إلى أن مجرد الرغبة في الشيء أو الوعي له ليست إيماناً. فنحن نحب الكثير من الأشياء كالبلدان والأشخاص والأطعمة والسيارات، ولكننا لا نقول إننا نؤمن بها. وإنما الإيمان عبارة عن التعلق والانشداد القلبي الذي يمازجه نوع من الوعي تجاه أمور حسية تارة أو غير حسية تارة أخرى. كالإيمان بالله وبالغيب، أو بموضع ذي أثر معنوي.

الإيمان يبعث في الروح الطمأنينة و ينتشلها من خلجات الشكِّ والريب، و يبلغ بها ساحل الأمن الفكري واليقين. يقول الإمام علي عليه السلام في وصف الإيمان بأنه ما آمن لمن يلججه: «مَنْ آمَنَ أَمِنَ».<sup>(٢)</sup>

المؤمن ينتزع ذاته بإيمانه مما يعتريه من ريب و يصل ساحل الأمن. والأمن والإيمان يعودان من حيث الاشتقاق اللغوي إلى مصدر واحد.

المؤمن الذي يعيش بإيمانه قلماً تزعزعه عوادي الدهر، و هو أشبه ما يكون بالجبل الراسخ الذي لا تزعزعه العواصف. و لا تتسرب إلى قلبه مخاوف ذهاب النفس والمال والولد والجاه والمكانة الاجتماعية. و لا تهزه أمثال هذه الهزاهز المريرة. وإنما يسلم قياده -لمجابقتها- إلى ربه: ﴿وَلَنُبَلِّغَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَ نَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾.<sup>(٣)</sup>

ورد في حديث شريف وصف حقيقة الإيمان بأنه التسليم المطلق لله.<sup>(٤)</sup> وهذا ما

١- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ١، ص ١٠٨.

٢- الخوانساري، جمال الدين، شرح غرر الحكم، ج ٥، ص ٢٣١٤، الحديث ٧٦٣٩.

٣- سورة البقرة (٢)، الآيتان ١٥٥-١٥٦. ٤- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٥٢-٥٣، الحديث ١.

استجلاه اللُّغوي المعروف ابن منظور حين قال في معنى الإيمان: الإيمان إظهار الخضوع، والقبول للشريعة ولما أتى به النبي ﷺ، واعتقاده وتصديقه بالقلب. (١) ولا ريب في أن مثل هذا المعنى لا يتحقق إلا عن طريق الارتباط الوثيق بالله. فمن يُسلم قلبه لله بكل كيانه، لا يجد الشكُّ إليه من سبيل، بل يتبدل إيمانه إلى طمأنينة، ويعيش على الدوام في سكينه واستقرار. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾. (٢) وفي مقابل هذه الطائفة هناك طائفة أخرى خالية من الإيمان، ومن الطبيعي أنها تعيش على الدوام في شك و حيرة: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾. (٣)

### درجات الإيمان

للإيمان درجات تتوقف كل واحدة منها على مدى معرفة وانشداد المرء إلى ربه، وهي تبدأ من مرحلة الإقرار باللسان حتى تبلغ أسمى الرتب «وَسُئِلَ [عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ». (٤) وكلما كان اهتمام الإنسان بالأمر غير الإلهية وغير المعنوية أشد، ينحدر إيمانه نحو الضعف: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (٥) ويُقاس إيمان القلب حسب درجة تعلقه بالله من جانب، وبالأشياء الأخرى من جانب آخر. فإن كان يميل إلى الدنيا والآخرة وإلى الله والأمر الديني بدرجة واحدة، فقيمة إيمانه تكون في تلك الدرجة. ومن الطبيعي أن الأشياء ذات السنخ الواحد والتي لا يوجد تعارض بينها ولا تراحم، لا إشكال في أن يكون الإيمان بها جميعها في عرض واحد، كالإيمان بالكتب السماوية، والأنبياء، والمعاد. وحتى في هذه الأمور تتباين درجات الإيمان تبعاً لمعرفة كل شخص و رغبته.

١- ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ١١٤. ٢- سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٥.

٣- سورة التوبة (٩)، الآية ٤٥.

٤- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٧، ص ٥٠٨.

٥- سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٤.

و على أية حال، فإنَّ للإيمان درجات، و يمكن أن يُستحثَّ و يُستنهض نحو مراتب أسمى. والعكس صحيح أيضاً؛ إذ يُؤدِّي إهماله إلى اضمحلاله و ضموره.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إذا أذنب الرجل خرجت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت.<sup>(١)</sup> و ورد في حديث آخر عنه: «إنَّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنَّ صاحب الاثنتين لصاحب الواحد: لست على شيء». <sup>(٢)</sup> و ورد أيضاً في حديث آخر عنه: «ان الله عزَّوجلَّ وضع الإيمان على سبعة أسهم... فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل...».<sup>(٣)</sup>

يفهم من هذه الملاحظة التي تضمَّنتها هذه الرواية و من آيات و روايات أخرى، أنه لا يجوز التعامل مع الناس على أساس درجة و نوع إيمانهم، و جعل حقوقهم الاجتماعية خاضعة لما يعتنقونه من معتقدات.<sup>(٤)</sup>

قال عبدالرحيم القصير: كتبت إلى أبي عبدالله الصادق عليه السلام رسالة مع عبدالملك بن أعين أسأله فيها عن الإيمان، فكتب إليّ: «الإيمان هو الإقرار باللسان و عقد في القلب و عمل بالأركان».<sup>(٥)</sup>

و في هذه الرواية و روايات أخرى جُعِل الإقرار باللسان جزءاً من الإيمان. و لا بد طبعاً من الانتباه إلى أن الإقرار هو في الواقع بداية الإيمان، و طالما لم يتغلغل الإيمان في القلب فما هو بإيمان. فقد صرح القرآن الكريم بأنَّ الإقرار اللساني الذي صدر من الأعراب ليس إيماناً، و إنما هو مجرد دخول في الإسلام: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.<sup>(٦)</sup>

و أيدت آية أخرى هذه الحقيقة مبينة أن الإقرار وحده ليس إيماناً ﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ

١- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٧١، الحديث ١٣. ٢- المصدر السابق، ص ٤٤ و ٤٥، الحديث ٢.

٣- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٤٢.

٤- راجع من جملة ذلك: رسالة الحقوق، ص ١٥ و ٣٢-٣٩؛ كراسة درس الخارج في المكاسب المحرمة، تحت عنوان «سبِّ المؤمن»، تنمة «حرمة سبِّ الإنسان بما هو إنسان»، ص ٥-٧.

٥- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٧، الحديث ١. ٦- سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٤.

يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

و من جانب آخر يُنظر إلى العمل بالتكاليف كجزء من الإيمان، حيث ينبغي القول: إنَّ العمل شبيهه بالإقرار وهو يأتي كإفراز وكأثر للإيمان، ولكنه ليس الإيمان نفسه. والحقيقة هي أن من يدعي الإيمان إذا لم يعمل وفقاً لما يقتضيه إيمانه، فذلك مؤثر على أنه لا إيمان له. فالعمل دلالة على صدق المدعى. وإن لم يقترن الإيمان بالعمل فمعنى ذلك عدم صدق الإيمان. وما يتعيّن على المؤمن هو أن يقترن إيمانه بالعمل. والسعادة إنما تأتي من اقتران هذين الأمرين معاً. وذكرهما إلى جانب بعضهما في القرآن الكريم دليل على أن الإيمان شيء آخر غير العمل، وأن المؤمن من ينعقد قلبه على شيء و يظهر في عمله و سلوكه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾. (٢).

هناك علاقة طردية متبادلة بين الإيمان والعمل الصالح؛ فكلما كان الإيمان أقوى ازداد العمل الصالح. وكلما ازداد العمل استحکم الإيمان. فالعمل ثمرة الإيمان، والإيمان منطلق و حافظ للعمل الصالح. وقوام العمل الصالح رهن بالإيمان. من الطبيعي أن نيل معالي الرتب الإيمانية رهين بالعمل والمجاهدة. فهناك من يستطيعون تمتين إيمانهم، و يكونون على الدوام منصاعين لأمره، و يجعلون قلوبهم حرماً لله لا يدخلها غيره. (٣) إن مجاهدة المؤمنين ترفعهم إلى منزلة رفيعة و تجعلهم في عداد أولياء الله و أحبائه.

### ما يجب الإيمان به

المؤمن: هو من يؤمن بالله و بالمعاد والنبوة و ضروريات الدين ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لِأَنْفِرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا غُفْرَانَكَ

١- سورة البقرة (٢)، الآية ٨.

٢- سورة النساء (٤)، الآية ١٢٤.

٣- المجلسي، بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٥، الحديث ٢٧.

رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»<sup>(١)</sup> وإنكار هذه الأمور كفر ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(٢)</sup> فالؤمن هو من يؤمن بالله و بصفات جماله و جلاله و ربوبيته و وحدانيته، و أنه هو الخالق و المدبّر لكل عالم شوّون الوجود، و ينزّهه عن كل شرك و نقص.

إنّ التصديق بالنبوّة و بأنّ كل الأنبياء مبعوثون من الله عزّ وجلّ، جزء من الإيمان. و من مسلّمات الإيمان أيضاً الاعتقاد بالنبوة و بشخص النبيّ، و بالوحي و الكتاب السماوي و الملائكة. و في هذا المجال يُعتبر الإيمان بآخر الرسل النبي محمد بن عبد الله ﷺ و كتابه السماوي، و كل ما أبلغه للناس من ضروريات الدّين، و أوصيائه، من الأوامر الإلهية القطعية، و عدم الإيمان بها يخرج المرء من الجماعة المؤمنة.

كما يُعتبر الإيمان بالبرزخ، و المعاد، و الجنّة، و النار، و الصراط، و الشفاعة، و الجزاء و العذاب من أصول الدّين، و لا يتحقق الإيمان الكامل إلّا بالاعتقاد بها قلبياً. الأصول الأساسية للإيمان هي الاعتقاد بالله و بالنبوّة و بالمعاد. و أمّا بقية الأمور فهي تبع لها و منبثقة منها، و هي من متعلّقات الإيمان التي لا سبيل إلى إنكارها. و يمكن القول بكلمة أخرى: إنّ ما ينبغي الإيمان به هو الله الذي يخضع كل شيء لإرادته و مشيئته. و الأنبياء، و الوحي، و الكتب السماوية، و الملائكة و رسله، و المعاد أيضاً هو الرجوع إليه سبحانه، و الدّين هو أحكامه المفروضة.

## ضرورة الإيمان

الإيمان و المعتقد من المتطلّبات الأساسية للإنسان، و هما في الوقت ذاته تكليف ملقى على عاتقه، و أهميتهما بالنسبة إليه كالطعام. فمثلما يحتاج الإنسان إلى الطعام، فهو يحتاج أيضاً إلى العقيدة و الإيمان. و يمكن القول من باب التمثيل - لا الاستدلال - مثلما أنّ الإنسان لا يؤذّن له بتناول أي طعام كان لسدّ جوعه؛ إذ ربّما تُعتبر بعض الأطعمة بمثابة سمّ قاتل له،

١- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٨٥.

٢- سورة النساء (٤)، الآية ١٣٦.



حقيقة الوجود، وأن لاتحل محلّه أشياء أخرى تافهة. وهذا هو سر دعوة الأنبياء إلى أصول الإيمان، وجعل الأصول الجزئية من تكاليف الناس الذين إذا أنكروها شملهم العذاب الإلهي. وهذا ما حصل بالفعل حيث وقع العذاب على أقوام أنكروها بعناد.

فهي من باب الظروف والخلفيات المتوفرة لدى الأفراد. إذاً فالدعوة إلى الإيمان أمر عقلائي، وكذا الدعوة إلى تمهيد مقدماته، إذ إنها مقدمات اختيارية.

و أما ما يخص الملاحظة الثانية: فمن الضروري الإيمان ببعض الأمور سوية، ولا يمكن الفصل بينها والإيمان بقسم منها ورفض القسم الآخر انطلاقاً من التكوين والتوجّهات الخاصة بكل إنسان. فشخصية الإنسان تتبلور من خلال ميوله وتعلّقاته وأفكاره. وكلّما كانت هذه الأمور أقرب إلى حقائق الوجود تتبلور شخصيته على نحو أفضل وأقوم، وكلّما كانت وهمية وبعيدة عن الواقع يبتعد الإنسان عن هويّته أكثر فأكثر. ومن البديهي أنّ أهم واقع في نظام الوجود هو مبدؤه المدبّر له الذي إليه المعاد.

إنّ مركز ثقل الوجود هو الله عزّ وجلّ. والوجود كلّه منه وإليه. وفي ضوء ذلك فإنّ أي مركز آخر ينشدّ إليه الإنسان ويتعلّق به ليس إلّا وهماً، ولا يزيد إلاّ بعداً عن حقيقة الوجود وعن هويّته الذاتية. فالإنسان لا يهديه إلى الطريق القويم في معترك الحياة، ولا يرشده إلى مبدأ الوجود إلاّ هذه الهوية التي لا يصل بدونها إلى أية غاية.

### فوائد الإيمان

١- الإيمان - كما ذكرنا من قبل - ناجم عن حاجة أساسية لدى الإنسان. وهذا يعني أولاً وبالذات، أنّ الإنسان يسعى تلبية لهذه الحاجة. وفي الوقت ذاته يمثل الإيمان ملاذاً حصيناً له، والتمسك به يجعل منه كالجبل الراسخ الصامد في وجه الأمواج العاتية. أمّا الأحزان والأفراح فليست لدى المؤمن إلاّ أموراً عابرة كالزبد الطافي فوق سطح الماء.

٢- الإيمان حصن حصين يقي المؤمن من الأعاصير الجارفة، و يبلغ به إلى ساحل الأمان، و يصونه من الخواء والعبثية. والتيارات الجارفة لاتتير الأمواج في محيط الإيمان الهادئ. والإيمان إن كان حقيقياً فهو كفيل بصيانة الإنسان من دواعي القلق. والمؤمن يرى

لوجود هدفاً و غاية، و يرى لذاته دوراً سامياً في هذا الوجود. و المؤمن راضٍ بقضاء الله و قدره، و يعيش حياة تغمرها السكينة و الطمأنينة. و هو يعيش دوماً في ذكر الله، و يرى الله عزّ وجلّ هو الذي يدبّر شؤون الوجود مراعيّاً جميع المصالح ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾. (١)

و قلب المؤمن زاخر بمحبة الله و بالإيمان بمن يُظللّ عالم الوجود بظلال رحمته. و الإيمان يرسم أمام ناظري المؤمن مستقبلاً مشرقاً و زاهراً، و يبعث في قلبه الأمل، و لا يدع اليأس يتسرّب إلى نفسه.

٣- الإيمان يخلق في ذات المؤمن حالة تجعله يرى أنّ كل شيء لله، و انطلاقاً من ذلك يكون على استعداد لبذل كل كيانه في سبيله ﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾. (٢)

و الآخرون ينتفعون عادة من تضحية المؤمن كأنصار رسول الله ﷺ الذين وصفهم القرآن. (٣) و الإيمان يربّي المؤمن على نحو يجعله في أقسى الظروف سبّاقاً إلى التضحية و متهافتاً على البذل و العطاء، و يغلب المؤمن الواحد عشرة من الكفار. (٤)

٤- للمؤمن بصيرة نافذة يستشرف بها الحوادث و يتخذ ما يناسبها من المواقف: «المؤمن ينظر بنور الله». (٥) و ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. (٦)

٥- الإيمان يجعل المؤمن قنوعاً بما عنده، و لا يبيح له إطلاقاً التناول على حرمة الغير لنيل المزيد من المكاسب، بل يحثّه على الجود بما يملك على غيره، و أن يكرّس جهده في سبيل الارتقاء بمستوى الآخرين و تحسين أوضاعهم. و أن يضمّر المحبّة لعباد الله و يحفظ حرمتهم. و أن يكون من ذوي العفو و الرحمة. و من الطبيعي أنّ مثل هذه النوازع

١- سورة الاسراء (١٧)، الآية ٣٠. ٢- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٠٧.

٣- سورة الحشر (٥٩)، الآية ٩. ٤- سورة الأنفال (٨)، الآية ٦٥.

٥- الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٦١، الحديث ٢٥٠.

٦- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٥٧.



والتوجهات تبعث على بناء مجتمع يرضاه الله، وأن يأتي ذلك كله طواعية وبعيداً عن دواعي القهر والإكراه.

٦- المؤمنون موضع رعاية الله ولطفه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(١)</sup> وينزل الباري تعالى عليهم بركاته بسبب إيمانهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>.

٧- الإيمان يدعو المؤمن إلى فعل الخير، و يجعل عليه رقيباً دائماً من نفسه. و ينهاه عن افتعال الشر وإثارة الفتنة. و يفهم في ضوء ما سبق ذكره أن جماعة المؤمنين يغمرها حبُّ الله و احترام خلق الله. و أفراد هذه الجماعة يعيشون حياة زاخرة بالبهجة والسرور، و يحلّون ما يعرض لهم من مشكلات بروح أخوية و بالتعاقد والتكافل.

### العلم والإيمان

لا بد في البداية من التنبيه إلى أنّ المراد من العلم هنا هو المعنى الأعم للكلمة، أي مجمل الوعي والمعرفة، و ليس العلم بمعناه الاصطلاحي الذي يشير إلى العلم التجريبي. هناك بين العلم والإيمان تفاوت، وإن كان الإيمان ينطوي بحد ذاته على نوع من المعرفة والوعي، بيد أنّ الإيمان ليس علماً، و لا العلم إيماناً. بل و ليس ثمة بين هذين الاثنين من تلازم قطعي. فهناك أشياء كثيرة نعرفها لكننا لانؤمن بها. و في الوقت نفسه هناك أمور تؤمن بها و لكننا لاندرك كنهها و حقيقتها، مثل عالم الغيب، والملائكة، و غير ذلك.

و قد ورد في القرآن الكريم أنّ أهل الكتاب كانوا يعرفون رسول الله ﷺ كما يعرفون أبناءهم، و لكنهم لم يؤمنوا به.<sup>(٣)</sup> و في المقابل جاء في وصفه للمتقين أنهم يؤمنون بالغيب.<sup>(٤)</sup> و على هذا الأساس يتبين أنّ معرفة الشيء لا تعني بالضرورة الإيمان به، أو أن يستتبع العلم به إيماناً به. فهناك من الناس من يدرك حقيقة شيء و كنهه و لكنّه لا يؤمن به لدواعٍ مختلفة، من قبيل ما يحمله من خلفيات ذهنية، أو لخصال فيه تحجبه عن ذلك.

٢- سورة الأعراف (٧)، الآية ٩٦.

١- سورة غافر (٤٠)، الآية ٥١.

٤- سورة البقرة (٢)، الآيتان ٢-٣.

٣- سورة الأنعام (٦)، الآية ٢٠.

وقد رد في القرآن الكريم وصف لبعض أهل الكتاب حيث أنهم بعدما تكشف لهم أنّ  
 لإسلام حقّ حاولوا اثني المسلمين عنه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ  
 إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾. (١)

إنّ لكلّ من العلم والإيمان تأثير حاسم في الآخر، ويتباين مدى هذا التأثير تبعاً لظروف  
 كل واحد منهما. فتأثير العلم في الإيمان سواء في انبثاقه أو في ترسيخه، خاضع للتوجهات  
 الفكرية والميول القلبية. فإن كان هناك من ينقّب و يتقصّى للحصول على معلومات حول  
 شيء ما، فمن الطبيعي أنه يميل إليه و يؤمن به، إن كان يتساقق مع توجهاته الفكرية، وإلاّ  
 فلن تقوده معلوماته إلى الإيمان به. نذكر على سبيل المثال، إنّ من يضع على بساط البحث  
 كتاباً سماوياً بقصد العثور على مواطن الضعف والنقص فيه، لا يكون له أيّ تأثير فيه. وأما  
 من يعكف على دراسته عن شغف، و بهدف العثور على حقيقة، فسيزيد ذلك من رغبته فيه و  
 يدفعه إلى الإيمان به. إنّ لكلّ من العلم والإيمان آثاراً و تبعات. فالإيمان ذو توجه معنوي و  
 هادف، بينما العلم يمنح المرء وعياً و معرفة، و يضع بين يديه أسباب القوّة و يزيد من  
 قدراته، ولكن عدم التلازم بين هذين الأمرين، و عدم مواكبة أحدهما للآخر، كثيراً ما يكون  
 مدعاة لمشاكل لا تحمد عقباهها، فالمؤمن إن لم يتسلّح بالعلم يقع ضحية للتخلف، والعالم  
 المجرد من الإيمان يصنع أدوات مدمّرة تهدد حياة بني البشر بأنواع الكوارث والفجائع.

### العقائد الباطلة

إنّ كل عقيدة لا يقربها الوحي، و لا كتاب سماوي، و لا تنسجم مع العقل والفطرة فهي  
 باطلة. والعقيدة الباطلة بايجاز هي ما لا تسليم فيها لله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ  
 يُقْبَلَ مِنْهُ﴾. (٢)

والعقيدة الباطلة ليست كلها باطلة على الدوام، و إنّما قد تكون مزيجاً من حق و باطل.  
 و يصح العمل بها عندما تكون حقاً، و لكنّها تفقد كفاءتها بمرور الزمن، على اعتبار أنها قد

١- سورة البقرة (٢)، الآية ١٠٩.

٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ٨٥.

شُرِّعت لمرحلة زمنية معيّنة، وقد انقضى زمانها وبعث دين جديد من الله عزّ وجلّ يَنْقُضُهَا. وهذا ما يستدعي طبعاً العدول عنها و اعتناق عقيدة الدّين الجديد. و بما أنّ اجتناب العقيدة الباطلة يتسنى عن طريق التعرّف على المعتقدات الباطلة، ونظراً إلى أنّ معرفة الحق بشكل أفضل رهينة بمعرفة الباطل، استناداً إلى قولهم - تُعرف الأشياء بأضدادها - نشير هنا في حدود ما يسمح به هذا الموجز إلى موردين:

### الشرك

الشرك لغة: بمعنى وجود شيء مشترك لاثنتين فصاعداً، و يعني اصطلاحاً: الاعتقاد بوجود شريك لله. (١) والمشارك: من حاد عن التوحيد، و كما هو واضح من أصل الكلمة، فإنّه يقر بوجود الله و لكنه يعتقد بشريك له، أو يؤمن بأنّ لبعض الموجودات أثراً أو تأثيراً مستقلاً عن إرادة الله.

الشرك، من الاعتقادات التي حاربها الإسلام بكل صورها و أساليبها. و قد وصف القرآن الكريم الشرك بالظلم العظيم، (٢) والافتراء على الله، (٣) و ممّا يبغضه الله، (٤) والذنب الذي لا يغتفر. (٥) والشرك أمر وهمي مبعثه الظن (٦) والجهل. و قد وصف الله نفسه بأنه أجلّ من أن يُشرك به: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٧) و نعت المشركين بالنجس بسبب افتراءهم على الله. (٨)

اتَّخَذَ الشُّرَكَ صُوراً شَتَّى عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ مِنْهَا:

- ١- الشرك الصريح كعبادة الأصنام.
- ٢- شرك الرباء، و هو ما يتحدّث عنه علم الأخلاق.
- ٣- الغلو و عبادة الشخصية.

١- الراغب الاصفهاني مفردات ألفاظ القرآن، ص ٤٥١-٤٥٢.

٢- سورة لقمان (٣١)، الآية ١٣.

٣- سورة النساء (٤)، الآيتان ٤٨، ٥٠.

٤- سورة الأعراف (٧)، الآيات ٧٠، ٧١، ١٥٢.

٥- سورة النساء (٤)، الآية ٤٨.

٦- سورة يونس (١٠)، الآية ٦٦.

٧- سورة الأعراف (٧)، الآية ١٩٠.

٨- سورة التوبة (٩)، الآية ٢٨.

٤- الشرك الحديث، كاتخاذ العلم والتقنية رباً من دون الله، واستخفاف الإنسان بذاته أمام الأشياء التي صنعها بنفسه.

وكل أنواع الشرك سواء منها البدائي أم الجديد تشترك في عنصر واحد. تطوّر الشرك من أنواع بدائية بسيطة كاتخاذ الخشب والحجارة شركاء لله، إلى أن اتّخذ صوراً أخرى معقّدة تبعاً لتطوّر التجربة البشرية. ففي العصور الغابرة حين لم يكن الإنسان قد خبر التطوّر الصناعي الموجود في عالم اليوم، كان لا يعرف إلا الطبيعة و عناصرها، فعبدها و عبد الشمس والقمر والكواكب الأخرى، ولكن هذه الأشياء اضمحلت تدريجياً و حلّت محلها أشياء و مفاهيم أخرى. ففي الماضي كانوا يتوهّمون أنّ الله يمكن أن يرى، وهذا ما دفعهم إلى اختيار عناصر من الطبيعة أو مما يصنعونه بأيديهم و اتخاذه مظهراً له؛ فيبنون لها المعابد و يقدّمون لها النذور والقربان، و يشرّعون لها رسوماً و شعائر، و يتولّى الكهنة إدارتها.

و كانت مظاهر الطبيعة القاهرة و ما يقع من أحداث مريرة و حلوة، تدفع الإنسان إلى البحث عن مسبباتها. فكان كل قوم يختارون شيئاً وفقاً لما تذهب إليه بهم الظنون، و يعزون إليه كل الأسباب والمسببات بل حتى أنهم يعتبرونه إلهاً و يتوسلون إليه خشية منه، و يعبدونه تقرباً إليه و حفاظاً على أنفسهم منه.

كتب المؤرخ المعروف (المسعودي) عن الأقوام الذين عاشوا بعد طوفان نوح ما يلي: بعدما و فى نوح عليه السلام لقومه بما وعدهم من العذاب الإلهي، كان الناس من بعده لا يجحدون الصانع، إلا أنهم دخلت عليهم شبهة بعد ذلك لتركهم البحث و استعمال النظر، و مالت نفوسهم إلى الدّعة و ما تدعو، اليه الطّبائع من الملاذ و التقليد، و كان في نفوسهم هيبية الصانع، و التقرب إليه بالتمثيل و عبادتها، لظنّهم أنها مقربة لهم إليه.<sup>(١)</sup>

و كتب أيضاً حول أهالي الهند والصين ما يلي: كان كثير من أهل الهند والصين يعتقدون بأنّ الله عزّ وجلّ جسم، وأنّ الملائكة أجسام لها أقدار، وأنّ الله تعالى و ملائكته احتجبوا

١- المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ١٤٥.

بالسماء، فدعاهم ذلك إلى أن اتَّخَذُوا تماثيل و أصناماً على صورة الباري عزَّ وجلَّ، وبعضها على صورة الملائكة، و يعبدونها و يقربون لها القرابين، و يندرون لها النذور.<sup>(١)</sup> و كتب في ذلك أيضاً: إنَّ البعض اعتبروا النجوم والكواكب أقرب الاجسام المرئية إلى الله تعالى، و أنَّ كل ما يحدث في هذا العالم فإتما هو على قدر ما تجري به الكواكب عن أمر الله، فعظَّموها و قَرَّبوا لها القرابين، وجعلوا لها أصناماً و تماثيل على صورها و أشكالها. و في بلاد فارس رأوا أنَّ النار أشبه شيء بضوء الشمس والكواكب؛ فعظَّموها على اعتبار أنَّ النور أفضل من الظلمة.<sup>(٢)</sup>

إنَّ نزعة التقديس لدى الإنسان كانت تدفعه أحياناً إلى أن يبحث عن صنم و يعتبره مظهرًا لله، و يعكف على عبادته. و ذهب آخرون إلى تقديس كائنات ذات قدرة خارقة. بينما جعل آخرون من الملائكة شركاء لله. و هناك من الناس من يرفع بعض الأنبياء إلى منزلة الله و يشنون عليه إلى درجة العبادة، و الحال أنَّ عملهم هذا قائم على أوهام و ظنون. و كمثال على ذلك أنَّ النبيَّ عيسى عليه السلام حين ولد بمعجزة من غير أب،<sup>(٣)</sup> و تكلم و هو في المهمل،<sup>(٤)</sup> و كانت له معجزات كبرى كإحياء الموتى و إبرار الأكمه و الأبرص،<sup>(٥)</sup> عظمت هذه الأمور في أعين الناس إلى درجة أنهم جعلوه بمنزلة الله. و قد ورد في القرآن الكريم أنَّ الله جلَّ شأنه سأل عيسى عن ذلك: ﴿وَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.<sup>(٦)</sup>

إنَّ ذكر هذه القضية في القرآن الكريم ينم عن أنه لا ينبغي وضع أيِّ موجود في منزلة تفوق منزلته، أو جعله بمنزلة الله، أو اعتباره مؤثراً بذاته في عالم الوجود، مهما كانت له من منزلة مقربة عند الله.

و من البديهي أنَّ هذا العمل شرك، و الشرك باطل. و لذلك قال عيسى المسيح عليه السلام في جواب الله: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ

١- المصدر السابق، ص ٢٣٦.

٢- المصدر السابق، ص ٢٣٦-٢٣٧.

٣- سورة آل عمران (٣)، الآيات ٤٥، ٤٧.

٤- سورة مريم (١٩)، الآيات ٢٩ و ٣٠.

٥- سورة آل عمران (٣)، الآية ٤٩.

٦- سورة المائدة (٥)، الآية ١١٦.

عَلِمْتَهُ ﴿١﴾ ثم واصل جوابه قائلاً: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ﴾. ﴿٢﴾

هذه التوجُّهات والنوازع البشرية و أمثالها حدث بالأنبياء إلى أن يعلنوا للناس أنهم أناس مثلهم، ولكن يوحى إليهم، وليس لهم دور في هذا العالم سوى النبوة. ﴿٣﴾

حظيت الأصنام التي كان الناس يصنعونها من الحجارة والخشب بمكانة رفيعة، حيث كانت تتمثل أحياناً مظهر رحمة الله، و كياناً أسطورياً يُعبد، في حين أنها جمادات لا تضر و لا تنفع: ﴿وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ﴾. ﴿٤﴾ و لم يكن ذلك انطلاقاً من أحقيتها، وإنما بسبب ما كانت تتمثله من تقليد متوارث عن الآباء: ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾. ﴿٥﴾ و كانوا يخوضون صراعاً مع الأنبياء حول تلك الأوثان و يصرون على معتقداتهم. ﴿٦﴾ و كان هناك من عبدة الأوثان من يتخذ منها وسيلة للتقرب إلى الله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾. ﴿٧﴾ و يصفونها بالشفعاء عند الله: ﴿هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾. ﴿٨﴾

إن الاعتقاد بتأثير موجودات غير الله في هذا العالم، إنما هو من عمل المشركين و يجب إنكاره. و من الواضح - طبعاً - أن الشفاعة إذا كانت بإذن الله مع الاعتقاد بوجود علل في طول إرادة الله لا يعتبر شركاً، بل هو عين التوحيد. أمّا الشرك المنهي عنه فهو عبادة غير الله أو تقديسه إلى درجة تشعر بعبادة غير الله فيه.

إذاً هذا هو الشرك الصريح الذي كان حسب الطباع البسيطة للإنسان القديم، غير أن الشرك اتَّخَذَ على مرّ الزمن مظاهر أخرى أعقد، و بالنتيجة صار التخلص منه أعقد ممّا كان في الماضي. اليوم فقدت الأصنام المنحوتة من الحجر والخشب قيمتها و حلّت محلّها النوادي، والأحزاب، و المنتجات الصناعية، و الدول، و ما شابه ذلك، و قلّما يمارس إنسان

- |                                 |                                 |
|---------------------------------|---------------------------------|
| ١- سورة المائدة (٥)، الآية ١١٦. | ٢- سورة المائدة (٥)، الآية ١١٧. |
| ٣- سورة فصلت (٤١)، الآية ٦.     | ٤- سورة يونس (١٠)، الآية ١٨.    |
| ٥- سورة هود (١١)، الآية ١٠٩.    | ٦- سورة هود (١١)، الآية ٥٣.     |
| ٧- سورة الزمر (٣٩)، الآية ٣.    | ٨- سورة يونس (١٠)، الآية ١٨.    |

اليوم توحيد الله عملياً، وإنما يتوجّه بذلك نحو أرباب آخرين اتَّخَذَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، ويرتجى منهم نظم شؤون هذا العالم.

ومن أخطر أنواع الشرك هو الشرك الخفي، أو ما يُعرف بالرياء، وهو ما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ»<sup>(١)</sup> وهو أن يتظاهر الشخص أمام الآخرين بالورع والتقوى، ويستغل الأعمال العبادية لتحقيق مآرب أخرى. ومن المؤسف أن ظاهرة الرياء تزدهر حيثما يكون هناك بناء اجتماعي مغلوط. ومن الطبيعي أن المرائي لا يحصل على سوى التعب والمشقة.

وهناك صورة أخرى من الشرك قلما يُنظر إليها بعين الاهتمام، وإنما تحوّلت إلى ظاهرة مألوفة، وهي طاعة أذعياء الزعامة الدينية الذين يُحرّمون حلال الله ويحلّون حرام الله في سبيل مصالحهم الذاتية. يقول أبو بصير: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> فقال: أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم. ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً؛ فعبدوهم من حيث لا يشعرون.<sup>(٣)</sup> وجاء في حديث آخر: والله ما صلّوا لهم ولا صاموا، ولكنهم أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم.<sup>(٤)</sup> وجاء في حديث آخر أيضاً: إنهم أطاعوهم في معصية الله فكانوا أربابهم من دون الله.<sup>(٥)</sup>

ولعل هذا السبب هو الذي حدا ببنّي أميّة إلى منع الناس من تعلّم الشرك، لكي يتسنّى لهم فرض الشرك عليهم بسهولة. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في وصف سياسة بني أميّة إزاء علماء الدّين ما يلي: إنّ بني أميّة أطلقوا للناس تعليم الإيمان، ولم يطلقوا لهم تعليم الشرك، لكي إذا حملوهم عليه لم يعرفوه.<sup>(٦)</sup>

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ٨٦، ص ١١٧.

٢- سورة التوبة (٩)، الآية ٣١.

٣- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٩٨، الحديث ٧.

٤- البرقي، المحاسن، ص ٢٤٦، الحديث ٢٤٥.

٥- الحويزي، نور الثقلين، ج ٢، ص ٢٠٩، الحديث ١١٤.

٦- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٤١٥-٤١٦، الحديث ١.

والشرك قد يكون في ذات الله؛ أي ان يتخذ من موجود شريكاً لله، وقد يكون في صفاته؛ أي أن يرى لله صفات هي ليست من ذاته وإنما زائدة عليها. وقد يكون الشرك في الأفعال؛ أي جعل شرك لله في أفعاله؛ أو قد يكون شركاً في العبادة؛ أي عبادة غير الله إلى جانب عبادة الله.

### الكفر

الكفر في اللغة: بمعنى ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزارع لستره البذر في الأرض.<sup>(١)</sup> والكفر في الواقع احتجاج عن الحق، وستر الحق. وفي ضوء هذا المعنى سمي جحود النعمة كفراناً.

الكفر اصطلاحاً: يعني إنكار العقيدة الحقة و عدم الإيمان بها مع العلم بحقيقتها. ويعني إنكار ما يجب الإيمان به أو إنكار شيء ضروري من ضروريات الدين، سواء أنكرها ابتداءً أم بعد الإيمان بها، وهو ما يسمى بالردة أو الارتداد.

بما أن الدين والتدين يتحقق من خلال الاعتقاد بمجموعة من الأصول، لهذا فالكفر هو إنكارها عناداً؛ أي أن يكون عن وعي وإرادة.

و باستثناء إنكار الأصول الثلاثة وهي: التوحيد، والنبوة، والمعاد، ينطبق معنى الكفر أيضاً على إنكار أمر ضروري من الدين عن وعي وعناده، والاعتقاد بما يجب تنزيه الله عنه، كالقول: إن له شريكاً،<sup>(٢)</sup> والقول، إن له ولداً، وتجريده من إحدى صفاته، وخاصة صفة الربوبية والهيمنة على الكون.<sup>(٣)</sup>

بما أن الكفر إنكار للعقيدة الحقة عن قصد وإرادة، فهو ينم عن ظاهرة مرضية، ويعني أن الكافر إنسان مريض و متعصب و منكر للحق. وهذا يدل على أن عقل الكافر لا يسمح له بالتفكير في حقائق الوجود وإدراك كنهها: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.<sup>(٤)</sup> و

١- الراغب الاصفهاني مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧١٤.

٢- سورة المائدة (٥)، الآية ٧٣.

٣- سورة الرعد (١٣)، الآية ٥.

٤- سورة الأعراف (٧)، الآية ١٠١.



نظراً إلى أنّ الكافر مُنكِر للحقيقة فقد وصفه الله بعمى القلب و عدم التعقل: ﴿صُمُّ بكمُ عُمى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup> وإذا وصل الكافر إلى هذه المرحلة فلا جدوى من السعي لهدايته؛<sup>(٢)</sup> لأنه كالحيوان الذي لا يتناهى إلى سماعه من الكلام إلا الأصوات، و لا يعي من دعوة الحق إلا همهمة، و لذلك يتولّد في نفسه تدريجياً نفور من الحق،<sup>(٣)</sup> و لا يبقى ثمّة طريق لهدايته.<sup>(٤)</sup> إنّ ما سبق من الكلام ينطبق على من يختار الكفر عن وعي و إرادة و عناد، و أمّا الكفر الذي يأتي بسبب الجهل أو البيئة التربوية من غير إصرار و لا عناد فهو قابل للإصلاح. و أبرز شاهد على ذلك، المُنكِرُون الذين استجابوا لدعوة الأنبياء في ما بعد، و صاروا من أنصارهم و المؤمنين بهم.

من الطبيعي أنّ من يستر الحق عن قصد و إرادة، يفقد القدرة على إدراك الحقائق، و لا تكون لعمله أيّة قيمة معنوية؛ لأنّ قيمة العمل تأتي من خلال النيّة، و الكافر يفتقر إلى النيّة الخيرة. و لهذا فقد شبه الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم ما يفعله الكافر من عمل صالح -في الظاهر- بالسراب،<sup>(٥)</sup> و شبهه في آية أخرى برمادٍ تذروه الرياح.<sup>(٦)</sup>

و على الرغم من أنّ الكافر في ضلال، غير أنّه يتمتع بنعم إلهية و فيرة. و هذه النعم تأتي طبعاً في سياق سنّة من السنن الإلهية، و هي أنّ الله تعالى يمنح الرزق لجميع العباد، غير أنّ ذلك لا يعني طبعاً أنّ الله يتركهم على حالهم أو أنهم في أمان من غضب الله،<sup>(٧)</sup> و إنّما يمهلهم إلى أجل و لكن ليس فيه خير له،<sup>(٨)</sup> ثم يواجهون غضب الله و يقعون في أشد العذاب.

- |                                |                                  |
|--------------------------------|----------------------------------|
| ١- سورة البقرة (٢)، الآية ١٧١. | ٢- سورة البقرة (٢)، الآية ٦.     |
| ٣- سورة فاطر (٣٥)، الآية ٤٢.   | ٤- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٦٤.   |
| ٥- سورة النور (٢٤)، الآية ٣٩.  | ٦- سورة ابراهيم (١٤)، الآية ١٨.  |
| ٧- سورة البقرة (٢)، الآية ١٢٦. | ٨- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٧٨. |

# الله

الله اسم تكتنفه الأسرار، ولكن في الوقت ذاته رؤوف رحيم. وأكثر بني آدم يدركونه و يمدون أيديهم إليه بالدعاء والتضرع. وكل واحد منهم يعرفه في حدود معلوماته و يتصوره ضمن دائرة وعيه. وله أسماء مختلفة لدى كل شعب و قوم. و لا يوجد في هذا العالم إلا قليل من الناس لا يعرفون الله.

الإيمان بوحداية الله قوام كل الأديان السماوية. وكل معتقداتها مستمدة من الله و منبثقة عنه. و يعود الإيمان بالله في قدمه إلى قدم وجود الإنسان. و قد كان أكثر الناس فوق الكرة الأرضية منذ بداية ظهور الخليقة إلى يومنا، يؤمنون بالله و يعبدونه بشكل أو بآخر تبعاً للمجتمعات التي عاشوا فيها، و طبيعة نظرتها إلى مبدى الوجود وصفاته. لقد كانت غرائز العبودية لله و مناجاته من أقدم و أدوم انطباعات الروح لدى الإنسان، و هي التي تدفعه نحو الله.

يتضح من خلال دراسة آثار الحياة البشرية أن الإنسان حيثما وجد كانت هناك عبادة لموجود يفوق الموجودات الأخرى. و هذا يعني أن الأنبياء لم ينزلوا العبادة للناس وإنما علّموهم العبادة الصحيحة، و كيف ينبغي أن يُعبد الله، هذا إضافة إلى إزالة الشرك من أذهان الناس لكي لا يُعبد إلى جانب الله موجود آخر.

والبرهان الساطع على هذه الحقيقة، هو القرآن الكريم الذي تحدّث عن عبادة الله، و نفى الشرك عنه بكل صورة و صبغة، أكثر ممّا تحدّث عن معرفة الله على أساس إثباته. و هذا الأسلوب بحد ذاته يدلّ على أن وجود الله لا يحتاج إلى إثبات، و أن الإنسان يعرف الله بالفطرة. ففطرة الإنسان تدلّه على وجود الله، إضافة إلى ما تمثّله من مصدر لمعرفة الله. فالإنسان كان منذ البداية موحداً و يعبد إلهاً واحداً. و أمّا ما ذكره التاريخ من اتخاذ الإنسان

للأصنام والقمر والكواكب آلهة، وأشار إليه القرآن الكريم، فهو من الانحرافات التي وقعت في ما بعد.

### طرق معرفة الله

وجود الله بديهي إلى درجة أنه لا يحتاج إلى إثبات. وقد عمَّ كل الوجود بلطفه. وكل الوجود منبثق بفضل جوده وكرمه. وحيثما ينظر المرء يرى معالم وجوده بكل جلاء. وهو باسط ظله على الوجود كله، بل لا يمكن تصور الوجود بدونه. و تدبيره مشهود في كل شيء بجلاء. فهل ثمة حاجة إلى دليل لإثبات وجود النهار؟ فوجود الله أسطع من ضوء النهار. كل إنسان وحتى الطفل يرى أن لكل حادث علّة. وعلى هذا الأساس تراه يبحث عن أسباب وعلل الأحداث والوقائع. والذين يعلمون بأن لكل ظاهرة علّة يحرسون عادة على البحث عنها. ولو كان الافتراض المسبق لديهم أن كل شيء يقع عن طريق الصدفة كما توجهوا نحو الاكتشافات، وكان عملهم في هذا المضمار عبثاً. لاشكّ في أن مظاهر الخلق كلما كانت أكثر تعقيداً و عظمة، دلّت على مدى عظمة و قدرة صانعها. ولهذا السبب فنحن نطلق تسمية الحكيم على خالق هذا الكون الذي نعيش فيه و لانعرف إلا شيئاً يسيراً عنه. فهذا الوجود على درجة من العظمة والتعقيد والنظم بحيث لا يمكن أن يكون بلا خالق، أو يكون خالقه فاقداً للقدرة والحكمة. فإن ما كشفه علماء الأحياء والفلك وغيرهم حتى الآن لا يكاد يمثّل إلا شيئاً يسيراً من هذا الوجود، ولم يعرفوا من أسرارهِ إلا القليل.

إن كتاب الطبيعة حافل بالأسرار، ولكن من المتعذّر على الإنسان كشفها ودراستها كلّها، غير أن الاطلاع عليها يفتح أمامه آفاقاً جديدة، و يدعوه إلى التأمل في ما تزخر به من تنوّع و دقّة و إتقان. فكيف يمكن القول: إن هذا حصل صدفة و من غير تدبير؟ ولهذا كان الرسل يسألون أقوامهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>. فهذه لغة

١- سورة ابراهيم (١٤)، الآية ١٠.

معبرة عن إدراك وجود الله، وهي لغة يفهمها كل بني الإنسان. ولهذا السبب استعملها الأنبياء.

فكل ما في هذا الكون يُعتبر بمثابة دلائل على وجود خالق مدبر: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>.  
 إنَّ ما جاء في القرآن من عبارات دالة على أنَّ مثل هذه الآيات لا يعقلها إلا ذوو الألباب،  
 أنما يُراد به التنبيه إلى أنَّ الآيات معروضة أمام جميع الناس، ولكن لا يوفق الجميع إلى  
 الاستفادة منها، وإنما يوفق البعض إلى الاهتداء بها، ولا يهتدي بها غيرهم.

### منهج الإمام الصادق عليه السلام في إثبات وجود الله

قال هشام بن الحكم: كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبد الله عليه السلام، فخرج إلى المدينة  
 ليناظره فلم يصادفه بها، فقبل له: هو بمكة فخرج الزنديق إلى مكة ونحن مع  
 أبي عبد الله عليه السلام، فقاربنا الزنديق - ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام - في الطواف فضرب كتفه كتف  
 أبي عبد الله عليه السلام، فقال له جعفر عليه السلام: ما اسمك؟ قال: إسمي عبد الملك، قال: فما كنيته؟ قال:  
 أبو عبد الله، قال: فمن الملك الذي أنت له عبد، أمن ملوك السماء أم من ملوك الأرض؟  
 وأخبرني عن ابنك، أعبده السماء أم عبده الأرض؟ فسكت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: قل ما  
 شئت تخصم. قال هشام بن الحكم، قلت للزنديق: أما ترد عليه؟ فقبح قولي، فقال له  
 أبو عبد الله عليه السلام: إذا فرغت من الطواف فأتنا، فلما فرغ أبو عبد الله عليه السلام أتاه الزنديق فقعده بين  
 يديه ونحن مجتمعون عنده، فقال للزنديق: أتعلم أنَّ للأرض تحتاً و فوقاً؟ قال: نعم، قال:  
 فدخلت تحتها؟ قال: لا، قال: فما يدريك بما تحتها؟ قال: لا أدري إلا أنني أظنُّ أن ليس  
 تحتها شيء، قال أبو عبد الله عليه السلام: فالظنُّ عجز ما لم تستيقن.

قال أبو عبد الله عليه السلام: فصعدت إلى السماء؟ قال: لا، قال: فتدري ما فيها؟ قال: لا، قال  
 فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما؟ قال: لا، قال: فعجباً لك لم تبلغ المشرق،

١- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٩٠.

ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل تحت الأرض، ولم تصعد إلى السماء، ولم تجز هنالك فتعرف ما خلقهن؟ وأنت جاحد ما فيهن؟ وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟ فقال الزنديق: ما كَلَّمَنِي بهذا أحد غيرك، قال أبو عبدالله عليه السلام: فأنت في شك من ذلك فعله هو، أو لعل ليس هو، قال الزنديق: و لعل ذلك: فقال أبو عبدالله عليه السلام: أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم، فلا حجة للجاهل، يا أخا أهل مصر تفهم عني فأنا لانشك في الله أبداً، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان و لا يشتبهان، يذهبان و لا يرجعان قد اضطرا، ليس لهما مكان إلا مكانهما؟ فإن كانا يقدران على أن يذهبا و لا يرجعا فليم يرجعا؟ وإن لم يكونا مضطرين فليم لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً؟ اضطراً والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما، والذي اضطرها أحكم منهما و أكبر منهما، قال الزنديق: صدقت.

ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: يا أخا أهل مصر الذي تذهبون إليه وتظنون به بالوهم، فإن كان الدهر يذهب بهم لم لا يردهم؟ وإن كان يردهم لم لا يذهب بهم؟ القوم مضطرون يا أخا أهل مصر، السماء مرفوعة، والأرض موضوعة، لم لا تسقط السماء على الأرض؟ و لم لا تنحدر الأرض فوق طاقتها فلا يتماسكان و لا يتماسك من عليهما؟ فقال الزنديق: أمسكهما والله ربهما وسيدهما، فأمن الزنديق على يدي أبي عبدالله عليه السلام. فقال له حمران بن أعين: جعلت فداك إن آمنت الزنادقة على يديك فقد آمنت الكفار على يدي أبيك. فقال المؤمن الذي آمن على يدي أبي عبدالله عليه السلام: اجعلني من تلامذتك. فقال أبو عبدالله عليه السلام لهشام بن الحكم: خذهُ إليك فعلمه. فعلمه هشام فكان معلّم أهل مصر و أهل الشام، و حسنت طهارته حتّى رضي بها أبو عبدالله عليه السلام.<sup>(١)</sup>

### الإنسان، آية الله

لو نظر الإنسان إلى الطعام الذي يتناوله يومياً لأدرك بأنه و ما فيه من فائدة و تنوع مخلوق خالق حكيم. فالطعام خلق بشكل يلبي متطلبات كل أعضاء البدن من العظم

١- الصدوق، التوحيد، ص ٢٩٣ - ٢٩٥، الحديث ٤.

واللحم والشعر والأوردة والجلد والدهون وغير ذلك. ومن غير الممكن أن يكون هذا قد خلق بغير تدبير. ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ \* أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا \* ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا \* فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا \* وَعِنْبًا وَ قَضْبًا \* وَ زَيْتُونًا وَ نَخْلًا \* وَ حَدَائِقَ غُلْبًا \* وَ فَاكِهَةً وَ أَبًّا \* مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ﴾. (١)

وقد خلق الناس بشكل يتكيفون به مع البيئة المحيطة بهم. وقدرة و طاقة بدن الإنسان و روحه متناسبتان مع الأوضاع المختلفة و يعتريهما ضعف و قوّة و يتغيران بالإمكانات المتاحة في عالم الطبيعة، فيزول ما يلمّ بهما من ضعف. و جعلت في البدن أجهزة قادرة على الكشف عن تلك المخاطر المحتملة. و هناك مؤشرات تبيّن ما يلمّ بالبدن من اضطراب في نظمه الكلّي. فالحرارة والبرودة والسعال و ما شابه ذلك هي بمثابة تحذيرات تُطلق للإنسان لمعرفة الأخطار المحتملة والسعي إلى التخلص منها. و كل هذا النظم ينم عن صانع حكيم. الإنسان مظهر للعالم الذي يعيش فيه. و يمكن القول أنه هو العالم الأكبر. فكل ما في هذا العالم قد أودع فيه بنحو ما. و لهذا فإنّ معرفة الإنسان تؤدي إلى معرفة خالقه. ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

الإنسان يحتاج إلى النوم لمواصلة الحياة، و عليه أن يرتاح. ثم أنه يستيقظ من بعد النوم، ﴿وَ جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾. (٢)

الإنسان يتكلم بقطعة لحم و حنجرة من اللحم، (٣) و خلقت له من ذلك البدن نفسه أذن سامعة و عين باصرة. (٤) و حسب تعبير أمير المؤمنين عليه السلام: «اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم و يتكلم بلحم و يسمع بعظم و يتنفس من حرم». (٥) و رغم ان الإنسان مخلوق من طين و تراب غير أنه خلق بجسم و صورة متناسقة، (٦) و جعل الناس على صور و أشكال شتى، و صارت لهم لغات مختلفة. (٧) و أودعت في البدن قوى و طاقات مدهشة

١- سورة عبس (٨٠)، الآيات ٢٤-٣٢. ٢- سورة النبا (٧٨)، الآية ٩.

٣- سورة الرحمن (٥٥)، الآيات ٣ و ٤؛ سورة البلد (٩٠)، الآية ٩.

٤- سورة الأنعام (٦)، الآية ٤٦. ٥- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٨، ص ٤٧٠.

٦- سورة الكهف (١٨)، الآية ٣٧. ٧- سورة الروم (٣٠)، الآية ٢٢.

مُحَيِّرة للعقول. فهذا المخلوق العجيب يدل بحد ذاته و بلا أي دليل آخر، على وجود خالق مدبّر.

### نفي الصدفة

ربّما يُحمل كل ما في هذا الوجود من أمور كثيرة على أنها جاءت حصيلة لصدفة، أو أنها ظهرت فجأة و بدون تدبير سابق، ولكن لو كان الأمر كذلك كيف يمكن تجاهل الحقائق والنظم المشهود في تدبيرها؟ وكيف حصل كل ذلك؟ و من أين نشأت هذه الأشياء؟ هل يمكن إنكار أو تجاهل كل ذلك؟ أم نعتبر ذلك كُله حصل مصادفة و في توافق عجيب من غير أن يكون له صانع و مدبّر، و نؤمن بأن كل شيء جاء من غير مادّة و صورة سابقة؟ و هل يُصدّق أنّ الوجود بكل عظّمته قد حصل بلا صانع؟ و كل شيء فيه يسير في اتجاه مرسوم له و لتحقيق هدف معيّن، من غير أن يكون هناك مهندس وضع له تصميمه و هندسته؟ و هل يصدق أحد أنّ طائرة مثلاً تُصنع من غير هندسة و تصاميم و تطير في الهواء و تقطع المسافات و تنقل الركّاب؟ و هل يصدّق أحد أنّ البواخر التي تمخر عباب البحار و المحيطات ظهرت من تلقاء ذاتها و أنها تسير من غير ربّان، و تعرف من تلقاء ذاتها الموانئ التي يجب أن ترسي فيها و تحمل البضائع و الركّاب و تنقلهم حيث ما ينبغي نقلهم؟ و هل يتقبّل العقل أنّ موجودات عجيبة و معقّدة كالإنسان ظهرت إلى الوجود ذاتياً و لم يكن لها خالق و مدبّر؟ كيف يمكن القبول بأنّ عالماً بهذه العظّمة، من تنوّع الموجودات، يظهر إلى الوجود و يسير ملايين السنوات في مدار صحيح، و يتدبّر أمره من غير وجود مدبّر حكيم؟

### معرفة الله أمر فطري

تمثّل أعمال و تصرفات كل إنسان مظهراً لمعرفته و ميوله الباطنية. و نحن نستطيع أن نعرف من خلال تصرف كل إنسان و طريقة تعامله و نمط معيشته، عقيدته و أهدافه. كما أنّ الآثار المتبقية من الإنسان القديم، تقدّم لنا دليلاً قاطعاً على أنّ الإنسان كانت له ميول بالإضافة إلى حاجته للمتطلبات المادية من قبيل الماء و النوم و التعليم و غير ذلك حاجات

معنوية أيضاً، وهذه الميول كانت من الدوافع التي تدفعه للقيام بفعاليّاته. فالحضارات انعكاس لمتطلبات البشر المادية والمعنوية. وهناك علامات و آثار مستفيضة من الأمم الماضية تدلّ على أنّ المجتمع البشري كان مولعاً بذات مقدّسة غير متناهية و كان يعبدها، و ظهور الحضارات يؤيّد هذا الأمر. و هذا الميل الباطني موجود عند الانسان المعاصر أيضاً، و هو مجبول عليه بصورة ذاتية و من دون أيّ تعليم، و على الرغم من أنّ هذا الميل الباطني قد يتضاءل بمرور الزمن، بتأثير الاحتياجات المتنوعة، أو قد يشبع الإنسان هذا الميل الباطني لديه بالتوجّه إلى رموز غير واقعية.

وجود الله واحد من هذه الميول والتوجّهات الباطنية. والفطرة السليمة تدعن بوجود ذات غير متناهية حكيمة و مقدّسة ذات قدرة و علم كامل. وخير مثال على هذا ما جاء في القرآن الحكيم: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> وكذلك الأمر بالنسبة إلى خلق العالم ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>

تكشف الحوادث العصبية والمآزق والمخاطر التي يتعرض لها الإنسان عن هذا الميل الباطني بوضوح. و توجد في القرآن الكريم آيات متعددة تحكي لسان حال أناس أحيط بهم في وسط البحر الهائج المتلاطم الأمواج، و قد أشرفوا على الغرق و ليست لديهم أية وسيلة للنجاة؛ في تلك الحال يُظهر هؤلاء ما يكمن في صدورهم و يطلبون العوث و النجاة من الله العظيم. كما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

الفطرة: عبارة عن مجموعة من الخصائص التي ولدت مع الإنسان منذ بدء الخليقة. في أعماق كل إنسان هناك توجهات إلى المعارف والاعتقادات والميول أرقى من تلك الموجودة عند المخلوقات الأخرى، من قبيل حُبّ الخير والفضيلة، والانشداد إلى الكمال،

٢- سورة الزخرف (٤٣)، الآية ٩.

١- سورة الزخرف (٤٣)، الآية ٨٧.

٣- سورة يونس (١٠)، الآية ٢٢.



والميل إلى الحبِّ والعبادة. وهذه نماذج من الفطرة الإنسانية هي التي تشكل أساس القيم الإنسانية؛ حيث تتيح هذه القيم للإنسان إمكانية الإستعانة بهذه الهداية الباطنية - طالما لم يستحوذ عليه الكفر والشرك، والضلال ورَيْن الذنوب - للسير نحو السعادة والفوز. و من ضمن الميول الفطرية عند الإنسان التوجه إلى الله و عبادته. و معرفة الله الفطرية تعني: أنَّ كل إنسان و حسب تكوينه الوجودي يعرف الله من غير تعليم. و هذا الأمر لا ينبثق من فهم عقلي بل منشؤه القلب والرغبة والميل الباطني.

نزعة الانشداد إلى الله أمر فطري مغروس في وجود الإنسان، و هو نوع من الانجذاب المعنوي، يعني أن الإنسان جبل على نحو لا يستغني معه عن العبادة. و لهذا ترى أن جميع الناس يمارسون العبادة بشكل أو آخر. و هذا يدل على أن العبادة جزء من الفطرة البشرية، أي إنَّ البشر - بالفطرة - له ميل ورغبة في التقرب إلى شيء مقدس و منزّه و عظيم. و هذا الميل موجود عند جميع البشر.

عندما ندقق في الحالات النفسية للإنسان ندرك أنه محب للحسن والكمال، و هو لا يقف عند حدٍّ معيّن أو محدود في حبه للكمال. بل يتطلع الى أعلى مراتب الكمال؛ لأنه مولع بالكمال المطلق و لا يكتفي بالمرتبة التي يصل إليها.

إنَّ الإنسان و بحسب تكوينه الروحي الخاص خلق مجبولاً على البحث عن الله. الرغبة إلى الله و عبادة الله مغروستان في ذات الإنسان فطرياً، و هما تمثّلان نوعاً من الانجذاب المعنوي بين قطبين هما: قلب الإنسان و مشاعره من جهة، و مركز الوجود (أي المبدأ الأعلى والكمال المطلق) من جهة أخرى.

في سريرة و فطرة كل إنسان هناك ميل إلى الله، مثلما توجد المعرفة الحضورية التي لا تحتاج إلى واسطة بالنسبة لذاته المقدسة، أي إنَّ الإنسان - و بدون تعلّم - يستشعر في عمق باطنه و بصورة جليّة بأنه مشدود إلى وجود متعالٍ كاملٍ قائم بذاته، و أنه يصل إلى الرشد و المعرفة و الكمال تحت علم و تدبير و ربوبية ذلك الوجود المتعالي، و هذه هي أول مرحلة من مراحل الهداية التي غرست تكوينياً في سريرة الإنسان. و تُعتبر هذه المرحلة من مراحل الهداية الإجمالية. حيث إنَّ الهداية التفصيلية يمكن إدراكها عن طريق العقل

والشرع. وذلك لأنَّ أي ميل يستلزم وجود نوع من التوجُّه والعلم بالنسبة للشيء الذي يميل إليه.

عندما يكون هناك شعور باطني لدى الإنسان بالميل إلى الله، فلا بد أن تكون لديه معرفة به، وإلا فلا يمكن أن يكون هناك ميل إلى مجهولٍ مطلق، ولا يمكن أن يميل الإنسان إلى شيء ليس لديه أيُّ علم به.

هذه النزعة الذاتية لدى الإنسان تتجلى بشكل أوضح في الشدائد والظروف العصيبة، مثلما هو الحال بالنسبة إلى من يركبون سفينة و يأتيتها الطوفان فيدعون الله عن إخلاص و يطلبون منه النجاة ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾. (١) ﴿وَ إِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلْمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. (٢)

### صفات الله

لله صفات و أفعال يمكن للبشر معرفتها، وإن كانت هذه المعرفة معرفة محدودة. طبعاً ذات الله لا يمكن معرفتها، ولكن صفاته و أفعاله المتجسدة في هذا العالم، يمكننا فهمها معرفتها.

يروى عبدالرحيم بن عتيك القصير: كتبتُ على يدي عبدالملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام: «أنَّ قوماً بالعراق يصفون الله بالصورة و بالتخطيط، فإن رأيت - جعلني الله فداك - أن تكتب إلي بالمذهب الصحيح من التوحيد. فكتب إلي: سألت - رحمك الله عن التوحيد و ما ذهب إليه من قبلك، فتعالى الله الذي ليس كمثل شيء و هو السميع البصير، تعالى عما يصفه الواصفون المشبهون الله بخلقه المفترون على الله، فاعلم - رحمك الله - أنَّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله جلَّ وعزَّ، فانف عن الله تعالى البطلان و التشبيه، فلا نفي و لا تشبيه». (٣)

إنَّ أفضل طريق لمعرفة صفات الله، هو الرجوع إلى المصادر الدينية. و مع أنَّ الله هو

٢- سورة لقمان (٣١)، الآية ٣٢.

١- سورة العنكبوت (٢٩)، الآية ٦٥.

٣- الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٠٠، الحديث ١.

مصدر لكل صفات الكمال، ولكن لا يحق لأيٍّ أحد أن يصفه بما يشاء من الصفات. يوصف الله سبحانه بنوعين من الصفات: الصفات السلبية والصفات الثبوتية. الصفات السلبية أو الجلالية: وهي الصفات التي ينتزّه عنها الله ولا يتّصف بها، كأن يكون ممكن الرؤية أو أن يكون جسماً، أو أن يتّصف بالجهل أو أن يحتاج إلى النوم والطعام، أو أن يكون موضعاً للحوادث و....

الصفات الثبوتية أو الجمالية: وهي الصفات المعبرة عن كمال الله، ويمكن أن نجمع بين هذين النوعين من الصفات (السلبية والثبوتية) فنقول: إنَّ الله جامع لكل الكمالات، ولذا فلا نقص ولا عيب فيه.

وهناك تقسيم آخر لصفات الله، وهي أن تُقسَّم إلى ذاتية وفعليّة. الصفات الذاتية: وهي الصفات المرتبطة بذات الله والمختصة بها ولا تقبل الانفكاك عنها، مثل العلم والقدرة والحياة.

الصفات الفعلية: وهي الصفات المرتبطة بأفعال الله، وهي الصفات المنتزعة من فعل الله، والتي قد انتزعت من موضوع الفعل. وبالطبع فإنَّ جميع صفات الله عين ذاته ولا تلحق به من الخارج.

والاختلاف بين هذين القسمين من الصفات، هو أنَّ الصفات الذاتية هي دائماً عين ذاته، والصفات الفعلية منبثقة من الذات أيضاً، ولكنّها متوقفة على تحقُّق الفعل في الخارج مثل الخالقية والرازقية و....

يتّصف الله بجميع صفات الكمال وليس فيه أيُّ نقص: فوجود أي نوع من النقص أو عدم وجود الكمالات اللازمة في الله، يعني أنه لا يتّصف بالصفات اللازمة لأن يكون إلهاً، والحال أنه إله، إذاً فهو يتّصف بجميع صفات الكمال.

### قرب الله

بسبب الوجود غير المتناهي لله، فهو حاضر في كل مكان، ولا يمكن أن ننسب له نسبة

القرب أو البعد ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾<sup>(١)</sup> ولذا فإن الآيات والروايات التي تحث على السعي للتقرب إلى الله جاءت لتحث الإنسان على السعي ليكون محبوباً عند الله وحبیباً له. وأن يشعر بأنه قريب إلى الله وفي رعايته، وإلا فإن الجميع خاضعون لسنن رب العالمين و تحت نظره.

جاء في رواية أن معنى الآية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>(٢)</sup> هو أن الله قريب من جميع الموجودات على حد سواء، وهذا يعني أن قربه جلّ وعلا من شيء لا يعني بعده عن شيء آخر. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: استوى من كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه السلام: استوى في كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد و لم يقرب منه قريب. استوى في كل شيء<sup>(٤)</sup>.

### عدم رؤية الله

يشير القرآن بصراحة إلى أن الله لا يرى ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ \* لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٥)</sup>.

للإنسان بعدان: مادي ومعنوي. وفي وجود الإنسان ميول غير مادية أيضاً، ولكن بما أن البشر بالدرجة الأولى مولود عالم الطبيعة وهو مستأنس بها، لذا فإن ميله إلى المظاهر الطبيعية أكثر وأقوى. فهو يقبل بسهولة الأشياء المحسوسة والمرئية والخاضعة للتجربة، أما الأمور غير المحسوسة والتي يحتاج إثباتها إلى برهان ودليل فإن قبولها يكون بصعوبة و بعد تردد و تأمل.

مع أن البشر باحث عن الله فطرياً، و يؤمن بقوى ما وراء الطبيعة والغيب، و لكنّه يسعى

١- سورة ق (٥٠)، الآية ١٦. ٢- سورة طه (٢٠)، الآية ٥.

٣- الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٢٨، الحديث ٧. ٤- الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٢٨، الحديث ٨.

٥- سورة الأنعام (٦)، الآيتان ١٠٢ و ١٠٣.

إلى أن يُبدّلها إلى رموز طبيعية. ولهذا فقد اصطنع لنفسه أشكالاً من الخشب والحجر والمواد الطبيعية وأخذ يقدّسها. إنّ قيام الإنسان بهذا العمل نابع من هذه الذات التي فيه والتي تبحث - بطبيعتها - عن الكمال والتعالي. فهو يُحب أن يكون له ربٌّ جليل وأن يعبد، وفي الوقت نفسه يستطيع الوصول إليه والإحساس به...

النزعة الحسية عند الإنسان دفعته إلى اتخاذ أشياء طبيعية كمظاهر ترمز إلى قوى ما وراء الطبيعة. وقد أدى المزج بين هذه النوازع الذاتية الجامحة ومظاهر الطبيعة إلى ظهور الشرك. و يعود سبب ذلك طبعاً إلى رغبته في رؤية الأشياء التي يرغب فيها ويميل إليها. وهو يحمل مثل هذا التصوّر عن الله أيضاً؛ إذ يظنّه مرئياً وملموساً وحسيّاً.

ذكر الله عزّ وجلّ عن بني إسرائيل أنهم قد شاهدوا معجزات كثيرة على يد النبيّ موسى عليه السلام، غير أنّهم رغم كل ذلك طلبوا منه أن يريهم الله ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> وجاء في قسم آخر من قصّتهم بأنهم ما إن أنجاهم الله من ظلم آل فرعون، و فلق لهم البحر ليعبروه، وأهلك من لاحقوهم، وقعت أبصارهم على قوم كانوا يعبدون الأصنام، فاستهواهم ذلك العمل و طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً مثل إله هؤلاء القوم: ﴿وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> عند الحديث عن عدم القدرة على رؤية الله أو بعبارة أخرى: لماذا لم يكن الله مرئياً؟ لا بدّ من أخذ عدة ملاحظات بنظر الاعتبار:

١- أن إدراك الإنسان محدود. فالعين تستطيع رؤية الأجسام في ظروف معيّنة كأن تكون على درجة معيّنة من الوضوح والقرب والحجم. فالأجسام الصغيرة لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وكذلك الأشياء البعيدة والأشياء التي لم تُخلق بعد. فلا بدّ إذاً من توفّر بعض الشروط لرؤية أو لمس أو سماع أو شمّ الأشياء. ومن غير المنطقي إنكار وجودها بسبب عدم توفّر الظروف المناسبة، أو عدم مقدرة الحواس على أن تقوم بدورها، أو بسبب

١- سورة النساء (٤)، الآية ١٥٣.

٢- سورة الأعراف (٧)، الآية ١٣٨.

وجودها خارج نطاق الحواس.

الحواس أشبه شيء في عملها بشبكة صيد الأسماك. فشبكة الصيد تستطيع صيد الأسماك في ظروف معينة، كأن تتصف بالقدرة على صيد أسماك بأحجام مختلفة، وأن تكون هناك أسماك في متناولها. فحتى أفضل الشباك لا تستطيع صيد سمكة واحدة في البر. وإذا أُلقيت في البحر شبكة كثيرة الشقوق فهي أيضاً لا تصيد سمكاً. فهل يمكن في مثل هذه الظروف الجزم بعدم وجود السمك. فانعدام تناسب المنطقي بين الأشياء وبالنتيجة عدم الترابط الصحيح بينها لا يعدُّ دليلاً على عدم الوجود.

٢- كلُّ حاسة من حواس الإنسان تعمل ضمن النطاق الخاص بها. ومن العبث أن يُرتجى منها ما هو أبعد من ذلك. والحواس تستطيع إدراك الأمور المادية فحسب. والله ليس مادة.

٣- الحواس مجرد وسائل، وأما مهمة تحليل المعلومات التي تأتي عن طريق الحواس، فهي من واجب النفس. فالمعلومات القادمة عن طريق العين تنعكس في الذهن وبعد ذلك تحصل عملية الرؤية و يتحقق الإدراك. إذاً فالحواس مقدّمة لعمل الذهن.

٤- هناك كائنات كثيرة في هذا الوجود لا يراها الإنسان ولكنّه في الوقت ذاته يوقن بوجودها، كالهواء، والجاذبية، والمجال المغناطيسي، والتيار الكهربائي، والعواطف، والمحبة، والعداوة، والحقد، والحسد، والعقل وغيرها، ولكن لا يمكن لمسها أو رؤيتها أو تذوّقها وما إلى ذلك. وإنما يُفهم وجودها من خلال معطياتها ونتائجها.

٥- إضافة إلى الحواس الظاهرية يتمتع الإنسان بحواس أخرى أيضاً. ومثلما ندرك المحسوسات بالعين المجردة، نستطيع استشعار الأمور غير المحسوسة بالحواس الباطنية. نذكر من ذلك مثلاً أننا نستطيع إدراك بعض الحقائق عن طريق القلب إذا طهر من اقتراف الذنوب. قال يعقوب بن إسحاق: كتبتُ إلى أبي عبد الله عليه السلام أسأله كيف يعبد العبد ربّه وهو لا يراه؟! فوقع عليه السلام: يا أبا يوسف! جلّ سيدي و مولاي والمنعم عليّ و على آبائي، أن يرى. قال: و سألته هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربّه؟ فوقع عليه السلام: إن الله تبارك و تعالى أرى

رسوله بقلبه من نور عظمتة ما أحب. (١)

و جاء في رواية أخرى أنّ رجلاً من الخوارج دخل على الإمام الباقر عليه السلام فقال له: يا أبا جعفر، أي شيء تعبد؟ قال: الله، قال: رأيتته؟ قال: لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس، ولا يدرك بالحواس، ولا يشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلا هو. قال: فخرج الرجل و هو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته. (٢)(٣)

و روي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك حين عبدته؟ فقال: ويلك، ما كنت أعبد رباً لم أره. قال: وكيف رأيتته؟ قال: ويلك، لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. (٤)

### قدرة الله

القدرة: هي استطاعة فعل شيء أو تركه. والباري تعالى يتحلّى بمثل هذه الصفة. وهي فيه على درجة من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى إثبات؛ فالله كُله علم و قدرة. والآثار التي تدل الإنسان على وجود الله تدلّه أيضاً على قدرته. وهو تعالى خالق العالم، والخالق لا يمكنه أن يخلق بلا قدرة. هذا من جانب، ومن جانب آخر، إن لم يكن الله قادراً فمعنى ذلك أنه ناقص و يفتقد الكمال.

في مخلوقات الله عجائب دالة على أنّ لخالقها قدرة تفوق القدرة العادية. فهو ذو قدرة بحيث أنه يستطيع فعل كل شيء: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (٥)

و رغم أنّ القدرة الإلهية مطلقة غير أنّها قد لا تتعلق ببعض الأمور. فالمفاهيم التي نعرفها تُقسم من حيث تعلق القدرة إلى عدّة أنواع: فهناك أشياء يمكن القيام بها بسهولة، و فعلها

١- الصدوق، التوحيد، ص ١٠٨، الحديث ٢.

٢- سورة الأنعام (٦)، الآية ١٢٤.

٣- الصدوق، التوحيد، ص ١٠٨، الحديث ٥.

٤- المصدر السابق، ص ١٠٩، الحديث ٦.

٥- سورة البقرة (٢)، الآية ١٤٨.

يتوقف على التناسب بين صاحب القدرة و ذلك الشيء. فالشخص العادي يستطيع حمل وزن عادي في الظروف الاعتيادية، و لكن هناك أشياء تفوق قدرته كأن يتكوّن الوزن من عدّة أطنان.

و هناك أشياء لا يمكن وقوعها؛ بمعنى أنها ذاتياً غير قابلة للتحقق. جاء في رواية أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سُئل: هل يقدر ربُّك على أن يدخل الدنيا في بيضة دون أن يصغر الدنيا أو يكبر البيضة؟ فقال: ويليكَ إنّ الله لا يوصف بالعجز والذي سألتني لا يكون. (١)

### علم الله

الله عليم مطلق: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (٢) و هو تعالى يعلم بالمخلوقات قبل خلقها و بعده. و علمه لا يقتصر على ما هو ظاهر من أمور العالم، و إنّما لديه علم تام بما هو خاف منها أيضاً: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. (٣) إنّ إحاطة الله بكلّ شيء و علمه المطلق، يعني أنه لا تخفى عليه خافية. فهو في كل مكان و قبل كل شيء. و ما يُعتبر غيباً بالنسبة لنا إنّما هو مكشوف عند الله، و هو محيط بتفاصيل كل شيء و إلاّ فإنّه إن لم يكن كذلك يوصف بالجهل. و هذا طبعاً يتعارض مع كماله. و نسبته إلى الأشياء متساوية، و علم الغيب والشهادة عنده سبحانه على حدّ سواء. ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾. (٤)

### عدل الله

العدل: هو وضع كل شيء في موضعه المناسب. والقاضي إذا حكم بإعطاء صاحب الحق حقه يوصف حُكمه بالعدل؛ لأنه جعل الحق في موضعه المناسب. والعدالة التي تشترط في إمام الجماعة من اجتناب الكبائر و عدم الإصرار على الصغائر، تنطوي على هذه الحقيقة

١- الصدوق، التوحيد، ص ١٣٠، الحديث ١٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٤٣.

٢- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٨٢.

٣- سورة البقرة (٢)، الآية ٣٣.

٤- سورة سبأ (٣٤)، الآية ٣.



أيضاً. وذلك لأنَّ المعصية خروج عن المسار الذي رسمه الله. وفي ضوء التعريف السابق للعدالة، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ عادل. وهو يفعل العدل في حُكْمه بين الناس: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(١)</sup>.

لصفة العدل أهمّية تفوق سائر صفات الله، لسببين:

١- أن كان كل شيء في الكون من فعل الله، وهو الذي يخلق أفعال الناس، فلماذا يحاسبهم عليها؟ فما توجيه ما وعده من شديد العذاب وما علاقة ذلك بعدله؟ وهل من المعقول أن يجبر الله الناس على الظلم والقبائح، ويخلقهم بالشكل الذي يجعلهم يرتكبون هذه الآثام ثم يحاسبهم عليها؟.

٢- هناك تفاوت بين الناس لا يمكن إنكاره، من حيث تكوينهم الجسدي ومن حيث وضعهم المعاشي. فالبعض مصاب بعاهات جسدية وآخرون يعانون من آلام ومصاعب، وقسم من الناس يموت مبكراً، والبعض يقع تحت تسلط الظلمة والجباية فلا يهنأ في حياته ولا يتذوق طعم السعادة. فلماذا خلق الله هذه الحالات؟ فكيف تجتمع العاهات والشقاء والظلم مع العدل؟ فلو كان هناك موجود آخر غير الله يخلق الشرور والقبائح فذلك يستلزم الشرك ونسبة النقص إلى الله، وإن كان الله تعالى هو الذي خلقها وارتضاها فهذا لا يتماشى مع عدله، ولا بد أن يكون ناجماً عن نقص فيه.

فهاتان القضيتان جعلتا صفة العدالة عند الله تختلف عن سائر صفاته، الأمر الذي أدّى في النهاية الى وقوع جدل بين المسلمين حول عدل الله.

أمّا بالنسبة إلى القضية الأولى: فلا شك في أن الله هو خالق كل شيء، ومن ذلك أنه هو خالق الإنسان وفعل الإنسان. فهو تعالى السبب الأساسي لكلِّ حادثة ولكل موجود، ولكن الناس لديهم أيضاً قدرة على التصميم والإرادة، وهم يفعلون أفعالاً حسنة أو قبيحة بإرادتهم؛ وبذلك يسجلون لأنفسهم بأيديهم مصيراً حسناً أو سيئاً.

لقد خلق الله الإنسان حرّاً وأودع فيه حرية الاختيار، لكي يختار بإرادته الحق أو

١- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٨٢.

الباطل. وعلى هذا، فإنَّ اعتراف القبائح إنما هو من فعل الناس أنفسهم، ويقومون به بإرادتهم وهم مسؤولون عن عملهم. و طالما كان الأمر كذلك، يتضح أنَّ ثواب المحسنين وعقاب المسيئين أمر منطقي و موجه. وهذا أقل ما يرتجى من إله حكيم و عادل. فالله لا يجبر أحداً على فعل، لكي لا يبدو عمله قبيحاً فيما لو عاقب أحداً على سوء فعله.

إذا ارتكب الإنسان المعاصي، واقترب فسقاً و فجوراً، وهضم حقوق الآخرين و ظلمهم من جهة، و قام بأعمال حسنة من جهة أخرى، كأن قام بمساعدة المحتاجين و بادر إلى فعل الخيرات، فإن أخذت هذه الأعمال على حدِّ سواء و لم يُجاز على الحُسن و على القبيح من أفعاله، فإنَّ هذا الحال لا يتناسب مع عدل الله و لا ينسجم مع حكيمته. فهل من العدل أن يستوي من يفعل السيئات و يظلم مع من يفعل الخيرات و يُحسن؟ و هل يستوي المحسنون و المسيئون؟ و هل من الحكمة أن يتساوى من يتحملون المشقة و يؤدون ما عليهم من تكاليف و فرائض و يجتنبون اللذائذ المحرمة، مع المتهمّكين و الظلمة و الفساق؟ العقل يحكم بأنَّ مثل هذا التساوي بعيد عن العقل و الحكمة.

و أمّا بالنسبة إلى القضية الثانية: فإنَّ ما يعانيه البعض من عاهات و ما يقع لبعضهم الآخر من موت مبكّر، و ما يوجد بين الناس من تفاوت في القدرات و المؤهلات و ما شابه ذلك، فهي أمور تعود إلى ما يقع في العالم من وقائع و تغييرات. إنَّ الله هو المصدر الأساسي لكل التحوّلات و الأحداث في العالم، و لكنَّ هذه التحوّلات تقع ضمن قواعد و سنن. أي أنَّ الله خلق العالم ليسير في إطار مجموعة من الأسباب و المسببات. فكل علة تنتج معلولها حسب مقتضياتها. فإن تَمَّت الظروف و المقتضيات يأتي المعلول تاماً و متناسباً مع علته، و إلاَّ فإنَّه يأتي ناقصاً. فالعاهات البدنية، و الموت المبكر، و الآلام و الأمراض، و المعاناة، تأتي كلها نتيجة لتفاعل عوامل طبيعّية، و قد جعلت العوامل الطبيعيّة في نظام الخلقة لتقدّم معطياتها بشكل شمولي، و عند التعارض مع بعضها يتضرّر المعلول بالعامل الغالب و يحصل النقص.

و علاوة على ذلك، فإنَّ ما يعطيه الله فهو من جوده و فضله. و الإكثار أو الإقلال في العطاء للبعض خاضع لمدى استيعابهم و للظروف المحيطة بهم. و ما يقع لبعض الناس من

مساوية لا يعزى إلى الله، وإنما إلى الظروف التي يعيشون فيها. و خلاصة الكلام هي أن العدل يصدق حينما يكون لأحد حق و يجب أداء حقه له، وإذا لم يُعط فهذا ظلم و عدم التزام بالعدل. إن الباري عز وجل حينما يُعطي الناس إنما يعطيهم بجوده و فضله. و هذا يعني أن ما لدى الأفراد و ما يفتقرون إليه غير ناجم عن عدم عدل الله و إنما سببه شيء آخر.

## التوحيد

التوحيد: هو الاعتقاد بوجود مبدأ واحد لهذا الكون. ويُطلق هذا الاصطلاح على الله وحده دون سواه، للدلالة على ماله من وجود أزلي و أبدي و أنه لا شريك له و لا هو مركب لا من حيث الذات و لا من حيث الصفات، و يتّصف بالعلم المطلق و الكمال المطلق. و لا يمكن تصوّر أيّ نوع من الارتباط و الاحتياج بشأنه. و هو عبارة عن ذاتٍ حاوية لكل الكمالات. و هو مدبّر عالم الوجود، و بإرادته و تقديره ظهرت الموجودات، و هي تسير في نظام متناسق وفقاً لمشيئته.

و يقع في مقابل التوحيد، الشرك. و للشرك مظاهره التي منها الثنوية و التثليث، و تعدد الآلهة. فالثنوية ترى أن للوجود مبدأين: مبدأ الخير و مبدأ الشر. أمّا التثليث فيؤمن بأنّ مبدأ الوجود واحد، و لكنّه في الوقت ذاته ثلاثة، و أنّ الأفانيم الإلهية ثلاثة، و لكل واحد منها مرتبة الإله، و أنّ الأب و الإبن و روح القدس هم الله. و مع أنهم يقولون إنّنا نعتقد بجوهر واحد لا أكثر، و لكنّ قولهم هذا يستدعي القول بالكثرة العددية لله. و كان هناك أقوام يعتقدون بوجود آلهة بعدد أنواع الكائنات و كانوا يعبدونها، حيث كانوا يؤمنون بوجود الكثير من أرباب الأنواع و أنّ لكل شيء ربّه النوعي. و هذه المعتقدات كلها شرك و لا تتفق مع التوحيد. فالتوحيد هو الاعتقاد بوجود إله واحد في كل الجوانب و المجالات.

## المراد من وحدانية الله

المراد من وحدانية الله هي أنه واحد لا يقبل التقسيم، و صفاته عين ذاته ولا تعدد فيها. و وحدانيته في الألوهية أنه لا شريك له في العبادة. و قدرته و علمه و حياته ليست كقدرة و علم و حياة الآخرين؛ لأن صفات الله عين ذاته. أمّا تقسيم صفات الله و فصلها عن ذاته، فهو من عندنا و نحن نقوم به في مقام المعرفة، و أمّا هو تعالى فلا يقبل التعدد و التقسيم: ﴿وَ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

والمقصود بأن الله واحد ليس الوحدة العددية التي نطلقها على سائر الأشياء، فالوحدة العددية والكثرة المنبثقة عنها من صنع الله؛ و ذلك لأن العدد يستلزم المحدودية بينما الذات الإلهية مطلقة في جميع الكمالات و لا محدودية لها ﴿وَ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٢)، ﴿وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٣)، ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ (٤)، ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٥). فهذه الآيات و غيرها من الآيات المشابهة لها تدلّ على ذات الله المطلقة و صفاته الكمالية، و أنه لا شريك له و لا شبيهه لا في الذات و لا في الصفات. و لهذا فلا معنى للوحدة العددية بشأنه؛ لأن أي وجود و كمال في الأصل للذات، و ما لا يفترض وجود ثان له لا يوصف بالعدد، لأن العدد دليل على المحدودية.

ذكروا إن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أتقول: إن الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه، قالوا: يا أعرابي، أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه، فإن الذي يريد الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثم قال: يا أعرابي، إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوز أن على الله عز وجل، و وجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوز أن على، فقول القائل: واحد يقصد به

١- سورة البقرة (٢)، الآية ١٦٣.  
 ٢- سورة الرعد (١٣)، الآية ١٦.  
 ٣- سورة الروم (٣٠)، الآية ٥٤.  
 ٤- سورة البقرة (٢)، الآية ١٦٥.  
 ٥- سورة النور (٢٤)، الآية ٢٥.

باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال: ثالث ثلاثة.<sup>(١)</sup> وقول القائل: هو واحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه، لأنه تشبيه، وجلّ ربنا عن ذلك و تعالى. وأمّا الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربنا، وقول القائل: إنه عزّ وجلّ أحديّ المعنى، يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عزّ وجلّ.<sup>(٢)</sup>

### مراتب التوحيد

من أعمق المباحث في باب المعارف هو بحث التوحيد. ويختلف فهم التوحيد تبعاً لاختلاف أفهام الناس. ورغم كل ذلك فالناس حسبما تملي عليهم فطرتهم، متفقه آراؤهم في أصل وجود ذات الباري تعالى. أمّا اختلاف أفهام الناس حول التوحيد، فهو أنّ البعض قد جعلوا إله هذا العالم كالأصنام والأحجار والأخشاب التي يصنعونها بأيديهم، وفهموا من دعوة الأنبياء إلى التوحيد في حدّ الوحدة العددية: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.<sup>(٣)</sup>

أمّا الصفات الكمالية التي يذهب إليها الناس في بيان ذات الله، فلا بدّ وأنها تنطوي على المحدودية التي تطبع تلك الألفاظ. ولهذا السبب يقول الله عزّ وجلّ: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ \* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾،<sup>(٤)</sup> ويقول أيضاً: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾،<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.<sup>(٦)</sup>

جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.<sup>(٧)</sup> ولعل هذا هو السبب الذي جعل الروايات تكثر من تنزيه الله. فكل صفة نسبتها له لا بدّ وان يكون إلى جانبها تنزيه له؛ لأنّ بياننا قاصر عن الإفصاح عن

١- إشارة إلى الآية: ﴿لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة﴾، سورة المائدة (٥)، الآية ٧٣ وهي حول المسيحيين الذين يعتبرون الله ثالث ثلاثة؛ أي الله، و روح القدس وعيسى عليه السلام.

٢- الصدوق، التوحيد، ص ٨٣ و ٨٤، الحديث ٣. ٣- سورة ص (٣٨)، الآية ٥.

٤- سورة الصافات (٣٧)، الآيتان ١٥٩ و ١٦٠. ٥- سورة طه (٢٠)، الآية ١١٠.

٦- سورة الأنعام (٦)، الآية ٩١. ٧- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ٩١، ص ١٢٥.

وجوده المطلق.<sup>(١)</sup>

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «تَكَلَّمُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَ لَا تَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ، فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي اللَّهِ لَا يَزِدَادُ صَاحِبُهُ إِلَّا تَحِيرًا».<sup>(٢)</sup>

و للتوحيد مراتب، وهذا ما جعل الموحدين متفاوتين في هذا المجال، فقد يكون هناك من هم موحدون في التوحيد الذاتي، ولكنهم يقعون في الشرك في التوحيد العبادي وفي الطاعة. فالشيطان - كما قال أمير المؤمنين عليه السلام - عَبَدَ اللَّهُ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ،<sup>(٣)</sup> ولكنه تكبر و عصى أمر ربه. وهذا يعني أنه لم يكن لديه توحيد في الطاعة. وعلى صعيد آخر قد يكون هناك من لديه إخلاص تام في العبادة، ولكن التوحيد الأفعالي غير مكتمل لديه. ثم إن هناك الكثير ممن يكثر من العبادة والذكر والتسبيح، ولكنهم ضعفاء في التوكل عليه والاستعانة به، وعدم التعويل على ذوي الجاه والمنصب والمال. و خلاصة القول هي أنّ الموحد هو من يؤمن بأن الله واحد و يخضع تعظيماً له، و لا يتكل إلا عليه، و يوقن بأن كل شيء منه، و ليس في الوجود ما يضاهيه أو يضارعه.

### المرتبة الكاملة للتوحيد

للتوحيد - بما يعنيه من الاعتقاد بوحداية الله - مراتب. و مرتبته الكاملة هي الإيمان بأن لله العلم والقدرة والكمال والخلق والرزق والإحياء والإماتة، وأن الخضوع والعبادة له وحده، و أن لا يتدلل الإنسان و لا يمرغ خده في التراب لأحدٍ سواه، و ان لا يرجو إلا رحمته، و لا يخشى إلا سخطه.

و أمّا على صعيد العقيدة والعمل فيجب الخضوع والانصياع له وحده. و هذا ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «و كمال توحيدِهِ الاخلاص له».<sup>(٤)</sup> و ينص القرآن على أن آية

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطب ١٥٢ و ١٦٣ و ١٨٦؛ الصدوق، التوحيد، ص ٣٠٨، الحديث ٢؛ الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٣٨، الحديث ٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ٣٠٤؛ المفيد، الاختصاص، ص ٢٣٦.

٢- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٩٢، الحديث ١.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، ص ٢٨٧.

٤- المصدر السابق، الخطبة ١، ص ٣٩.

طاعة عمياء لغير الله شرك و مخالفة للتوحيد. فبعض أهل الكتاب الذين أسلموا قيادهم لعلمائهم من غير تروٍّ، اعتبر القرآن عملهم هذا بمثابة عبادة لغير الله، و قال في وصفهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. (١)

### الأدلة على وحدانية الله

١- الانتظام والانسجام يدلان على وجود منهج متناغم مع ظروف جميع المجالات والقطاعات. فلو كان في هذا الكون مدبران لشؤونه لاختلَّ النظم فيه قطعاً؛ لأن كل واحد منهما يريد العمل وفقاً لإرادته. إذاً فالانتظام والانسجام اللذان يحكمان هذا الكون الفسيح، و عدم وجود أي خلل أو عيب فيه، يدلان على وجود مدبر واحد يديره بدقة وإتقان. و هذا العالم الذي نعيش فيه يتّصف بمثل هذا الانسجام والاتقان؛ و هناك تناسق تام بين موجوداته. فكل واحد منها في موضعه الصحيح، و يكمل كل واحد منها الآخر. و كل هذا يدلّ على أنّ مدبره واحد لا شريك له.

لو كان في هذا العالم عدّة آلهة، فلا بد أن تكون له -حسبما تقتضي ألوهيته- إرادة مستقلة عن غيره، و غير منسجمة و لا متوافقة مع إرادة سائر الآلهة، و هو ما يوقع العالم طبعاً في فوضى. أي أنّ كثرة الآلهة تعني أنّ كل واحد منهم يسعى إلى تحقيق إرادته، و من الطبيعي أن تكون إرادة كل واحد منهم متعارضة مع إرادة غيره، و عند التطبيق تتعارض الإرادات و ينهار كل شيء في هذا العالم. و يُفصح القرآن الكريم عن هذا الاستدلال بعبارة موجزة و هي قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. (٢) لو كان في الوجود آلهة متعددة لكان لكل واحد منهم مخلوقاً، ولسعى كل وراء خالقه، و لوقع العالم على أثر ذلك في تعارض، و لحاول كل واحد منهم -بحكم ألوهيته المطلقة- السيطرة على العالم و إخضاع كل الكائنات لتدييره، و هذا ما يفضي بالنتيجة إلى نشوب

١- سورة التوبة (٩)، الآية ٣١.

٢- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ٢٢.

صراعات، و يفضي إلى توقّف النظم في العالم فينهار و يتلاشى. و قد رسم الباري تعالى صورة يبيّن فيها مثل هذا الحال في قوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 جاء في رواية أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال: «فلما رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، واختلاف الليل والنهار، والشمس والقمر، دلّ صحّة الأمر والتدبير و ائتلاف الأمر على أنّ المدبّر واحد»<sup>(٢)</sup>.

٢- و جاء في نهاية الرواية التي نقلها هشام بن الحكم عن الإمام الصادق عليه السلام برهان أو دليل آخر على وحدانية الله، وهو ما يُسمّى ببرهان الفرجة، وهو كالاتي: فإن قلت إنهما اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة، أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، والتدبير واحداً والليل والنهار، والشمس والقمر دلّ صحّة الأمر والتدبير و ائتلاف الأمر على أنّ المدبّر واحد، ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة، فإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين حتى تكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة<sup>(٣)</sup>.

و قد جاء في صدر هذه الرواية أنّ زنديقاً جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام و عرض عليه أسئلة حول الوجدانية والتعددية في الآلهة، فقال له الإمام عليه السلام: لا يخلو قولك إنهما اثنان أن يكونا قديمين قويين، أو ضعيفين، أو يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً، والمراد بالقويّ أن يكون قادراً على فعل الكلّ و فاعلاً له بالإرادة مع استبداده به، والمراد بالضعيف الذي لا يقوى على فعل الكلّ و لا يستبد به و لا يقاوم القوي، فإن كانا قويين فلم لا يدفع كلّ منهما صاحبه و يتفرد به، أي يلزم منه عدم وقوع الفعل و إن كان أحدهما ضعيفاً فيلزم من ضعف وجوده احتياجه إلى العلة الموجودة.

١- سورة المؤمنون (٢٣)، الآية ٩١.  
 ٢- الصدوق، التوحيد، ص ٢٤٤، الحديث ١.  
 ٣- الكليني، الكافي ج ١، ص ٨١، الحديث ٥.



٣- الدليل الآخر على وحدانية الله هو عدم وجود آثار لإله آخر، ومن ذلك الرسالة؛ فكل الأنبياء الذين بعثوا حتى الآن قالوا إنهم قد أرسلوا من قبل إله واحد، ولم يظهر حتى الآن نبي يزعم بأنه مبعوث من قبل إله آخر. قال الإمام علي عليه السلام في سياق وصاياه لابنه الحسن عليه السلام: «وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ! أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكَ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ وَ لَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَ سُلْطَانِهِ وَ لَعَرَفْتَ أفعالَهُ وَ صِفاتَهُ وَ لَكُنْتَهُ إِلهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لايضاذه فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ».(١)

٤- أن وجود إله آخر في العالم يعني وجود نقص في الله، وأن هذا الإله يفتقر إلى كمالات إله آخر، والإله الآخر يفتقر إلى كمالات هذا الإله. إذاً فكلاهما ناقصان. ومن الطبيعي أن افتراض وجود إله ناقص يتنافى مع ألوهيته؛ وذلك لأن الله وجود مطلق و ذات كاملة. ولو كان فيه نقص لما أصبح أهلاً للألوهية.

### أقسام التوحيد

يُقسم التوحيد إلى عدّة أقسام وهي: التوحيد في الذات، والتوحيد في الصفات، والتوحيد في الأفعال، والتوحيد في العبادة. والتوحيد ليس مفهوماً دينياً و سماوياً فقط، وإنما التوحيد الواقعي هو أن يتجلّى -فضلاً عن الاعتقاد- في السلوك الفردي والاجتماعي؛ أي في الأخلاق والعمل، وإلا فإنه يبقى شيئاً نظرياً كسائر العلوم التي تدوّن في الكتب و لا يظهر له أي أثر في الواقع الخارجي.

و نحن عندما نتأمل في تعاريف و مفاهيم التوحيد التي سنشرحها في ما يلي تحت عناوين التوحيد في الذات، و في الصفات، و في الأفعال، و في العبادة، نخلص إلى نتيجة مؤداها أنّ هذا المعنى من التوحيد لا ينطوي سوى على استقلال الإنسان في مقابل قوى و آلهة التسلط و القهر في الأرض، و يمنح الإنسان شعوراً بالقوة و الاعتزاز بالذات، و هذا طبعاً من مستلزمات المجتمع المدني السليم. و بعبارة أخرى: إنّ ما يُسمّى اليوم باسم

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ص ٣٩٦.

المجتمع المدني يمكن الوصول إليه بشكل أيسر عن طريق التفكير والحياة التوحيدية الحقيقية.

### ١- التوحيد في الذات

وهو يعني الاعتقاد بأن ذات الله واحدة لا تقبل التعددية، ولا توجد ذات أخرى إلى جانب ذات الله. روي أن رجلاً جاء إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام وقال له: يا بن رسول الله، صف لي ربك حتى كأني أنظر إليه، فأطرق الحسن بن علي عليه السلام ملياً، ثم رفع رأسه، فقال: الحمد لله الذي لم يكن له أول معلوم ولا آخر متناهٍ، ولا قبل مدرك، ولا بعد محدود، ولا أمد بحتى ولا شخص فيتجزأ، ولا اختلاف صفة فيتناهى، فلا تدرك العقول وأوهامها، ولا الفكر وخطراتها، ولا الأبواب وأذهانها صفة فتقول: متى، ولا بدأ ممّا، ولا ظاهر على ما، ولا باطن فيما، ولا تارك، فهلاً خلق الخلق فكان بديئاً بديعاً، ابتداءً ما ابتدع، وابتدع ما ابتداءً، وفعل ما أراد وأراد ما استزاد، ذلكم الله رب العالمين»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام الصادق عليه السلام، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه فقال: ما جمعكم هنا؟ قالوا: اجتمعنا نذكر ربنا ونتفكر في عظمته، فقال: «لن تُدركوا التفكر في عظمته»<sup>(٢)</sup>. وهذه الوصية تزيح الستار عن حقيقة، وهي أن إدراك الذات الإلهية متعذر؛ لأنها ذات لا متناهية، بل إن مثل هذه المحاولات لا ثمرة منها، وقد توقع الإنسان في ورطة فكرية مردّها عدم التناسب بين فكره وبين تلك الذات المطلقة، وهذا ما يخرج عن حد السلوك المعتدل، ويطبع حياته بالاضطراب. وعلى هذا الأساس ينبغي أن يعتقد الإنسان بالله من غير أن يفكر في ذاته، وإنما يفكر في صفاته ومخلوقاته.

### ٢- التوحيد في الصفات

ويعني الاعتقاد بأن صفات الله تعالى -المتّصف بجميع صفات الكمال- هي عندما

١- الصدوق، التوحيد، ص ٤٥٥، باب النهي عن الكلام، الحديث ٥.

٢- المصدر السابق، الحديث ٤.

تصدر إلى الواقع عين بعضها و عين ذاته. فذاته واحدة و فيها كل صفات الكمال من علم، و قدرة، و حكمة و ما شابه ذلك، و لكنّ هذه الصفات ليست زائدة أو مضافة إلى وجود الله، بل إنها عين وجوده؛ و ذلك لأنّه لو كانت صفة أو مجموعة صفات متميزة و خارجة عن ذاته، لاستلزم ذلك التركيب في ذاته، و هذا يعني أنّه يحتاج إلى مجموعة من الصفات. و هذا بطبيعة الحال يتعارض مع ذاته الغنية.

### ٣- التوحيد في الأفعال

و معناه أنّ كلّ ما يجري في العالم إنّما هو من فعل الله، و لا شريك له في أفعاله. فهو الخالق و الرازق و المدبّر لكلّ الكون، لا يعينه أحد في أفعاله، و ليس من أحد قادر على إعانتة بشيء من ذلك. و هو غني عن غيره في خلق العالم و إدارة شؤونه. و هكذا الحال أيضاً في إرسال الأنبياء و تشريع الدين. و كلّ شيء خاضع لقدرته. و هو تعالى المؤثّر الوحيد في أعمال عباده، و لا أحد غيره يؤثّر فيها. و لهذا ينبغي أن يتوجّه إليه المؤمنون في أعمالهم: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَ كَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

كما أنّ من تصرّفوا في عالم الوجود من الأنبياء ﷺ بإذن الله في مواقف خاصّة، كالنبي عيسى ﷺ الذي صنع من الطين طيراً أو أحيا نفساً ميتة،<sup>(٢)</sup> و غير ذلك، إنّما كان ذلك بإذن الله، و لم تكن لهم استقلالية في فعلهم. و التوحيد في الأفعال لا يعني طبعاً أن لا أحد يستطيع القيام بعمل في عالم الوجود؛ لأنّ الناس يقومون في كلّ يوم بما لا يحصى من الأعمال، كما أنّ هناك منهم من يفعل ذلك إلحاداً و من غير اعتقاد بخالق العالم و مدبّره. إنّ التوحيد في الأفعال معناه التمسك بالاعتقاد بأنّ كلّ شيء في الوجود خاضع لربوبية الله، و لا شيء يقع خارج أمره. و على هذا الأساس فإنّ الموحّد يعتبر نفسه ملزماً بأداء أعماله في سياق مشيئة الله، و بالتوكّل عليه و الاستعانة به.

٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ٤٩.

١- سورة الإسراء (١٧)، الآية ١١١.

## ٤- التوحيد في العبادة

في الرؤية التوحيدية - إضافة إلى الإيمان بوحداية الله في الذات، والصفات، والأفعال - يجب الخضوع له وحده، والامتثال لأمره، وعبادته وحده. وهذا هو ما يُسمّى بتوحيده في العبادة. والتوحيد في العبادة هو آخر مراحل معرفة الله، وأدق درجات الإيمان والعبودية. فقد يكون المرء موحداً في رؤيته، ولكنه مشرك في فعله وسلوكه. فإبليس كان على الصعيد النظري يحمل نظرة توحيدية، ويؤمن بوحداية مبدىء الوجود، ويعلن عن براءته في يوم القيامة من شرك المشركين وكفر الكافرين،<sup>(١)</sup> ولكنه عصى أمر ربه فخرج بذلك من صفوف الموحدين.

إنّ العبادة خاصة بالله، وليس لأحبّ عباد الله إليه نصيب من هذه العبادة، بل هم أيضاً يتعيّن عليهم عبادة الله. وانطلاقاً من هذا فقد لفت القرآن الأنظار إلى هذه القضية بشأن الأنبياء، وهي أنّ إنزال الكتب السماوية عليهم، وجعلهم حكّاماً بين الناس، وإعطاءهم منصب النبوة، لا يبيح لهم أبداً أن يأمرؤا الناس بالعبودية لهم إلى جانب عبادة الله: ﴿مَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ...﴾<sup>(٢)</sup>

جاء في بيان شأن نزول هذه الآية أنّ أبا رافع القرظي اليهودي، جاء برفقة رئيس وفد نصارى نجران إلى رسول الله ﷺ وقالوا له: أتريد يا محمد أن نعبدك وتتخذك إلهاً؟ فقال: معاذ الله أن أعبد غير الله أو أمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني.<sup>(٣)</sup> ربّما تكون الآية بشأن النصارى الذين قالوا بألوهية عيسى عليه السلام، كما ورد ذلك في تفسير علي بن إبراهيم القمي: إنّ عيسى لم يقل للناس إني خلقتكم فكونوا عباداً لي من دون الله، ولكن قال لهم: كونوا ربّانيين.<sup>(٤)</sup>

١- سورة ابراهيم (١٤)، الآية ٢٢.

٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ٧٩.

٣- الواحدي، اسباب النزول، ص ٨٠ وإيضاً: الطبرسي، مجمع البيان، ج ١، ص ٤٦٦، ذيل الآية.

٤- علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج ١، ص ١٠٦.

لقد نهى القرآن صراحة عن اتخاذ الأنبياء أرباباً: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. (١)

عند إلقاء نظرة إجمالية على آيات القرآن الكريم تتضح أمامنا هذه الحقيقة، وهي أن دعوة الأنبياء تركّز بشكل أساسي على توحيد الله، و توحيدِهِ في العبادة معناه اجتناب الشرك وإطاعة الله وحده، وخشيته: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ \* أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾. (٢)

إنّ التوحيد يعني محاربة الآلهة المزيفة والأصنام المُنْتَحَلَة التي وضعها الطغاة للناس بهدف استعبادهم. ﴿... أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً...﴾. (٣)

يمكن القول بإيجاز: إنّ هدف الأنبياء هو نشر توحيد الله في العبادة و محاربة منتحلي الألوهية من دون الله: ﴿وَ اسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾. (٤)

هناك في عالم الوجود أناس و كائنات لهم مكانة مرموقة، و منزلة مقربة عند الله، و قد جعل الله لهم مكانة كريمة بين الناس، و دعاهم إلى احترامهم و تكريمهم. و لعلّ هذه المكانة تبلغ أحياناً حدّ الأمر بالإيمان بهم مع التهديد بشديد العقاب لمن يكفر بهم. و رغم كل ذلك فإنّ تكريمهم و احترامهم لا ينبغي أن يبلغ مرحلة عبادتهم، فهذا يتنافى مع التوحيد. و يجب أن يكون تكريمهم و حتى التوسّل بهم في الحدّ الذي أذن به الله. و قد كشف القرآن الكريم و عند حديثه عن أهل الكتاب و ما كانوا يطلقونه من تقولات اعتباطية بشأن أنبيائهم، عنّفهم على غلوهم فيهم و قولهم غير الحق بشأنهم، و جعلهم في مكانة أعلى ممّا أراد الله لهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ...﴾. (٥)

١- سورة آل عمران (٣)، الآية ٨٠.

٢- سورة نوح (٧١)، الآيتان ٢ و ٣.

٣- سورة الأنعام (٦)، الآية ٧٤.

٤- سورة الزخرف (٤٣)، الآية ٤٥.

٥- سورة النساء (٤)، الآية ١٧١.

جاء في رواية أن رجلاً جاء إلى رسول الله و قال له: يا رسول الله، نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض؟ أفلا نسجد لك؟ فقال: لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله»<sup>(١)</sup>.

لقد كان الأنبياء والأولياء مطيعون لله أكثر من غيرهم، وكانوا في هذا المضمار مثلاً و قدوة يحتذي بهم الناس. وكانوا يصفون أنفسهم بأنهم عباد لله، و يفتخرون بذلك. وكان الأنبياء يحذرون أشد الحذر من أن يقول فيهم الناس بأكثر مما يتصفون به، وكانوا يجتنبون؛ بل و يتبرأون من أي عمل يضعف نوازع التوحيد في نفوس الناس، و يعود عليهم ولو بشائبة من شوائب الشرك.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يهلك في اثنتان و لا ذنب لي: مُحِبٌّ مفطر، و مبغض مفطر. و إنا لنبرأ إلى الله عزوجل ممّن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدنا كبراء عيسى ابن مريم عليه السلام من النصارى. قال الله عزوجل: ﴿وَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ و قال عزوجل: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾. و قال أيضاً: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾. فمن ادعى للأنبياء ربوبية أو ادعى للآئمة ربوبية أو نبوة، أو لغير الآئمة إمامة، فنحن براء منه في الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

و خلاصة الكلام: إن التوحيد في العبادة على قدر عظيم من الأهمية، بحيث إن الله عزوجل أوصى به و أكد عليه في آيات عديدة من القرآن الكريم، و حذر عباده من عصيان أمره و اتخاذ إله آخر بدلاً منه. لقد بينت الآيات المعيار الذي يُعرف به المعبود الحقيقي الذي يمكن للناس عبادته على أساس الإدراك الصحيح والفهم السليم، و من ذلك أن يكون بيده الخلق و الرزق، و أفعال العباد، و إجابة دعوة المضطرين، و هداية العباد، و الرحمة، و القدرة على الخلق الأول، و الإماتة و البعث<sup>(٣)</sup>.

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٦٢.

٢- المصدر السابق، ج ٢٥، ص ١٣٤ و ١٣٥، الحديث ٦؛ و ص ٢٧٢، الحديث ١٧.

٣- سورة النمل (٢٧)، الآيات ٦٠-٦٥.

## أفعال الله

### نظام فعل الله

أفعال الله رهينة بإرادته. فمتى ما أراد لشيء أن يكون فإنه يكون و يتحقق في عالم الوجود: ﴿... وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. (١) فلو شاءت إرادة الله تحقق شيء لا يمنعها مانع، وكل ما يقع إنما يقع بإذنه وإرادته: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ...﴾، (٢) ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾، (٣) ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً...﴾، (٤) ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ...﴾. (٥)

لا يستعين الله بشيء على تحقيق مشيئته، ولا شيء يثنيه عن تحقيق إرادته. وفعله في إيجاد العالم لا يتجاوز لحظة واحدة: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾. (٦) وفعله عز وجل لا يقتصر على خلق المخلوق وتركه، وإنما يتولى تدبير شؤونه لحظة بعد أخرى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾. (٧) في الرؤية التوحيدية تخضع جميع الأمور في العالم لمشيئة الله، ولا يتحقق شيء منه بدون إرادته، بل حتى أفعال العباد كذلك: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ...﴾. (٨)

وفعل الله محيط بكل شيء بما في ذلك الأسباب والعلل، وهي لا تؤثر إلا أن يشاء الله. ورغم أن العلة علّة، غير أن موجدتها هو الله ولا استقلاليتها لها. وهذا ما يجعل كل شيء مرجعه إلى الله. ومع أن الكلام يدور أحياناً حول العلل المادية وغيرها، أو حول الموكلين

- |                                 |                                  |
|---------------------------------|----------------------------------|
| ١- سورة البقرة (٢)، الآية ١١٧.  | ٢- سورة الأعراف (٧)، الآية ٥٨.   |
| ٣- سورة البقرة (٢)، الآية ١٠٢.  | ٤- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٤٥. |
| ٥- سورة التغابن (٦٤)، الآية ١١. | ٦- سورة القمر (٥٤)، الآية ٥٠.    |
| ٧- سورة الأنعام (٦)، الآية ١٠٢. | ٨- سورة الأنفال (٨)، الآية ١٧.   |

بإدارة شؤون هذا العالم كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ...﴾<sup>(١)</sup> و لكن في الوقت ذاته يُنسب هذا العمل إلى الله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...﴾<sup>(٢)</sup>.

## دور الموكِّلين

جاء في الآيات والروايات ذكر موجودات باسم الملائكة، وهم يقومون بما يفوضه الله إليهم من أعمال. فجبرائيل مكلف بإبلاغ الوحي من الله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾<sup>(٣)</sup> و ميكائيل يتولَّى الأرزاق، وإسرافيل ينفخ في الصور و يتكفل بمهمة إحياء الأموات يوم القيامة، و عزرائيل يقبض الأرواح: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ...﴾<sup>(٤)</sup>.

و هناك ملائكة يدورون حول عرش الله و يذكرونه و يسبحونه: ﴿وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِقِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...﴾<sup>(٥)</sup> و الملائكة لا يرتكبون إثماً أو معصية: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ...﴾<sup>(٦)</sup>.

إنَّ الله عزَّ وجلَّ يتولى شؤون العالم بنفسه، و لكنه يسيِّرها بأسبابها و عللها. و هناك موكِّلون -سواء من الموجودات المادّية أو المجرّدة- يؤدّون ما يوكل إليهم من أعمال، و لكن ذلك كلّه يجري بإذن الله. و هذا عين التوحيد.

## اللّوح المحفوظ و لوح المحو و الإثبات

في إدارة شؤون العالم هناك نوعان من الألواح و الصحف التي تسجّل فيها الأعمال، أحدهما اللوح المحفوظ و هو ما لا يمكن تغيير ما يسجل فيه، و يأتي وفقاً لعلم الله بمجريات الأمور، و الآخر هو لوح المحو و الإثبات، و هو ما قد يُسجّل فيه شيء، ثم يُمحى لاحقاً بسبب بعض المتغيّرات أو المستجدّات. إنَّ الله تعالى يدبّر شؤون هذا الكون وفقاً

١- سورة السجدة (٣٢)، الآية ١١.

٢- سورة البقرة (٢)، الآية ٩٧.

٣- سورة الزمر (٣٩)، الآية ٦٦، الآية ٦.

٤- سورة الزمر (٣٩)، الآية ٧٥.

٥- سورة الزمر (٣٩)، الآية ٧٥.

٦- سورة الزمر (٣٩)، الآية ٧٥.



لسننٍ. وهذه السنن تخضع لظروف ومقتضيات. وفي العالم الإلهي تكون السنن وظروفها و مقتضياتها معلومة. و بالنتيجة لا يقع فيها تغيير. وهذا هو ما يُسمى باللوح المحفوظ. أمّا في مرحلة التطبيق فهي تخضع لظروف تبدو في الظاهر وكأنّها خاضعة للتغيير. وفي هذه الحالة يُقال: إنّ هذا اللوح يحصل فيه تبدّل وتغيير. فربّما كان من المفترض أن تقع حادثة لشخصٍ و لكنّه يقوم بعمل صالح يمنع الله تعالى به وقوعها. و بعبارة أخرى إنّ الوقائع والظواهر خاضعة لظروف قد تكون خافية عن أعين الناظرين الذين لا يرون عادة إلا ظواهر الأمور.

### قواعد أفعال الله

هل تجري أفعال الله وفقاً لقوانين و قواعد، أم تجري بغير قوانين و لا قواعد؟ وإن كانت أفعاله تجري وفقاً لقواعد مرسومة، فكيف يتناسب هذا مع تديره لشؤون الكون لحظة بلحظة، و إدارتها وفقاً لإرادته؟

يُستفاد من الآيات والروايات والأدلة العقلية أنّ الله تعالى قد خلق العالم وهو الذي يدبره، و لكنه في الوقت ذاته يعتمد الأسباب في أفعاله؛ أي إنّه يجربها وفقاً لسنن و قواعد. فهناك في القرآن عدّة آيات تتحدث عن سنن إلهية. و حدّث في آيات عديدة أقواماً من سريان السنن والقوانين الكونية عليهم. ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَ إِنْ يَعودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١).

هذا العالم يجري بأسباب و علل، و في الوقت ذاته فإنّ الله هو المدبّر الأصلي لهذا الكون. جاء مثلاً في القرآن الكريم حول إنزال المطر ما يلي: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَ يَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ (٢). و من أمثلة ذلك أنه عندما يجري الكلام عن إنزال المطر، ينسب الله هذا العمل إلى نفسه، و لكن في الوقت ذاته يحصل ذلك عن طريق إرسال الرياح والغيوم: ﴿وَ أَرْسَلْنَا الرِّيحَ

١- راجع: سورة الأنفال (٨)، الآية ٣٨ و سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٦٢.

٢- سورة الروم (٣٠)، الآية ٤٨.

لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿١﴾

و هذا يعني أنّ كل شيء يجري في هذا الكون وفقاً لقانون العليّة، و بما يتماشى مع إرادة و تدبير الله.

### هدفية أفعال الله

لا يمكن افتراض هدف لأفعال الله من الجانب الفاعلي؛ أي لا يمكن القول: إنّ الله فعل هذا الفعل رغبة في شيء؛ لأنه في مثل هذه الحالة يظهر وكأنّ هناك شيئاً خارجاً عن ذات الله و يريد الحصول عليه. و هذا طبعاً لا يتفق مع غنى الله، و لكن لأبّد و أن يكون هناك هدف لكلّ فعل من أفعاله على اعتبار أنها صادرة من خالق حكيم. و لا يمكن أن تكون عبثية. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ (٢) و هذا يعني أن لا تأتي أفعاله عن عبث أو تكون خالية من هدف: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ... وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٣).

### مشيئة الله

لقد خلق الله المشيئة قبل أن يخلق الأشياء. ثم إنّ جميع الوقائع والأحداث في العالم رهينة بمشيئة الله. روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة» (٤) و هذا يعني أنّ أفعال الله تأتي وفقاً لتخطيطه، و هذا التخطيط هو الذي يتحقق و يظهر إلى العالم الخارجي.

### القضاء والقدر

القضاء في اللغة: بمعنى الفصل والبت. و تستعمل هذه الكلمة بكثرة في حالات التحكيم؛ لأنّ الاختلافات يُبتّ فيها بواسطة القضاء، و لكن عندما تأتي كلمة القضاء مقرونة

١- سورة الحجر (١٥)، الآية ٢٢.

٢- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ١٦.

٣- سورة الأنعام (٦)، الآية ٧٣.

٤- الصدوق، التوحيد، ص ٣٣٩، الحديث ٨.

مع كلمة القدر، فهي لا تأتي بمعنى الحُكم. كلمة القضاء في القرآن تعني الإلزام والتشريع<sup>(١)</sup> تارة، و بمعنى الحكمية والتحكيم تارة أخرى.<sup>(٢)</sup> و بمعنى الظروف والعلل في موارد أخرى،<sup>(٣)</sup> كما تأتي أيضاً بمعنى الانتهاء والإتمام.<sup>(٤)</sup> و أكثر ما ورد استعمال هذه الكلمة و مشتقاتها في القرآن بمعنى القطع والبتّ ﴿وَ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.<sup>(٥)</sup> ﴿... وَ لَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ...﴾.<sup>(٦)</sup> والقضاء الإلهي يعني البتّ في أمر من قبل الله.

و أمّا كلمة القدر: فتعني الكمية والقياس. والقدر الإلهي بمعنى حدود الأشياء بالنسبة إلى ذات الله ﴿وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾.<sup>(٧)</sup> جاء في رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام قال فيها: القدر تقدير الشيء من طوله و عرضه، والقضاء الإمضاء<sup>(٨)</sup> والفارق بين القضاء والقدر هو أنّ القدر تهيئة المقدمات، و توفيرها، و أمّا القضاء فهو العلة التامة لحصول الأشياء، و يفيد معنى حتمية وقوعها. و مثل هذا التقدير يشمل كلّ شيء<sup>(٩)</sup> و ظواهر خاصّة كالشمس<sup>(١٠)</sup> والقمر<sup>(١١)</sup> و نزول المطر<sup>(١٢)</sup> و غيرها، كما يشمل أيضاً أفعال الإنسان و حوادث العالم. و التقدير هو قدر كل شيء جعله الله لها. و التقدير له مقدّمات، و من المحتمل أن يتغيّر فيما إذا تعيّرت المقدمات. نذكر من ذلك مثلاً: إنّ الصدقة، و الدعاء، و الإحسان، و صلة الرحم توجب إحداث تغييرات في التقدير. و مرتبة التقدير سابقة لمرتبة القضاء. و كل عمل يُقاس في البداية و تُعَيّن مقاديره ثم يُتخذ القرار النهائي بشأنه.

إنّ القضاء والقدر كما - جاء في الروايات - طريق مظلم و بحر عميق لا ينبغي الغوص فيه. نقل الصدوق عليه السلام رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيها: أنّ رجلاً جاءه و سأله عن القدر. فقال له الإمام: بحر عميق فلا تلجه. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال عليه السلام: طريق

١- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٢٣.

٣- سورة البقرة (٢)، الآية ١١٧.

٥- سورة البقرة (٢)، الآية ١١٧.

٧- سورة الفرقان (٢٥)، الآية ٢.

٩- سورة القمر (٥٤)، الآية ٤٩.

١١- سورة يس (٣٦)، الآية ٣٩.

٢- سورة غافر (٤٠)، الآية ٢٠.

٤- سورة القصص (٢٨)، الآية ٢٩.

٦- سورة هود (١١)، الآية ١١٠.

٨- الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٥٠، الحديث ١.

١٠- سورة يس (٣٦)، الآية ٣٨.

١٢- سورة المؤمنون (٢٣)، الآية ١٨.

مظلم فلا تسلكه. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. قال عليه السلام: سرّ الله فلا تكلفه. (١)

يمكن القول بشكل عام: إن الله وضع خطة لعباده حسب مشيئته اسمها القدر. وجعل لهم مقدرات تتناسب مع روح وجسم كل واحد منهم؛ ليفهموا كيف يتدبرون أمرهم، و يعلموا أنهم ليسوا خارج دائرة الإرادة الإلهية.

روي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: إنَّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير جسد لا تحسّ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعاً قوياً وصلحاً، وكذلك العمل والقدر، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يُعرف الخالق من المخلوق، وكان القدر شيئاً لا يُحسّ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض و لم يتم، ولكنهما باجتماعهما قوياً. (٢)

يتعلق كل من القضاء والقدر بالعلم الإلهي المسبق بالأشياء. والعلم الإلهي إن كان يخصّ وجود و ظهور الأشياء فهو قضاء، وإن كان يتعلق بحدودها و مقاديرها فهو قدر. و وفقاً لهذا المعنى، فإن كل ما ينبغي أن يقع في العالم يقع و لامناص منه.

و أعمال الإنسان غير مستثناة من هذه القاعدة. و من هنا تأتي شبهة مفادها: أن الإنسان مجبور في أفعاله و لا إرادة له.

جاء في كتاب الكافي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفين، إذ أقبل شيخ فجتا بين يديه، ثم قال له: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله و قدر؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أجل يا شيخ، ما علوتم تلعة و لاهبطتم بطن وإلا بقاء من الله و قدر، فقال له الشيخ: عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين؟ فقال له أمير المؤمنين: مع من يا شيخ! فوالله لقد عظم الله الأجر في مسيركم و أنتم سائرون، و في مقامكم و أنتم مقيمون، و في منصرفكم و أنتم منصرفون، و لم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين و لا إليه مضطرين. و كان بالقضاء والقدر مسيرنا و منقلبنا و منصرفنا؟ فقال له: و تظن أنه كان قضاء حتماً و قدراً لازماً؟ إنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر

١- الصدوق، التوحيد، ص ٣٦٥، الحديث ٣. ٢- الصدوق، التوحيد، ص ٣٦٦ و ٣٦٧، الحديث ٤.

والنهي، والزجر من الله، وسقط معنى الوعد والوعيد، فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمداً للمحسن، وكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن، وكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمن و حزب الشيطان و قدرية هذه الأمة و مجوسها. إن الله تبارك و تعالى كلف تخبيراً، و نهى تحذيراً، و أعطى على القليل كثيراً، و لم يعص مغلوباً و لم يطع مكرهاً، و لم يملك مفوضاً و لم يخلق السماوات والأرض و ما بينهما باطلاً، و لم يبعث النبيين مبشرين و منذرين عبثاً، ذلك ظن الذين كفروا.<sup>(١)</sup>

### هل يمكن تغيير القدر؟

إن كان القدر الإلهي حتمياً و لا بد من وقوع ما كان قد رسمه الله، فما فائدة الدعوة إلى أعمال الخير كالصدقة والدعاء، و ما تأثير ذلك في العالم؟ و إن كان التقدير الإلهي واقعاً لا محالة، فلا ينبغي أن يمد المرء يده بالدعاء؟ جاء في القرآن الكريم: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.<sup>(٢)</sup> يُستفاد من هذه الآية أن الله قد يغير مقدرات العالم و الناس، فقد جاء حول قوم النبي يونس عليه السلام ما يلي: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾.<sup>(٣)</sup> و يفهم على أساس هذه الآية أن قوم يونس عليه السلام كانوا قد حكم عليهم بالعذاب، و لكنهم دفعوا العذاب الإلهي عن أنفسهم بالتوبة. فمثل هذا التغيير الظاهري يفيد أن ما فهم حسب الظاهر أنه قضاء لم يكن قضاءً منذ البداية، و أن التغيير الذي حصل كان مرسوماً منذ البداية. و مثله في ذلك كمثل تحذيرات الأب لابنه أو المعلم للتلميذ من عدم النجاح! و سيكون مصيرك الفشل! و هذه التحذيرات للابن و للتلميذ هدفها الحث على الدراسة و ليس الإخبار عن حتمية الفشل.

إن حتمية التقدير بشأن الإنسان تتوقف على ظروف و أمور أخرى أيضاً، منها الاختيار المتاح له؛ أي إن القضاء الحتمي يتقرر من قبل الله و من قبل صاحب الاختيار كالإنسان.

١- الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٥٥، الحديث ١. ٢- سورة الرعد (١٣)، الآية ٣٩.

٣- سورة يونس (١٠)، الآية ٩٨.

من ذلك مثلاً إن قوم يونس عليه السلام كان قد حكم عليهم بالعذاب حسب الظاهر، و لكنهم لم يصروا على التمسك بالظروف التي خلقوها، ولو أنهم كانوا قد قطعوا بما عزموا عليه لكان قد جرى عليهم القضاء المحتم. وهذا يعني أن وعيد الله بعذاب الكافرين والمذنبين والمكذّبين بالله والمعاد قد يتغير - إذا غير العباد ما بأنفسهم - وينجون من العذاب.

### هل الإنسان مجبر؟

إن عزم الإنسان على شيء ثم نقضه لما عزم عليه، وما يستجد لديه من تحولات فكرية وسلوكية، و ما يعرض في عالم الوجود من متغيرات و منعطفات بشأن الإنسان، يدل على أن الإنسان حرّ مختار، و هو يقدم بإرادته على ما هو حسن أو قبيح من الأعمال.

و رغم هذا الواقع، هناك سؤال حول مدى اختيار الإنسان، و هو: إن كان الله قد قدر في علمه وقوع شيء، فلا بد أن يقع. و إن لم يقع فهو خلاف لعلم الله. و من جانب آخر، إن كل ما يقع في العالم هو من تقدير الله و بقدرته. و مع أن تحقيق الإرادة الإلهية يأتي عن طريق أسباب، بيد أن ذلك يمثل في نهاية الأمر: إرادة الله، و لا يمكن أن يجري ذلك لولاها. و في ضوء هاتين المقدمتين، أي يمكن القول بعد ذلك: إن الإنسان موجود مختار؟

إن كان ما سلف من علم الله هو الذي خلق كل شيء و من جملة ذلك الإنسان، فهذا شيء لا ريب فيه. إذ من غير الممكن خلق شيء من غير علم حتى و إن كان صغيراً، فما بالك بهذا الكون الهائل الذي نعيش فيه. و من الطبيعي أن خلق موجود عظيم كالإنسان يدخل ضمن هذه القاعدة، و لكن هل العلم يوجب الجبر في سلوك الإنسان، فهذا موضع تأمل. فإن كان علم الله لا يتغير فلا بد أن تتحقق الحادثة المقررة في علم الله، و إلا فمعنى ذلك أن علم الله يصبح في مرحلة التطبيق جهلاً، و لكن ينبغي الالتفات إلى أن علم الله لا يعني أن الإرادة الإلهية قد قررت مسبقاً أن يكون بنو الإنسان مجرد آلات مسيرة و لا إرادة لهم، مثل أية قطعة من قطع السيارة التي تتحرك بسبب حركة القطع الأخرى، و لكن الإنسان ليس على هذه الشاكلة. فهو منذ أن جُبلت طبيئته الأولى أودع الله فيه المقدره على أن يكون ذا تصميم وإرادة.

و رغم أن الإنسان يعيش كالموجودات الأخرى في سياق القوانين الخاصة السارية في هذا العالم و لا يمكنه الخروج من سلطتها، ولكنه رغم ذلك تابع لتكوينه الذاتي. فقد أودعت في الإنسان قدرة على اتخاذ القرار، والتراجع عنه، واختيار واحد من عدة خيارات، و بعد الاختيار يمكنه إعادة النظر في ما وقع اختياره عليه.

و بعبارة أخرى: جُبل الإنسان وفقاً لعلم الله الأزلي على القدرة على اتخاذ القرار، وعلى العزم والإرادة مع إعادة النظر في ما عزم عليه. فالإنسان لا يستطيع التحرك خارج دائرة نظام الوجود، بحيث يستطيع فعل كل ما يشاء من غير أن تحدّه قيود، و لا هو مسلوب الإرادة بحيث يمكن تسييره كما يُسيّر الحجر.

و عمل الإنسان معلول لإرادته واختياره، رغم أن إرادته جزء من عالم الوجود، و كل نظام رهين بإرادة الله الأزلية.

إن قضاء الله حتمي لا تبديل له، و لكن ليس من الواضح ما هو المصير الذي يؤول إليه كل موجود. و رغم أن قضاء الله حتمي، و لكن بما أن التقديرات خاضعة لمختلف علل عالم الطبيعة، و هذه العلل غير معدودة بحيث يمكن القول: إنَّ حادثة معينة ستقع بفعل تأثير عامل أو عدة عوامل. فكل ظاهرة في الوجود، خاضعة لعللها و أسبابها، و قد تكون لها أنواع من العلل والأسباب. و وقوع الحادثة الواحدة لا يمكن عزوه إلى سبب واحد أو عدة أسباب. و قد تكون للحادثة عدة أنواع من العلل الناقصة غير المعروفة؛ أي أن يكون للمقادير المتفاوتة تأثيرها في تكوينها وإيجادها. فقضاء الله في وقوع الحادثة حتمي و لكن تقديره ليس كذلك؛ أي لا بدّ من تظافر الأقدار لوقوع أمرٍ ما، و عندما تتحقق كلها تقع الحادثة، ويُعرف حينذاك أن القضاء الإلهي أراد لها الوقوع. و لعلّ هذا هو ما يُفسّر لنا ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام حين قام من تحت الحائط المائل، حيث نُقل أنه كان جالساً إلى جانب حائط مائل فنهض من هناك. فقيل له: أتفرّ من قضاء الله؟ قال: أفر من قضاء الله إلى قدر الله عزّ وجلّ. <sup>(١)</sup> فسقوط الحائط كان قضاءً محتملاً، و هو الذي جعله يفرّ منه.

١- الصدوق، التوحيد، ص ٣٦٩، الحديث ٨.

و على هذا الأساس فإن كل ما يقع يقع، بقضاء الله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الإنسان محيط بأفعاله، وهو إذا أراد شيئاً و فعله تتحقق إرادته، وتقع الحادثة. والحقيقة هي أن إرادة الإنسان تشكل أيضاً جزءاً من قضاء الله وقدره. وأما علم الله الأزلي بالأمر فهو علمه بالنظام، ومن جملة النظام صدور الأفعال من الفاعل المختار. الواقع يظهر لنا بكل جلاء أن القضاء والقدر لا يجبران الإنسان على شيء. فلو كان الإنسان -بموجب القضاء والقدر- مجبوراً على فعل شيء، لما أنزل الله كل هذه الآيات، ولما دعا إلى الإيمان والعمل الصالح، ولما حذر من جهنم وعذابها. فقد ورد في القرآن الكثير من التحذير لبني الإنسان، كما ورد فيه الكثير من البشائر. وهذا ما يدل بكل وضوح على أن للإنسان دوراً أساسياً في رسم وصياغة مصيره: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً \* إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً﴾<sup>(٣)</sup>.

### لا جبر ولا تفويض

إذا كان الله لا يجبر العباد على فعل شيء معين، فهو تعالى مع ذلك لا يفوض إليهم كل شيء. فالكون وكل ما فيه - ومنه الإنسان - خاضع لتدبير الله، ولكن هذا التدبير ليس على النحو الذي يجعلهم مسيرين لإرادة لهم. وإنما أفعال العباد تجري بإرادتهم، وكذلك بإرادة وقدرة الله. أي أن إرادة العبد تقع في طول إرادة الله.

ورد في حديث شريف: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين». <sup>(٤)</sup> حقيقة الجبر هي إرغام العبد على فعل شيء من غير أن تكون له فيه إرادة. وحقيقة التفويض هي أن الله غير قادر على التأثير في عمل الإنسان، أي أن الإنسان متروك وشأنه. في حين أن الواقع

١- سورة التغابن (٦٤)، الآية ١١.

٢- سورة الأنفال (٨)، الآية ٥٣.

٣- سورة الإنسان (٧٦)، الآيتان ٢ و ٣.

٤- الكلبيني، الكافي، ج ١، ص ١٦٠، الحديث ١٣؛ الصدوق، التوحيد، ص ٣٦٢، الحديث ٨.



ينم عن شيء آخر. فبالتزامن مع عزم الإنسان على فعل شيء، هناك أيضاً إرادة الله التي لها تأثيرها في فعل الإنسان. والدليل على وجود إرادة الإنسان هو قدرته على ترك ذلك العمل. وأما الدليل على وجود وتأثير إرادة الله فهو أن الإنسان كثيراً ما يعزم على القيام بعمل، ولكن تحصل موانع تننيه عن تنفيذ إرادته. وهذا ما يكشف عن وجود إرادة أخرى فوق إرادة الإنسان. وهو ما يعبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «عرفتُ الله سبحانه بفسخ العزائم و حلّ العقود و نقض الهمم». (١) فلو لم تكن هناك إرادة أخرى، لماذا لا تتحقق كل رغبات الإنسان وإراداته؟ وفي هذا السياق ورد حديث نقله الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حول أفعال العباد ومشية الله، قال فيه ما يلي: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ فَقَدْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِغَيْرِ مَشِيَّةِ اللَّهِ فَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهَ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَعَاصِيَ بِغَيْرِ قُوَّةِ اللَّهِ فَقَدْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ». (٢)

### الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر من المعتقدات الإسلامية. فقد روى أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِقَدْرِي فَلْيَلْتَمِسْ إِلَهًا غَيْرِي». (٣) وفي الوقت ذاته قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فِي كُلِّ قَضَاءٍ لِلَّهِ خَيْرَةٌ لِلْمُؤْمِنِ». (٤)

للإيمان بالقضاء والقدر صورة ظاهرة وهي عبارة عن الاعتقاد بأن كل ما يقع للناس في هذا العالم يأتي بقضاء الله وقدره، ولا يقع فيه إلا ما قدره الله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾. (٥)

هناك من الناس من يرى في القضاء والقدر مدعاة للتراخي والتواكل والنكول عن أداء

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٠، ص ٥١١.

٢- الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٥٨، الحديث ٦؛ الصدوق، التوحيد، ص ٣٥٩، الحديث ٢.

٣- الصدوق، التوحيد، ص ٣٧١، الحديث ١١. ٤- المصدر السابق.

٥- سورة التوبة (٩)، الآية ٥١.

الواجبات، والاستسلام للظلم. وهذا طبعاً فهم مغلوط للموضوع؛ لأنه يؤدي إلى الاستسلام للحوادث و عدم القيام بأي جهد للتحرر من الشقاء والظلم.

الملاحظة الأخرى بشأن عقيدة القضاء والقدر هي أنّ الإنسان يجب أن يعلم بأن نظام الكون يسير على قوانين، ولا بدّ لهم من صياغة أفعالهم وفقاً لهذه القوانين، ولا يتصورون أنهم متروكون سدى، وهو ما يعني بالنتيجة أنهم يستطيعون فعل ما يشاؤون، بل هناك السنن الإلهية. إنّ القضاء والقدر يبعث في النفوس الأمل بأن الله رقيب على كل ما يجري في هذا العالم، وأنه لا مفرّ لأحد من قضاء الله، وأنه يستطيع فعل ما يشاء.

وفي ضوء هذه الرؤية يسعى الإنسان إلى تحقيق إرادته، وإصلاح الفاسد من الأمور والقضاء على الظلم من غير أن يشعر بأنه حرّ يفعل ما يشاء.

ولاشكّ في أنّ التسليم للقضاء والقدر لا يعني أبداً الإحجام عن القيام بأي عمل، انطلاقاً من التصور بأن كل شيء يجري وفقاً لما قُدّر وكُتِب من قبل، وهو ما يعني بالنتيجة أنه مجرد من التأثير.

## الشُرور

هناك الكثير من مظاهر الشر التي تصيب بني الإنسان كالعاهات، والمرض، والفقر، والوقوع في البلاء، والوقوع فريسة لظلم الظالمين، والموت، والمصائب الأخرى، وما إلى ذلك. وهذه قضية ذات أهمية كبيرة لبني الإنسان، وتشغل أفكارهم على الدوام. فما هو مصدر كل هذه الحوادث والظواهر المؤلمة والمربرة؟ فهل إنّ إرادة الله قضت أن يعيش الناس في البأساء والضراء ولا يذوقوا طعم السعادة؟

يمكن إخضاع قضية الشرور للبحث من جانبين: أحدهما أن يُعزى الشر إلى الله. ولكن هذا لا ينسجم مع ما يتّصف به سبحانه من حكمة وعدل. وأمّا الجانب الثاني فهو هل الفقر والشر والآلام والأمراض من صنع الله أم لا؟ فإن كان الجواب نعم، فلأي شيء خلق الله هذه الأمور؟

نحن نشاهد بعض الناس يعيشون في شقاء و تعاسة و بلاء، بينما يعيش آخرون في رغد

و نعمة و رفاه و رغم كل ذلك فإنّ بعضاً منهم جاحد لنعم الله. فعلى أي شيء يدل وجود مثل هذه الأمور في العالم؟ وكيف يمكن تبرير وجودها؟ لا بدّ طبعاً من إيجاد تبرير لوجود هذه الشرور في العالم.

و لغرض تسليط الضوء على هذا الموضوع، نبيّن الأمور التالية:

١- النظام الذي نعيش فيه هو أفضل نظام ممكن لهذه الحياة، إذ يتجلّى فيه جمال الباري عزّ وجلّ. فقد خلق الله العالم و جعل لكل شيء ما يتناسب معه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى \* الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾. (١) إذ إنه خلق كل شيء جميلاً: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾، (٢) و هو أحسن الخالقين. (٣) فالله جميل و قد جعل العالم تجلياً لجماله.

٢- ما يفعله الله يأتي بناءً على مقتضيات الحكمة. و كل ما يصدر عن الحكيم لا قبح فيه و لا زلل. و بما أنّ الشر شيء غير صحيح، فهو لا ينطوي على مصلحة ذاتية، فلا وجه لايجاد الشرّ و العادة.

٣- الخير و الشر أمران نسبيّان. بمعنى أنّ الشيء عندما يُقاس بشيء آخر، تُستنتج أوجه تفاوت يرى الإنسان بعضها خيراً و يعتبر البعض الآخر منها شراً. ثم إنّ الحديث عن الشرور لا يكون إلّا في المواضع التي يُرتجى فيها خير.

إنّ كل شر يمكن أن يُطرح إلى جانب الخير. و إن انعدم وجود الخير يحصل تصوّر بأنّ هناك شراً. و الشر نفسه حصيلة لوجود الخير. و لا يمكن تصوّر موضع يكون فيه شر بدون وجود الخير.

٤- المادة التي يتألّف منها العالم لها مقتضياتها. و لا بدّ أن تتبدّل أحوالها لكي تسير نحو التطوّر و الكمال، و لا يحصل أي تكامل في هذا العالم من غير تبدّل و تحوّل، و هذا الكوّن لا ينسجم مع الثبات، و إنّما شأنه الحركة. و عندما يكون الشيء في حركة دائمة فلا بدّ أن تقع في أثناء ذلك أمور تبدو في الظاهر شراً. و يفهم من خلال النظرة الكلية أنه ما لم يكن هناك شر لا يتحقق الخير. و إذا لم تعرض على المادة عوارضها فهي تفتقد لخاصيّتها المادية.

٢- سورة السجدة (٣٢)، الآية ٧.

١- سورة الأعلى (٨٧)، الآيتان ١ و ٢.

٣- سورة المؤمنون (٢٣)، الآية ١٤.

وعندما يعرض لها ذلك تواجه حالة من الزيادة والنقصان. وهذا الأمر يوصف بأنه شرٌّ. وإذا أُريد للمادة أن تقدّم شيئاً فلا بد أن يحصل فيها نوع من التبدّل، والتبدّل يفرز حالات من الزيادة والنقصان، وهذا هو ما يُسمّى بالشرور. والمادة التي تنشأ منها الموجودات الطبيعية ذات قدرات، و يصاحبها أحياناً نقصان، ولا بد أن يحصل فيها تحوّل لفقد شيء. وإلى جانب هذا التبدّل يُسمّى ما يُفقد شرّاً. وإذا كان هناك تصوّر بان المادة لا ينبغي أن تفقد شيئاً عند الصيرورة لكي لا يقع شر، فهذا التصوّر خلاف لماهية المادة. ولو ان مثل هذا الشيء لا يحصل لما تحقق أي تكامل في عالم المادة، وهذا بحد ذاته شرٌّ أعظم.

و على أية حال فإن عالم الطبيعة هو عالم التدرّج والحركة. وفي مثل هذا العالم لا بد أن تقع تبدّلات في المادة لكي تطوي الطبيعة مسارها الصحيح و تصل إلى الوضع المطلوب. وفي خضم عملية التبدّل والتغيير تُفقد أشياء و تُكسب أشياء أخرى غيرها. و ما يُفقد يُحسب شرّاً بالمقارنة مع ما يُكتسب، ولكن للخير المكتسب أهمية يهون إلى جانبها الشرّ الحاصل.

٥- هناك بين الموجودات أوجه من التفاوت والاختلاف ناتجة عن طبيعتها، و على أساس الدور المرسوم لكل واحد منها في هذا الوجود. و لا يمكن أن تكون الأشياء متساوية أو على نمط واحد لأنّ ذلك يعني توقف كل شيء وهلاكه. و في الكثير من المواقف ربّما يُعزى الشر إلى وجود هذه الاختلافات أو عدم التساوي.

فهناك تصور بأنه لا ينبغي أن تكون بعض الموجودات أضعف من غيرها. و يمكن القول بإيجاز: إنّ العلة المادّية لبعض الكائنات، والعلة الغائية لبعضها الآخر، هو الذي أدى إلى ظهور فوارق و تفاوت بينها. و هذا عين الحكمة.

و على هذا الأساس فإنّ بعض الشرور منبثقة من طبيعة العالم و ناجمة عن حركته. والحقيقة أنّها ليست ذات أهمّية بالقياس إلى الخير الذي يتمخض عنها.

إنّ بعض الشرور ناتجة عن السلوك غير الأخلاقي لبني الإنسان، و متأثّية عن الاختيار والقدرة المغروسة في ذات كل واحد منهم. و من الطبيعي أن يحصل تعارض و تراحم بين الناس عند سعي كل واحد منهم لتحقيق أهدافه و غاياته، و هو ما يؤدّي بالنتيجة إلى طمس

الحق وإزهاقه، ولكن بعض الشرور هي في الواقع ليست إلا في النظرة العرفية، كالموت الذي ليس فيه شر بحدّ ذاته.

و يمكن القول بإيجاز: إنّ كل ما خلقه الله يتسم بالحكمة. أمّا الشر فهو شيء نسبي و ناتج عن طبيعة الأشياء، و ملازم لحركتها نحو الغاية التي خلقت لها. و أمّا الشر الناتج عن التراحم بين مصالح الناس، فهو ممّا لا يرتضيه الله، و قد شرّع سبحانه الأحكام والقوانين للحيلولة دون وقوعه.

# النبوة

## الحاجة إلى الدليل والهداية

الإنسان لا يملك إلا قدرة محدودة لمعرفة كل جوانب هذه الحياة الطويلة الحافلة بالمنعطفات. وعلى صعيد آخر فقد خلق الإنسان وهو يحمل بين ثناياه الكثير من الميول والرغبات. وهذا ما جعل منه مخلوقاً متميزاً عن غيره من المخلوقات، ولكن جعله - في الوقت ذاته - عرضة للكثير من المخاطر. ولاشك في أنّ معرفة الطريق القويم، ووجود القدوة الصالحة من ضروريات حياة الإنسان. وعلى صعيد آخر يعتبر الإنسان كائناً اجتماعياً. ثم إنّ العيش في المجتمع واجتناب المخاطر المحتملة ممكن مع وجود الإرشاد والهداية.

إنّ العيش في الحياة الاجتماعية يؤدي إلى تعارض المصالح و تضاربها. وذلك بسبب رغبة كل إنسان في حيازة المنافع لذاته وإبعاد الضرر عن نفسه. ومن هنا فهو يعمل في سبيل تسخير الآخرين لخدمته. وهذا ما يؤدي بالنتيجة إلى ظهور الحياة الاجتماعية التي يحصل في أثنائها أحياناً اعتداء على حقوق الآخرين.

الناس يستفيدون من بعضهم عادة بشكل متبادل، وكل واحد منهم يخدم الآخرين بشكل مباشر أو غير مباشر. وإذا كان تسخير بعضهم لبعض يجري سلمياً و تعاونياً فلا تقع مشكلة، أو قد تقلص المشاكل إلى أدنى حدّ ممكن، ولكن، بما أنّ بني الإنسان متفاوتون من حيث القدرات والكفاءات والجوانب الأخرى، فمن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى أن تتمخض عن أعمالهم و نشاطاتهم نتائج متفاوتة. وعلى صعيد آخر يتسم الإنسان بصفة حبّ التفوق والتعالي. كما أنّ تقاطع المصالح يضيق المساحة المفسوحة للسلوك الاجتماعي السلمي. وهنا ينبغي البحث عن السبل الكفيلة بحصول أفراد المجتمع على

حقوقهم، و تضمن سعادتهم و تحول دون عدوان بعضهم على بعض.  
لكل إنسان من حيث كونه إنساناً حقوق، منها: حق الحياة، والحرية، واختيار العمل والسكن. و حفظ النظام الاجتماعي، و منع هضم حقوقهم، يتطلب أن يعرفوا حدود سلوكهم، و أن يسيروا في إطار القوانين المقررة لهم. و لاشك في أن القوانين الفاعلة لأداء هذه المهمة تتسم بما يلي:

- ١- أن يكون الناس مؤمنين و مقتنعين بها، و يعتبرون الالتزام بها جزءاً من واجباتهم.
  - ٢- أن تأخذ بنظر الاعتبار مصالح كل الناس.
  - ٣- أن تجعل نصب عينها جميع جوانب حياة الإنسان الدنيوية والأخروية.
  - ٤- أن تلبي تطلعات الإنسان و تستجيب لمتطلباته الأساسية.
  - ٥- أن تكون لها ضمانات تنفيذية، فضلاً عن دوافع ذاتية تنطلق من نفوس الأفراد و تجعلهم يلتزمون بأوامرها و يمتنعون عن نواهيها.
- من الممكن طبعاً تلبية قسم من هذه الخصائص بواسطة العقود الاجتماعية، أو من خلال التعويل على رأي أكثرية الناس، و لكن لا يمكن تليبيتها كلها بالعقد الاجتماعي أو برأي الأثرية.
- و فضلاً عما ذكر آنفاً لا يمكن لأحد سنّ مثل هذه القوانين للناس، إلا إذا كانت لديه إحاطة تامة بكل خصائصهم و متطلباتهم و مصالحهم. و الناس بأنفسهم غير قادرين على سنّ قوانين تراعي الخصائص التي سبق ذكرها؛ و ذلك لسببين.
- أولاً: لأنهم بمقتضى طبيعتهم محكومون بالنزعة النفعية وحبّ التفوق والاستعلاء. و من الطبيعي أن كل شخص أو جماعة تحرص على تشريع القانون الذي يخدم مصالحها الذاتية والفئوية.
- و ثانياً: إن تشريع القانون يستلزم أن يكون المشرع على معرفة تامة بكل متطلبات الإنسان و أن يأخذ بنظر الاعتبار مسبقاً الضمانات التنفيذية له، هذا فضلاً عن الوعي بعواقب تنفيذ ذلك القانون، و مدى شموليته لكل جوانب و مراحل حياة الإنسان الطويلة.

الإنسان ليس لديه اطلاع على بعض الأمور، وهناك أمور أخرى ليس لديه اطلاع تام بشأنها. نذكر من ذلك على سبيل المثال: أن الطريق إلى السعادة شيء مطلوب لدى الإنسان، ولكنّه في الوقت ذاته مجهول لديه، بل حتى لو كانت لديه معلومات وتصورات عنه، غير أنه غير واثق بها ولا متأكد منها. ولا يمكن أن يحيط بكل جوانب حياة الإنسان إلا الله. ومن الطبيعي أن يكون التشريع الصادر منه تعالى، مراعيًا لكلّ المصالح و عادلًا. وأمّا الدعامّة التنفيذية لتطبيق أحكام الله و تشريعاته فهي الإيمان القلبي بها. فكل مؤمن يشعر بالمسؤولية أمام الله و يحرص على رعاية حرمة القوانين الإلهية.

و على صعيد آخر فإنّ الله عزّ وجلّ مطلق، بينما الإنسان موجود مادي و محدود. و قد اصطفى الله من الناس أفضلهم و أخيرهم و كلّفه بمهمة إبلاغ رسالته إلى عباده، و دعاهم فيها إلى العمل بما فرضه عليهم فيها من التكاليف ليكون في ذلك ضمان لتنظيم العلاقات بينهم، و منع بعضهم من الاعتداء على حقوق الآخر منهم.

و على هذا الأساس يمكن القول: إنّ الأنبياء هم أول المشرّعين الذين كان كل واحد منهم بمثابة دليل و هادٍ لضمان تحقيق الجانب المعنوي لبني الإنسان، و كان لهم دور في مساعدتهم في تحقيق السعادة و الحياة الهانئة.

### ضرورة بعث النبيّ في المصادر الدينية

لعالم الوجود خالق حكيم، خلقه بحكمته و جعل له غاية يسعى إليها. و الكائنات في هذا الوجود تسير بانتظام و انسجام نحو الغاية التي رسمها الله لها: ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾،<sup>(١)</sup> ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.<sup>(٢)</sup> إنّ كل ظواهر الوجود ذات هدف و هي آيات الله تعالى. ففي خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار آيات لأولي الألباب.<sup>(٣)</sup> و في هذا المضمار، يتّصف الإنسان بمقدرة و مؤهلات و قدرة عالية على الفهم و الاستيعاب. كما أنّه يتّصف بحبّ الكمال و السعي إلى الحق، و اجتمعت في ذاته نوازع

٢- سورة طه (٢٠)، الآية ٥٠.

١- سورة الشورى (٤٢)، الآية ٥٣.

٣- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٩٠.



متضادة. ومثل هذه الخصائص جعلت منه موجوداً متميّزاً، ولكن هذا جعل منه أيضاً كياناً معرّضاً لكثير من المخاطر. حيث من المحتمل أن ينحرف عن المسار الذي أراده الله له. فميوله النفعية تسوقه إلى منحدرٍ آخر وتجعل منه موجوداً خطيراً: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾<sup>(١)</sup>.

مع أن الإنسان طاهر ونقي بالفطرة، ومجبول على الهداية تكوينياً، بيد أنه بحاجة ماسة إلى هداية أخرى. هناك غاية أرادها الله من خلق الإنسان ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

الإنسان لم يُخلق ويُترك على هواه، ولو أنه كان قد خلق وتُرك على هواه، لكان ذلك فعلاً عبثاً. وإنما يحيط الخالق تعالى الإنسان بالرعاية والاهتمام وجعل له أحسن ما يمكن من القوام وقوى الإدراك. وحتى أنه كما يقول ابن سينا: خصّ الإنسان بتغيير الأخصص من القدمين.<sup>(٣)</sup> وهذا يعني أنه لا يتركه سدىً، ولا يمكن أن لا يرسل له هادياً؛ إذ إن هذه القضية في غاية الأهمية. فالباري عزّ وجلّ زوّد الإنسان من حيث التكوين بأذنين وعينين، ولسانٍ، وشفنتين، وغيرها من الأعضاء الأخرى الضرورية لممارسة حياته المادية، ولإدراك الأضرار والمفاسد الظاهرية ومعرفة المصالح والمنافع الدنيوية. وأما بالنسبة إلى معرفة طريق السعادة والكمال فقد جعل له عقلاً وأرسل له الأنبياء ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ \* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ \* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال رداً على سؤال زنديق سأله عن الكيفية التي يمكن أن يثبت بها وجود الأنبياء: «إنا لَمَّا أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسه فيباشروهم ويباشروه، ويحاجهم ويحاجّوه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومانعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمور والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه

١- سورة البقرة (٢)، الآية ٣٠. ٢- سورة المؤمنون (٢٣)، الآية ١١٥.

٣- ابن سينا، الشفاء، ج ٢، المقالة ١٠، ص ٤٤١. ٤- سورة البلد (٩٠)، الآيات ٨-١٠.

جلّ وعزّ، وهم الأنبياء ﷺ و صفوته من خلقه»<sup>(١)</sup> و استناداً إلى هذا الحديث فإنّ حكمة الله تقضي أن يرسل للناس الأنبياء لبيّنوا لهم طريق المصالح والمفاسد، والنهج الموصل إلى الكمال.

وقد صرّح القرآن الكريم بهذه الضرورة في قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٢)</sup> وقال في موضع آخر أيضاً: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

### سؤال حول محدودية المنطقة التي بعث فيها الأنبياء

من الممكن أن يُثار هنا تساؤل وهو: إن كانت هناك مثل هذه الضرورة لبعثة الأنبياء، فلماذا ذكر فقط الأنبياء الذين بعثوا في منطقة محددة كالشرق الأوسط؟ ألم يُبعث أنبياء في البقاع الغربية من الأرض أو في المشرق، وإن كانوا قد بعثوا فلماذا لم يُذكروا؟.

وكما سبقت الإشارة فإنّ الحاجة إلى الأنبياء من الأمور التي يحتاج إليها جميع الناس. وقد أكد القرآن على أنّ كلّ أمة جاء فيها رسول. وإذا لم يُذكر أنبياء بعض الأقوام فهذا لا يدلّ على عدم بعث نبي فيهم، هذا أولاً، وأمّا ثانياً: فإنّ القرآن ذكر بعض الأنبياء و لم يذكرهم كلهم، كما نص على ذلك بقوله: ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾<sup>(٤)</sup> ومعنى هذا أنّ عدم ذكر أنبياء مناطق أخرى لا يشكّل دليلاً على عدم بعث الرسل لهم.

و على صعيد آخر أريد من بعثة هؤلاء الأنبياء أن تصل مدياتها إلى أكبر عدد ممكن من جموع المخاطبين. و كان تطوّر الكتابة في عصر الأنبياء المتأخرين سبباً لتدوين و حفظ ثقافتهم المكتوبة و رسالاتهم، في حين أنّ التدوين الذي ادى إلى حفظ اليهودية و المسيحية لم يشاهد مثله بشأن البوذية و الكونفوشيوسية و الزرادشتية، و إلاّ فالكثير من هؤلاء يُنظر إليهم كمصلحين و دعاة إلى المعنوية. و لعلهم كانوا أيضاً أنبياء مبعوثين من الله.

١- الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٦٨، الحديث ١.

٢- سورة يونس (١٠)، الآية ٤٧.

٣- سورة فاطر (٣٥)، الآية ٢٤.

٤- سورة غافر (٤٠)، الآية ٧٨.

و لا بد من الإشارة أيضاً إلى أن مكان بعض الأنبياء الذين ذكروا في القرآن لا يعلم حتى الآن على وجه الدقة، أو أن أسماءهم باللغة العربية لا تتطابق مع الأسماء المحلية المعروفة لهم، لكي يتضح انعكاس رسالاتهم في ضوء ذلك، كنوح، وإدريس، وأنبياء عاد وثمود، إذ هناك جدل حول المنطقه التي بُعث إليها كل واحد منهم.

### إتمام الحجة

ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «إنَّ لله على الناس حجّتين: حجة ظاهرة، و حجة باطنة؛ فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء، و أمّا الباطنة فالعقول». (١) وقد صرّح القرآن الكريم على حجية الأنبياء و إتمام حجة الله على عباده بإرسال الأنبياء. و من ذلك ما ورد في سورة النساء بعد الإشارة إلى وظيفة الأنبياء في التبشير والإنذار، وهو قوله: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسُل﴾. (٢) فهو وجلّ يحتج في يوم القيامة على الناس ويقول لهم: ألم أبعث لكم رسلاً يتلون آياتي عليكم. (٣)

و بين القرآن الكريم - أيضاً - أن الله لا يهلك قوماً إلا بعد إتمام الحجّة عليهم. (٤) و أشار أمير المؤمنين عليه السلام - في الخطبة الأولى من نهج البلاغة - إلى أن الله لا يترك الأرض من غير حجّة. و من أسباب بعث الأنبياء أيضاً تذكير الناس بالميثاق الفطري بين العباد وربّهم، وللاحتجاج عليهم أيضاً بما أودعه الله فيهم من فطرة «و يَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ». (٥)

### مكانة الأنبياء

النبوة رقي للسعة الوجودية بحيث يستطيع الشخص إيجاد علاقة مع عالم الغيب

١- الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٦، الحديث ١٢. ٢- سورة النساء (٤)، الآية ١٦٥.

٣- سورة الأنعام (٦)، الآية ١٣٠.

٤- سورة القصص (٢٨)، الآية ٥٩؛ سورة يونس (١٠)، الآية ٤٧.

٥- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١، ص ٤٣.

والملائكة و تلقى رسالة منهم. و كيفية تلقي الوحي من قبل النبي هي أن ضمير النبي يتصل بعالم الغيب والملكوت. و اثناء العروج الروحي للنبي يبلغ مقاماً يمكن أن يكون فيه واسطة بين عالم الغيب والشهادة و يتبوأ منزلة يكلمه فيها ربه. و بعبارة أخرى ان الرسالة عبارة عن انبعاث داخلي يتعلق من ناحية بالنبي نفسه بحيث يستطيع الارتقاء إلى هذا المقام، و من ناحية أخرى تمنحه الرعاية الإلهية مثل هذه الأهلية و تثبتتها فيه.

## الأصول المشتركة بين الأنبياء

هناك أصول مشتركة بين دعوة الأنبياء، و إذا تجاوزنا الأساليب والأحكام الخاصة، يتضح أنهم يؤكّدون على مبادئ واحدة أيضاً، و أهمها ما يلي:

### ١- الدعوة إلى التوحيد

المحور الأساسي في دعوة الأنبياء هو الدعوة إلى التوحيد، و رفض الشرك و عبادة الأصنام. و جوهر تعاليم الوحي منذ بدايتها و إلى نهايتها هو التوحيد بكل جوانبه. و أمّا سائر المبادئ التي دعوا إليها فهي متفرعة عنه و تأتي في مرتبة لاحقة، و منها محاربة المفسدات الأخلاقية و الرذائل الاجتماعية.

وردت في سورة الأعراف العبارة التالية نقلاً عن عدد من الأنبياء: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(١)</sup> و بينت سورة الأنبياء قبل الحديث عن قصص بعضهم، أن الهدف المشترك بينهم جميعاً هو الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

١- سورة الأعراف (٧)، الآيات ٥٩، ٦٥، ٧٣ و ٨٥.

٢- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ٢٥. و في هذا المجال أيضاً راجع: سورة الأنبياء (٢١)، الآية ١٠٨؛ سورة الصافات (٣٧)، الآية ١٢٦؛ سورة ص (٣٨)، الآية ٦٥؛ سورة الزمر (٣٩)، الآيات ١١، ١٢، ٦٤ و ٦٥؛ سورة غافر (٤٠)، الآية ٦٦؛ سورة الزخرف (٤٣)، الآيات ٤٥، ٦٣ و ٦٤.

## ٢- الإخبار عن الآخرة

من أهم المحاور المشتركة بين الأنبياء هو الإخبار عن الآخرة، ولفت أنظار الناس إلى رجوعهم إلى ذلك العالم. وقد وردت في القرآن الكريم أكثر من ألف وخمسمئة آية حول المعاد باعتباره عالم الغيب. وهو العالم الذي لا يستطيع غير الأنبياء الإخبار عنه والدعوة إلى الإيمان به. ولهذا يؤكد القرآن الكريم في عدّة آيات على هذا المبدأ، وهو أن من يؤمنون بالله والآخرة ويعملون صالحاً يجزيهم الله أحسن الجزاء.<sup>(١)</sup>

## ٣- الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي

لرسالة الأنبياء جوانب اعتقادية وأخلاقية واجتماعية، وهي لا تقتصر على الدعوة إلى عبادة الله والإيمان باليوم الآخر. فقد دأب الأنبياء على محاربة الخرافات والمفاسد الأخلاقية والمفاسد الاجتماعية. ففي عصر موسى عليه السلام كانت المسألة الأكثر أهمية من بعد التوحيد، هي الانعتاق من الحكم المستبد في عصره، والسعي لتحقيق الحرية الاجتماعية. وقد حرص النبي موسى عليه السلام على طرح هذه القضايا أكثر من غيرها.<sup>(٢)</sup>

وفي عصر نوح عليه السلام،<sup>(٣)</sup> وفي عصر هود عليه السلام،<sup>(٤)</sup> وفي عصر صالح عليه السلام<sup>(٥)</sup> كانت المشكلة الأساسية استكبار الطبقة المترفة. وفي العصر الذي بُعث فيه النبي شعيب عليه السلام كانت الظاهرة الشائعة هي الفساد الاقتصادي وبخس الوزن في البيع.<sup>(٦)</sup> أمّا الظاهرة التي كانت شائعة في عهد النبي لوط عليه السلام، فهي ظاهرة اللواط بحيث كان الهدف الأساسي الذي ركزت عليه رسالته هي محاربة هذه الظاهرة القبيحة.<sup>(٧)</sup> وكانت رسالة هؤلاء الأنبياء تدعو إلى عبادة

١- سورة البقرة (٢)، الآية ٦٢؛ سورة المائدة (٥)، الآية ٦٩.

٢- سورة الشعراء (٢٦)، الآيات ١٠-٦٨.

٣- سورة الشعراء (٢٦)، الآيات ١٢٣-١٤٠.

٤- سورة الشعراء (٢٦)، الآيات ٨٥-٩٣؛ سورة هود (١١)، الآيات ٨٤

و ٩٥.

٥- سورة الشعراء (٢٦)، الآيات ١٦٠-١٧٤.

٦- سورة الشعراء (٢٦)، الآيات ١٧٦-١٩٠؛ سورة الأعراف (٧)، الآيات ٨٥-٩٣؛ سورة هود (١١)، الآيات ٨٤

و ٩٥.

٧- سورة الشعراء (٢٦)، الآيات ١٦٠-١٧٤.

اللّه مع توجيه الأنظار إلى أركان المعتقدات الدينية، وكانت في الوقت ذاته تحارب الظواهر السلبية السائدة في المجتمع.

تدل كل هذه المعالم على أنّ الهواجس الأساسية التي كانت تجتذب اهتمام الأنبياء هي فكرة التوحيد وتطهير أفكار و أرواح الناس من معتقدات الشرك والخرافة. و توجيه الأنظار إلى عالم الآخرة، هذا إلى جانب معالجة القضايا الاجتماعية و واقع الحياة. لكن المحور الأساسي لدعوة الأنبياء هو تطهير النفوس والارتقاء بالجانب المعنوي من أجل قبول فكرة التوحيد والابتعاد عن الشرك، ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد وإنما اهتموا بالجوانب الأخرى كمقدمة و تمهيد للرفي المعنوي، مثل قضية العدالة و محاربة الظلم.

قال الله تعالى في كتابه الكريم حول مهمّة الأنبياء: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾<sup>(١)</sup>.

اضطلع الأنبياء بدور بارز في الإصلاح الاجتماعي. و هناك قسم مهم مما تحدّث به القرآن حول الأنبياء يتعلّق بدورهم الاجتماعي.<sup>(٢)</sup> و هذا يعني أنّ هدف الأنبياء كان إصلاح شؤون الناس الدنيوية والأخروية. و هذا ما لم يكن يوسع الناس تحقيقه بدون المنهج الذي جاء به الأنبياء. و حتى لو أنهم توصلوا إلى شيء في هذا المجال، فإنهم ما كانوا يعرفون السبيل المؤدية إلى تنفيذه بنجاح.

### اصطفاء الأنبياء

لقد اصطفى الله للنبوّة من بين الناس أظهرهم و أصلحهم و أفضلهم سمعة و خيرهم سيرة، ليحوزوا إضافة إلى ثقة الله، ثقة أبناء مجتمعهم؛ و ذلك لأن ظاهر كلام كل نبيّ يكون مع أبناء مجتمعه، فإن لم يكن موضع ثقّتهم، أو لم تكن له سمعة طيبة بينهم لا تتمر الجهود التي يبذلها لهدايتهم، و يفشل في إثبات نبوّته.

١- سورة الحديد (٥٧)، الآية ٢٥.

٢- الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان، ج ٣، ص ١٤٦ و ١٤٧.

## الوحي

الوحي بمعنى الإشارة السريعة، والكلام الذي يأتي على سبيل الرمز والتعريض.<sup>(١)</sup> و تدل موارد استعمال كلمة الوحي في القرآن على أن المراد منها نوع من العلاقة الرمزية والإشارية. وقد تكون مثل هذه العلاقة بين الله و مخلوقاته، أو بين الناس، أو بين الشياطين. جاءت كلمة الوحي في القرآن بشأن تدبير السماوات، والوحي إلى الأرض، والوحي إلى النحل، والوحي إلى أم موسى عليها السلام، والوحي إلى الأنبياء. ويستدل من الأمور المذكورة على أن الوحي شيء خفي ورمزي.

تتحقق علاقة الله مع الأنبياء بواحد من الطرق المذكورة: الوحي، التكلم من وراء حجاب أو إرسال الرسل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ﴾.<sup>(٢)</sup> وقد يأتي الوحي إلى الأنبياء في اليقظة تارة، أو أثناء المنام تارة أخرى. ويتخذ طابع الرؤيا كما حصل بالنسبة إلى النبي إبراهيم عليه السلام الذي رأى في المنام أنه يذبح ابنه<sup>(٣)</sup> فاعتبره حكماً إلهياً، ونفذ ما وجب عليه تنفيذه. والأنبياء معصومون في تلقي الوحي وحفظه وإبلاغه للناس. ولا تأثير لهم في مضمون الوحي، ويحظون بتسديد إلهي خاص أثناء تلقي الوحي وإبلاغه.

الذين لا يدركون حقيقة الوحي لا ينبغي لهم إنكاره؛ لأنَّ عدم إدراك الشيء لا يعني انعدامه. مثلما هو الحال بالنسبة إلى الأعمى الذي يعجز عن إدراك الألوان بطرق وثيقة لديه، ولهذا لا يستطيع تصوُّرها و قبولها عندما يُخبر عنها في المرّة الأولى، ولكن هذا الحال لا يبيح له -طبعاً- إنكار ذلك.

ويمكن من باب التشبيه اعتبار الوحي كالمنام. فمثلما أن الإنسان يدرك في عالم المنام حقائق قد لا يدركها في عالم اليقظة. ويُحتمل أن يدرك في عالم اليقظة حقائق عن طريق

١- الراغب الاصفهاني مفردات ألفاظ القرآن، ص ٨٥٨.

٢- سورة الصافات (٣٧)، الآيات ١٠٢-١٠٤.

٣- سورة الشورى (٤٢)، الآية ٥١.

سبل غير متعارفة. وقد يأتي ما يراه في عالم الرؤيا صريحاً تارة، وقد يحتاج إلى تفسير تارة أخرى. فإن كان هناك شخص لم يمر بتجربة المنام، وقيل له بأن بعض الناس عندما ينامون و تتوقف كل حواسهم عن العمل كالموتى، ولكنهم قد يتفق لهم أن يطلعوا - وهم في هذا الحال - على بعض الحقائق، فهو بطبيعة الحال قد لا يصدق وقد يقول: إن وسائل الإدراك لدى الإنسان هي الحواس الظاهرية، فإذا توقفت عن العمل، لا يستسنى له إدراك شيء، ولكن التجربة تثبت بطلان رأيه طبعاً. فمثلما يدرك العقل في مرتبة معينة حقائق من المعقولات التي لا تدرك بالحواس، فهكذا الحال أيضاً في ما يخصّ الوحي؛ إذ يُعطى النبي في هذه المرتبة بصيرة يدرك بها الأمور الغيبية الخافية على العقل.

### تشخيص الوحي من قبل النبي

كيف وعن أي طريق يُدرك النبي بأنه قد أُوحي إليه؟ وبأي معيار يفهم بأن ما يحصل له وحيًا وليس وساوس و هواجس شيطانية؟ هذا السؤال عرضه زرارة على الإمام الصادق (عليه السلام)، فأجابه بما يلي: «إنَّ الله إذا اتَّخَذَ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، فكأنَّ الذي يأتيه من قبل الله مثل الذي يراه بعينه»<sup>(١)</sup> و انطلاقاً من هذه الثقة، كان الأنبياء يطرحون تعاليمهم بحزم و من غير تردد. و ليس هناك من نبي كانت لديه شكوك في ما دعا إليه الناس. و هذا هو أحد الفوارق المهمة بين الأنبياء والنوابغ، فالنوابغ رغم ما يتصفون به من نبوغ غير أنهم كثيراً ما يبدلون آراءهم و يحتملون خلاف ما يقولون به. بينما النبي عندما يتلقى الوحي و يشهد الواقع، تزول من أمامه الحجب، و يدرك كل شيء بالعلم الحضوري.

### طرق إثبات النبوة

النبوة أمر معنوي و إلهي. و للوثوق من صحّة ادّعاء من يدعي هذا المقام، لا بُدَّ أن تكون لديه حُجّة. و نحن نورد في ما يلي بضع ملاحظات - بإيجاز - في مضممار إثبات نبوة النبي،

١- تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠١؛ الصّغار، محمّد بن الحسن، بصائر الدرجات، ص ٣٧٠.



حالات الأنبياء قبل وبعد البعثة، والمنهج الذي سلكوه، تمثل شاهداً صريحاً على حقايتهم. كما ورد على صفحات التاريخ أنّ النجاشي ملك الحبشة أيقن بحقاينة النبي ﷺ و آمن به، بعد أن استخبر عن أحواله من موفدي قريش إليه.<sup>(١)</sup> و من السُّبُل الموصلة إلى ذلك، النظر في محتوى رسالته و تعاليمه، و مقارنة كل نبي مع من سبقه من الأنبياء، و تصديقه لمن جاؤوا قبله منهم و بشاره نبي قبله بمجيئه، والأهم من كل ذلك أن تكون له معجزة.

### المعجزة

جعل الله لكل بني دلالات يُستدل بها على صدق ما يدّعيه. و التعابير التي استعملها القرآن للتعبير عن هذا المعنى هي: البينة، والبرهان، والحجة، والآية. فالبينة هي الدليل الواضح الذي لا يبقى معه لدى المنصف أي شك في صدق المدّعى. نقلت سورة هود عن الأنبياء نوح و صالح و شعيب عليهم السلام أنّ كل واحد منهم قال لقومه: ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي﴾.<sup>(٢)</sup> و من الطبيعي أنّ الناس يتوقعون من مدّعي النبوة أن يقدم براهين تثبت ارتباطه بالله. كما أنّ السنته الإلهية قضت بتزويد الأنبياء ببراهين بينة لكي يؤمن الناس بهم بثقة واطمئنان ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾.<sup>(٣)</sup> و لكنّ الناس أحياناً ما كانوا يكتفون بهذا، و إنّما كانوا يطالبون الأنبياء بمعجزات لإثبات صحّة ما جاؤوا به. و في مثل هذه الحالات كان النبي يأتي بما من شأنه أن يبين للناس بأنّه يستند إلى قدرة تفوق قدرة البشر، و أنه على ارتباط عميق بعالم الغيب.

### حقيقة المعجزة

المعجزة عمل خارق يقع لإثبات ادّعاء أمر إلهي. فمدّعي النبوة يأتي بمعجزة لإثبات منصبه الإلهي، و يتحدّى مكذّبيه في أمر النبوة بحيث يبقون عاجزين عن الإتيان بالعمل الذي يظهره للناس. و هذا يعني طبعاً أنّ الأعمال الخارقة التي يقوم بها المشعوذون

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ٣٩٢، الحديث ٨.

٢- سورة هود (١١)، الآيات ٢٨، ٦٣ و ٨٨.

٣- سورة الروم (٣٠)، الآية ٤٧.

والمرتاضون والسحرة لاتعد من المعاجز؛ وذلك لأنهم يأتون بمثل هذه الأعمال نتيجة لخبرة و تمرين يكتسبونه من الآخرين، ثم أنهم لا يدعون النبوة، و ليست لديهم مقدرة على التحدي؛ لأنهم يعلمون بقدره الآخرين على الإتيان بنظير هذه الأعمال عن طريق التمرين والتعلم.

### المعجزة و قانون العلية

إنّ المعجزة -باعتبارها عملاً خارقاً للعادة- تثير في الأذهان شبهة مفادها أنّ مثل هذا العمل ينقض قانون العلية. والحقيقة هي أنّ الأمر ليس كذلك، وإنّما المعجزة شيء قابل للتحقق بحد ذاته، ولكن لا يمكن تحقيقه بشكل عادي وبالعلل والأسباب الطبيعية، ولكن النبيّ يقوم به بإذن الله و بطرق غير معهودة. نذكر على سبيل المثال أنّ نواة التمر إذا غرست قد تصبح نخلة بعد عشر سنوات، و لكنّها قد تثمر في مدّة أقل لو تولّى رعايتها شخص متخصص بالزراعة، و فيما لو تطوّر علم الزراعة، و لكن تحويل النواة إلى نخلة في دقيقة واحدة ليس في مقدرة البشر، غير أنه ليس أمراً مستحيلاً. فأمثال هذه الأمور ممكنة، و لكن لا بدّ أن تكون هناك علّة لها. والعلل قد تكون ظواهر طبيعية تارة، أو قد تكون غير طبيعية و غير محسوسة تارة أخرى. فتأتي قدرة وعلّة أخرى و تعجّل في حصول العوامل، فيقع ذلك الأمر في أقل زمان فيقال بأنّ معجزة وقعت. و من أعظم العلل الموجبة للمعجزة، إرادة و قدرة الله التي تأتي عن طريق علل خفيّة.

### الهدف من المعجزة

تأتي المعجزة للكشف عن حقيقة فحسب، و لكن ربّما كان أعداء و معارضو الأنبياء يطلبون منهم الإتيان بمعجزة، و لكن تلك المعجزة قد لاتتحقق و ذلك للأسباب التالية:  
 أولاً: إنّ المطالبين بالمعجزة لا يريدون التوصل إلى الحقيقة و إنّما غايتهم إبداء النبيّ. نذكر مثلاً، أنهم قالوا للنبيّ ﷺ: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً \* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً \* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا

زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا \* أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ» (١) وهذه المطالب تدل بكل وضوح، على أن هدف المشركين لم يكن التوصل إلى الحقيقة، وإنما طلبوا تلك المطالب من باب العناد والمكابرة. وهذا يعني أنهم لا يؤمنون حتى لو تحققت هذه المطالب.

ثانياً: كان هدف المعجزات هو ان يستتير الأنبياء فطرة الناس و يستميلوا قلوبهم نحو الجانب المعنوي. و لهذا قال لهم النبي ﷺ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٢) ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٣)

ثالثاً: والأهم من كل ذلك أن الاحتجاج بالمعجزات ليس هو الأصل في عمل الأنبياء وإنما الأصل في ذلك، الدليل والشاهد على الرسالة والنبوة و قبول ذلك عن ثقة.

### اختلاف المعجزات

يُستشف من المتوفّر بين أيدينا من معلومات حول معجزات الأنبياء ﷺ، أنها كانت على أنماط شتى؛ و تتناسب مع طبيعة الظروف الاجتماعية والبيئية والفكرية التي يعيشها الناس. فقد سُئِلَ الإمام الكاظم ﷺ عن السبب الذي جعل معجزة موسى ﷺ اليد البيضاء والعصا، و جعل معجزة المسيح الطباية و شفاء المرضى، و معجزة النبي محمد ﷺ الفصاحة، فقال: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا بَعَثَ مُوسَى ﷺ كَانَ الْغَالِبَ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ السَّحَرُ، فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِهِمْ مِثْلَهُ، وَ مَا أَبْطَلَ بِهِ سِحْرَهُمْ وَ أَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، وَ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ عِيسَى ﷺ فِي وَقْتٍ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهِ الزَّمَانَاتُ وَ احْتِاجَ النَّاسُ إِلَى الطَّبِّ فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِثْلَهُ، وَ بِمَا أَحْيَى لَهُمُ الْمَوْتَى وَ أَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، وَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ فِي وَقْتٍ كَانَ الْغَالِبَ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ الْخَطْبُ وَالْكَلامُ وَ أَظَنَّهُ قَالَ: الشَّعْرُ، فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ

١- سورة الإسراء (١٧)، الآيات ٩٠-٩٣.

٢- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٩٣.

٣- سورة العنكبوت (٢٩)، الآية ٥٠.

مواعظه و حكمه ما أبطل به قولهم و أثبت به الحجّة»<sup>(١)</sup>.  
و هكذا يتضح بأن اختلاف المعجزات خاضع لظروف الزمان و متطلبات كل عصر.

### عصمة الأنبياء

لا بد لأداء الرسالة من توفر ثقة الناس و اطمئنانهم من إبلاغ الرسالة بالشكل الصحيح. وهذا يقتضي عصمة الأنبياء من الخطأ والمعصية. و أما الذين يتدنّسون بالذنوب و معصية أمر الله و هضم حقوق عباد الله و الطمع فيها، و لا يتصفون بالتفاني و نكران الذات، لا يمكن أن يكونوا موضع ثقة و لا يفوض إليهم أمر خطير كالنبوة.  
و من الطبيعي أن الاطمئنان من صحة إبلاغ الرسالة الإلهية يستدعي عصمة المرسلين من الأخطاء و الذنوب. فمن يتدنّس بالآثام لأتستبعد منه معصية الله أو هضم حقوق العباد، و لا يحظى بملكة نفسية تصونه من الانزلاق إلى تحقيق أهوائه فيما إذا أُتيحت له الفرصة. و مثل هذا الشخص لا يمكن الوثوق به و تفويض أمر خطير - كالرسالة الإلهية - إليه.

### حقيقة العصمة

ينقسم الناس من حيث موقفهم من الآثام و الذنوب إلى ثلاثة أقسام: غير المُبالي، و العادل، و المعصوم. و غير المُبالي هو من لا يتّصف بقوة معنوية و رادع ذاتي يصونه من الوقوع في الإثم، و هذا يعني أنه لا يتورّع عن ممارسة الآثام و الذنوب. و العادل هو من يتحلّى بملكة نفسية و ورع يصونه من اقتراف القبائح. و في الوقت ذاته قد تستحوذ عليه نفسه و تغلبه فيقترف إثمًا، و لكنّه بعدما ينتبه يتوب.  
أمّا إذا كان يتحلّى بملكة اجتناب الإثم و الورع عن محارم الله بحيث لا يعصي الله في

١- الكُليني، الكافي، ج ١، ص ٢٤، الحديث ٢٠؛ الفيض الكاشاني، الوافي، ج ١، ص ١١٠-١١٣، الرقم ٢٢.

جميع الظروف والأحوال، فهذا هو الحاصل على درجة العصمة. والعصمة مرحلة فوق العدالة، وهي تعني أنّ الشخص بلغ درجة ينفر فيها من الذنب، ولا يندس نفسه به أبداً. قال الإمام الصادق عليه السلام في وصف العصمة والمعصوم: «المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، و قد قال الله - تبارك و تعالی - : ﴿ وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup>.»<sup>(٢)</sup>

### منشأ العصمة

للعصمة منشأان: أحدهما لطف من الله على خاصة من عباده. والمنشأ الآخر الوعي و كمال الإيمان. فإن وصل أحد درجة من الإيمان والوعي بحيث تتكشف له حقائق الأمور، ويمتنع بالنتيجة عن ارتكاب أيّ ذنب، فهذا يعني أنه قد نال مرتبة العصمة. إنّ الإيمان والوعي يمنعان الإنسان عن الذنب. والمعصوم لديه رادع قوي من الوعي والإيمان، يحول بينه و بين الآثام والأخطاء بحيث يمكن تشبيهه بمن يرى مادة و يوقن بأنها سم قاتل فيجتنب تناولها. وهذا يعني أنّ منشأ العصمة ليس قوّة خارجية، وإنّما هو اختيار واعٍ يميّزه عن غيره و يمنحه مقام العصمة.

### ردّ على شبهة

إن كان الأنبياء معصومون من كبائر الذنوب وصغائرهما، فهذا يستدعي أن تكون عصمتهم على الصعيد النظري و على الصعيد العملي على حدّ سواء. وإن كان الأمر كذلك، فكيف يمكن توجيه ما جاء في القرآن الكريم بشأن بعض الأنبياء، و من ذلك قوله تعالى في آدم عليه السلام ﴿ وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾<sup>(٣)</sup> أو ما جاء على لسان النبيّ يونس عليه السلام من قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> و ورد عن النبيّ موسى عليه السلام أنه قال ردّاً على

١- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٠١.

٢- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ١٩٤ و ١٩٥، الحديث ٦.

٣- سورة طه (٢٠)، الآية ١٢١. ٤- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ٨٧.

فرعون الذي قال له: إنك ارتكبت ذلك العمل - أي قتله لرجل قبطني حينما استنصره رجل سبطي -: ﴿فَعَلْتَهَا إِذًا وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولتسليط الضوء على التساؤل الوارد آنفاً لأبّد من توضيح ثلاثة أمور:

١- هنالك اختلاف حول المراد من العصمة هنا، و هل هي عصمة من الذنب أم عصمة من الخطأ. فبعض أهل السنّة يقول: إنه عصمة من الذنب وليس من الخطأ. وهكذا يوجّهون عصيان آدم وخطأ يونس و موسى عليهم السلام.

٢- إنّ أوامر و نواهي الله ليست كلها على درجة واحدة؛ فبعضها واجب، و بعضها مستحب، و بعضها جائز و مباح. و هكذا الحال بالنسبة إلى النواهي أيضاً؛ فهناك نوعان من النهي: نهى تحريم و نهى كراهة. أي أنّ النهي يوجب اجتناب ما نُهي عنه تارة، و تارة أخرى لا يدل على الحرمة، و لكن يستحسن فيه الترك، و لكن لو ارتكب فلا عقوبة عليه؛ لأنّ العمل الذي ارتكب كان من الأفضل أن لا يرتكب.

٣- هناك من الذنوب و الأخطاء ما يُقاس بمكانة الأفراد و منزلتهم. بمعنى: إن كان الشخص محطّ أنظار الناس، و يُرتجى منه أن يكون عمله في غاية الصلاح، و بعيداً عن كل شائبة أو إجحاف، فمن الطبيعي أن يكون أي خلل أو زلل في سلوكه مدعاة للتساؤل و الشكوك. و هكذا يصدق على الأنبياء بسبب ما لهم من منزلة عند الله، و ما عليهم من مسؤولية أمام الناس. فلا بدّ إذًا أن يُرتجى منهم ما لا يُرتجى من غيرهم. نذكر كمثال على ذلك، أنّ ما فعله النبيّ موسى عليه السلام (و هو القتل) جاء في سياق الدفاع عن المظلوم و لم يكن خلافاً للشرع، و لكنّه كان بالنسبة إلى موسى عليه السلام عملاً غير مناسب؛ لذلك أعرب عن ندمه عليه. و عندما بُعث بالرسالة و ذهب إلى فرعون، كانت أول مؤاخذه أثارها فرعون ضدّه هي هذه الحادثة.

أمّا بالنسبة إلى النبيّ يونس عليه السلام، فلم يكن من المناسب لنبي أن يهاجر و يترك قومه و لما ينزل عليهم العذاب. و خلاصة الكلام هي أنّ ذنب كل شخص يتناسب مع مكانته. فما قد

١- سورة الشعراء (٢٦)، الآية ٢٠.

يُحتسب على البعض ذنباً لا يُحتسب كذلك على غيره، ولهذا قيل: «حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقْرَبِينَ».<sup>(١)</sup> وأما بالنسبة إلى استغفار الأنبياء فيمكن توجيهه في هذا السياق أيضاً. فالنبي بما له من مقام معنوي و عروج روحي يُعتبر آثماً فيما لو انشغل لحظة بأمر عادية. وهذا لا يعني - طبعاً - أن إثمه يستحق العقاب، وإنما هو خلاف لما يتوقع منه.

أما بالنسبة إلى معصية آدم عليه السلام لما نهاه عنه ربه من الاقتراب من تلك الشجرة المحرّمة، فقد كان نهياً إرشادياً. وكانت مخالفته توقع آدم نفسه في مشقة. وكان الأكل من ثمار تلك الشجرة سبباً لفقدان آدم لحالة الاستقرار والسكينة ومكابدة النصب والعناء: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لَزَوِجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾.<sup>(٢)</sup>

## علم الأنبياء

الأنبياء خيرة الله،<sup>(٣)</sup> اصطفاهم و ألهمهم العلم والحكمة. وهم يتصفون بالفضيلة، والأمانة، وحسن الأخلاق، والتقوى، والإخلاص، والصبر، وغير ذلك من الصفات الحميدة. وقد جاء صراحة أن بعض الأنبياء ألهموا علماً الهيئاً.<sup>(٤)</sup> وقد نصت سورة الأنعام بعد ذكر أسماء ثمانية عشر نبياً و بيان فضائلهم على ما يلي: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾.<sup>(٥)</sup> وإضافة إلى العلم فقد حظي الأنبياء بالحكمة أيضاً. والحكمة هي الفهم العميق والبصيرة.

## علم الغيب عند الأنبياء

حظي الأنبياء في سياق المهمة الموكلة إليهم بإبلاغ رسالات الله، بما لم يحظ به غيرهم

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٩. ٢- سورة طه (٢٠)، الآية ١١٧.

٣- سورة الفاطر (٣٥)، الآية ٣٢.

٤- سورة البقرة (٢)، الآية ٣١؛ سورة آل عمران (٣)، الآية ٤٨؛ سورة المائدة (٥)، الآية ١١٠؛ سورة يوسف (١٢)، الآية ٢٢؛ سورة مريم (١٩)، الآية ٤٣؛ سورة الأنبياء (٢١)، الآية ٧٤؛ سورة النمل (٢٧)، الآية ١٥؛ سورة القصص (٢٨)، الآية ١٤.

٥- سورة الأنعام (٦)، الآية ٨٩.

من الاطلاع على أمور غيبية ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رُسُولٍ﴾. (١)

عرض القرآن موارد من علم غيب الأنبياء، ومن ذلك ما أخبر به عيسى عليه السلام بني إسرائيل، (٢) واطّلع نبينا على أسرار كانت تخفيها إحدى زوجاته. (٣) وشم يعقوب عليه السلام قميص يوسف عليه السلام من مسافة بعيدة. (٤) ورغم ذلك فقد نصّت بعض آيات القرآن على أنّ علم الغيب لله، ولا يطلع عليه أحداً: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾. (٥) وجاء في آيات أخرى أنّ الأنبياء نفوا عن أنفسهم علم الغيب ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾. (٦) وورد أيضاً هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾. (٧)

إنّ ما جاء في بعض آيات القرآن الكريم من إثبات العلم الغيب للأنبياء، وما جاء في آيات أخرى من نفي ذلك، يُعزى إلى أنّ علم الغيب لله ولا يحيط به أحد إلا بإذنه. وأمّا الذي لدى الأنبياء من علم الغيب، فيدخل في دائرة ما يأذن به الله لهم، وأنه هو الذي تكّرم عليهم بمثل هذه الفضيلة والمقدرة.

### التفاوت بين الأنبياء

لكل الأنبياء منزلة كريمة عند الله، ولكنهم في الوقت نفسه متفاوتون في ما بينهم من حيث المكانة المعنوية من جهة، وفي مقام النبوة والرسالة من جهة أخرى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، (٨) ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾. (٩)

عُرف بعض الأنبياء بتسمية أولي العزم ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾. (١٠)

- |                                     |                                  |
|-------------------------------------|----------------------------------|
| ١- سورة الجن (٧٢)، الآيتان ٢٦ و ٢٧. | ٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ٤٩.  |
| ٣- سورة التحريم (٦٦)، الآية ٣.      | ٤- سورة يوسف (١٢)، الآية ٩٤.     |
| ٥- سورة يونس (١٠)، الآية ٢٠.        | ٦- سورة الأنعام (٦)، الآية ٥٠.   |
| ٧- سورة الأعراف (٧)، الآية ١٨٨.     | ٨- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٥٥.  |
| ٩- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٥٣.      | ١٠- سورة الأحقاف (٤٦)، الآية ٣٥. |



و تدل آيتان في القرآن الكريم على أنّ المراد من الأنبياء أولي العزم هم الأنبياء الخمسة: النبي محمد ﷺ، ونوح عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام، وموسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾. (١) والآية الثانية هي التي تتحدث عن أخذ الميثاق من النبيين وخاصة من الأنبياء الخمسة الذين سلف ذكر أسمائهم. (٢) وتجدد الإشارة إلى أنّ هؤلاء الأنبياء أصحاب شرائع، وقد جاء كل واحد منهم إلى قومه بشريعة وفقاً لمقتضيات الزمان.

### بشرية الأنبياء

كان الأنبياء بشراً و من جنس الناس، وكانوا بطبيعة الحال يقومون بأعمالهم اليومية مثل أي إنسان آخر. وكانوا مثل سائر الناس يأكلون ويشربون. ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ مَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾. (٣) وقد اتخذ خصوم الأنبياء هذه الصفة ذريعة لإنكار نبوتهم فكانوا يقولون: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾. (٤) وكان جواب الأنبياء لهم: نعم نحن بشر مثلكم و لكن الله يمنّ على من يشاء من عباده و يصطفيه للنبوّة. (٥)

و سرّ هذا الاصطفاء هو أنّ الأنبياء هداة للناس، و اسوة لهم في العمل والأخلاق والسلوك. و لهذا يجب أن يكونوا من بينهم ليكون الناس على بينة بأن الإنسان يستطيع أن يكون تقياً و صالحاً و عمله مقبول عند الله. و ربّما لو كان الأنبياء من الملائكة لحظوا باقبال أكثر من الناس، و لكنهم ما كانوا يستطيعون تحقيق كل أهداف الأنبياء و ذلك لأن هدف الأنبياء لم يكن إبلاغ الرسالة فقط و إنّما كانوا تجسيدا للإنسان المثالي الذي دعوا إليه الناس في رسالاتهم. و لهذا قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا و لَلْبَشَرِ عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾. (٦)

١- سورة الشورى (٤٢)، الآية ١٣.

٢- سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٧.

٣- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ٨.

٤- سورة إبراهيم (١٤)، الآية ١٠.

٥- سورة إبراهيم (١٤)، الآية ١١.

٦- سورة الأنعام (٦)، الآية ٩.

## سيرة الأنبياء

كان الأنبياء أناساً متفانين من أجل البشرية، وكرّسوا كل مساعيهم في سبيل انتشار بني البشر من الفساد. فكانوا أحياناً يشعرون بالحزن والأذى بسبب عدم إيمان الكفار: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

الأنبياء كغيث يستجلب الرحمة الإلهية، يروون كل العباد بينوع الوحي، من غير أن يرتجوا منهم أجراً، و تحمّلوا الكثير من العناء والمشقة لكي يعبدوا أمام الناس طريقاً مستقيماً، و جاهدوا بكل ما أوتوا من قوّة لكي يُقبل الناس إلى منهج السعادة والفلاح و يسيروا عليه.<sup>(٢)</sup> و قد انصبت مساعي الأنبياء على استمالة الناس إلى عبادة الله، أي هدايتهم. و كان خطابهم موجهاً إلى كل أبناء الأُمّة من غير تمييز بين هذا و ذلك.

نذكر من ذلك -على سبيل المثال- أنّ الله عزّوجلّ لمّا بعث موسى و هارون عليهما السلام بالرسالة، أمرهما أن يشملا بالدعوة جميع الناس و حتى أمثال فرعون، و أن يذهبا إليه و يعظاه و يتكلما معه برفق: ﴿قُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾<sup>(٣)</sup>. و يفهم من هذا: أولاً: إنّ كل الناس و حتى أشقاهم بحاجة إلى دعوة الأنبياء.

و ثانياً: إنّ الدعوة بلين و رفق تؤثّر حتى في مثل قلب فرعون، و تستثير فيه خشية الله. اتبع الأنبياء في أداء رسالاتهم أسلوب التبشير والإنذار، و حذّروا الناس من القبائح والآثام، و أنذروهم من العواقب الوخيمة للكفر والمعصية، و بشرّوا الصالحين والمؤمنين والمحسنين بالثواب والأجر العظيم. و لم يغفلوا لحظة عن دعوتهم إلى التوحيد. و قد أوذوا في هذا السبيل و عذبوا و أبعدوا، و حتى أنّ بعضهم قُتلوا، و لكنّ مهمّة التبليغ و دعوة الناس إلى عبادة الله لم تتوقف، و بقيت متواصلة على الدوام.

استعمل الأنبياء في دعوتهم أسلوب اللين والمرونة، و سعوا إلى استمالة الناس إلى عبادة الله عن طريق إثارة المشاعر الإنسانية فيهم. و قد وصف الله تبارك و تعالي رسوله

٢- سورة التوبة (٩)، الآية ١٢٨.

١- سورة الشعراء (٢٦)، الآية ٣.

٣- سورة طه (٢٠)، الآية ٤٤.

الكريم بما يلي: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. (١) وقد أبدى الأنبياء صلابة منقطعة النظير على طريق هدفهم ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبُّهُوَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾. (٢)

لم يكن لدى الأنبياء طمع في الحصول على أجر من الناس لقاء تبليغ رسالاتهم ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾. (٣)

وقد اتبع معارضو الأنبياء -كأي مستبد آخر- أسلوب الإيذاء والتبديد والقتل ضدّهم و الإصاق التهم بهم، ولكنّ الأنبياء كانوا يجتنبون الأساليب الانفعالية، والصخب، والضغط، والإكراه، والعنف والتهم، في نشر الدّين.

إنّ سيرة الأنبياء تمثّل درساً و عبرة يجب أن يحتذي بها كل دعاة الاصلاح الاجتماعي والتربوي. فالأنبياء هم رواد الاصلاح، و دعاة الناس إلى التقوى والإخلاص. و لم يكونوا يدلون برأي أو يقومون بعمل يبدو في نظر الناس متناقضاً. و كانوا يتّصفون بالثبات على موقف معنوي واحد في حالتي النصر والهزيمة، و هو التوجّه إلى الله.

كان الأنبياء ثابتين على مبادئهم؛ فلم يكونوا يتلونون في كل يوم بلون، و لا كانوا يمارسون الألعاب السياسية، و إنّما كانت القيم الدينية أصلاً و مبدأً ثابتاً لديهم على الدوام. و على هذا الأساس كانوا يتمسّكون بما يعاهدون الناس عليه و بالمعاهدات التي يبرمونها مع جهات أخرى، و لم ينقضوها قط. ﴿وَ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ﴾. (٤)

كان الأنبياء كثيراً ما يواجهون معارضة من أولئك الذين يرون في تعاليم السماء خطراً يهدد مصالحهم. و رغم كل تلك العراقيل والإساءات، فإنّ الأنبياء كانوا يصفحون عنهم. و كان من دأب الأنبياء أيضاً الدفاع عن المظلومين والدعوة إلى الحق. و كانوا لا يتبعون أساليب الزيف والخداع لتحقيق أهدافهم، و لا يبيحون كل وسيلة لبلوغ الغاية. و كانوا يتعاملون مع المؤمنين و طلبية الحق و عموم الناس بتواضع، و لكنّهم عندما تقتضي الضرورة

١- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٥٩. ٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٤٦. ٣- سورة الشعراء (٢٦)، الآية ١٠٩. ٤- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٦١.

تجددهم رجال جهاد وصولات. و ما كان في قلوبهم خوف إلا خوف الله، و كانت قلوبهم مشدودة إلى الله و متعلقة به. و يمكن القول بإيجاز: إنهم كانوا ولهين بعبادة الله؛ و موحدين له بكل معنى الكلمة.

كان الأنبياء يعيشون في وسط مجتمعاتهم و يُعتبرون أنفسهم جزءاً من المجتمع الذي يعيشون فيه، و يحرسون على قيادة سفينة المجتمع إلى ساحل النجاة. و كانوا بطبيعة الحال يعيشون بين الناس بزهد و بساطة. و قد وصف أمير المؤمنين عليه السلام ذهاب موسى و هارون عليهما السلام إلى فرعون بقوله:

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ بَنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ: الْآ تَعَجَّبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشِرْطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أَلْقَيْ عَالِيَهُمَا أَسَاوِرَةً مِنْ ذَهَبٍ، إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاخْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُنْبِسِهِ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثْتُهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبِ وَالْمَعَادِنِ الْعِقْيَانِ وَمَعَارِسِ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَخْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَ لَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ نَوَابِ الْمُحْسِنِينَ، وَ لَا لَرِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا، وَ لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَهُ فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ. (١)

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ كَافٍ لَكَ فِي الْأُسُوءَةِ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا؛ إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا وَوُطِّئَتْ لِعَيْرِهِ أَكْتَانُهَا وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا وَرُويَ عَنْ زَخَارِفِهَا. وَإِنْ شِئْتَ تَنَبَّأْتُ بِمُوسَىٰ كَلِيمِ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ: رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ، وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا حُبْنًا يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَ لَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صَفَاقِ بَطْنِهِ، لِهَزَالِهِ وَتَشَدُّبِ لَحْمِهِ. وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ وَ قَارِي أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْحُوصِ بِيَدِهِ وَيَقُولُ لِجَلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢ (القاصعة)، ص ٢٩١.

وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا؟ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْخَشِينَ وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا وَفَاكِهَتُهُ وَرِيحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ وَلَا وَلَدٌ يَحْزِنُهُ وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ وَلَا طَمَعٌ يَدُلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ وَخَادِمُهُ يَدَاهُ فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَنُّ لِأَثَرِهِ، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا، أَهْضَمَ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيْنَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَلَقَدْ كَانَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ وَيَجْلِسُ جَلْسَةَ الْعَبْدِ وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ وَيُزِدُ خَلْفَهُ. (١)

### خاتم الأنبياء

ولد نبي الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ في عام ٥٧٠ للميلاد. (٢) وكان أبوه قد توفي قبل ولادته. و توفيت أمه وهو في السادسة. فكفله جدّه عبدالمطلب (رضوان الله عليه). وبعد سنتين توفي جدّه عبدالمطلب، فكفله عمّه أبو طالب (رضوان الله عليه). وكان صلوات الله عليه - كأكثر أهل مكة - أمياً ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾. (٣) ورغم أنه عاش في أجواء مكة وما جاورها، غير أنه لم يصطبغ بصبغتها؛ فقد كان معروفاً بالأمانة حتى أنه عرف باسم محمد الأمين، ولم يسجد لصنم قط. وقد قال عنه

١- المصدر السابق، الخطبة ١٦٠، ص ٢٢٦-٢٢٨.

٢- الشيء المعين وقته والمسلم به في التاريخ أمران: الأول هو أن هجرة النبي ﷺ كانت في يوم السبت الثامن من ربيع الأول، المصادف ٢٠ سبتمبر من عام ٦٢٢ م؛ وكان سنّه حين الهجرة حوالي اثنين وخمسين سنة، والآخر وفاته. ويمكن التوصل من خلال ذلك إلى أنّ ولادته كانت حوالي عام ٥٧٠ م.

٣- سورة الأعراف (٧)، الآية ١٥٨.

علي ﷺ: «وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ»<sup>(١)</sup>.

و في الأربعين من عمره ذهب في أحد الأيام - كما كان يذهب عادة للتعبد - إلى غار حراء، فَبِعَثَ بالنبوة و بدأ منذ ذلك اليوم مهمته في أداء الرسالة: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ»<sup>(٢)</sup>.

و كان محتوى دعوته، و وقع الآيات التي يتلوها على الناس، يتسم بكثير من الجاذبية، بحيث حار فيه معارضوه حتى وصفوه بالسحر والكهانة والجنون.

بدأ بإبلاغ الرسالة من أسرته، ثم تدرج منها إلى قبيلته، و بعد ذلك إلى عموم الجزيرة العربية، ثم في نهاية المطاف إلى العالم كله: «وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ»<sup>(٣)</sup>.

و بعد عقد من الزمن شَعَّ نور الرسالة من مكة وبلغ المدينة. و لم يمر وقت طويل حتى أقام في المدينة دولة. و قد واجهت الرسول حينذاك مشاكل داخلية و خارجية خطيرة، و لكنّها لم تفتّ في عضده و لم تتنه عن عزمه، بل بالعكس زادت تصميمه على مواصلة دربه. فنجح صلوات الله عليه في أن يجعل من أولئك الأعراب الأجلاف رجالاً في غاية الورع والإخلاص والتقوى والإيثار.

### سيرة رسول الله ﷺ

ورد في حديث مشهور عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»<sup>(٤)</sup>.

و ورد عنه أيضاً أنه قال: «أَنَا أَدِيبُ اللَّهِ وَ عَلِيٌّ أَدِيبِي»<sup>(٥)</sup>.

كان رسول الله ﷺ شخصية إلهية، و رجلاً فذاً في عالم الوجود. كانت كل أعماله

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، ص ٣٠٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٤٧٥.

٢- سورة العلق (٩٦)، الآيتان ١ و ٢. ٣- سورة الأنعام (٦)، الآية ١٩.

٤- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢١٠؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٣٣، في ختام الآية ٤ من

سورة القلم. ٥- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٣١.

وسيرته إلهية. وقد جاء في رواية: إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَدَّبَ نَبِيَهُ فَأَحْسَنَ أَدَبَهُ، فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهُ الْأَدَبَ قَالَ: ﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده.<sup>(٢)</sup> و انطلاقاً من ذلك جعله الباري تعالى أسوة لعباده و قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(٣)</sup> و لمعرفة المزيد عن جوانب شخصية الرسول ﷺ نسلط الضوء في ما يلي على ملامح من سيرته.

### عبادته

كان النبي ﷺ مكلفاً بقيام الليل و أداء نافلة الليل، و قراءة القرآن ﴿ليبعثك الله مقاماً محموداً﴾<sup>(٤)</sup> و كانت أعظم مفخرة لرسول الله أنه كان عبداً لله. و قد وصفه عز وجل في القرآن الكريم بأنه عبده.<sup>(٥)</sup> و قد كان قبل الرسالة يمضي قسماً من وقته بالعبادة في غار حراء.<sup>(٦)</sup>

كان يكثر من البكاء من خشية الله حتى يُغمى عليه. و لما قيل له: لِمَ تتعب نفسك و قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر؟ فقال: ألا أكون عبداً شكوراً.<sup>(٧)</sup> كان يستغفر الله في كل يوم سبعين مرّة.<sup>(٨)</sup> و كان يصوم حتى يُقال: لا يفطر. ثم صام يوماً و أفطر يوماً. ثم صام الاثنين والخميس. ثم آل من ذلك إلى صيام ثلاثة أيام في الشهر؛ الخميس في أول الشهر، والأربعاء في وسط الشهر، والخميس في آخر الشهر. و كان ﷺ يقول: ذلك صوم الدهر.<sup>(٩)</sup>

١- سورة القلم (٦٨)، الآية ٤.

٢- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٦٦، الحديث ٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٤، الحديث ٣.

٣- سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٢١. ٤- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٧٩.

٥- سورة الإسراء (١٧)، الآية ١.

٦- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، ص ٣٠٠.

٧- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٩٥، الحديث ٦.

٨- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٥٠٥، الحديث ٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٥٨، الحديث ٤١.

٩- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، باب صوم السنة، ج ٢، ص ٤٨، الحديث ١.

## مداراة الناس

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ جبرائيل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال له: يا محمد، ربك يقرئك السلام و يقول لك: دارِ خلقي. <sup>(١)</sup> وكان رفقته بالناس و مداراته لهم سبباً لاستمالة قلوبهم، فجعل من أولئك الناس القساة الطباع و ذوي القلوب المتحجرة أناساً رؤفاه: ﴿فَمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. <sup>(٢)</sup>

روي أنّ رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله يكلمه فأرعد، فقال: هوّن عليك، فلست بملك، إنّما أنا ابن امرأة كانت تأكل القد. <sup>(٣)</sup>

قال الإمام الحسين عليه السلام: سألت أبي: كيف كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في جلسائه؟ فقال: كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظّ ولا صحّاب ولا فحّاش ولا عيّاب... قد ترك نفسه من ثلاث: المرء، والإكثار، و ما لا يعنيه. <sup>(٤)</sup>

و قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجالس الفقراء، و يؤاكل المساكين، و يناولهم بيده. <sup>(٥)</sup> و كان إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، و إن كان شاهداً زاره، و إن كان مريضاً عاده. <sup>(٦)</sup>

و عندما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن أوصاه بأمر منها أنه قال له: إياك أن تشتم مسلماً <sup>(٧)</sup> و قال للناس في خطبة حجة الوداع: أيها الناس، إنّ دماءكم و أعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا. <sup>(٨)</sup>

## النظافة والزينة

كان صلى الله عليه وآله يولي أهمية خاصة للنظافة. و كان من عاداته أن ينظر في المرأة و يرجل شعره

- ١- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١١٦، الحديث ٢. ٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٥٩.
- ٣- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٢٩، ذيل الحديث ٣٥.
- ٤- المصدر السابق، ص ١٥٢ و ١٥٣؛ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٣١٨ و ٣١٩.
- ٥- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٢٨، الحديث ٣٤.
- ٦- المصدر السابق، ص ٢٣٣. ٧- الحرّاني، تحف العقول، ص ٢٦.
- ٨- المصدر السابق، ص ٣١.



و يمتشط، وربما نظر في الماء وسوى جمته فيه. ولقد كان يتجمل لأصحابه فضلاً عن تجمله لأهله. وكان يقول: إن الله تعالى يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيأ لهم و يتجمل. (١) وكان يستاك ثلاث مرّات كل ليلة: مرة قبل نومه، و مرّة إذا قام من نومه إلى ورده، و مرّة قبل خروجه إلى صلاة الصبح. (٢) و كانت هناك أشياء لا تفارقه في أسفاره: قارورة الدهن، والمكحلة، والمقراض، والمسواك، والمشط. (٣) و روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: كان رسول الله ﷺ ينفق على الطيب أكثر ممّا ينفق على الطعام. (٤)

### الاعتدال

وصف القرآن الكريم الأمة الإسلامية بالأمة الوسط في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٥) والأمة الوسط أي المعتدلة. و قد نقل الإمام الباقر عن رسول الله ﷺ أنه قال: من صارت عبادته إلى سنّتي فقد اهتدى، و من خالف سنّتي فقد ضل و كان عمله في تباب. أما إني أصلي و أنام و أصوم و أفطر، و أضحك و أبكي. فمن رغب عن منهاجي فليس منّي. (٦) و كان له مقام معنوي يجلب عن الوصف؛ فقد كان يوحى إليه و يسعى بكل ما أوتي من قوة لإبلاغ دين الله من غير أن يثنيه عن ذلك شيء، و لكنّه كان في غاية التواضع في التعامل مع الناس، و كان في بعض الأحيان يمزح مع أصحابه. فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: إن رسول الله ﷺ كان يداعب و لا يقول إلا الحق. (٧)

نُقل أنّ رسول الله ﷺ كان يأتيه الأعرابي فيهدي إليه الهدية، ثم يقول مكانه: أعطنا ثمن هديتنا، فيضحك رسول الله ﷺ. و كان إذا اغتمّ يقول: ما فعل الأعرابي لبيته أتاناً. (٨)

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٤٩. ٢- المصدر السابق، ص ٢٥٤.

٣- المصدر السابق، ص ٢٥٠. ٤- المصدر السابق، ص ٢٤٨.

٥- سورة البقرة (٢)، الآية ١٤٣. ٦- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٨٥، الحديث ١.

٧- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ٦٦ من أحكام العشرة، ج ٨، ص ٤٠٨، الحديث ٢.

٨- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٨٠ من أحكام العشرة، الحديث ١، ج ١٢، ص ١١٢.

## موقفه من الأعداء

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في وصف سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وموقفه من الأعداء: «إنه متى ما بعث أميراً على سرية كان يوصيه بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه، ثم في أصحابه عامة، ثم يقول: اغز باسم الله و في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله ولا تغدروا ولا تغلوا وتمثلوا ولا تقتلوا وليداً، ولا متبتلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تحرقوا زرعاً؛ لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم ممّا يؤكل لحمه».<sup>(١)</sup>

و كان صلوات الله عليه يأسى لعدم إيمان قومه إلى أن أوحى إليه ربّه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.<sup>(٢)</sup> و في فتح مكة أقبل على قريش و قال لهم: ما ترون أي صانع بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. فقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.<sup>(٣)</sup>

## الزهد والبساطة

روي عن علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه وصف زهد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: كان فراش رسول الله عباءة، و كانت مرفقته آدم حشوها ليف، فُنُتِّيت له ذات ليلة. فلما أصبح أمر صلى الله عليه وآله أن يُجعل بطاق واحد.<sup>(٤)</sup>

و قال الإمام الباقر عليه السلام في أحوال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لم يورث ديناراً و لا درهماً و لا عبداً و لا وليدة و لا شاة و لا بعبيراً، و لقد قبض و إنّ درعه مرهونة عند يهودي من يهود المدينة بعشرين صاعاً من شعير».<sup>(٥)</sup>

١- الكليني، الكافي، ج ٥، ص ٢٩، الحديث ٨. ٢- سورة الكهف (١٨)، الآية ٦.

٣- المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٩٧.

٤- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢١٧، الحديث ٥.

٥- المصدر السابق، ص ٢١٩، الحديث ٨.

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما شيع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خبز برّ ثلاثة أيام حتى مضى لسبيله. (١)  
 و روى الإمام الباقر عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: خمس لا أدعهن حتى الممات: الأكل على  
 الحضيض مع العبيد، و ركوبي الحمار مؤكفاً، و حلبي العنز بيدي، و لبس الصوف، و التسليم  
 على الصبيان. (٢)

### معجزة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ذكرنا سابقاً إنّ كل نبي كانت له معجزة لإثبات نبوته و حقانيته. و بما أنّ النبي  
 محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء، فلا بد أن تكون له معجزة تتناسب مع خاتمته، و لا بد أن تكون  
 بطبيعة الحال خالدة مع خلود العالم، و فيها إثبات لنبوته و حقانية دينه.  
 في ذلك الوقت كان العرب يتفاخرون بالفصاحة، و كانوا يتنافسون في ما بينهم بأساليب  
 البلاغة في الشعر و النثر. و في سياق ذلك التنافس علّق عرب الجاهلية أبدع قصائدهم  
 الشعرية و هي المعلقات السبع (٣) على جدار الكعبة، حيث نبغوا في هذا المضمار إلى حد  
 بعيد، و حسبوا أنّ الإبداع في هذا الفن بلغ ذروته، و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءهم -دون أن  
 تكون له سابقة في الفصاحة و البلاغة و القراءة و الكتابة- بكلام حير عقولهم، و جاذبية  
 لا ينكرها منكر. و كان لكلامه سحر أخذ بمجامع قلوبهم. فهو يتسم بنظم و إيقاع، و تمثيل و  
 كناية، و تشبيهات و استعارات و إيجاز. غير أنّ العصبية الجاهلية منعت البعض منهم من  
 الاعتراف بالحق، و دفعهم العناد إلى أن يصفوه تارة بالشعر، (٤) و يصفوه تارة أخرى  
 بالسحر، (٥) و قال جماعة منهم: إنه عبارة عن أساطير، (٦) و حسبه آخرون كلام كاهن. (٧) و

١- المصدر السابق، ص ٢٢٠، الحديث ١٥.

٢- المصدر السابق، ص ٢١٥، الحديث ٢؛ و ص ٢٢٠، الحديث ١١.

٣- و هي قصائد لأبرع شعراء العرب علّقوها على جدار الكعبة تفاخراً بها لكي يراها الوافدون إلى الكعبة.

٤- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ٥.

٥- سورة سبأ (٣٤)، الآية ٤٣.

٦- سورة الأنعام (٦) الآية ٢٥.

٧- سورة الطور (٥٢)، الآية ٢٩؛ سورة الحاقة (٦٩)، الآية ٤٢.

دفعهم الخوف من تأثيره إلى أن يأمرُوا الناس بصمِّ أسماعهم عنه. ولا شكَّ في أن كل هذه الأقوال والأفعال تنطوي على اعتراف ضمني بأنَّ للقرآن سحراً يفوق ما كان معروفاً بينهم من أساليب البلاغة والفصاحة التي تتسم بها الخطب والأشعار في عصرهم. وهذا الموقف على ما فيه من معارضة، فهو ينم أيضاً عن عجزهم عن مجابهة القرآن، وقد تحدّاهم رسول الله ﷺ أن يأتوا بمثل هذا الكلام إن كانوا لا يؤمنون به وينكرون أنه كلام الله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١).

تجدد الإشارة إلى أن التحدي بالإتيان بمثل للقرآن جاء على ثلاث مراحل؛ ففي المرحلة الأولى جاء بطلب الإتيان بمثل للقرآن كله، (٢) وفي المرحلة الثانية جاء على شكل دعوة للإتيان بعشر سور كسور القرآن. (٣) وفي المرحلة الأخيرة كانت الدعوة للإتيان بسورة واحدة (٤) أو بكلام مشابه للقرآن. (٥) وقد حاول كثيرون الاستجابة لذلك التحدي، وفكروا في أنفسهم أن ينسجوا أشياء تحاكي القرآن، ولكنهم عندما قارنوها مع القرآن لم يتجرأوا على إعلانها أمام الناس. وأمّا الذين تجرأوا على المجاهرة بما نسجوه من عند أنفسهم فلم يثبتوا سوى عجزهم عن مجاراة القرآن. وقد عبّر القرآن عن هذا العجز مسبقاً بقوله: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ (٦).

إنّ ما حاول خصوم النبي ﷺ مضاهاته هو فصاحة القرآن و بلاغته، وقد فشلوا في محاولاتهم هذه فشلاً ذريعاً. ولا شكَّ في أنّ ما يميّز القرآن - ككتاب سماوي - هو محتواه الخالد وعطاؤه للبشرية. وهذا يعني أنّ إعجاز القرآن لا ينحصر في مجال إعجازه الأدبي والبلاغي فحسب.

١- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٣؛ وأيضاً راجع: سورة يونس (١٠)، الآية ٣٨.

٢- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٨٨.

٣- سورة هود (١١)، الآية ١٣.

٤- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٣.

٥- سورة الطور (٥٢)، الآية ٣٤.

٦- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٨٨.

وردت في القرآن الكريم أخبار كثيرة عن معييات و حوادث مستقبلية. كما سرد أيضاً قصص الغابرين من الأنبياء، و شخصيات تاريخية أخرى كلقمان، و فرعون، و النمرود، و ملكة سبأ. كما كشف أيضاً عما عزم عليه خصوم النبي ﷺ كاتفاقهم في دار الندوة على قتله أو نفيه: ﴿وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يُسْقِطُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾، (١) و أزاح الستار أيضاً عما كان يتخذ في أوساط المنافقين من قرارات ضد النبي ﷺ ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾. (٢) كما أخبر القرآن الكريم عن نصر قريب يحزره الروم على ملوك فارس. (٣) و قد جاءت هذه النبوءات في وقت لم يكن فيه للنبي ناصر و لا معين. و قد أثرت يومذاك ضجة إعلامية صاخبة ضد هذه النبوءات و استغللت للتشنيع على النبي ﷺ.

يبين القرآن حقائق علمية لم يتوصل إليها البشر إلا بعد مئات السنين، لأنه لم تكن هناك أدوات علمية لإثباتها يومذاك، مثل حركة الأرض، (٤) و الرياح التي تكوّن السحب، (٥) و كيفية تكاثف الغيوم، (٦) و وجود طبقات ثلجية في السماء، (٧) و حركة الكواكب في مدارات معينة، (٨) و زوجية الكائنات، (٩) و النباتات. (١٠) و كل ذلك يعبر عن حقيقة لا مجال لإنكارها، و هي أن القرآن ليس نتاجاً بشرياً و لا يمكن اعتباره في مصاف الكتب العادية.

## القرآن و أسلوبه

الأسلوب الذي أتبعه القرآن في انتقاء الكلمات، و صياغات الجمل، مع مراعاة الألفاظ المناسبة لكل موضوع، و الإيجاز و الإطناب، أسلوب بديع لم يسبق إليه سابق، و لا يلحقه فيه لاحق. و حتى كلام الرسول ﷺ نفسه فهو يختلف عنه اختلافاً جذرياً في السبك

- |  |                                |
|--|--------------------------------|
| ١- سورة الأنفال (٨)، الآية ٣٠.                             | ٢- سورة النساء (٤)، الآية ١٠٨. |
| ٣- سورة الروم (٣٠)، الآيات ١-٦.                            | ٤- سورة النبأ (٧٨)، الآية ٦.   |
| ٥- سورة الحجر (١٥)، الآية ٢٢.                              | ٦- سورة الروم (٣٠)، الآية ٤٨.  |
| ٧- سورة النور (٢٤)، الآية ٤٣.                              |                                |
| ٨- سورة يونس (١٠)، الآية ٥؛ سورة يس (٣٦)، الآية ٤٠.        |                                |
| ٩- سورة الرعد (١٣)، الآية ٣؛ سورة الذاريات (٥١)، الآية ٤٩. |                                |
| ١٠- سورة طه (٢٠)، الآية ٥٣.                                |                                |

والأسلوب. يعتمد القرآن أسلوب البشارة والإنذار، وفيه مواعظ و تشريعات، ويتبع المنهج الإرشادي تارة، ويختار طريق الاستدلال تارة أخرى. وهو يتحدث بشدة و غلظة حيناً حتى يبدو وكأنه يجلد بالسياط، بينما يتلطف أحياناً أخرى و يبعث السكينة و الطمأنينة، و يتحدث مع كل مخاطب بما يستدعيه حاله.

إنّ اتباع القرآن أسلوباً واحداً على مدى ثلاث و عشرين سنة في شتى الظروف والأحوال و خلال معالجته لمواضيع شتى يُظهر أنّ مصدره حكيم و عالم مطلق فوق قدرة البشر، و قد كان العرب حينذاك على معرفة بشتى أساليب البيان. و كانوا يتذوّقون جمالية الكلام الحسن. ولو كان في القرآن موضع واحد من ركاكة الأسلوب - حاشاه عن ذلك - لعابوه عليه؛ انطلاقاً من رغبتهم في مجابهة النبيّ بأي نحو كان.

كان الوليد بن المغيرة خبيراً بكلام العرب، و قد قال يصف القرآن في محفل لقريش: «والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس و لا من كلام الجنّ و إنّ له لحلاوة، و إنّ عليه لطلاوة، و إنّ أعلاه لمثمر، و إنّ أسفله لمغدق، و إنه يعلو و لا يُعلى عليه»<sup>(١)</sup>.

### تواتر و قطعية نص القرآن

يُجمع المسلمون كافة على أنّ القرآن نقل عن رسول الله ﷺ متواتراً لساناً عن لسان، و صدرأ عن صدر، و هو محفوظ من أيّ تحريف. و قد صرّح كبار علماء الشيعة ابتداءً من الشيخ الصدوق، و الشيخ المفيد، و الشيخ الطوسي، و السيد المرتضى، و الطبرسي، و انتهاءً بالعلماء المعاصرين، أنّ القرآن الذي بين أيدينا هو عين ما نزل على رسول الله ﷺ، لم يطرأ عليه أيّ تحريف و لا زيادة أو نقصان. و إن كان هناك من الشيعة و السنة من قالوا بتحريف القرآن، فهذا يعني أنهم لم يميّزوا بين الروايات الموثقة و بين الروايات الضعيفة الفاقدة للإجماع، و التي لا يمكن التعويل عليها. و رأي هذه الجماعة القليلة لا ينال من القول

١- الطبرسي، مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٨٧، ذيل الآية ١١ من سورة المدثر.

بتواتر القرآن وكونه موضع إجماع، خاصة إذا لاحظنا أن ما تذهب إليه هذه الجماعة هو القول بنقص القرآن، وإلا فهم يتفقون أيضاً على أن القرآن الحالي لا زيادة فيه.

جاء في آية قرآنية شريفة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾،<sup>(١)</sup> وجاء في آية أخرى أيضاً: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ \* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.<sup>(٢)</sup>

هذا تأكيد من الله على أن هناك مقدمات وأسباب جعلها كفيلة بالحيلولة دون حصول أي تحريف في القرآن.

١- سورة الحجر (١٥)، الآية ٩.

٢- سورة فصلت (٤١)، الآيتان ٤١-٤٢.

## الإمامة

الإمام هو الرئيس<sup>(١)</sup> والمقتدى<sup>(٢)</sup>. ويحتمل أن تكون هذه الكلمة مشتقة من كلمة «أمام» بمعنى القُدَام، أو من كلمة «الأُم» بمعنى الأصل، أو من كلمة «أُمَّ» بمعنى قصد<sup>(٣)</sup> و كثيراً ما تأتي هذه الكلمة في القرآن والحديث بهذا المعنى. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إن الأئمة في كتاب الله عزَّ وجلَّ إمامان: قال الله تبارك و تعالی: ﴿و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا...﴾ و قال تعالی في موضع آخر: ﴿و جعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾<sup>(٤)</sup>. و سُمِّي أميرُ الحاج في رواية بالإمام، في قولهم: «سِرُّ فَإِنَّ الإمام لا يقف»<sup>(٥)</sup>. و رغم أن كلمة الإمام تحمل معنى القائد إلى الخير أو القائد إلى الشر على حد سواء، إلا أن هذه الكلمة تطلق عند الشيعة على شخصيات روحية عظيمة و على درجة عالية من التقوى، و على من هم مثل أعلى للناس علماً و عملاً.

### أهمية الإمامة

الإمامة على درجة عالية من الأهمية، بحيث أن القرآن الكريم عبّر عنها بالميثاق والعهد، في قوله تعالی ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٦)</sup>. فهذه الآية تتعلق بموضوع الإمامة التي طلب النبي إبراهيم عليه السلام من الله أن تكون في ذريته. جاء في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: إن الإمامة خصَّ الله عزَّ وجلَّ بها إبراهيم

١- ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ١٠٩. ٢- الجوهرى، صحاح اللغة، ج ٥، ص ١٨٦٥.

٣- للإطلاع على مزيد من المعلومات في هذا المجال، راجع: دراسات فى ولاية الفقيه، ج ١، ص ٧٤.

٤- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢١٦، الحديث ٢.

٥- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٥ من أبواب إحرام الحج والوقوف بعرفة، ج ١٣، ص ٥٢٥، الحديث ١.

٦- سورة البقرة (٢)، الآية ١٢٤.



الخليل ﷺ بعد النبوة والخلة... فقال الخليل سروراً بها: ومن ذريتي...<sup>(١)</sup> في اعتقاد الشيعة تُعتبر الإمامة من أصول الدين، وهي امتداد للنبوة واستمرار لمسؤولية التبليغ والهداية التي كان يقوم بها النبي ﷺ. وللإمامة عندهم شروط تتناسب مع الوظيفة التي ينهض بها الإمام في تفسير القرآن، وبيان الأحكام، وردّ الشبهات والذود عن حياض الشريعة. والإمامة ذات أهمية بالغة، بحيث نزلت في آواخر حياة الرسول ﷺ آية تأمر بإبلاغها، وتحذّره أن عدم إبلاغها بمثابة عدم أداء الرسالة.<sup>(٢)</sup>

نقل الشيعة والسنة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»<sup>(٣)</sup> وهذا يدل على مدى أهمية الإمامة، ويضعها ضمن أصول الدين. ولو كانت من فروعها لما اعتُبر جهلها مدعاة لموت المرء ميتة جاهلية.

## شروط الإمامة

### ١- العلم

الإمامة قدوة في كل شيء. والإمامة قيادة دينية وأخلاقية للناس نحو الله. ولابد أن تتوفر فيها شروط من أهمها العلم. وسيرة العقلاء في العالم كُله هي أنهم إذا أرادوا اختيار شخص يفوضون إليه أمورهم، فهم يختارون عاقلاً عالماً أميناً قادراً على إنجاز أمورهم كما ينبغي، خاصة في القضايا التي تتطلب العلم والوعي، حيث يختارون في مثل هذه الحالات الأعلم بها.

في هذا الجانب لا فرق في أن يكون الإمام منصوباً عليه من الله - كما يقول الشيعة الإمامية - أو منتخباً من قبل الأمة كما يعتقد أهل السنة، والآية الشريفة: ﴿أَقَمْنِ يَهْدِي إِلَيَّ الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾<sup>(٤)</sup> تشير إلى هذا المعنى. والنتيجة هي أن

١- الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٩٩، الحديث ١. ٢- سورة المائدة (٥)، الآية ٦٧.

٣- لمزيد من التفصيل، راجع: الأميني عبدالحسين، الغدير، ج ١٠، ص ٣٦٠.

٤- سورة يونس (١٠)، الآية ٣٥.

الإمام والقائد يجب أن يكون عالماً؛ لتجري هدايته بشكل صحيح، بل ينبغي أن يكون أعلم أهل زمانه لكي تشمل دائرة إمامته الجميع.

## ٢- العصمة

يجب أن يكون الإمام - كالنبي - معصوماً من الذنب والخطأ. فلو كان الإمام يذنب أو يُخطيء فهذا يؤدي إلى زعزعة مكانته في النفوس، وعدم الوثوق بكلامه. وهو إذا لم يكن معصوماً ثم أمر الناس بشيء أو نهاهم عن شيء لا يكون لكلامه تأثير في نفوسهم، ولا يثقون بكلامه ولا يرونه ملزماً لهم، وبالنتيجة فإنهم لا يطيعونه. بل إن الإمامة الدينية تتحقق من خلال العصمة. ولا بد أن تكون لدى السامعين ثقة بكلام من يدعوهم إلى الدين، وأن يكونوا على علم بأن كلامه ليس خطأ ولا يأتي عن هوس؛ وإلا فإنهم لا يتقبلون أمره ونهيه. ويكون منصبه ورسالته عبثاً.

إطاعة الإمام واجبة بحكم الآية: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. وإذا لم يكن الإمام معصوماً فقد يبين دين الله خطأً، وفي مثل هذه الحال تكون طاعته بمثابة اتباع الباطل، ومثل هذا الأمر مستحيل على الله تعالى.<sup>(٢)</sup> وطاعة الله - استناداً إلى صدر الآية - مطلقة، إذا كان ولي الأمر غير معصوم لا تكون طاعته لازمة بشكل مطلق، بينما الأمر الوارد في الآية يدعو إلى طاعته بشكل مطلق. وهذه الآية في مقام تعظيم الرسول وأولي الأمر؛ لأنها جعلت طاعتهم في مصاف طاعة الله. فلا بد إذاً أن تكون فيهم هذه الأهلية. وقد نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: وإنما أمر الله بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر لا يأمر بمعصيته، وإنما أمر الله بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصيته.<sup>(٣)</sup>

١- سورة النساء (٤)، الآية ٥٩.

٢- الحلي، الحسن بن يوسف، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص ٣٦٤ و ٣٦٥؛ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ج ١، ص ٣١٣ و ٣١٤، الباب ٢ من الركن ٢. وهناك أيضاً احتمالات أخرى طرحت بشأن هذه الآية الشريفة، ولمزيد من التفصيل، راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ١، ص ٦٤-٦٩.

٣- الحويزي، نور الثقلين، ج ١، ص ٥٠٠ و ٥٠١، الحديث ٣٣٧.

## ٣- التحلي بصفات النبي

الإمام خليفة رسول الله، و ينهض بالدور الذي كان يقوم به الرسول ﷺ. و بناءً على ذلك يجب أن يتّصف الإمام بجميع الصفات التي توجب عليه أداء دور النبي باستثناء النبوة؛ لأنّ الغاية من وجود الإمام تتحقق عندما يؤدي دور الرسول في المجتمع، و يكون قدوة للمتديّنين في جميع الفضائل الأخلاقية والقيم الدينية.

من يحوز مقام الإمامه يجب أن تكون له جاذبية معنوية. و أن يكون عادلاً و معصوماً، من أجل أن يثق به الناس. والأهم من كل ذلك أن يكون موحّداً لم يسجد لغير الله. و لهذا السبب قال الباري تعالى لإبراهيم عليه السلام عندما طلب منه أن يكون هذا المقام لذريته: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

نقل ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال الله عزّ وجلّ لإبراهيم: لا أعطيك عهداً ظالم من ذريّتك. قال: ياربّ، و من الظالم من ولدي الذي لا ينال عهدك؟ قال: من سجد لصنم من دوني لا أجعله إماماً أبداً، و لا يصلح أن يكون إماماً.<sup>(٢)</sup>

## ٤- الصبر

من الطبيعي أن كل أمة تواجه مشاكل كثيرة، و تقع مسؤوليتها بالدرجة الأولى على عاتق الإمام. و هذا ما يستلزم من الإمام أن يكون صبوراً ليكون قادراً على مجابهة المشاكل والشدائد. و على صعيد آخر لا يستوي الأفراد في مؤهلاتهم و قدراتهم على مواكبة الإمام. فالإمام تجتمع فيه ذروة الكمالات، و هو رائد الناس والمقدام فيهم، و لكنه في الوقت ذاته لا بُدّ و أن يُراعي أضعف الأفراد. و هذا أيضاً يتحقق من خلال الصبر والأناة. و لعل هذا هو السبب الذي جعل الله تعالى يقول لنبيّه ﷺ بسبب ما له من مقام النبوة و إمامة الناس:

١- سورة البقرة (٢)، الآية ١٢٤.

٢- البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٥١، الحديث ١٣.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾. (١) وقد ورد في رواية: أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَدَّ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ، وَالْآيَةُ الشَّرِيفَةُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. (٢) وقال: الصبر على ولاة الأمر مفروض. (٣)

### ٥- الزهد

الإمام أسوة يقتدي به الناس وتقع عليه مسؤولية تطهير الأنفس، وهذا ما يفرض عليه أن يكون ذا نفس طاهرة تقيّة، وأن يجتنب كل ما يندس الروح؛ لكي يكون داعياً للناس إلى الصلاح بسلوكه. فالإمام يعيش في الدنيا ويتنعم بنعمها، ولكنّ عليه في الوقت نفسه أن لا يكون حريصاً عليها؛ من أجل أن يدعو الناس بسلوكه إلى الزهد. إذا كانت لدى الإمام نزعة إلى الدنيا ولذائدها لا ينجح في قيادته للناس. فمن الطبيعي أن الناس ليسوا على مستوى معاشي واحد، فربما يعجز الكثيرون منهم عن توفير القوت وأدنى متطلبات العيش لأنفسهم ولأسرهم، فإذا رأوا القائد والإمام يرفل بالنعم والملذات يشمئزون منه ويمقتونه، ويشعرون بأن الثروة والرفاه المادي قيمة وفضيلة. ولا شك في أن انغماس من ينصب نفسه للناس إماماً في الملذات الدنيوية، ينطوي على سلبات فادحة، فهو يؤدّي من جهة إلى نفور الفقراء عنه والشعور بالغرابة عنه، ويؤدّي من جهة أخرى إلى شعوره هو بالكبر والميل إلى اكتناز الثروة.

وقد كتب علي عليه السلام إلى واليه عثمان بن حنيف عن نفسه بصفته إماماً لدين الناس وديارهم، ما يلي: هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيُقَوِّدَنِي جَشَعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ أَوْ أَيْبَتَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ عَرَّتِي وَ أَكْبَادُ حَرَى أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَ حَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبَيَّتَ بِيْطَنَةً  
وَ حَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ إِلَى الْقِدِّ

١- سورة الأحقاف (٤٦)، الآية ٣٥.

٢- سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٢١.

٣- الطبرسي، أبو منصور، الاحتجاج، ج ١، ص ٥٨٧.

أَفَقَّعُ مِنْ نَفْسِي بَأَنَّ يُقَالَ هَذَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ فَمَا خُلِقْتُ لِشِغْلِي أَكُلُ الطَّيِّبَاتِ. (١)

### الطريق إلى معرفة الإمام

الإمامة كالنبوة منصب إلهي، و يحتاج تمييزها و معرفتها إلى توفر مجموعة من العلامات والميزات التي يمكن عن طريقها معرفة الإمام الصحيح الصادق من الكذابين الذين يدعون الإمامة زوراً و بهتاناً.

سأل شخص الإمام الصادق عليه السلام عن الكيفية التي يمكن بها معرفة من يدعي الإمامة فأجابه قائلاً: يُسأل عن الحلال والحرام، ثم بين ثلاث طرائق لمعرفة الإمام منها أن يكون أولى الناس بمن كان قبله، و أن تكون لديه وصية ظاهرة من الإمام السابق. (٢)

و جاء في رواية أخرى عنه أنه اشترط أن يتصف الإمام بالأوصاف التالية: وهي أن تكون لديه وصية ظاهرة، و لا يستطيع أن يطعن عليه أحد في أنه كذاب و يأكل أموال الناس، و ما أشبه هذا. (٣)

مثلما أن أحد الطرق لإثبات حَقَّانية القرآن هي التحدي و عدم قدرة أحد على الاستجابة لذلك التحدي، فكذلك من طرق إثبات الإمامة و حَقَّانية الإمام، هي مقدرته على الإجابة عن جميع المعارف الدينية، و عدم عجزه عن أيٍّ منها. و على مدَّعي الإمامة أن يثبت أهليته لمنصب الإمامة بالتحدي في المسائل العلمية والأحكام.

جاء في تاريخ حياة بعض الأئمة، أن الشيعة كانوا يعرضون عليهم أسئلة علمية لمعرفة مدى أهليتهم لإحراز منصب الإمامة. و لهذا وردت في المصادر الحديثية احتجاجات منهم تسترعي الاهتمام.

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٤٥، ص ٤١٨.

٢- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٨٤، الحديث ٢. ٣- المصدر السابق، الحديث ٣.

## الإمامة الخاصة

### الإمامة بعد النبي ﷺ

بعث الله عز وجل محمداً ﷺ آخر الأنبياء لخلقهم. وقد جعل ﷺ كل همته إعلاء كلمة الإسلام إلى حد أنه كان مستعداً للتضحية بكل شيء في سبيل هذا الدين. وقد ضحى بالئات من خيرة أبناء هذه الأمة في سبيل هذه الغاية. ومع كل تلك المساعي والجهود كان يدرك أن الإسلام لم يستقطب كل جزيرة العرب، ولم يرسخ بعد في القلوب. وقد كانت هناك قوتان تجابهان الإسلام وهما: الفرس والروم. أما النبي فكان على معرفة بصفات العرب و تعصّبهم القبلي، حيث إن العادات الجاهلية لازالت رواسبها كامنة في أعماق نفوسهم، وكان المنافقون يتحينون الفرص للانقضاض على الإسلام. وكان النبي يعلم أيضاً بأن حب الدنيا وحب الجاه من المخاطر التي تهدد كبار الصحابة على وجه الخصوص، وكان يعلم بأن الأمة معرضة لخطر الردة إلى الجاهلية. وقد حذر القرآن من هذه الحقيقة المريرة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (١).

وقد أعرب النبي ﷺ عن خشيته من هذه الأوضاع حين قال: يُجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: ياربّ أصبحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (٢) فيقال: إن هؤلاء لا يزالون مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. (٣)

وفي مثل هذه الأوضاع لا يعقل أن يترك النبي ﷺ، بما له من عقل ودراية - فضلاً عن مقام النبوة واهتمامه بنشر الإسلام - زمام هذا الأمر ولا يرسم له خطة، ويترك المسلمين و شؤونهم. وكيف يمكن أن يعقل أن النبي ﷺ كان يفكر في العهد الذي كان يعيش هو فيه و

١- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٤٤. ٢- سورة المائدة (٥)، الآية ١١٧.

٣- البخاري، الصحيح، ج ٥، ص ٢٢٨، الحديث ٤٦٢٥.

لا يضع منهجاً لما بعد حياته بما يضمن استمرار الرسالة والدعوة؟ لاشكّ في أنّ مسؤول أئمة جماعة لو أراد مغادرة جماعته، ولو مغادرة وقتية، فلا بد أن يعيّن لهم خلال مدة غيابه من يتولّى إدارة أمورهم ويرجعون إليه في قضاياهم. وقد كانت سيرته تجري على هذا المنوال أيضاً؛ فهو متى ما كان يغادر لسفر أو غزوة كان يعيّن من يخلفه لتمشية أمور الناس. وإن كان الأمر كذلك، فكيف يمكن أن يترك الأمة وشأنها؟

ينقل أنّ ابن الخليفة الثاني قال لأبيه عندما كان على فراش الموت: زعموا أنك غير مستخلف، وأنه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثم جاءك وتركها، رأيت أنه قد ضيّع؟ فرعاية الناس أشد. فوافقته قولي<sup>(١)</sup>.

و قالت عائشة لعبد الله بن عمر: يا بني، أبلغ عمر سلامي، و قل له: لا تدع أمة محمد بلاراع. استخلف عليهم و لا تدعهم بعدك هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة.<sup>(٢)</sup>  
و روي أيضاً أنّ جماعة عادوا عمر في مرضه و طلبوا منه أن يستخلف أحداً من بعده.<sup>(٣)</sup>  
فهل كان غير النبيّ عارفاً بمصلحة الاستخلاف، والنبيّ لا يعرف هذه المصلحة، بينما وصفه الله تعالى بالحرص على المؤمنين والرفقة بهم.<sup>(٤)</sup>

كيف يُعقل أنّ ديناً عالمياً خالداً يشتمل على كل المعارف الأصيلة، والأصول الأخلاقية، والأحكام الفرعية في جميع الجوانب الفردية والاجتماعية، لا يحتاج إلى مفسّر و حافظ خلافاً لجميع القوانين التي تحتاج عادة إلى مفسّر و حافظ، و أن لا تكون الأمة الإسلامية - خلافاً لكل الأمم - بحاجة إلى إمامٍ وقائدٍ؟ من المنطقي أنّ كل عاقل يقدم على أمر مهمٍّ و يهدف إلى تحقيق غاية باهضة الثمن، لأبديّ و أن يفكر في استمرارها إلى حين تحققها، و أن يضع لها خطة تكفل لها النجاح.

إنّ مثل هذا الموضوع لا يخرج عن عدّة افتراضات وهي:

١- إنّ الاسلام محدود بعمر النبيّ ﷺ، و لا علاقة له بما سيجري بعد ذلك.

١- التيسابوري، مسلم، الصحيح، كتاب الامارة، ج ١٢، ص ٢٠٥ و ٢٠٦.

٢- الدينوري، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٤٢. ٣- الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٨٠.

٤- سورة التوبة (٩)، الآية ١٢٨.

٢- أن يكون المسلمون قد بلغوا في حياة النبيِّ مرحلة من النضوج الفكري والعلمي بحيث عَدُوا يستطيعون معرفة تكاليفهم في ضوء القرآن والسُّنة من غير حاجة إلى قائد ديني.

٣- أن تكون مهمة اختيار الخليفة قد تُركت للمسلمين أنفسهم.

٤- كان من واجب النبيِّ ﷺ أن ينظر بعيداً لما بعد عهده، و يضع خطة لاستمرار التحرك الذي بدأه، و يعمل وفقاً لها.

والافتراض الأول باطل طبعاً؛ لأنه يستلزم القيام بعمل عبثي لا فائدة منه. فليس من المنطقي أن تُبدل كل تلك الجهود ثم تترك الأمور سُدىً، ثم إنَّ هذا يتناقض مع ادعاء الخاتمية و مع الغاية التي جاء من أجلها الدين.

والافتراض الثاني غير صحيح أيضاً؛ لأنَّ الواقع التاريخي يثبت خلاف ذلك. فما وقع بعد الرسول من خلافات دموية أحياناً حول شؤون السلطة والقضايا السياسية، يكشف أنَّ المسلمين لم يبلغوا تلك الدرجة من النضوج الفكري.

أمَّا بالنسبة إلى الافتراض الثالث فهو افتراض غير عملي؛ لأنَّ الأمة لم تتفق على شخص واحد بسبب ما كان يتجاذبها من تعصب قبلي و تنافس بين البطون والأسر. وإثما دعت كل جماعة إلى شخص. و أوضح دليل على ذلك ما وقع من تجاذبات و منازعات في السقيفة. فالشخص الذي بويع في السقيفة لم تبايعه الأمة كلها. و فضلاً عن ذلك فإنَّ الإمامة تعد امتداداً للنبوَّة والرسالة. و كان لا بُدَّ من اختيار شخص جدير بهذا المنصب. و إذا افترضنا أنَّ مسؤولية اختيار الإمام متروكة للمسلمين، كيف يتسنى لهم تحديد أنَّ هذا الشخص أو ذاك لديه القدرة على النهوض بهذه المسؤولية الخطيرة.

يرى الشيعة أنَّ رسول الله ﷺ و هو العاقل الحكيم، كان حريصاً على تحقيق الغاية التي كان يهدف إليها بأفضل الأساليب، و لم يكن غافلاً عن هذه القضية المهمة والمصيرية. و حتى أنه كان يؤكِّد عليها في مواقف و مقاطع مختلفة. و يمكن الاستدلال على صحَّة هذا الادِّعاء من خلال تحليل الأخبار التاريخية في ضوء المعايير التي يُدرس فيها أي خبر تاريخي.



نعم، هناك شواهد وأدلة وقرائن كثيرة تثبت أن النبي كان يعبر أهمية كبرى لهذه القضية، وقد وضع الحل لها. فقد تلقى الأمر من ربه حول خليفته، وفعل ما أمر به.

### خليفة النبي ﷺ على أساس القرآن

أمر الله المؤمنين في القرآن بطاعة الله والرسول وأولي الأمر.<sup>(١)</sup> واقتران طاعة أولي الأمر بطاعة الرسول يفيد أن طاعة الرسول و طاعة أولي الأمر من سنخ واحد. والمراد من طاعة الرسول وأولي الأمر هي الطاعة في الأوامر الولائية والحكومية التي تصدر منهم؛ لأن طاعتهم في الأحكام الدينية إرشادية و غير منفكة عن طاعة الله.

ونظراً إلى مجيء طاعة أولي الأمر و طاعة الرسول و طاعة الله في مساق واحد، فلا بد أن يكون أولو الأمر معصومين من الخطأ والذنب، وإلا فإن هذا الأمر يستلزم طاعة المذنبين. ويستقبح طبعاً صدور مثل هذا الأمر من الله الحكيم.<sup>(٢)</sup> وبما أن أولي الأمر يجب أن يكونوا معصومين، ونظراً إلى عدم ادعاء العصمة إلا لأهل البيت عليهم السلام، فقد جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: أهل البيت هم الذين قال فيهم الله عز وجل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ﴾.<sup>(٣)</sup>

هناك روايات كثيرة تذكر أن الإمام علياً عليه السلام تصدق بخاتمه على فقير وهو في الركوع، ثم نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ﴾.<sup>(٤)</sup>

وبعدما تلقى النبي هذه الآية قرأها على أصحابه وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه.

١- سورة النساء (٤)، الآية ٥٩.

٢- الطبرسي، مجمع البيان، ج ٢، ص ٦٤؛ للاطلاع على مزيد من التفصيل وللإطلاع على الاحتمالات الأخرى، راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ١، ص ٦٤-٦٩.

٣- سورة المائدة (٥)، الآية ٥٥؛ الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٨٦ و ٢٨٨، الحديثان ١ و ٣.

٤- سورة المائدة (٥)، الآية ٥٥. جاء في بعض الروايات ان الصدقة المذكورة كانت عبارة عن حلة ثمينة. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٧ من أحكام الملابس، ج ٥، ص ١٨، الحديث ٩.

اللهم والِ مَنْ والاه و عاد مَنْ عاداه. (١)

جاءت كلمة الولي بمعنى الأولى بالتصرف والمفوض بالأمر. وعلى العموم تتضمن كلمة الولاية و مشتقاتها نوعاً من التصرف بالآخرين، و لا تعني مجرد المحبة التي هي أمر قلبي. نذكر على سبيل المثال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾، (٢) و ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾، (٣) و ﴿وَمَا لَهُمْ آلًا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُشْكُونَ...﴾. (٤)

و في ضوء ما سبق ذكره فلا يمكن حمل آية الولاية على مجرد المحبة المحضة. وإنما يعني الولي: الحاكم والمشرف. واستناداً إلى الرواية و شأن النزول فإنَّ المراد من ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٥) هو علي عليه السلام.

قد يقول قائل: إنَّ الآية وردت بصيغة الجمع ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ... وَيُؤْتُونَ...﴾ مع أنَّ المتصدِّق في الصلاة هو علي فقط، والجواب عن ذلك هو أولاً: أحياناً يأتي الكلام بصيغة الجمع بينما يكون المراد مفرداً. (٦) و ثانياً: إنَّ وجه الإتيان بالجمع وإرادة المفرد هو من باب التعظيم و ترغيب الآخرين. (٧)

و قد أنزل الله عزَّ وجلَّ بشأن إمامة الإمام علي عليه السلام الآية المعروفة باسم آية التبليغ وهي ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. (٨)

١- أحمد بن حنبل، المسند، ج ٥، ص ٤٩٤، الحديث ١٨٧٩٣؛ عبدالحسين الأميني، الغدير، ج ١، ص ٧٧-٩٣.

٢- سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٦.

٣- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٥٧.

٤- سورة الأنفال (٨)، الآية ٣٤.

٥- سورة المائدة (٥)، الآية ٥٥.

٦- مثل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ سورة آل عمران (٣)، الآية ١٧٣؛ فقد أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت في نعيم بن مسعود؛ وفي آية المباهلة أيضاً أطلقت كلمات: الأبناء، والنساء والأنفس على الحسين و فاطمة الزهراء و علي عليه السلام.

٧- قال الزمخشري و هو من مفسري أهل السنة: جيء به على لفظ الجمع و ان كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولبيته على أن سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان و تفقد الفقراء حتى ان لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة، لم يؤخروه إلى الفراغ منها.

٨- الكشاف، ج ١، ص ٦٤٩.

٩- سورة المائدة (٥)، الآية ٦٧.

حيث جاء في شأن نزول آية التبليغ<sup>(١)</sup> - حسبما نقل كل من الشيعة والسنة - ما يلي: عندما كان النبي عائداً إلى المدينة من حجة الوداع و برفته تسعون ألفاً أو مئة و عشرون ألفاً من المسلمين، نزلت الآية المذكورة في موضع يُقال له حُم. فأمر النبي ﷺ بجمع الناس، و ألقى فيهم خطبة قال فيها: أتعلمون أني أولى بكم من أنفسكم؟ و كرّر هذا ثلاث مرات، و القوم يقولون في كل مرّة: نعم! ثم قال: «من كنتُ مولاه فعلىّ مولاه». و هذا الحديث نقله عدد كبير من الصحابة بقليل من الاختلاف.<sup>(٢)</sup> و نقل هذا القول عن رسول الله في مواقف شتى.

تكشف آية التبليغ حقيقة و هي أنّ النبي ﷺ كان مكلفاً بإبلاغ أمر خطير بحيث أنه إن لم يبلغه فكأنما لم يبلغ الرسالة. و يُستفاد من طمأنة الله للنبي بأنه كان هناك من يعارضون هذا الأمر، و أنهم كانوا سيعارضونه فيما لو أعلنه. فما هو هذا الأمر المهم الذي يطمئن الله خاطر نبيه من أجله و يعده بالمحافظة عليه من شر الناس؟ ذهب البعض إلى القول: إن هذا الأمر المهم يتعلّق بأهل الكتاب بدليل أنّ الآية جاءت في سياق آيات تتعلّق بأهل الكتاب، و لكن من الواضح أنّ اليهود و النصارى لم يكونوا يومذاك في وضع بحيث يخشاهم النبي ﷺ، بل إنّ مثل هذه الخشية لم تكن حتى في أوائل الهجرة إلى المدينة حيث كانت شوكة اليهود أقوى، فما بالك بما بعد توطيد دعائم قوّة النبي ﷺ.

و لم يكن هذا الأمر المهم هو الدّين كلّهُ؛ لأنّ النبي كان قد أبلغ معظم الدّين طيلة مدّة رسالته. و يستفاد من عموم كلمة «الناس» أنه كان هناك بين أصحاب النبي ﷺ إضافة إلى المؤمنين، منافقون و في قلوبهم مرض، ممن لا يمكن فرزهم. و جملة «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» في مقام تعليل لجملة «وَاللَّهُ يَعِصْمُكَ مِنَ النَّاسِ». و المراد بالكفر هو الكفر بالحكم المُشار إليه في «مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ». و المراد بعدم هدايته تعالى هؤلاء القوم

١- السيوطي، الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٩٨.

٢- ليس هناك أي شك في حديث الغدير، حتى ان ابن حجر صرّح في الصواعق بصحّته. وجاء في رواية أحمد بن حنبل ان ثلاثين من الصحابة سمعوه. المظفر الحلي، دلائل الصدق... و أورد العلامة الأميني مائة و عشرة من رواة الحديث من الصحابة مع ذكر المصدر. و للاطلاع على مزيد من التفاصيل، راجع كتاب الغدير، ج ١، ص ١٤ إلى ٦١؛ و دراسات في ولاية الفقيه، ج ١، ص ٤٩ و ٥٠.

الكافرين عدم هدايته إياهم في كيدهم ومكرهم، ومنعه الأسباب التي تمكنهم من تحقيق ما يرومونه من الشر والفساد.<sup>(١)</sup>

هذه الآيات وغيرها من الآيات الأخرى التي بيّنت الروايات دلالتها على ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، تعبّر عن مدى مكانة إمامة وولاية علي والأئمة المعصومين عليهم السلام في استمرار رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ورغم ذلك قد يُثار تساؤل وهو: لماذا لم يأت بصراحة ذكر أصل الإمامة واستمرارها بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأشخاص المعصومين. والجواب هو: يكفي أنّ أصل الإمامة قد طرح في القرآن. وثنياً: إنّ رسالة النبي التي ذكرت صراحة في القرآن هي الزعامة الدينية، بينما تُركت إليه الكثير من أمور الدين وتفسيرها وشرحها وبيان كيفيةها. وليس هناك ضرورة تدعو إلى ذكر جميع القضايا صراحة في القرآن، وإن كانت ذات أهمية. فالإمامة قد ورد أصلها في القرآن، وأما بيان وتفسير جزئياتها فهو من واجب الرسول، كما هو الحال في أمور كثيرة، كالصلاة والحج وسائر المسائل العبادية والاجتماعية، بل وحتى رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي ورد ذكرها صراحة في القرآن مع إقامة المعجزات عليها، هل آمن بها الجميع؟ لقد تم أداء ما ينبغي أدائه في سبيل الإيمان بالإمامة، وكان ذلك كافياً لبيان الحق.

## الولاية

الولاية: من الولي، بمعنى القرب والمدانة.<sup>(٢)</sup> والولاية تعني النصرة، والولاية تعني تولّي الأمر وتدبير الأمور.<sup>(٣)</sup> وتُطلق كلمة الولي على الله لأنّه مدبّر الأمور.

تشتمل كلمة الولي والولاية على نوع من التصرف في أمور الآخرين؛ وهذا الأمر المتواليان والمتقاربان لا يخلوان من تأثير وتصرف في بعضهما. وقد طرحت معانٍ متعددة لكلمة «المولى». فيقال -مثلاً- لوجود شخص إلى جوار آخر للتصدي لبعض شؤونه وسد

١- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ج ٦، ص ٥١.

٢- الجوهري، صحاح اللغة، ج ٦، ص ٢٥٢٨. ٣- الراغب الاصفهاني مفردات ألفاظ القرآن، ص ٨٨٥.

بعض نواقصه، ولاية<sup>(١)</sup>. و مراد النبي ﷺ من جملة «من كنت مولاه فعلى مولاه» إثبات الولاية في التصرف. والأولية المذكورة في الآية «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ»<sup>(٢)</sup> هما بمعنى واحد في كلا الحالتين. فلو كان النبي ﷺ بصدد بيان محبة علي عليه السلام فقط لما كان من الضروري بيان حق أولويته بالمؤمنين، ثم إن إعلان المحبة ليس له أهمية تستدعي أن يوقف مئة و عشرين ألف شخص في غدير خم، في وسط الصحراء، ليعلن لهم ذلك الأمر.

جاء في حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ وَ هُوَ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي»<sup>(٣)</sup> وقوله «بعدي» ينفي احتمال كَوْن الكلمة بمعنى المحبة القلبية، بل هي هنا بمعنى الأولوية والإمامة؛<sup>(٤)</sup> وذلك لَأَنَّ المحبة لا تختص بما بعد رحيل النبي ﷺ، في حين أنها إذا كانت بمعنى الولاية والتصرف يزول الإشكال ويكون المعنى كاملاً؛ لَأَنَّ النبي كان يقوم بهذا الدور في زمن حياته، و بوجوده لا حاجة لوجود غيره.

و للولاية حسب التحقق الخارجي مراتب نبينها كالاتي<sup>(٥)</sup>:

١- مرتبة الاستعداد والصلاحية؛ أي أن يكون الشخص حائزاً للصفات والملكات الذاتية والاكتسابية التي يصير بها عند العقلاء صالحاً للولاية، وبدونها يكون الجعل عندهم جزافاً. والباري تعالى بصفته حكيماً مطلقاً لا يعطي منصب النبوة والإمامة إلا لمن لديه لياقة ذاتية وأهلية لهذا المنصب. وهذه المرتبة من الولاية كمال ذاتي في الشخص، و حقيقة خارجية، و لا يمكن سلبها أو غصبها أو تفويضها إلى الغير أو التصالح عليها.

٢- المنصب المجهول للشخص اعتباراً من قِبَل مَنْ له ذلك، وإن فرض عدم ترتب الأثر المترقب منها عليه. كمن يعين شخصاً ليتولى إدارة أعماله نيابة عنه. و هذه المرتبة من الولاية اعتبارية، وجعلها مشروط بلياقة الشخص و ما يقرره صاحب الولاية.

١- للإطلاع على مزيد من المعلومات في هذا المجال، راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ١، ص ٥٥ و ٥٦.

٢- سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٦.

٣- سنن الترمذي،، الباب ٢٠ من أبواب كتاب المناقب، ج ٥، ص ٥٩١، الحديث ٣٧١٢.

٤- لمزيد من التفصيل، راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ١، ص ٥٥-٥٧.

٥- لمزيد من التفصيل، راجع: المصدر السابق، ص ٧٨-٨٠.

٣- الولاية والسلطة الفعلية الحاصلة من مبايعة الناس له، مثل ما حصل لأمير المؤمنين عليه السلام بعد عثمان، حيث بايعه الناس. ولهذه المرتبة وجهتان:

أ - وجهة كونها مقاماً وسلطة يتنافس عليها المتنافسون.

ب - وجهة كونها أمانة من الله و من الناس، ولا تستعقب إلا مسؤولية و تكليفاً.

في هذا المجال أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى نعله المخصوف وقال: «والله ليهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً». (١) و من المؤكد أنه لو كان المراد من الولاية والإمارة، الحقيقة الخارجية والكمال النفسي لشخصه هو، كما قال إن النعل المخصوف خير من العلوم والفضائل التي بسببها صار أهلاً لهذا المقام. كما أنه لا يقصد ذلك المنصب الذي جعله له الله و اعلنه له النبي في غدیر خم، وإنما يقصد الجانب الديني للإمارة والرئاسة على الناس. وهذا هو ما بينه في الخطبة الشقشقية حين قال «... لألقيت حبلها على غاربها... و لأفئتم دنياكم هذه أهد عندي من عظمة عنز»، (٢) وهي التي قال عنها: «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة و لا في الولاية إربة». (٣)

### الولاية التكوينية والولاية التشريعية

الولاية بمعنى القدرة على التصرف والتحكم، و هي تُقسم إلى ولاية تكوينية، و ولاية تشريعية، و لها مراتب. و مرتبتها الكاملة مختصة بالله، و هناك مرتبة من الولاية التكوينية للرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، و كذلك لبعض الأنبياء، بل حتى لبعض الأولياء، بما يتناسب مع سموهم الروحي و مقدرتهم النفسية وارتباطهم بالله، لأن معجزات الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وكرامات الأولياء، هي نوع من التصرف في التكوين؛ و إن كانوا يأتون بها في طول مشيئة الله و بإذنه. و من أمثلة الولاية التكوينية التي أُشير إليها في القرآن إحياء الطير بأمر إبراهيم عليه السلام، (٤) و تحويل العصا حية لموسى عليه السلام، (٥) و صنع طير من الطين و النفخ فيه،

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ٣٣، ص ٧٦.

٢- المصدر السابق، الخطبة ٣، ص ٥٠.

٣- المصدر السابق، الخطبة ٢٠٥، ص ٣٢٢.

٤- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٦٠.

٥- سورة الأعراف (٧)، الآية ١٠٧.

وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام،<sup>(١)</sup> وإحضار عرش ملكة سبأ في لحظة لسليمان عليه السلام من قبل آصف بن برخيا.<sup>(٢)</sup>

أما الولاية التشريعية وهي حق تشريع الأحكام للناس - أو ما يُسمّى بالتقنين - فهي لله؛ ثم فوّضت منه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده إلى الأئمة عليهم السلام. جاء في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام في تفسير أولي الأمر<sup>(٣)</sup> بآل محمد أنه قال: وهم الذين يستنبطون من القرآن ويعرفون الحلال والحرام.<sup>(٤)</sup> وجاء في رواية أخرى أنّ الله جعل الأئمة مواضع الأنبياء غير أنهم لا يحلّون شيئاً ولا يحرمونه.<sup>(٥)</sup> والولاية التكوينية والولاية التشريعية ثابتتان إجمالاً للأئمة عليهم السلام.<sup>(٦)</sup> وصلاحيتهم في هذا المجال محصورة طبعاً في طيف الأحكام الإلهية، ولا يتهم منبثقة من ولاية الله.

ولا يخفى طبعاً أنّ الولاية التشريعية للأئمة لا تتعارض مع خاتمية الدين الإسلامي، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: ثبوت هذه الولاية مصرّح بها بين طيّبات الدين، ومستقاة من آيات القرآن الكريم و أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها حديث الثقلين المتواتر.<sup>(٧)</sup>

ثانياً: استناداً إلى ما صرّح به الأئمة المعصومون أنّ حديثهم حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومتصل بكلام الله، كما روى هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيرهما عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ.<sup>(٨)</sup>

١- سورة آل عمران (٣)، الآية ٤٩. ٢- سورة النمل (٢٧)، الآية ٤٠.

٣- سورة النساء (٤)، الآية ٨٣.

٤- الحويزي، نور الثقلين، ج ١، ص ٥٢٣، الحديث ٤٢٩.

٥- المصدر السابق، ج ١، ص ٥٠٠، الحديث ٣٣٤.

٦- راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ١، ص ٧٤-٧٦.

٧- «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً».

٨- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٥٣، الحديث ١٤.

و هذا يعني أنّ دور أهل البيت عليهم السلام هو نقل أحاديث الرسول، و تفسير القرآن، و الوقوف بوجه الانحرافات، و جعل أنفسهم قدوة للناس، و تجسيد تعاليم الدين، و شرح و تفصيل السنّة. مثلما كان دور رسول الله صلى الله عليه وآله نقل الوحي و كلام الله و تبينه للناس: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(١)</sup> و كذلك ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> و نظراً إلى ما يتسمون به من عصمة، فإن قولهم و فعلهم و تقريرهم حجة و مطابق للواقع.

### إمامة الإمام عليّ عليه السلام في الروايات

بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام، بالقول و بالفعل. فالمواقف العملية للرسول صلى الله عليه وآله منه عليه السلام، والمسؤوليات التي أناطها به، تدل على أنه كان يعتبره شخصية متميزة، مثل مؤاخاته إياه بنفسه، و إنكاحه ابنته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، و أنه لم يندبه لأمر مهم، و لا بعثه في بعث، إلا كان هو المقدم فيه و الوالي عليه، و لم يولّ عليه أحداً من أصحابه. و إغلاق جميع الأبواب المؤدية إلى المسجد إلا بابه،<sup>(٣)</sup> كلّها أمور تشير إلى موقعه الخاص في النبيّ صلى الله عليه وآله.

ولرسول الله صلى الله عليه وآله تعبيرات سامية في وصف أمير المؤمنين عليه السلام منها قوله فيه: إمام المتقين، و سيد المسلمين، و قائد الغر المحجلين، و أمير الدين، و أخو رسول الله، و علم الهدى، و نور أتباع محمد صلى الله عليه وآله، و أول المسلمين، و المجاهد من أجل تأويل القرآن، و الصديق الأكبر، و باب علم النبيّ صلى الله عليه وآله، و نفس النبيّ،<sup>(٤)</sup> و غير ذلك.

و هذه التعبيرات و إن كانت غير دالّة صراحة على إمامة علي عليه السلام، غير أنها تكشف على الأقل عن علوّ فضلّه، و أهليّته لهذا المنصب.<sup>(٥)</sup>

١- سورة النجم (٥٣)، الآيتان ٣ و ٤.

٢- سورة النحل (١٦)، الآية ٤٤.

٣- الطبرسي، إعلام الوريّ بأعلام الهدى، الباب ٢ من الركن ٢، ج ١، ص ٣١٥-٣٢١؛ و الباب ٤، ص ٣٦٢-٣٦٤.

٤- السيّد شرف الدين، المراجعات، ص ٢٤٠-٢٥٤؛ المظفر، دلائل الصدق، ج ٢، ص ٣٤٩-٤٩٤.

٥- السيّد شرف الدين، المراجعات، ص ٢٥٦.



و قد احتج أمير المؤمنين عليه السلام على أعضاء شورى الخلافة بمكاته و سابق فضله، وهم أقرؤا له بذلك<sup>(١)</sup> و من ذلك مؤاخاته مع رسول الله، و أن له أخاً مثل جعفر الطيار رضوان الله عليه، و عمّاً كحمزة رضوان الله عليه، و أنه حامل لواء رسول الله صلى الله عليه وآله، و مبير المشركين، و خليفة رسول الله في المدينة أثناء غزوة تبوك، و أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد توفي في حجره، و أنه هو الذي تولى غسله و كفنه مع الملائكة، كما استدل عليهم أيضاً بقصة خبير و فرار الآخرين، و ثباته في معركة أحد، و معركة الخندق، و مبارزته لعمر و بن عبدود، و أنه هو الذي نزلت فيه آيات *«وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ»*<sup>(٢)</sup>، و *«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ»*<sup>(٣)</sup>، و *«وَالْوَالِيَةُ»*<sup>(٤)</sup>، و آية *«أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»*<sup>(٥)</sup>، و من الطبيعي أن سرد هذه الفضائل و المناقب في ذلك الاجتماع المصيري لم تكن لمجرد استذكار الماضي، و إنما لإحياء أمر مغفول عنه و منسي و مهضوم، ألا و هو الإمامة و قيادة شؤون المسلمين.

ورد في نهج البلاغة أن شخصاً قال له: إنك على هذا الأمر لحريص! فقال عليه السلام موضحاً ما يختلف به عن غيره، مبيّناً ما لديه من المؤهلات و الفضائل: *«وَأِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي»*<sup>(٦)</sup>، و قال في موضع آخر: *«أَرَى تِرَاثِي نَهْباً»*<sup>(٧)</sup>، و قال أيضاً: *«لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي»*<sup>(٨)</sup>، و قال: *«أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى»*<sup>(٩)</sup>.

١- الطبري، ابن رستم، المسترشد، ص ٣٣٢ - ٣٦٤؛ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ج ١، ص ٣٦٠ - ٣٧٣؛ العسقلاني، الصواعق المحرقة، ص ١٢٠.

٢- سورة الواقعة (٥٦)، الآية ١٠.

٣- *«فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لُغْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ»*، سورة آل عمران (٣)، الآية ٦١.

٤- *«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ»*، سورة المائدة (٥)، الآية ٥٥.

٥- سورة التوبة (٩)، الآية ١٩.

٦- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٧٢، ص ٢٤٦.

٧- المصدر السابق، الخطبة ٣، ص ٤٨.

٨- المصدر السابق، الخطبة ٧٤، ص ١٠٢.

٩- المصدر السابق، الخطبة ٣، ص ٤٨.

## نبوءة رسول الله ﷺ

لقد كان من المتوقع - كما يبدو - أن قريشاً لن تتصاع لإمامة وخلافة علي عليه السلام. وقد كان الرسول علي بن أبي طالب بينة من هذا الأمر، ولم يكنتم هواجسه من هذه القضية. وتظهر الشواهد التاريخية أنه أفصح عن وجهة نظره في هذا الصدد في مواقف شتى، محاولاً ترسيخ ولاية علي عليه السلام. ففي أعقاب خروج عائشة على الإمام علي عليه السلام في حرب الجمل، احتجّت عليها أم سلمة بمجموعة أمور منها: أنها قالت لها: «أتذكرين حين كُنّا أنا و أنت مع رسول الله ﷺ في سفر له، وكان علي يتعاهد نعلي رسول الله ﷺ يخصفها، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت له نعل، فأخذها يومئذ يخصفها، وقعد في ظل شجرة، وجاء أبوك ومعك عمر، فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ودخلا يحادثانه فيما أرادا، ثم قالا: يا رسول الله، إنا لاندري قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من تستخلف علينا، ليكون لنا بعدك مفزعا؟ فقال لهما: أما إني قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه، كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران، فسكتا ثم خرجا. فلما خرجنا إلى رسول الله ﷺ، قلت له، و كنت أجراً عليه منا: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: خاصف النعل، فنظرنا فلم نر أحداً إلا علياً»<sup>(١)</sup>.

## هواجس النبي ﷺ من العصبية الجاهلية

كانت العصبية القبلية ضاربة بأطنابها في المجتمع القبلي الذي كان يعيش في جزيرة العرب. وقد بذل رسول الله ﷺ محاولات دؤوبة لاستئصال شأفة تلك الظاهرة وحقّق نجاحاً باهراً، ولكن رغم كل ذلك فقد بقي هناك ما يثير القلق والمخاوف. ومن الطبيعي أن كل سياسي نبوي يدرك لو أنّ النبيّ نصب لقيادة المسلمين من بعده شاباً في الثالثة والثلاثين من عمره لكان ذلك مدعاة لإثارة الاحقاد والضغائن. إذ من الطبيعي أن مثل ذلك الشاب

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٢١٨، شرح الخطبة ٧٩؛ سنن ابن ماجه، ج ٥، ص ٥٩٢، الحديث ٣٧١٥، الباب ٢٠ مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام.

الذي كانت له كل تلك الفضائل المتميزة كان يثير حسد كثير من الأفراد. كانت مخاوف الرسول من قضية الاستخلاف من الشدة بحيث أنه كان يخشى أن تؤذي لو طرحها إلى ضياع كل جهوده، ولكن الله عز وجل طمأنه بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup> فحتى لو لم يسمحوا للخلافة الظاهرية أن تصير إلى أهلها، غير أن النور والمعرفة المتصلة بينوع الوحي والرسالة لا ينطفئان أبداً. فالمعارف الإلهية، و تفسير القرآن، و دفع الشبهات من قبل أهل بيت النبي قد شاعت في كل مكان لتروي المتعطشين إلى معرفة الحقيقة. وإن كان علي و ذريته قد تسلّموا الخلافة الظاهرية مدّة من الزمن أو لم يتسلّموها، فإن ذلك العصر قد مرّ و انقضى، و ما بقي هو الحق و الثقافة الغنية للإسلام و التشيع.

فهم قادرون على رقد الحركة المعنوية للمجتمع، و السير به نحو الغايات السامية. و تبقى حقيقة الإسلام في خضم المساجلات و المذاهب المصطنعة، و إلا فلا معنى لإكمال الدين و إتمام النعمة و إلقاء الحجة.

### الإمام علي عليه السلام و الخلافة

في الوقت الذي كان فيه علي عليه السلام و أصحابه منهمكين في المصيبة الكبرى لرحيل النبي ﷺ، اجتمع أهل السقيفة و عينوا خليفة للنبي. و بعد هذا العمل صاروا يقفون سوية بوجه أي عمل آخر. و استطاعوا أن يسيطروا على زمام الأمور بذكاء و ضجيج مفتعل، و منح امتيازات لهذا و ذاك، و إسكات المعارضين البارزين، و قمع جماعة آخرين. و أصبحت الظروف بالشكل الذي لا يسمح لعلي عليه السلام أو لأي شخص آخر أن يقوم بأي عمل. و هكذا وجد الإمام أن احتجاجه لا يجدي نفعاً. و لا يؤدي سوى إلى الفتنة و الاقتتال و اجتثاث الدين و المؤمنين. و رأى الإمام يومذاك أن يتغاضى عن الخلافة تلافياً للشر و الفتنة؛ لأنه كان يدرك فداحة المخاطر التي تهدد الإسلام. فقد برز في أرجاء جزيرة العرب منافقون و مدعون للنبوّة الذين كانوا يشكلون تهديداً خطيراً لبيضة الإسلام، فهم كانوا يتربصون في

١- سورة المائدة (٥)، الآية ٦٧.

منتظرين الفرصة المناسبة للانقضاء على الإسلام والقضاء عليه.  
وكان من الطبيعي في مثل تلك الظروف أن يؤدي أي عمل يقوم به علي عليه السلام في أمر  
الخلافة، إلى نشوب صراع خطير تصعب السيطرة عليه. فجلس في داره حرصاً على حفظ  
دين الله ولكي لا يشق عصا المسلمين. (١)  
لقد بذل الإمام علي عليه السلام جهوده متى ما وجد الظرف المناسب لبيان معارف الدين و  
تفسير كتاب الله، وكان في الوقت ذاته يسعى من أجل إعادة الخلافة والإمامة إلى مسارها،  
و مؤكداً على حقه في الخلافة.  
و قال في رده على الخوارج الذين قالوا له: أنت الوصي ولكنك ضيقت الوصاية،  
وجعلت الحكم إلى غيرك: أنتم كفرتم وقدمتم عليّ غيري، وأزلتم الأمر عني، وليس على  
الأوصياء الدعاء إلى أنفسهم... وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ  
اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. (٢) فلو ترك الناس الحج لم يكن البيت ليكفر بتركهم إيّاه، ولكن كانوا  
يكفرون بتركه؛ لأنّ الله تعالى قد نصبه لهم علماً، وكذلك نصبني علماً، حيث قال  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي أنت بمنزلة الكعبة تُؤتى ولا تأتي. (٣)

## الأئمة الإثنا عشر

كان عدد أوصياء النبي صلى الله عليه وآله وسلم و خلفائه إثني عشر إماماً. وهناك مجموعتان من  
الأحاديث والروايات الدالة على هذا: مجموعة الأحاديث التي تؤكد على وجود الإمام  
في المجتمع بشكل عام، ومنها الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الأرض لا تخلو  
من حجة. (٤)

١- السيّد شرف الدين، المراجعات، ص ٣٨٥-٣٨٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢١، شرح  
الخطبة ٢٦.

٢- الطبري، ابن رستم، المسترشد، ص ٣٨٧ و ٣٩٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٣١.  
٣- أو مثل هذا الحديث: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنتان.» صحيح مسلم، كتاب الامارة،  
ج ١٢، ص ٢٠١؛ الطبري، ابن رستم، المسترشد، ص ٣٨٧، ذيل الرقم ١٣٠؛ و ص ٣٩٤، ذيل الرقم ١٣٢.

يدل هذا النوع من الروايات على وجوب وجود إمام حق في كل زمان لكي لا تخلو الأرض من حجة إلهية، وليتخلص الناس بمعرفته من الجاهلية. والمجموعة الأخرى هي الروايات التي تنص على عدد و أوصاف أوصياء النبي ﷺ. فقد وردت ثلاثمائة رواية من طرق مختلفة حول عدد خلفاء النبي، و تنص كلها على العدد اثني عشر. و إن كانت هناك أخبار أخرى تنص على غير هذا العدد فلا بد من تأويلها أو تركها؛ لأنَّ المتواتر من الروايات يفيد أنَّ عدد الأئمة - مع الإمام علي - اثنا عشر إماماً. و في مصادر أهل السنة نُقلت روايات ذات مضمون واحد تقريباً و هو أنَّ عدد خلفاء النبي اثنا عشر خليفة، مثل: «يكون من بعدي اثنا عشر أميراً»،<sup>(١)</sup> و «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إليّ اثني عشر خليفة». <sup>(٢)</sup> والمراد من الإثني عشر من يستحقون الخلافة؛ أي تتوفر فيهم شروط الإمامة كالعدالة والعلم و غير ذلك.<sup>(٣)</sup>

يوجد في كتاب الكافي ثلاثة عشر باباً في أسماء و أوصاف الأئمة، و أحدها يتعلق بالنص على إمامة الأئمة، و أمّا الأبواب الإثنا عشر الأخرى فتتحدث عن كل واحد من الأئمة (من الإمام علي إلى الإمام المهدي ﷺ) استناداً إلى ما أدلى به الإمام السابق له، أو استناداً إلى حديث رسول الله ﷺ.<sup>(٤)</sup>

### أسماء الأئمة ﷺ

أسماء الأئمة المعصومين عند الشيعة هم بالترتيب التالي:

الإمام الأول: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ

الإمام الثاني: الإمام الحسن بن علي المجتبي ﷺ

الإمام الثالث: الإمام الحسين بن علي سيّد الشهداء ﷺ

١- سنن الترمذي، كتاب الفتن، الباب ٤٦، ج ٤، ص ٤٣٤، الحديث ٢٢٢٣.

٢- صحيح مسلم، كتاب الامارة، ج ١٢، ص ٢٠٢؛ النعماني، كتاب الغيبة، ص ١٧٥؛ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ج ٢، ص ١٥٧-١٦٥.

٣- لمزيد من التفصيل، راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ١، ص ٣٧٧.

٤- الكليني، الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، ص ٢٨٦-٣٢٩.

الإمام الرابع: الإمام عليّ بن الحسين سيّد الساجدين عليهما السلام

الإمام الخامس: الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام

الإمام السادس: الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام

الإمام السابع: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

الإمام الثامن: الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام

الإمام التاسع: الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام

الإمام العاشر: الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام

الإمام الحادي عشر: الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام

الإمام الثاني عشر: الإمام حجة بن الحسن المهدي عليه السلام

كما يعتقد الشيعة -استناداً إلى تصريحات وإشارات رسول الله صلى الله عليه وآله - بأنّ السيدة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام أمّ الأئمة عليهم السلام هي محور الإمامة والولاية، و سيّدة نساء العالمين في الدنيا والآخرة. وهي أسوة لكل الناس في كل عصر. وبما أنها من المعصومين أيضاً، فإنّ قولها وفعلها وتقريرها حجة. ورضاها رضي الله ورسوله، و غضبها غضب الله ورسوله. وهؤلاء هم العترة، وأهل بيت النبيّ الذين أوصى بهم، وهم يتّصفون بأوصافه -مع فارق واحد، وهو أنهم لا يوحى إليهم- و معصومون من كل خطأ و ذنب.

### اختيار الأئمة عليهم السلام

الأئمة أناس اصطفاهم الله. ومثلما اصطفى من بين الناس رسلاً لإبلاغ رسالته، ولتكون لهم الزعامة في الناس، كذلك اصطفى الأئمة لتكون لهم إمامة الناس. وكان في الأمم الماضية من اصطفاهم الله مثل آل إبراهيم و آل عمران.<sup>(١)</sup> وقد قال الله عزّ وجلّ في ما يخصّ الأئمة الإسلامية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.<sup>(٢)</sup> وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لنا من رسول الله الولادة و لنا من كتاب الله الوراثة».<sup>(٣)</sup>

١- سورة آل عمران (٣) الآيتان ٣٣ - ٣٤.

٢- سورة فاطر (٣٥)، الآية ٣٢.

٣- الطبري، ابن رستم، المسترشد، ص ٦٠٠.

أهلية الأئمة عليهم السلام

إضافة إلى النصوص المعتمدة والمتعددة حول إمامة الأئمة، فقد كانت لهم شخصيات بارزة ومؤهلات ومراتب من الكمال توجب أن تُفوض لهم الزعامة والإمامة. فقد كان الأئمة عليهم السلام هم المؤسسون لكثير من العلوم، ولم يكن هناك بعد النبي من يضاهيهم في المرتبة العلمية والمعنوية. والمثال الأبرز على ذلك، الإمامان الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام، فهما حينما توفرت لهما الظروف أظهرتا علمهما وربيباً كثيراً من التلاميذ. قال أبو زهرة وهو أحد الباحثين المصريين المعاصرين في وصف دور الإمام الباقر عليه السلام: «كان مقصد العلماء من كل البلاد الإسلامية»<sup>(١)</sup>.

نقل النجاشي في كتاب رجاله عن الحسن بن علي الوشاء أنه قال: أدركت في هذا المسجد (مسجد الكوفة) تسعمئة شيخ كل يقول: حدّثني جعفر بن محمد.<sup>(٢)</sup> ولا يدعي أحد طبعاً أنّ هؤلاء الأئمة قد اكتسبوا كل علومهم من الآخرين، أو درسوها في مدرسة. وتدل غزارة علمهم، وما نشروه من العلوم دون أن يتعلموا ذلك من أحد، على أنهم كان لديهم علم إلهي وأنهم كانوا يؤدون في الأمة ذات الدور الذي كان يؤديه النبي صلى الله عليه وآله وسلم. إن ما يوجب التمسك بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الإثني عشر هو النص عليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستقاء علومهم من علمه. يقول أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال: ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا تتهتدوا ببصائرنا، وإن تدبروا عنا يهلككم بأيدينا أو بما شاء، ومعنا راية الحق من تبعها لحق، ومن تأخر عنها محق، ألا و بنا يفتح، و بنا يختم لآبكم، فإنه عز وجل قد أمر بطاعة أقوام بأعيانهم، والرسول قد دل عليهم، وحظر على المتمسكين بهم أن يضلوا، والدليل على ذلك أن الله قد طبعهم على الخير، وعملهم ما احتاجت إليه الأمة، ولا يجالسون فقهاءها، ولا يتدارسون كتبها، بل ينظرون في علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.<sup>(٣)</sup>

١- أبو زهرة، الإمام الصادق، ص ١٨.

٢- رجال النجاشي، ص ٤٠، الرقم ٨٠، سيرة الحسن بن علي الوشاء.

٣- الطبري، ابن رستم، المسترشد، ص ٥٦١، الحديث ٢٣٨.

و بين الإمام الصادق أنّ مصدر علم الأئمة هو النبي ﷺ و علي عليه السلام، و قال أيضاً: إنّنا نعلم الأمور أحياناً بالإلهام.<sup>(١)</sup>

و قال الإمام الباقر عليه السلام: ... أترون أنّ الله تبارك و تعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يخفي عنهم أخبار السموات والأرض، و يقطع عنهم مواد العلم في ما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم؟<sup>(٢)</sup> و قال الإمام الصادق عليه السلام: لا يحتجّ الله تبارك و تعالى على خلقه بحجة لا يكون عنده كل ما يحتاجون إليه.<sup>(٣)</sup>

و جاء في رواية أنّ الإمام الباقر عليه السلام استشهد بالآية الشريفة: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾<sup>(٤)</sup> على أنهم يعلمون بما يقدره الله و يقضيه.<sup>(٥)</sup> و قال عمار الساباطي: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام، يعلم الغيب؟ فقال: لا، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك.<sup>(٦)</sup>

و جاء في رواية أخرى أنّ الإمام الصادق عليه السلام استدل بالآية الشريفة: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾<sup>(٧)</sup> و قارنها بالآية: ﴿... وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾<sup>(٨)</sup> بأنّ علم هذا أكثر من علم الذي أشارت إليه الآية السابقة: و قال: «علم الكتاب والله كلّه عندنا».<sup>(٩)</sup><sup>(١٠)</sup> و قال المفضل: جعلت فداك يفرض الله طاعة عبد علي العباد و يحجب عنه خبر السماء؟ قال: لا. الله أكرم و أرحم و أرف بعباده من أن يفرض طاعة عبد علي العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحاً و مساءً.<sup>(١١)</sup>

١- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٦٤، الحديث ٢. ٢- المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦١، الحديث ٤.

٣- المصدر السابق، ص ٢٦٢، الحديث ٥. ٤- سورة الجن (٧٢)، الآيات ٢٦-٢٧.

٥- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٥٦، الحديث ٢. ٦- المصدر السابق، ص ٢٥٧، الحديث ٤.

٧- سورة النمل (٢٧)، الآية ٤٠. ٨- سورة الرعد (١٣)، الآية ٤٣.

٩- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٥٧، الحديث ٣.

١٠- حول الآية ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾، هناك رواية تقول انها تتعلق بأصف بن برخيا، الذي كان من أتباع النبي سليمان عليه السلام، والآية ﴿وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ تنطبق على الإمام علي عليه السلام. نور الثقلين، ج ٤، الصفحات ٨٧-٩٢. أمّا الوجه في ترجيح دلالة الآية ﴿وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ على الآية الأخرى هو أنّ الحرف ﴿مِنْ﴾ في تلك الآية دالّ على التبعية، أمّا في هذه الآية فقد وردت عبارة ﴿عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ بشكل مطلق.

١١- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٦١، الحديث ٣.



## الإمامة في الطفولة

يعتقد الشيعة الإمامية بأن الأئمة المعصومين عليهم السلام يُعطون شأن الإمامة منذ الطفولة؛ لأنَّ الإمامة منصب إلهي، ول مقام الإمامة المقدره على تلبية مقتضيات التي يسلتزمها هذا المنصب؛ أي أن يكون الإمام حجة لله على الخلق. و بما أن هذا يُحتمل فيه أن ينال الإمام منصب الإمامة منذ عهد الطفولة، فإنَّ الله تعالى يهبه مثل هذا العلم و هذا المنصب. و هذا ليس بالشيء الجديد في تاريخ الدين. فقد كان هناك في الأمم الماضية من أعطوا مقام النبوة والوصاية في عهد الطفولة.

عيسى عليه السلام عندما كان وليداً تكلم في المهد و قال: ﴿... إني عبدُ اللهِ آتاني الكتابَ و جعلني نبياً﴾<sup>(١)</sup> و جاء في شأن يحيى عليه السلام: ﴿يا يحيى خذ الكتابَ بقوة و آتيناك الحكمَ صبيّاً﴾<sup>(٢)</sup> و استند الإمام الباقر عليه السلام إلى هاتين الآيتين ليبين أن عيسى و يحيى كانا حجتين و نبين منذ الطفولة.<sup>(٣)</sup>

قال صفوان بن يحيى: قلت للرضا عليه السلام: قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر عليه السلام فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً، فقد وهب الله لك فقراً عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كؤن فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام و هو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين؟! قال: و ما يضره من ذلك شيء، قد قام عيسى عليه السلام بالحجة و هو ابن ثلاث سنين.<sup>(٤)</sup>

و جاء في خبر آخر أنه قيل للإمام الجواد عليه السلام: إنهم يقولون في حادثة سنك، فأشار إلى قصة سليمان و داود و قال: إن الله تعالى أوحى إلى داود أن يستخلف سليمان و هو صبي يرعى الغنم.<sup>(٥)</sup>

١- سورة مريم (١٩)، الآية ٣٠.

٢- سورة مريم (١٩)، الآية ١٢.

٣- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٨٢، الحديث ١.

٤- المصدر السابق، ص ٣٨٣، الحديث ٢.

٥- المصدر السابق، الحديث ٣.

## آخر حجج الله

الاعتقاد بالمنجي والأمل بقيام حكومة عالمية تبسط العدالة، موجودان في كل الأديان بشكل أو آخر. فقد جاءت البشرى بالمصلح في الديانة اليهودية، والمسيحية، وحتى في الهندوسية والزرادشتية والبوذية. فقد جاء في مزامير داود التي أُدخلت اليوم ضمن كتاب العهد القديم، ما يلي: ويقطع ذرية الأشرار، أمّا الصديقون فيرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد.<sup>(١)</sup> وجاء في موضع آخر أيضاً: المباركون من الرب يرثون الأرض، والملعونون منه ينقطعون.<sup>(٢)</sup>

وقد صرح القرآن الكريم بأن الله قد وعد في كتب الأنبياء السابقين أن الأرض سيرثها الصالحون: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.<sup>(٣)</sup> وجاء في آية أخرى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.<sup>(٤)</sup>

و نقل أن الإمام الباقر عليه السلام قال: إن المراد من الصالحين الإمام المهدي (عج) وأنصاره.<sup>(٥)</sup> وجاء في روايات كثيرة ذكر المنقذ العالمي و آخر الأوصياء بألقاب مثل المهدي، وقائم آل محمد، وحجة الله. وفي كتب الحديث، ومنها كتب الحديث عند أهل السنة روايات كثيرة حول الإمام المهدي (عج) ادّعى البعض تواترها.<sup>(٦)</sup> وقد جاء في إحداها أن رجلاً من ذرية النبي اسمه المهدي سيظهر في آخر الزمان «لاتذهب الدنيا حتى يلي أمتي رجلٌ من أهل بيتي يُقالُ لَهُ المَهْدِي».<sup>(٧)</sup>

١- المزامير، المزمور (٣٧)، الآيتان ٢٢ و ٢٣. ٢- المصدر السابق، الآية ٢٩.

٣- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ١٠٥. ٤- سورة النور (٢٤)، الآية ٥٥.

٥- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٤٧، الحديث ٦.

٦- للعلامة الشوكاني كتاب في هذا المجال عنوانه: «التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح».

٧- الطوسي، كتاب الغيبة، ص ١٨٢: الحَمُونِي، فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣٢٨: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٧٩ و ٨١.

## ظهور المهدي (عج)

قال ابن أبي الحديد في شرح قول الإمام علي عليه السلام: «خلف فينا راية الحق»: راية الحق: الثقلان المخلفان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهما القرآن والعترة<sup>(١)</sup> و قال في سياق شرحه لجملة: «حتى يطلع الله لكم من يجمعكم و يضمّ نسرّكم»: وهذا إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الوقت.<sup>(٢)</sup>

جاء في ما نقل من كلام الأئمة عليهم السلام: أن المهدي من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم. و فضلاً عن ذلك فقد ذكر آباؤه بالترتيب. و نصّت روايات على أن الإمام المهدي من ذرية الحسين عليه السلام؛ فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: الأئمة من بعدي إثنا عشر إماماً تسعة منهم من ذرية الحسين، والمهدي من هؤلاء التسعة.<sup>(٣)</sup>

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي» من هم العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم و قائمهم.<sup>(٤)</sup>

و روي أن الإمام الحسن عليه السلام ذكر المهدي (عج) و قال: إنه التاسع من ولد أخي الحسين.<sup>(٥)</sup> و ذكرت روايات أخرى أن المهدي من ذرية فاطمة عليها السلام؛ إذ نقل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: نبينا خير الأنبياء و هو أبوك، و وصينا خير الأصياء و هو بعلك، و منا المهدي و هو من ذريتك.<sup>(٦)</sup>

وردت أحاديث حول المهدي في مسند أحمد بن حنبل و صحيح البخاري اللذين يعود

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٨٥، شرح الخطبة ٩٩.

٢- المصدر السابق، ص ٩٤.

٣- الطوسي، كتاب الغيبة، ص ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٥ و ٦٦ و ١٣٣.

٤- الصدوق، إكمال الدين، ج ١، ص ٣٥١.

٥- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٣٢، الحديث ١.

٦- المصدر السابق، ج ٥١، ص ٦٧، الحديث ٦؛ و ج ٣٦، ص ٣٦٩ و ٣٧٠.

تاريخ تأليفهما إلى القرن الثالث، وهو قرن ولادة الإمام المهدي (عج).<sup>(١)</sup> و هذان الكتابان من الكتب المعتمدة عند أهل السنّة. ومن الأحاديث التي نقلها أحمد بن حنبل في مسنده، الحديث التالي: «لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم بَعَثَ اللهُ عزَّوجلَّ رجلاً منا يملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً». (٢).

أما بالنسبة إلى الوهابيين الذين يعتقدون -تبعاً لابن تيمية- بمعتقدات خاصّة مخالفة لمعتقدات جميع الفرق الإسلامية المعروفة، فقد أقرّوا صحّة الأحاديث المتعلقة بالمهدي، فقد جاء في البيان الذي أصدرته رابطة العالم الإسلامي -و مقرّها في مكّة- في عام ١٩٧٦، في سياق الإجابة عن سؤال تقدّم به شخص حول الإمام المهدي، أنّ ابن تيمية قد أقرّ صحّة الأحاديث المتعلقة بالمهدي، وجاء ضمن الجواب: إنه (أي المهدي) آخر الخلفاء الراشدين الإثني عشر، الذين ذكّرتهم كتب الصحاح نقلاً عن رسول الله ﷺ. والأحاديث المتعلقة بالمهدي رواها الكثير من صحابة النبي. وقد أشير في هذا البيان إلى الكتب التي ألفت في هذا الموضوع، وصرّح أن الأحاديث المتعلقة بالمهدي متواترة.

و قد شكك ابن خلدون في بعض هذه الأحاديث معترفاً بأنّها كانت مشهورة لدى المسلمين على مرّ القرون والأعصار، ولا زالت موجودة، وهي تدل على أنه سيظهر في آخر الزمان رجل من ذرية النبي... و اقرّ بأن بعض الأحاديث لا يمكن الشكّ فيها.<sup>(٣)</sup>

### انتظار ظهور المهدي (عج) قبل ولادته

وردت البشارة بظهور الإمام المهدي (عج) في الروايات المنقولة عن رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام، إلى حدّ أنّ أصحاب الأئمة كانوا ينتظرون ظهور شخص باسم قائم آل محمد حتى في عصر الأئمة، وكانوا يسألون الأئمة أحياناً: هل أنت القائم من آل محمد؟ قال يونس بن عبد الرحمن: دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام فقلت: يا بن رسول الله، أنت القائم

١- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ١، ص ٨٤ و ٩٩ و ٤٤٨؛ وج ٥، ص ٢٧٧.

٢- المصدر السابق، ج ١، ص ٩٩. ٣- ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٢٢ وما بعدها.

بالحق؟ فقال: أنا القائم بالحق، ولكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله هو الخامس من ولدي.<sup>(١)</sup>

### ولادة الإمام المهدي (عج)

أشهر التواريخ حول ولادة الإمام المهدي هو النصف من شعبان من عام ٢٥٥ للهجرة، وهو الوصي الثاني عشر لرسول الله ﷺ، واسمه وكنيته كاسم وكنية النبي. وُلد من الإمام الحسن العسكري وزوجته نرجس في مدينة سُرّ من رأى (سامراء).<sup>(٢)</sup> و بعد ولادته عَقَّ عنه الإمام الحسن العسكري ﷺ وتصدَّق وأعلن لبعض الشيعة خبر ولادته.<sup>(٣)</sup> و عرضه على بعض أصحابه، وهنأ جماعة بولادة ابنه<sup>(٤)</sup> فقال لهم: هذا صاحبكم من بعدي... وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار. فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً.<sup>(٥)</sup>

### غيبية الإمام المهدي (عج)

بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري ﷺ رأى جماعة من الشيعة الإمام المهدي ﷺ، وكانوا في تلك المدّة واسطة بينه وبين شيعته، و من هؤلاء أفراد يُسمّون بالنواب الأربعة. وقد وصفهم الإمام العسكري بالثقة والعدول، و منهم أبو عمرو عثمان بن سعيد، وابنه محمد بن عثمان، و غيرهم من السفراء.<sup>(٦)</sup> ويُطلق على هذه المرحلة اسم الغيبة الصغرى، و بدأت من عام ٢٦٠ للهجرة إلى عام ٣٢٩ للهجرة. و بدأت بعدها الغيبة الكبرى وهي مستمرة إلى

١- النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل، الباب ٣١ من أبواب الأمر بالمعروف، ج ١٢، ص ٢٨٢، الحديث ٦.  
 ٢- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٣ و ٢٤ و ٢٥؛ الشيخ الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٢٣٤؛ الصدوق، إكمال الدين، الباب ٤٢، ص ٤٢٤.  
 ٣- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٥، الحديث ٩ و ١١؛ الصدوق، إكمال الدين، باب ٤٢، ص ٤٣٠ و ٤٣١، الحديث ٦.  
 ٤- الشيخ الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٢٥١.  
 ٥- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٥، الحديث ١١.  
 ٦- الشيخ الطوسي، كتاب الغيبة، ص ١٠٨ و ١٠٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٤٣ إلى ٣٦٦، الباب ١٦.

أن يأذن الله للإمام بالظهور.

ورد اصطلاح الغيبة الصغرى والكبرى في كلام الأئمة قبل ولادة الإمام المهدي (عج)، فقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداهما تطول...»<sup>(١)</sup>.

غيبة الإمام المهدي ليس بمعنى أنه مختفٍ في موضع ما، ولكن المراد أن الناس لا يعرفونه. قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: المهدي مثل يوسف فيوسف، كان بين إخوته فلم يعرفوه. والمهدي أيضاً بين الناس وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله أن يعرفهم نفسه كما أذن يوسف حين قال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ﴾.<sup>(٢)</sup> سوف يأذن الله للناس في الوقت المناسب أن يعرفوا إمام زمانهم.<sup>(٣)</sup>

إنَّ غيبة الإمام والقائد في أية أمة من الأمم أمر غير طبيعي، و يصعب على عموم الناس تصديقه. أمّا بالنسبة إلى غيبة الإمام المهدي فقد جرى التمهيد لها تدريجياً من قبل النبيِّ والأئمة، وأصبحت هذه المحاولات أكثر وضوحاً في زمان الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام؛ حيث أخذ يتقلص لقاء الشيعة مباشرة بالإمام العسكري عليه السلام، وأخذت الأمور تُطرح عن طريق نواب. وكان هذا بمثابة محاولة لتمهيد الظروف ولإعداد الشيعة لقبول غيبة المهدي (عج) و عمد الإمام العسكري في الوقت ذاته إلى عرض الإمام المهدي على بعض الشيعة ليطمئنوا أن حجة الأرض موجود في الأرض، وليعلموا بقية الشيعة بهذا الأمر. وفي إحدى المرات قال الإمام العسكري في مجلس كان فيه محمد بن عثمان بن سعيد (السير الثاني للإمام المهدي (عج)) مع أربعين رجلاً من الشيعة، فإذا بغلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بالإمام العسكري، فقال: «هذا إمامكم من بعدي و خليفتي عليكم... ألا و إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا».<sup>(٤)</sup>

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٥٣، الحديث ٥.

٢- سورة يوسف (١٢)، الآية ٨٩.

٣- الصدوق، إكمال الدين، الباب ٥، ص ١٤٤ و ١٤٥، الحديث ١١.

٤- الشيخ الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٣٥٧؛ الصدوق، إكمال الدين، الباب ٤٣، ص ٤٣٥، الحديث ٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٤٦ و ٣٤٧.

### الحكمة من غيبة إمام الزمان (عج)

الاعتقاد بوجود المهدي (عج) و غيابه أمر ديني. وجود الإمام المعصوم تجسيد للطف الله واستناداً إلى السنن الإلهية لتكون هناك حجة إلهية على الناس في كل زمان: «اللهم بلى لاتخلو الأرض من قائمٍ لله بحُجَّةٍ إِمَّا ظاهراً مشهوراً و إِمَّا خائفاً مغموراً لئلا تبطل حُجَجُ الله و بيئاته». (١)

إن غيبة الإمام و عدم بسط يده و حرمان الناس من حضوره قضية تعود إلى المكلفين أنفسهم، فقد يكون الإمام حاضراً و لكن لا سلطة له أو أن الناس أنفسهم يحرمون أنفسهم من تعاليمه و ظل وجوده. مثلما كان الحال في زمان الإمام علي عليه السلام و الإمام الحسن عليه السلام و سائر الأئمة حيث إن الناس لم يستفيدوا من وجودهم كما ينبغي و كما هم أهل له.

إن وجود إمام رוחي حي - حتى و ان كان يتعذر الوصول إليه - مهم لأنه يجعل أتباعه يتعلقون به و ينظمون حياتهم في ضوء ذلك و يسعون إلى التشبه به. و هذا الشيء موجود لدى جميع الأمم التي لديها كتاب سماوي و غيرهم.

إن استمرار الحضور الظاهري للإمام بين الناس له شروط، و ما لم تنتهياً تلك الظروف تماماً، يتعذر حضوره المستمر. و سبب غيبة إمام الزمان (عج) هو عدم توفر الأرضية المناسبة لإمامته الظاهرية.

إمام الزمان (عج) آخر ما ادّخره الله و لا حجة من بعده. و هو يظهر حين تتوفر ظروف تطبيق أحكام الله في الكون كله و تطوى صفحة الشرك و عبادة الأصنام:

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. (٢) و لابد طبعاً أن تتوفر لمثل هذا الهدف المهم الظروف والأرضية المناسبة. و ينبغي أن يكون الضمير العام لأبناء البشرية مهياً لقبول مثل هذا التحوّل الكبير.

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٩٢، الحديث ٦.

٢- سورة التوبة (٩)، الآية ٣٣.

## طول عمر إمام الزمان (عج)

من القضايا التي يدور حولها جدل كثير فيما يخص الإمام المهدي (عج) طول عمره. فقد مضى حتى الآن ما يقارب اثني عشر قرناً من عمره، وربما يقدر له أن يستمر أكثر من ذلك. وفي ضوء متوسط أعمار الناس في كل العالم، يتبادر إلى الأذهان سؤال وهو كيف يمكن أن يكون لشخص مثل هذا العمر الطويل؟ ورغم غرابة هذه الظاهرة واستبعاد وجودها غير أن القرآن الكريم يصرّح بأن النبي نوح عليه السلام دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً<sup>(١)</sup> وقال الإمام الصادق عليه السلام إن النبي نوح عليه السلام عاش ٢٥٠٠ سنة<sup>(٢)</sup> وعاش أصحاب الكهف ثلاثمائة وتسع سنين في النوم<sup>(٣)</sup> و ذكرت كتب السيرة والتاريخ أفراداً عمّروا طويلاً. فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن النبي إبراهيم عاش ١٧٥ سنة، وعاش آدم عليه السلام ٩٣٠ سنة<sup>(٤)</sup> وكانت مدة نبوة هود عليه السلام ٦٧٠ سنة. وكان عمر أفراد قومه ٤٠٠ سنة<sup>(٥)</sup>.

و فضلاً عن ذلك، من الناحية الطبية لدى كل خليّة قدرة على العيش آلاف السنين. وإذا لم تعرض للإنسان عوارض كالمرض وغيره فهو قادر على العيش آلاف السنين. وعلى هذا الأساس لا يمكن القول بتعدّد أو استحالة طول العمر لمجرد أنه خلاف الأعمار المتعارفة بين الناس.

## انتظار الفرج والحكمة منه

اعتبر انتظار الفرج عبادة. و وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتظار الفرج بأنه أفضل الأعمال عند الله<sup>(٦)</sup> و جاء في حديث آخر: المُنتظرُ للثاني عشر كالشاهر سيفه بين يدي

١- سورة العنكبوت (٢٩)، الآية ١٤.

٢- الصدوق، إكمال الدين، الباب ٤٦، ص ٥٢٣، الحديث.

٣- سورة الكهف (١٨)، الآية ٢٥.

٤- الصدوق، إكمال الدين، ص ٥٢٣، الحديث ٣.

٥- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٠٨، قطب الدين الراوندي، قصص الأنبياء، الباب ٣، ص ٩٠، الجزائري، قصص الأنبياء، ص ٦٩.

٦- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٢٢، الحديث ٢.



رسول الله ﷺ يذب عنه. (١)

ولكن ما معنى الانتظار؟ الانتظار لا يعني التحني عن الحياة والتنصل عن المسؤولية. والانتظار ليس شيئاً عبثياً من غير غاية ولا مفهوم. القادة البارزون والنابعون في حقل القيادة بمثابة طاقة محرّكة تستحثّ الأمة و تنتشلها من حالة السبات و تبعث فيها الحياة والنشاط. و أمثال هؤلاء القادة لا يؤثرون في حاضر أممهم فقط، بل يؤثرون في مستقبلها أيضاً. و فضلاً عن الشخصيات الواقعية، فإنّ الأبطال الأسطوريين الموجودين لدى جميع الأمم تقريباً لهم تأثير في ثقافات تلك الأمم. و يمكن القول بكل جرأة ان الدين الوحيد الذي فيه شخصيات قيادية واقعية تتناسب مع مختلف الأزمنة والظروف هو الإسلام.

إنّ كل شيعي يعتقد بوجود إمام الزمان، و هذه العقيدة تؤثر فيه شاء أم أبى. و غيبة هذا القائد تجعل من هذا الشيعي يعيش حالة الانتظار. و في هذه الحالة يكون للإمام الغائب دور تربوي و بناء. و في الجانب الاجتماعي يؤدّي انتظار الفرج إلى تقوية نزعة مقارعة الظلم والظالمين - من أجل تهيئة الأرضية لظهور الإمام المنتظر (عج) - لدى الناس و تبعث فيهم حالة الاستعداد والتحرّك.

# الآخرة

هناك عالم آخر غير هذا العالم الذي نعيش فيه، يُسمى عالم الآخرة. وهو امتداد لهذه الحياة الدنيا.

والإيمان بعالم الآخرة من الأمور الأساسية التي دعا إليها كل الأنبياء. فالناس بعد الموت ينتقلون إلى ذلك العالم و يُحاسبون هناك من قبل الله على معتقداتهم و أعمالهم و خصالهم. و عالم الآخرة من العوالم التي خلقها الله ضمن خلقه للأشياء في أحسن نظام. العالم الذي نعيش فيه حياتنا الدنيا محدود بأجل، و لا بد أن ينتهي يوماً ما و تنتقل من بعده إلى العالم الآخر: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (١).

إنّ عالم الآخرة على درجة من الأهمية بحيث يعتبر الإيمان به جزءاً من المعتقدات الدينية، و يدخل في عداد أصول الدين، و بدونه لا يكتمل الإيمان: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٢) و قال تعالى أيضاً: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣) يبدو أنّ فكرة وجود عالم آخر غير هذا العالم، حاجة فطرية منبثقة من ذات الإنسان. فمن الطبيعي أنّ الإنسان لا يرتضي أن يعيش سنوات معدودة في هذه الدنيا ثم تطوى صفحة وجوده إلى الأبد. فهذا السؤال كان على الدوام و لا زال يراود فكر الإنسان، و هو، إلى أين سينتهي مصيره. و هذا السؤال يمثل في الواقع تعبيراً عن هذه الحقيقة، و هي أنّ الحياة يجب أن تستمر؛ و إلا فإنّ خلق العالم يعتبر عبثاً.

٢- سورة النساء (٤)، الآية ١٣٦.

١- سورة الروم (٣٠)، الآية ٨.

٣- سورة النحل (١٦)، الآية ٢٢.

الدنيا تعتبر بمثابة مزرعة بالنسبة إلى الآخرة. «الدنيا مزرعة الآخرة». (١) فما نزرعه في هذه الدنيا نحصد في تلك الدار الآخرة. والدنيا فرصة ليتزوّد الإنسان فيها بالزاد والمتاع للطريق الطويل الذي ينتظره في عالم الآخرة. ويمكن القول بعبارة أخرى: إنّ الدنيا مقطع من حياة طويلة، بل هي مقطع ضروري لكي يكتنز كل شخص فيها على قدر همّته واستعداده ما ينجيّه ويرفعه في عالم الآخرة.

وفي المقابل تعتبر الآخرة ذات أهمّية بالغة بالمقارنة مع الدنيا، بحيث وصف عزّوجلّ الدنيا باللّعب واللّهو. (٢) وفي ضوء ذلك يجدر بالإنسان أن لا يستبدل الدار الأبدية بما هو لعب ولهو، وإلاّ فإنه يبقى بلا مأوى. (٣) نصّ القرآن صراحة على أنّ عالم الآخرة أفضل من الدنيا، بل إنّ هذه الحقيقة صرّحت بها التوراة وصحف إبراهيم عليه السلام. (٤) والآخرة حياة أبدية ولا حكم فيها إلاّ لله، ولا أمر ولا نهى لأحد إلاّ بإذنه. يمثل وجود عالم الآخرة تلبية لحاجة بشرية، وفضلاً عن ذلك فإنّ له تأثيراً حاسماً في وجود الناس لأنّه يبعث على السيطرة على سلوكه من الداخل، ويردعه عن اقتراف المفساد، ويغرس في ذاته الأمل باستمرار الحياة. ولا شكّ في أنّ انعدام وجود عالم آخر يُطفيء جذوة الأمل في نفس الإنسان ويشعره بالفراغ والضياع والعيشية، ولكن الآخرة تبعث في نفوس الصالحين الأمل بحسن الجزاء، وتُضيء في نفوس المظلومين الأمل بالحصول على حقوقهم يوماً ما. وتجعل الظلمة والمجرمين يستشعرون الخوف والهلع.

لا شكّ في أنّ الاعتقاد بعدم وجود عالم آخر من شأنه أن يؤدّي إلى أن يصبح هذا العالم مليئاً بالقهر والظلم، ويجعله خالياً من أية مشاعر معنوية.

## أجل الإنسان

الإنسان مثل أي مخلوق مادي آخر له مدّة معيّنة للعيش في هذه الدنيا، وهو ما يُعبر عنه

١- ورام بن أبي فراس، مجموعة ورام، ج ١، ص ١٨٣؛ ابن أبي جمهور، عوالي اللثالي، ج ١، ص ٢٦٧، الحديث ٦٦.

٢- سورة الأنعام (٦)، الآية ٣٢؛ سورة العنكبوت (٢٩)، الآية ٦٤.

٣- سورة البقرة (٢)، الآية ٨٦. ٤- سورة الأعلى (٨٧)، الآيات ١٧-١٩.

بـ«الأجل». و عندما يحين أجل أي مخلوق لا يمهل وإنما يساق نحو الموت. و هناك نوعان من الأجل: أجل مسمّى، و أجل معلق: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾. (١) الأجل المسمّى هو الأجل الطبيعي الذي يتناسب مع روح و جسم كل شخص. و يمكن هنا تشبيهه البدن بالبذرة التي متى ما توقّرت لها ظروف الإنبات تنبت و تورق و تنمو و تثمر، و متى ما انتهت مدّتها تجف و تتساقط أوراقها.

و أما الأجل المعلق فهو الأجل الذي يتوقف عليه استمرار حياة الإنسان أو أي كائن حي آخر. فإن تعرض الكائن الحي لخطر يقضي على الحياة كالمرض القاتل أو حادثة مميتة، فمن الطبيعي أن تنتهي حياته و يموت قبل الأجل الطبيعي. و متى ما حلّ أحد الأجلين يكون في ذلك الموت: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ...﴾ (٢) و ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...﴾، (٣) ﴿وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾. (٤) و بعد الموت تفتح صفحة جديدة من الحياة، فإن كانت الأعمال و الخصال و المعتقدات للإنسان في هذه الدنيا سالحة، ينعم حينها بحياة ألد و أطيب، و إذا كانت من غير زاد و لا عمل صالح فلا يجنى في الحياة الآخرة سوى الخزي و الخسران.

## الموت

الموت ضد الحياة المادية، و هو يحيل الكائن الحي إلى جسم جامد لا خاصية فيه. و هذه الحالة تبدو في الظاهر وكأنّها انعدام، و لكن الموت - كما اشارت إليه في الرواية - ليس إلاّ جسراً «فما الموت إلاّ قنطرة» (٥) إن استعمال كلمة قنطرة للتعبير عن الموت، و استعمال القرآن لكلمة «توفّي»، (٦) يفيدان

١- سورة الأنعام (٦)، الآية ٢.

٢- سورة النساء (٤)، الآية ٧٨.

٣- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٨٥.

٤- سورة المنافقون (٦٣)، الآية ١٠.

٥- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٥٤، الحديث ٩.

٦- سورة السجدة (٣٢)، الآية ١١؛ سورة الزمر (٣٩)، الآية ٤٢.

أنَّ ما يحصل في عملية الموت هو عبارة عن انفصال الروح عن الجسم. «التوقُّف» هو استيفاء الشيء كاملاً. وإطلاق هذه الكلمة على الموت يفيد أنَّ الموت ليس انعداماً وإِنَّمَا انتقال. جاء في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما خلقتُم للفناء، بل خلقتُم للبقاء». (١) والموت بيد الله مثلما الحياة بيد الله. (٢) وللموت ملائكة مكلفون به وإليهم يُنسب أحياناً. (٣) الموت يجعل يد الإنسان قصيرة عن الدنيا ويحول بين المرء وعمله. وعليه أن لا ينتظر بعد الموت إلا نتيجة عمله، ولا حيلة ولا مناص لمن حلَّ أجله.

### سهولة و صعوبة النزاع

استناداً إلى الآيات والروايات، يقع الموت بخروج الروح من الجسم، أو ما يُسمَّى بقبض الروح، وهذه العملية؛ أي عملية قبض أو نزاع الروح، تختلف من إنسان إلى آخر تبعاً للحال التي كان عليها في الدنيا. والموت طبعاً لا مفرّ منه، ولا يعلم الإنسان متى وأين يموت، (٤) ولكن روحه قد تُنزع بصعوبة و ألم، أو بسهولة ويسر، تبعاً لمعتقداته وأفعاله في الحياة الدنيا.

فالمؤمنون يلقون أثناء الموت البشري والتحية والمحبة من الملائكة. (٥) روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إذا أتى ملك الموت المؤمن لقبض روحه جزع، ولكن ملك الموت يصبره و يسليه. (٦) وجاء في خبر آخر أن أرواح المؤمنين تأتي لاستقبال المؤمن وتقدّم له البشري. (٧) وجاء في رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال فيها: الموت للمؤمن كأطيب ريح يشمه، فينعس لطيبه و ينقطع كلّ التعب والألم عنه، و للكافر كالأفاعي والقارب و أشدّ. (٨)

١- الآمدي، غرر الحکم، ص ١٣٣، الحديث ٢٢٩١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢٤٩.

٢- سورة الزمر (٣٩)، الآية ٤٢؛ سورة يونس (١٠)، الآية ١٠٤.

٣- سورة النحل (١٦)، الآية ٣٢؛ سورة السجدة (٣٢)، الآية ١١.

٤- سورة لقمان (٣١)، الآية ٣٤. ٥- سورة النحل (١٦)، الآية ٣٢.

٦- الكليني، الكافي، ج ٣، ص ١٢٧، الحديث ٢. ٧- الكليني، الكافي، ج ٣، ص ١٣٠، الحديث ٢.

٨- الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٧٤، الحديث ٩.

## الخوف من الموت

الموت قضية مثيرة للخوف والهلع بالنسبة للإنسان طيلة حياته؛ فهو يرى الموت يلاحقه في كل حين، وهو يفر منه، و نادراً ما تجد من يرحّب به. فالبعض يخاف الموت بسبب خشيته من الفناء الأبدي، وهذا ناتج طبعاً عن جهله بحقيقة الموت. والبعض الآخر يعرف حقيقته ولكنه خرب تلك الدار ولا يودّ الانتقال إليها. ومن الطبيعي أنّ الانتقال إلى موضع كربه يثير في النفس الهلع. جاء في رواية عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام أنه قال في سبب الخوف من الموت: لأنكم أخربتم آخرتكم وعمّرتم دنياكم. (١)

و جاء في القرآن الكريم في وصف خوف اليهود من الموت: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾. (٢)

و في المقابل هناك من يؤمنون بالآخرة وقد عمروا آخرتهم؛ وهؤلاء لا يخشون الموت، بل حتى يتمّونّه.

و حرّى بنا طبعاً الاعتبار بهذه الإرشادات، وإعداد أنفسنا لذلك اليوم الذي نترك فيه و عملنا، و لا ينفعنا مال ولا جاه ولا أولاد: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾. (٣) (٤)

## البرزخ

هناك بين عالمي الدنيا والآخرة عالم آخر وهو عالم البرزخ. والبرزخ في اللغة بمعنى الحاجز والحد بين الشيئين. (٥) و سبب تسميته بهذا الاسم يعود إلى وقوعه بين الدنيا والقيامة. فعندما يموت الإنسان تنتقل روحه إلى عالم البرزخ. يقول القرآن في وصف تلك الحال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. (٦)

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٢٩، الحديث ١٨.

٢- سورة الجمعة (٦٢)، الآية ٧.

٣- سورة الشعراء (٢٦)، الآية ٨٨.

٤- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٢٩.

٥- الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن، ص ١١٨.

٦- سورة المؤمنون (٢٣)، الآيتان ٩٩ و ١٠٠.

جاء في الأحاديث أنّ الروح بعدما ترحل عن البدن، تحل في عالم البرزخ في أبدان مثالية شبيهة بالأبدان الدنيوية.<sup>(١)</sup> يحظى المؤمنون في عالم البرزخ الذي يُعبّر عنه بعالم القبر أيضاً، بنوع من الحياة، ويكون لديهم اطلاع على ما يجري في الدنيا وما يعيشه أهلهم من فرح أو حزن.<sup>(٢)</sup>

يُستفاد من الآيات والروايات والتوصيات المؤكّدة على زيارة أهل القبور، أنّ الإنسان بعد الموت يتمتع بنوع من الحياة. روى عبدالله بن سليمان أنه سأل الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام عن زيارة القبور، فقال: «إذا كان يوم الجمعة فزرهم، فإنه من كان منهم في ضيق وسع عليه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يعلمون بمن أتاهم في كل يوم، فإذا طلعت الشمس كانوا سدى. قلت: فيعلمون بمن أتاهم فيفرحون به؟ قال: نعم: ويستوحشون إذا انصرف عنهم».<sup>(٣)</sup>

قال أبو بصير: سألت أبا عبدالله الصادق عن أرواح المؤمنين فقال: في حجرات في الجنة يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويقولون: ربنا أقم الساعة لنا، وانجز لنا ما وعدتنا، وألحق آخرا بنا وأولنا.<sup>(٤)</sup> وسأله أيضاً أبو بصير عن أرواح المشركين فقال: في النار يندبون ويقولون: ربنا لا تقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرا بنا وأولنا.<sup>(٥)</sup>

### سؤال القبر

في عالم البرزخ أو القبر يتعرض الإنسان للمسألة عن معتقداته و أفعاله. و من الأسئلة التي كثيراً ما تراود الأذهان هي أنّ الإنسان إذا مات تتعطل إدراكاته و حواسه. فكيف يحزن و يفرح و يتعرض للمسألة؟ والجواب هو أنّ ما يتعرض للمسألة هو روح الإنسان. والروح باقية، و يكون لها نشاط يتناسب مع العالم الذي تعيش فيه. و لعل إدراكها يصبح أقوى بعد

١- الكليني، الكافي، ج ٣، ص ٢٤٤ و ٢٤٥، الحديث ١ و ٦ و ٧.

٢- الكليني، الكافي، باب أنّ الميت يزور أهله، ج ٣، ص ٢٣٠.

٣- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢٥٦، الحديث ٨٨.

٤- الكليني، الكافي، ج ٣، ص ٢٤٤، الحديث ٤. ٥- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٤٥، ح ١.

انفصالها عن عالم المادّة. فقد قال رسول الله ﷺ: «النَّاسُ نِيَامٌ، فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهَوْا». (١) و على هذا الأساس فلا مانع من تعرّض الروح للمسألة بعد الانفصال عن الجسد، أو تتأذى من ضغط القبر؛ لأنّ هذه الأمور تتعلق بالروح التي تمثّل حقيقة الإنسان، وإلاّ فهناك من الناس من لا يوضع في قبر كما هو حال من يغرق و تأكله الأسماك، أو من تأكله الوحوش في البراري، أو من يحترق بالنار. والعذاب أو الراحة في القبر له صلة بالروح وخصائصها.

فعندما يموت الإنسان و تتحرر الروح من اللذائذ المادية، تزول موانع الفهم الحقيقي للأمر، و يدرك الإنسان الواقع كما هو؛ فيتعذّب بسبب ذنوبه، أو يدخله السرور لما فعله من خير و عمل صالح. بل إنّ هذا قد يحصل حتى في الدنيا. فيشعر المذنب والمسيء بالتأنيب، و يشعر المحسن بالبهجة والراحة.

### علل مشارف القيامة

للعالم الذي نعيش فيه أجل و مدّة معيّنة. و يوم يحلّ أجله يضطرب في واقعه مثيرة للدهشة والعجب. فالشمس والنجوم تتكور و تنكدر. (٢) و تخرج الشمس والقمر من مدارهما و يجتمعان. (٣) و يقع زلزال عظيم يدمّر كل شيء. (٤) و تتساوى الجبال والوديان و تصير قاعاً صافياً. (٥) و تخرج الأرض كل ما في داخلها. (٦) و تنشق البحار و تجري (٧) و تتبدل أمواج البحار إلى كتل نارية (٨) و تُحمل الجبال فتُتدك (٩) و تغدو الجبال كالعهن المنفوش (١٠) و تصير كالكتيب المهيل (١١) و تكون كالهباء المنبث، (١٢) و تنشق السماء و تصير

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ٤٣، الباب ٥، الحديث ١٨.

- |                                       |                                      |
|---------------------------------------|--------------------------------------|
| ٢- سورة التكوير (٨١)، الآيتان ١- ٢.   | ٣- سورة القيامة (٧٥)، الآيتان ٩- ١٠. |
| ٤- سورة الزلزلة (٩٩)، الآية ١.        | ٥- سورة طه (٢٠)، الآيات ١٠٥- ١٠٧.    |
| ٦- سورة الزلزلة (٩٩)، الآية ٢.        | ٧- سورة الإنفطار (٨٢)، الآية ٣.      |
| ٨- سورة التكوير (٨١)، الآية ٦.        | ٩- سورة الحاقة (٦٩)، الآية ١٤.       |
| ١٠- سورة المعارج (٧٠)، الآية ٩.       | ١١- سورة المزمل (٧٣)، الآية ١٤.      |
| ١٢- سورة الواقعة (٥٦)، الآيتان ٥ و ٦. |                                      |



وردة كالدهان،<sup>(١)</sup> و تصيح كالمهل،<sup>(٢)</sup> و تُطوى كطي السجل،<sup>(٣)</sup> و تأتي بدخان مبین،<sup>(٤)</sup> و تنكدر النجوم<sup>(٥)</sup> و تتناثر الكواكب.<sup>(٦)</sup>

الحسابات العلمية غير قادرة على الاخبار عما سيؤول إليه مستقبل العالم. و قد أشار القرآن إلى جانب من هذه التغييرات التي سيشهدها العالم، و لكن الكيفية التي ستحصل بها غير واضحة، و لكن هذه الوقائع الهائلة تنبئ عن قرب وقوع القيامة و نهاية الدنيا. و هذا ما يُعبر عنه بأشراط الساعة. و زمان وقوعها غير بعيد. فعلينا الحذر و اغتنام الفرصة.

### زمان وقوع القيامة

إنَّ القيامة ستقوم يوماً ما و لكن لا أحد يعلم زمان وقوعها. و قد جعل الله علم ذلك له وحده و لم يخبر أحداً بذلك ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾<sup>(٧)</sup> و سرَّ هذا الكتمان هو أن جهل كثير من الأشياء خير للإنسان من علمها، و لو علم الإنسان بحوادث المستقبل التي ستغيّر مصيره فإنّه لا يقدم على أي عمل. و إذا علم وقت موته تصيح الحياة مريرة بالنسبة له و لا تُطاق و يفقد الأمل و لا يبادر إلى عمل، و ينفرط عقد الحياة و نظمها.

### قرب وقوع القيامة

إنَّ وقوع يوم القيامة قطعي بل و قريب أيضاً.<sup>(٨)</sup> و هذه الساعة قريبة الوقوع إلى درجة ان البارئ عزّوجلّ أخبر عنها بالفعل الماضي ﴿اقتربت الساعة و انشقّق القمر﴾<sup>(٩)</sup> و مع ان الناس يلاحظون قرب نهاية العالم و يشاهدون نهاية خطّه و يعلمون أن أعمارهم إلى زوال، بيد أنّهم غارقون في اللعب و غافلون عن ذهاب حياتهم ﴿ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم مُحدثٍ إلاّ استمعوه و هم يلعبون \* لاهية قلوبهم...﴾<sup>(١٠)</sup>

- |                                   |                                      |
|-----------------------------------|--------------------------------------|
| ١- سورة الرحمن (٥٥)، الآية ٣٧.    | ٢- سورة المعارج (٧٠)، الآية ٨.       |
| ٣- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ١٠٤. | ٤- سورة الدخان (٤٤)، الآية ١٠.       |
| ٥- سورة التكوير (٨١)، الآية ٢.    | ٦- سورة الانفطار (٨٢)، الآية ٢.      |
| ٧- سورة الاعراف (٧)، الآية ١٨٧.   | ٨- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ١.      |
| ٩- سورة القمر (٥٤)، الآية ١.      | ١٠- سورة الأنبياء (٢١)، الآيتان ٢-٣. |

ولكن ينبغي أن نحذر ونعلم أن القيامة - شئنا أم أبينا - واقعة ولا مفر منها. وهي قريبة جداً ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾. (١)

### أهوال القيامة

حين يفنى كل حي الا وجه الله و من شاء له البقاء، يأتي نداء الله:

﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. (٢)

يُنْفَخُ فِي الصُّورِ مَرَّةً أُخْرَى وَ تَكُونُ النَّفْخَةُ هَذِهِ الْمَرَّةَ لِلْبَعْثِ وَالْإِحْيَاءِ؛ إِذْ يُبْعَثُ الْأَمْوَاتُ مِنْ قُبُورِهِمْ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. (٣) وَ يَأْتِي النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى الْحَشْرِ، (٤) وَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ كَالسَّكَارَى (٥) وَ يَفْقَدُونَ الْقُدْرَةَ عَلَى الْوُقُوفِ وَ تَكُونُ قُلُوبُ الَّذِينَ أَسَاءُوا مَلِئَةً بِالْخَوْفِ وَالرَّعْبِ. (٦) وَ يَشِيبُ الرُّضْعُ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ (٧) وَ يَفِرُّ الْقَرِيبُ مِنْ قَرِيبِهِ (٨) وَ يُوَدِّ الْمَجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي نَفْسَهُ بِكُلِّ مَا لَدَيْهِ لِيَنْجُو مِنَ الْعَذَابِ (٩) وَ هُوَ يَوْمٌ مَقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ (١٠) وَ يَظُنُّ الْخَاسِرُونَ يَوْمَئِذٍ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْشُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا. (١١) وَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَكُونُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ غَيْرَ السَّمَاوَاتِ. (١٢) وَ يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ غَرِيبًا، وَ يُخْرِجُ الْكُفَّارَ مِنَ الْقُبُورِ سِرَاعًا نَحْوَ سَاحَةِ الْمَحْشَرِ خَاشِعَةً أَبْصَارِهِمْ وَ تَرَهَقُهُمْ ذَّلَّةٌ، (١٣) ذَلِكَ يَوْمَ نَدَمَ وَ حَسَرَ النَّاسُ (١٤) وَ يَعْضُونَ عَلَى أَصَابِعِهِمْ عَلَى مَا فَرَّطُوا بِهِ وَ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا اتَّخَذْنَا مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا وَ لَمْ نَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا. (١٥)

وَ يَوْمَئِذٍ تَكُونُ الْأَصْوَاتُ هَمْسًا: ﴿وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾. (١٦)

- |   |  |
|---|--|
| ١- سورة النحل (١٦)، الآية ٧٧.                             | ٢- سورة غافر (٤٠)، الآية ١٦.           |
| ٣- سورة الزمر (٣٩)، الآية ٦٨.                             | ٤- سورة النبأ (٧٨)، الآية ١٨.          |
| ٥- سورة الحج (٢٢)، الآيتان ١- ٢.                          | ٦- سورة النازعات (٧٩)، الآية ٨.        |
| ٧- سورة المزمل (٧٣)، الآية ١٧.                            | ٨- سورة عبس (٨٠)، الآيات ٣٣- ٣٧.       |
| ٩- سورة يونس (١٠)، الآية ٥٤؛ سورة آل عمران (٣)، الآية ٩١. | ١٠- سورة المعارج (٧٠)، الآية ٤.        |
| ١٢- سورة إبراهيم (١٤)، الآية ٤٨.                          | ١٣- سورة المعارج (٧٠)، الآيتان ٤٣- ٤٤. |
| ١٤- سورة مريم (١٩)، الآية ٣٩.                             | ١٥- سورة الفرقان (٢٥)، الآيتان ٢٧- ٢٨. |
| ١٦- سورة طه (٢٠)، الآية ١٠٨.                              |  |

والأخلاء يتنازعون يومئذ، بينما المؤمنون والمتقون بعيدون عن ضجيج و خوف ذلك اليوم. و يتبرأ عبدة الأصنام مما كانوا يعبدون.<sup>(١)</sup> و يشكو الناس الذين أغواهم قادتهم الفاسدون و يلقون عليهم باللائمة.<sup>(٢)</sup> و تكشف الحقائق في يوم القيامة و لاتبقى خافية. و يُفضح المنحرفون الذين شاهدوا الحقيقة و لكنهم كتموها عناداً أو نزولاً عند أهوائهم. و يُكشف النقاب عن المرائين الذين كانوا يتظاهرون بالصلاح. و ترى الوجوه هناك مكفّهرة و وجلة و يبحث الناس عن طريق للخلاص و لكن لا من مناص.

و يحشر الناس في القيامة جماعات حسب أعمالهم. بينما يأتي المتقون وفداً ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾.<sup>(٣)</sup> جاء في حديث إن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ان الله يُحشر الناس على نياتهم يوم القيامة».<sup>(٤)</sup>

و الناس في القيامة تبيضّ وجوههم أو تسودّ حسب أعمالهم ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ...﴾<sup>(٥)</sup> و يقسمون بشكل عام إلى ثلاث مجموعات: السابقون في الإيمان، و أصحاب اليمين، و هاتان الجماعتان مأواهما الجنة، و أصحاب الشمال أو الأشقياء و هؤلاء يدخلون النار.<sup>(٦)</sup> و يُصنف الناس هناك على أساس قادتهم و سُبلهم، و يُدعونَ بأسماء قادتهم ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾.<sup>(٧)</sup> و سبب ذلك هو أن من ينضوي تحت لواء شخص أو جماعة لا بد أن يتطبع بطباعهم و يعتنق معتقدهم إلى درجة أنه حينما يُنادى بأسمائهم يجيب من فرط عادته عليهم و شعوره بالقرب منهم. و الكلمة الأخيرة هي ان الله قد جعل هذا اليوم من أجل إحقاق حق المظلومين الذين سُحقت حقوقهم.

إن رسم مثل هذه الصورة المرّوعة ليوم القيامة إنما هو بمثابة تحذير للناس ليتأهبوا لمثل هذا اليوم. و أمثال هذه التحذيرات لا تُراد منها إظهار قدرة الله فحسب، و إنما الغاية منها إلقاء الخوف في قلوب العباد ليحذروا؛ لأن طبيعة الناس هي إنهم يخشون الخطر أكثر.

١- سورة البقرة (٢)، الآية ١٦٧. ٢- سورة سبأ (٣٤)، الآيات ٣١-٣٣.

٣- سورة مريم (١٩)، الآية ٨٥.

٤- الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٥ من أبواب مقدمة العبادات، ج ١، ص ٤٨، الحديث ٥.

٥- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٠٦. ٦- سورة الواقعة (٥٦)، الآيات ٧-٤٨.

٧- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٧١.

ان مشقة وعذاب يوم القيامة قد جُعِلَا لمن لم يكسبوا القدرة و لم يتحلوا بالاستعداد اللازم و لم تتعلق قلوبهم برّبهم. و أما الذين تزوّدوا من دنياهم لآخرتهم و آمنوا بأن الله رقيب عليهم و اختاروا لأنفسهم مساراً صحيحاً في الحياة فلا يخشون عذاب ذلك اليوم و أهواله. و بما انهم يعلمون عدم عسر ذلك اليوم عليهم فنهـم يدخلون ساحة الحساب يوم القيامة بقلوب مطمئنة.

### الحشر و المعاد

الناس بعد الموت لا يفنون، و إنما يأتي يوم يُبعثون فيه، و تتواصل حياتهم على نحو آخر. و لإعادة حياة الإنسان أهميّة قصوى في التعاليم الدينية من جهة و بين الناس أنفسهم من جهة أخرى. فقد كانت قضية الموت و المعاد و الحياة الأبدية أمراً تكتنفه الأسرار. و كثيراً ما يتساءل الناس: لماذا وُلدوا و لماذا يجب أن يموتوا؟ و ما الذي سيحلُّ بهم بعد الموت؟ و إذا كانت حصيلة الحياة هي الموت، فلماذا يجب أن يأتوا إلى الدنيا؟ أليس من الأفضل أن لا يأتوا إلى هذه الدنيا، لكي لا يكابدوا كل هذا العناء، و لكي لا يُرغموا على الموت يوماً؟

كانت إحدى غايات الأنبياء الكشف عن هذا اللُّغز؛ إذ إنهم كشفوا عن ذلك و بيّنوا للناس بأنهم بعد الموت لا يفنون و إنما ينتقلون من موضع إلى آخر. و هذا الانتقال يكون عن طريق الموت؛ حيث تبقى الروح و يعود البدن إلى التراب.

و قد يتبادر إلى أذهان الناس سؤال آخر بعد إدراك هذا الواقع، و هو كيف يمكن أن يعود هذا الإنسان بما يتّصف به من تعقيد في الخلق، إلى الحياة بعد الموت، و بعدما يفنى و يتلاشى بدنه؟ و قد تحدث القرآن الكريم عنمن كانوا لا يؤمنون بالبعث، و أقسموا أنّ الموتى لا يُبعثون: ﴿وَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللّٰهُ مَنْ يَمُوتُ﴾<sup>(١)</sup> و يُستدل من هذه الآية و أمثالها على أنّ قضية المعاد كانت من القضايا الغامضة لديهم، و كانوا كثيراً ما

١- سورة النحل (١٦)، الآية ٣٨.

يجادلون الأنبياء بشأنها. لأنها كانت أمراً غيبياً عجبياً بالنسبة لهم، يجدون أنفسهم عاجزين عن استيعاب حقيقته، وكثيراً ما يتساءلون: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾<sup>(١)</sup> أي كيف يمكن لمن يموت أن يُبعث إلى الحياة من جديد، ويأتي جواب الله عن هذه التساؤلات والشبهات بقول تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> و على هذا الأساس يذكرهم بهذا ليخرجهم من غفلتهم ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئًا﴾<sup>(٣)</sup> لو كان الناس موجودين قبل الخلق، وقيل لهم: إنَّ عالماً عظيماً سيخلق، فمن الطبيعي أنهم ما كانوا يصدّقون ذلك، وربّما كان استبعادهم لهذا الأمر وإنكارهم له أكثر من إنكارهم للمعاد. لذلك أقسم الله بحزم أنه سيحييهم و يحشرهم: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ...﴾<sup>(٤)</sup> و بين كذلك ﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ إِلَّا نُفُوسٍ وَاحِدَةً﴾<sup>(٥)</sup> و قد أوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّه أن يجب عن كل هذه التساؤلات بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>

وردت في القرآن الكريم أمثلة متعددة لإحياء الموتى في هذه الدنيا. نذكر من ذلك مثلاً أنّ جماعة من بني إسرائيل طلبوا من موسى أن يروا الله، و قالوا له: إننا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، ولكن الله عاقبهم على هذا الإصرار بصاعقة أخذتهم، ثم أحياهم مرّة أخرى.<sup>(٧)</sup> و مرّ النبيّ عزير عليه السلام على قرية خربة و كانت عظام الموتى بادية فيها: فتساءل عجباً: كيف يحيي الله هؤلاء الموتى؟ فأماته الله و بعد أن مرّت مئة سنة أحياه و قال له: انظر إلى طعامك و شرابك لم يتغيّر، و انظر إلى حمارك، و إلى العظام كيف نكسوها لحماً.<sup>(٨)</sup> و هناك أمثلة أخرى من هذا القبيل ورد ذكرها في القرآن، كالذي ورد في قصّة النبيّ إبراهيم عليه السلام من قتل و إحياء الطير،<sup>(٩)</sup> أو القوم الذين خرجوا من ديارهم حذراً من الموت فأماتهم الله ثم أحياهم.<sup>(١٠)</sup>

- |                                    |                                 |
|------------------------------------|---------------------------------|
| ١- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٤٩.    | ٢- سورة يس (٣٦)، الآيات ٧٩.     |
| ٣- سورة مريم (١٩)، الآية ٦٧.       | ٤- سورة مريم (١٩)، الآية ٦٨.    |
| ٥- سورة لقمان (٣١)، الآية ٢٨.      | ٦- سورة يس (٣٦)، الآيات ٧٩.     |
| ٧- سورة البقرة (٢)، الآيتان ٥٥-٥٦. | ٨- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٥٩.  |
| ٩- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٦٠.     | ١٠- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٤٣. |

أشار الله تعالى إلى الطبيعة لإثبات وقوع المعاد، ولفت الأنظار إلى هذه الظاهرة<sup>(١)</sup> إذ لا شك في أن ازدهار الطبيعة من بعد الشتاء دليل آخر على أن لأعمار الكائنات الحية ومنها الإنسان مراحل، أو أن الموت والحياة يعد نوعاً من التحوّل والانتقال.

و هناك سؤال ربّما يراود أذهان البعض، وهو: ما الداعي لخلق كل هذا الكون العظيم ثم تدميره، ولماذا يُخلق الناس ثم يموتون ثم يُبعثون؟ ولماذا يفعل الله ذلك ثم يدعو الناس إلى التفكير فيه، و أرسل الأنبياء لدعوة الناس للإيمان بذلك، حتى صار ذلك على مدى تاريخ الأديان جزءاً من أصول الدين، والكفر به يوجب العذاب؟ إذ ورد في الكتب السماوية السابقة - كالإنجيل - ذكر المعاد، حيث جاء فيه: لا تتعجبوا من هذا، ستجيء ساعة يسمع فيها صوته جميع الذين في القبور، فيخرج الذين عملوا الصالحات...<sup>(٢)</sup>

علينا أن نعلم بأن خلق العالم حصيلة خالقية الله و فيضه، لتنال الكائنات من فيضه فهو يخلق أمثلة ممتازة من الكائنات لتجسيد قدرته، لكي تحظى الكائنات بالمقدّرات ثم تبلغ كمالها. وفي الختام يؤول الكون بمقتضى طبيعته إلى الشيخوخة ثم التفسّخ ثم الزوال؛ و بما أن زوال العالم يتنافى مع خالقية الله. إذاً فلا بد من استمرار الوجود و بقاءه.

أمّا الغاية من المعاد فهي لغربة خلاصة الوجود، فمن يستفيدون من عالم الوجود و يسيرون على طريق الحق، يتبوأون المنزلة الكريمة اللاتئة بهم و يكون نصيبهم حياة طيبة، في حين أن من لم يواكبوا تيار الوجود، و لم يقنعوا بما هو حق، و تطاولوا على حقوق الغير، أو بعبارة أخرى: لم يعملوا عملاً صالحاً، يلقون جزاءهم في الحياة الآخرة و بذوقون وبال سوء أعمالهم. يأتي المعاد للكشف عن كيفية تحويل أشياء بسيطة كالتراب إلى كائنات عظيمة بقدره الله! و كيف ينبثق من المادّة الجامدة إنسان كامل يعتلي صدارة الملكوت، و تكون له أفضلية حتى على موجودات سامية كالملائكة. المعاد امتداد لخالقية الله و من مظاهر عظّمته. إنّ عدم وجود المعاد يعني خواء الحياة الدنيا، و بدونه تبدو الحياة مجردة من البهجة و عارية من أي هدف.

١- سورة الروم (٣٠)، الآيات ١٩، ٢٤، ٢٥ و ٢٧. ٢- إنجيل يوحنا، الباب ٥، الرقم ٢٧ و ٢٨.

## هل المعاد جسماني أم روحاني؟

هل يتحقق المعاد بهذا البدن الدنيوي، أم الروح هي التي يؤتى بها يوم القيامة بعد مفارقتها البدن والانتقال إلى عالم البرزخ؟ أمثال هذه الشكوك والتساؤلات كانت تراود أذهان المشركين في عصر نزول القرآن، فكانوا يتساءلون كيف يمكن إعادة الروح إلى البدن الذي تفسخ و تحولت عظامه إلى رميم؟ ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.  
 الإشكال الآخر الذي يُثار حول مسألة المعاد هو أن الكائن الحي إذا سار على طريق الكمال و وصل إلى حد مناسب من التطور، لا بُدَّ وأنَّ عودته إلى حالته الأولى تتطلب إعادة الظروف والزمان والأسباب إلى ما كانت عليه آنذاك. أي لا بُدَّ من عودة تلك الظروف التي نشأ فيها ذلك الكائن و تدرج في التطور. وهذا أمر غير ممكن طبعاً. وهذا يعني أنَّ المعاد إذا أُريد له أن يتحقق فليس من الممكن أن يتحقق بصورة المعاد الجسماني، ولا بُدَّ أن يكون روحانياً.

يُستفاد من الآيات و من الروايات المنقولة عن أهل بيت النبي ﷺ أنَّ المعاد جسماني؛ إذ يُستدل من شهادة الأيدي والأرجل في موقف الحساب،<sup>(٢)</sup> والوعد بما لَدَّ و طاب من الأطعمة والأشربة،<sup>(٣)</sup> والملذات الجنسية،<sup>(٤)</sup> والنعيم الذي يلقاه المحسنون في الظلال والعيون،<sup>(٥)</sup> والثياب الفاخرة والناعمة،<sup>(٦)</sup> والإتكاء على الأرائك<sup>(٧)</sup> و ما شابه ذلك، إنَّ الناس يحضرون بأجسامهم في يوم القيامة و موافقه. و فضلاً عن ذلك فقد قال الباري عزَّ وجلَّ في الرد على شبهة المشركين الذين استبعدوا بعث الإنسان من جديد: ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾<sup>(٨)</sup> أي أكد عودة الموجود السابق.

١- سورة يس (٣٦)، الآية ٧٨ .

٢- سورة طه (٢٠)، الآية ٥٥ .

٣- سورة الطور (٥٢)، آية ١٩ .

٤- سورة الرحمن (٥٥)، الآيات ٥٦، ٥٨، ٧٢؛ و آيات متعددة أخرى من القرآن الكريم.

٥- سورة المرسلات (٧٧)، الآية ٤١ .

٦- سورة الكهف (١٨)، الآية ٣١ .

٧- سورة الواقعة (٥٦)، الآيتان ١٥-١٦ .

٨- سورة يونس (١٠)، الآية ٤ .

ليس من المتعذر على الله إعادة خلق البدن المتفسخ أو الذي أكلته الحيوانات، أو الذي احترق بالنار؛ إذ ليس من العسير على الله إعادة جميع ما تلاشى و تناثر من الأبدان ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ \* بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾<sup>(١)</sup> فهذا العمل ليس بأصعب من خلق الإنسان ابتداءً؛ إذ لم يكن له حينذاك شكل أو قوام، فمثلما تنبث الحياة من جديد في الأشجار بعد جفافها، أو كما تنبثق النباتات من باطن الأرض بعدما ذوت، فإنّ الباري الذي يخلق من التراب كائنات معقّدة، يستطيع أن يبعث فيها الحياة مرّةً أخرى.

أمّا القول: إنّ البعث من جديد يستلزم إعادة الظروف الزمانية والمكانية والأجواء الأخرى إلى ما كانت عليه في السابق، فهذا الإشكال يمكن نقضه. فحقيقة الإنسان تكمن في الروح التي تفارق الجسم وتمكث في البرزخ. و يؤتى بها يوم القيامة. الروح هي قوام البدن و هويته. و بما أنّ كل الصفات والمعتقدات الحسنة والقيحة تكتسبها الروح، لذلك من الطبيعي أن يكون كل شيء متعلقاً بها. و من المحتمل أن يؤتى بالروح في هيكل آخر و في الوقت ذاته تحتفظ بهويتها.

البدن يعيش في الدنيا في حالة من التغيير والتبدّل؛ فتتفسخ بعض خلاياه و تزول و تحلّ محلّها خلايا جديدة، و لكن هويته و شخصيته باقية، لأنّ جميع مكوّناته خاضعة لإرادة روح واحدة. و تلك الروح التي تؤلّف هوية أي شخص، تؤدّي دورها في الملكات التي اكتسبتها. و هي تؤدّي عملها بواسطة أعضاء و جوارح البدن الجديد. و تعبير «خلق جديد»<sup>(٢)</sup> الذي ورد في القرآن يتناسب مع هذا المعنى. و يمكن أيضاً اعتبار مثل هذه الحالة متطابقة مع الرواية التي تقول: «الناس في الجنّة على صُورِ أبدانهم لو رأيتَهُ لُقُلْتِ فلانٌ...»<sup>(٣)</sup> و بعبارة أخرى: تزول الأجزاء المادية الدنيوية بعد الموت و تبقى الروح. و تستطيع الروح أن تؤدّي دورها - في ضوء ما اكتسبته في الدنيا - في قالب آخر، و تسير على ذات النهج في الحياة الآخرة، و تتلقى جزاءها و تذوق طعم اللذائذ والآلام سواء كانت

١- سورة القيامة (٧٥)، الآيتان ٣-٤. ٢- سورة سبأ (٣٤)، الآية ٧؛ سورة ق (٥٠)، الآية ١٥.

٣- الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٤٦٦، الحديث ١٥٢٧.



روحية أم جسمية. ويشهد كل عضو من أعضاء البدن بما يتناسب مع عمل الروح. ويمكن القول - كما قال صدر المتألهين الشيرازي - إنَّ الروح في عالم البرزخ وفي عالم الآخرة، تواصل حياتها ببدن مثالي مشابه لبدنها المادي. نظير ما يحصل في عالم المنام حين تواصل الروح نشاطها ببدن مثالي، بينما البدن المادي مضطجع في الفراش. والنتيجة هي أنَّ المعاد الجسماني أمر قطعي، وهذا ما أكدّه القرآن الكريم، ولكننا غير قادرين على إدراك كل خصائصه. وما ينبغي الاعتقاد به ويُعتبر من ضرورات الدِّين هو المعاد الجسماني وليس خصائصه و كفيّياته.

### الحساب

يؤتى بالموتى إلى موقف الحساب بعد نفخ الصور. ومن الطبيعي أنَّ الحساب في هذا الموقف - الذي يعتبر من مواقف القيامة - يجري بصورة واضحة و شفافة لا لبس فيها؛ وذلك بسبب علم الله المطلق بكل شيء. هناك لأتْهمل ذرة واحدة من أعمال كل شخص. (١) إذ تُعرض هناك كتب مسجّلة فيها أعمال العباد، ويحضر الأنبياء وشهود الأعمال ويُقضى بين الناس بالحق. استناداً إلى ما هو مدوّن في كتاب أعمال كل إنسان: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (٢) وفي هذا الكتاب مدوّن كل ما هو صغير أو كبير من الأعمال: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ (٣) ويوضع أمام كل شخص يوم القيامة كتاب أعماله ليقرأ ما فيه و تجري محاسبته استناداً إليه. (٤)

في ذلك الموقف يكون كل شخص مسؤولاً عن أعماله؛ فمن عمل صالحاً تغمره الفرحة والسرور ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾. (٥) بينما لايجني المسيء غير الخوف والرعب: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾. (٦)

١- سورة الزلزلة (٩٩)، الآيتان ٧-٨.

٢- سورة ق (٥٠)، الآية ١٨.

٣- سورة القمر (٥٤)، الآية ٥٣.

٤- سورة الإسراء (١٧)، الآيتان ١٣-١٤.

٥- سورة الإنشقاق (٨٤)، الآية ٩.

٦- سورة الكهف (١٨)، الآية ٤٩.

في ذلك اليوم يأتي الله بكل أعمال العباد - حتى وإن كانت في أقصى مكان - و يحاسبهم عليها. (١) فيتحمل كل أحد وزر أعماله، و لا يتحمل عبء أعمال غيره ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. (٢)

و في المقابل يضاعف الله الإحسان للمحسنين ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (٣) في حين يكون جزاء المذنب على قدر الذنب نفسه: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾. (٤)

يعاقب الإنسان يوم القيامة على ما رسخ في ذاته من ذنوب، وربما يأتي خلوده في العذاب بسبب رسوخ الرغبة في الآثام والذنوب في ذات الشخص. روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إنما خلد أهل النار في النار لأن تياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً. (٥) و يختلف الحساب يوم القيامة تبعاً لاختلاف أعمال الناس؛ فبعضهم يحاسب حساباً يسيراً، و يُعطى أحدهم كتابه يمينه، (٦) بينما يُعطى آخرون كتابهم من وراء ظهورهم، فينادون بالهلاك والثبور، (٧) و يتمنون لو أنهم لم يعطوا كتب أعمالهم. (٨) و يضيق المجال على الكفار في ذلك الموقف و يفضحون بحيث يتمنون لو أنهم كانوا تراباً، (٩) و لم يُخلقوا، و لا تُقبل من الكافرين يومئذ فدية، و لا ينصرهم أحد، (١٠) و هناك لا ينفع مال و لا بنون، (١١) و لا ينجو إلا من ادخر لآخرته عملاً صالحاً. و الجزاء يأتي كنتيجة حتمية للعمل و تجسيدا له. و لا مفرّ هناك لأحد. و لا تنفع ندامة؛ لأن وقت الندم قد فات؛ إذ يحضر يوم القيامة عند الحساب شهود: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ﴾. (١٢)

كل إجراءات حضور الأنبياء و الصالحين و الشهداء و الملائكة، من أجل تجسيد ما وعد

- |   |                                     |
|---|-------------------------------------|
| ١- سورة لقمان (٣١)، الآية ١٦.                                 | ٢- سورة الأنعام (٦)، الآية ١٦٤.     |
| ٣- سورة الأنعام (٦)، الآية ١٦٠.                               | ٤- سورة الأنعام (٦)، الآية ١٦٠.     |
| ٥- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٨٥، الحديث ٥.                      | ٦- سورة الإنشقاق (٨٤)، الآيتان ٧-٨. |
| ٧- سورة الإنشقاق (٨٤)، الآيتان ١٠-١١.                         | ٨- سورة الحاقة (٦٩)، الآية ٢٥.      |
| ٩- سورة النبأ (٧٨)، الآية ٤٠.                                 | ١٠- سورة آل عمران (٣)، الآية ٩١.    |
| ١١- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٠؛ سورة الشعراء (٢٦)، الآية ٨٨. |                                     |
| ١٢- سورة ق (٥٠)، الآية ٢١.                                    |                                     |

به الله بصورة ملموسة. و يقوم الحساب على موازين العدل<sup>(١)</sup> و لا يظلم أحد ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾<sup>(٢)</sup>.

العنصر الأساسي في سعادة الإنسان الإيمان والعمل الصالح، و أما سبب شقائه الأبدى فهو الكفر والشرك. قال الله جلّ و علا بشأن المؤمنين الذين يعملون الصالحات: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾<sup>(٣)</sup> و أما من يعمل صالحاً من غير إيمان فإن كفره و إنكاره يحبط عمله الصالح؛ لأن النية شرط و ركن في قبول العمل.

و بعبارة أخرى يمكن القول: إن الأعمال ذات الأثر هي الأعمال التي تكون صالحة من جهة، و أن يكون الباعث عليها حبّ الخير و نيل مرضاة الله من جهة أخرى. و هذا لا ينطبق طبعاً على من لا يحمل عقيدة صحيحة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ...﴾<sup>(٤)</sup> و في المقابل يكون للإيمان تأثير إلى درجة أنه يجعل للعمل الصالح تأثيراً، و ليس هذا فحسب، بل يؤدي أيضاً إلى محو بعض الذنوب.<sup>(٥)</sup>

### تجسّم الأعمال

يقول الفلاسفة و علماء الأخلاق: إن ما يداوم عليه الإنسان و يكرر ممارسته يرسخ في ذاته تدريجياً، و بتعبير آخر يصبح ملكة ذاتية، و الأعمال ترسخ في النفس إلى درجة يكون لها تأثير بالغ في شخصيته. و تتجلى الملكات النفسية حينما يظهر كل شيء بوضوح. و يمكن اعتبار الجزاء تابعاً لهذه الخصائص و الملكات المطبوعة في النفس.

يُحشر الإنسان يوم القيامة على أساس صورته الباطنية و سيرته الداخلية. و عقوبات الآخرة ليست عقوبات تعاقبية على غرار العقوبات الدنيوية. و إنما هي على غرار الأمور التكوينية. و حقيقة الذنب، تتجسد يوم القيامة بالجزاء. إذ يمكن تشبيه الذنب بسكين يفتقاً

١- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ٤٧.

٢- سورة فصلت (٤١)، الآية ٤٦.

٣- سورة النساء (٤)، الآية ١٢٤.

٤- سورة إبراهيم (١٤)، الآية ١٨.

٥- سورة النساء (٤)، الآية ٣١.

بها الشخص عينه، حيث يكون العمى في مثل هذه الحالة أمراً تكوينياً وليس تعاقدياً. وجزاء الذنب كالمحصول الطبيعي للزرع؛ فكل من يزرع شيئاً يحصد ذلك الشيء نفسه. والعمل الذي يرسخ في ذات الإنسان يبقى ملازماً له. وبما أن مثل هذا العمل يضرب بأطنابه في أعماق النفس و يغدو جزءاً من الذات، فمن الطبيعي أن يستمر أثره و لا يزول بسرعة. قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف اللحظات الأخيرة من حياة الإنسان في الدنيا: إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا و أول يوم من أيام الآخرة مثل له ماله و ولده و عمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله أني كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك؟ فيقول: خذ مني كفنك، قال: فيلتفت إلى ولده فيقول: والله أني كنت لكم محباً و اني كنت عليكم محامياً فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها، قال: فيلتفت إلى عمله فيقول: والله اني كنت فيك لزاهداً و أنك كنت عليّ لثقيلاً فماذا لي عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك و يوم نشرك حتى أعرض أنا و أنت على ربك، قال: فإن كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً و أحسنهم منظراً و أحسنهم ريشاً فقال: أبشر بروح وريحان وجنة نعيم و مقدمك خير مقدم، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عمك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنة. و إنه ليعرف غاسله و يناشد حامله أن يعجله، فإذا أدخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما و يخدان الأرض بأقدامهما، أصواتهما كالرعد القاصف و أبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له: من ربك؟ و ما دينك؟ من نبيك؟ فيقول: الله ربي و ديني الإسلام، و نبيي محمد صلى الله عليه و سلم. فيقولان له: ثبتك الله فيما تحب و ترضى، و هو قول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ﴾ ثم يفسحان له في قبره مدّ بصره ثم يفتحان له باباً إلى الجنة، ثم يقولان له: نم قرير العين، نوم الشاب الناعم، فإن الله عز وجل يقول: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ قال: وإن كان لربه عدواً فإنه يأتيه أقبح من خلق الله زيباً و رؤياً و أنتنه ريحاً فيقول له: أبشر بنزل من حميم و

تصليه جحيم. (١)

١- الكُليني، الكافي، ج ٣، ص ٢٣١ و ٢٣٢، الحديث ١.

و روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا بُدَّ لك من قرين يدفن معك هو حي و أنت ميّت، فإن كان كريماً أكرمك، و إن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلاّ معك، و لا تبعث إلاّ معه، و لا تُسأل إلاّ عنه. فلا تجعله إلاّ صالحاً؛ فإنه إن صلح أنست به، و إن فسد لم تستوحش إلاّ منه، و هو عمك. (١)

### الشفاعة

الشفع: ضم الشيء إلى مثله، والشفاعة: الانضمام إلى آخر يكون ناصراً له، و أكثر ما يُستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة و مرتبة إلى من هو أدنى لمعاونته. (٢) و على الرغم من تأكيد القرآن الكريم على أن لا شفيع و لا نصير يوم القيامة ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لَا شَفِيعٌ﴾، (٣) و لكن هناك آيات تحدّثت بصراحة عن الشفاعة و تأثيرها في إنقاذ الإنسان، و إنّما نفيت الشفاعة للظالمين (٤) و للكافرين. (٥) فالشفاعة لا تشمل المشركين و الكفار و من ينكرون حقائق الدين.

فقد قال النبي ﷺ: و أمّا شفاعتي ففي أصحاب الكبائر ما خلا أهل الشرك و الظلم. (٦) و يتفق المسلمون على أنّ لرسول الله ﷺ مقام الشفاعة الذي كرمه الله به و أرضاه (٧) ﴿وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾. (٨) و قد اعتبر هذا المقام حصيلة لتجهّد النبيّ و إحيائه الليل. (٩) إنّ الله تعالى قد أذن بالشفاعة للصالحين و لمن ارتضى من عباده: ﴿وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾. (١٠) و المراد من الذين ارتضى، الأنبياء و الأوصياء و الملائكة، و بعض المؤمنين. (١١)

- ١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢٨.
- ٢- الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٤٥٧ و ٤٥٨.
- ٣- سورة الأنعام (٦)، الآية ٥١.
- ٤- سورة غافر (٤٠)، الآية ١٨.
- ٥- سورة المدّثر (٧٤)، الآيات ٤٦ و ٤٨.
- ٦- الصدوق، الخصال، باب السبعة، ص ٣٥٥، الحديث ٣٦.
- ٧- الطبرسي، مجمع البيان، ج ٥، ص ٥٠٥؛ الآلوسي، روح المعاني، ج ٢٨، ص ١٦٠.
- ٨- سورة الضحى (٩٣)، الآية ٥.
- ٩- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٧٩.
- ١٠- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ٢٨.
- ١١- الصدوق، الإعتقادات، الباب ٢١، ص ٤٤ و ٤٥.

الشفاعة ليست عملاً خارجاً عن الضوابط وإنما هي لطف وتكريم من الله على عباد ذوي اعتقاد وعمل صالح، ولكنهم أخطأوا واقترفوا أحياناً ذنباً ولم يوفقوا للتوبة، ولا شك في أن من يتوب عن الذنب لا يحتاج إلى شفاعة؛ إذ جاء في حديث شريف: «لا شفيع أنجح من التوبة»<sup>(١)</sup> و من الطبيعي أن الاعتقاد بالتوحيد والسير على الصراط الإلهي القويم، شرط للشفاعة؛ لأن الشفاعة تعني سدّ النقص، وهي تتم عن ارتباط وثيق بين الشفيع والمشفّع فيه. ولا تعني طبعاً أن يقترب الشخص ما يشاء من الذنوب ثم تُغفر ذنوبه بالشفاعة.

و على هذا الأساس فإنّ الشفاعة لا تبيح لأحد اقتراف الذنوب، ولا أحد يتجرأ على المعصية في مثل هذه الشروط والضوابط. الشفاعة تبعث في النفوس بصيص الأمل وتشجّع الناس وتحثهم على أداء ما يجب عليهم من فرائض واجبات، ولكن الفرائض تكون أحياناً عسيرة ويصعب على البعض أداؤها، خاصة وأنّ الدنيا دار وسوسة وزلاّت، وأمثال هؤلاء الأشخاص ينجيهم الله من العذاب ويرفعهم درجات بفضل شفاعة عبد من أوليائه.

### الصراط

هنالك يوم القيامة جسر يُسمّى «الصراط»، وقيل في وصفه «الصراط أدقُّ من الشعر و أحدُّ من السيف»<sup>(٢)</sup> ولا بدّ لكلّ الناس بعد البعث من جديد، أن يجتازوا الصراط ليصلوا إلى جنة الخلد. وكل شخص يستطيع أن يعبره على قدر ما لديه من نور اكتسبه من اتصاله بحقائق العالم<sup>(٣)</sup>، ويمكن للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، والمتقين والأولياء والصالحين، عبوره بسهولة، بينما يتعذر على المشركين والفاسقين عبوره، فيسقطون في الهاوية<sup>(٤)</sup>. وبعض يمر عليه سريعاً والبعض يتعثّر<sup>(٥)</sup> وبعض يسقط في نار جهنم.

١- الصدوق، الأمالي، مجلس ٥٢، ص ٣٩٩، الحديث ٩.

٢- الكليني، الكافي، ج ٨، ص ٣١٢، الحديث ٤٨٦؛ المفيد، تحقيق الاعتقاد، مصنفات المفيد، ج ٥، ص ١٠٩.

٣- سورة الحديد (٥٧)، الآية ١٢. ٤- سورة المؤمنون (٢٣)، الآية ٧٤.

٥- الكليني، الكافي، ج ٨، ص ٣١٢، الحديث ٤٨٦.

و هناك تتعالى الأصوات و كل يُنادي و انفساه، و تحجب الأبصار و تضطرب الأنفاس، و تزداد نبضات القلوب. و من الطبيعي أن مثل هذه الحالة لو عرضت لأحد فإنه يتعثر في مشيته حتى لو كان يسير على أرض مستوية، فما بالك إذا كان يمر على صراط دقيق وخطير. إن عبور هذه العقبة بنجاح ينتهي بالمرء إلى الاتصال بعالم الحق، فيثبت قدمه هناك و تطمئن نفسه، و يبلغ مرحلة السكينة والاستقرار. و هذا لا يتحقق طبعاً إلا بما أذخره المرء من عمل صالح في دنياه.

والإشارة إلى هذه الملاحظة لاتخلو من فائدة، و هي أن المراد من دقة الصراط ربّما يكون الحقائق التوحيدية، والمعتقدات الحقّة، والعمل الصالح الذي يُعتبر -حقاً- شيئاً دقيقاً و أدقّ من الشعرة، و يحتمل فيه السقوط والانحراف في أية لحظة. و هذا ما يوجب على المرء أن يكون في حذر منها على الدوام و يسأل ربّه الثبات على هذا الصراط، و أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين أبداً. و أخيراً و بعد انجلاء أهوال و شدّة القيامة والنظر في أعمال العباد، ينال كل واحد منهم جزاءه بما يتناسب مع عمله و معتقده، و يتّجه نحو المكان المخصّص له فيسير المؤمنون إلى جنان الخلد، بينما يساق الكفرة والعاصون إلى جهنم.

### الجنة

و بعد النظر في أعمال العباد و معتقداتهم، يدخل قسم منهم إلى الجنة جزاءً على إيمانهم و صالح أعمالهم. والجنة هي المكان الذي ينتهي إليه المؤمنون الذين يحيون الليل بالعبادة و ينفقون مما رزقهم الله،<sup>(١)</sup> و هي للذين يجاهدون في سبيل نشر الاسلام و يضحون لهذا الهدف بأنفسهم و أموالهم،<sup>(٢)</sup> و يمكن القول بإيجاز: إن الجنة يدخلها الذين يعبدون ربّهم، و يحترمون حقوق و حرّمات الآخرين لله، و يؤدّون واجباتهم من غير طمع في شيء. و يتنعم من يدخل الجنة من النساء والرجال بما جعل الله لهم فيها من لذائذ الطعام والشراب، و كل ما يحبون و ما تشتهي أنفسهم،<sup>(٣)</sup> و هناك نعمة أعظم من كل تلك النعم

١- سورة السجدة (٣٢)، الآيات ١٥ - ١٩. ٢- سورة التوبة (٩)، الآية ١١١.

٣- ﴿و فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾؛ سورة الزخرف (٤٣)، الآية ٧١.

واللذائذ وهي رضوان الله،<sup>(١)</sup> وهناك لا يواجه أهل الجنة أي تعب أو مشكلة،<sup>(٢)</sup> وإنما يعيشون في أمن وسلام،<sup>(٣)</sup> وهم خالدون فيها ولا يأتيتهم الموت.<sup>(٤)</sup>

ذكر الجنة يبعث الأمل في النفس، ويحث العبد على الطاعة وعمل الخير واجتناب الذنوب والآثام.<sup>(٥)</sup> فالناس - كما يقول علي عليه السلام - لم يُخلقوا للخلود في الدنيا، وإنما الدنيا بالنسبة لهم ممرٌ لنيل الجنة والسعادة الأبدية.<sup>(٦)</sup> وقد قال عليه السلام في وصف الدنيا ومدى تناسبها مع الآخرة: **أَلَا حُرٌّ يَدْعُ هَذِهِ اللَّمَاطَةَ لِأَهْلِهَا، إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا.**<sup>(٧)</sup> وقال أيضاً في موضع آخر: **مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ فَهُوَ مَحْفُورٌ وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَاقِبَةٌ.**<sup>(٨)</sup> فقد قال تعالى في كتابه الكريم: **﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾**<sup>(٩)</sup> وقال تعالى أيضاً في القرآن الكريم في وصف الجنة: **﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾**<sup>(١٠)</sup> وقال أمير المؤمنين عليه السلام في تعظيم الجنة: **أَلَا وَإِنِّي لَمَ أَرَكُالْجَنَّةَ نَامَ طَالِبِهَا.**<sup>(١١)</sup>

## جهنم

جهنم مظهر غضب الله، وجاء في وصفها: أنها عبارة عن هاوية فيها نار متأجج لهيبها و متقد شررها **﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾**<sup>(١٢)</sup> و خزنتها ملائكة غلاظ شداد،<sup>(١٣)</sup> و حرارة الدنيا - كما قال رسول الله ﷺ - لا تكاد تساوي جزءاً من سبعين جزءاً من نار جهنم،<sup>(١٤)</sup>

١- **﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾**؛ سورة التوبة (٩)، الآية ٧٢.

٢- **﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾**؛ سورة الحجر (١٥)، الآية ٤٨.

٣- **﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾**؛ سورة يونس (١٠)، الآية ٢٥.

٤- **﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّيَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾**؛ سورة الدخان (٤٤)، الآية ٥٦.

٥- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٣١. ٦- المصدر السابق، الخطبة ١٣٢ (صباحي الصالح).

٧- المصدر السابق، الحكمة ٤٥٦. ٨- المصدر السابق، الحكمة ٣٨٧.

٩- سورة الصافات (٣٧)، الآية ٦١. ١٠- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٣٣.

١١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ٢٨ (صباحي الصالح).

١٢- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٤. ١٣- سورة التحريم (٦٦)، الآية ٦.

١٤- علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج ١، ص ٣٦٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٨٨، الحديث ٢١.



وهي ذات شرر عظيم لا يذر شيئاً إلا أحرقه،<sup>(١)</sup> و طعام أهل جهنم الزقوم والصديد،<sup>(٢)</sup> و ماؤها كالمهل، و هو المعدن المذاب بالحرارة،<sup>(٣)</sup> و نارها تسري في أعماق الإنسان و تستعر في القلوب،<sup>(٤)</sup> و ثياب أهلها النار، و يُلقى على وجوههم و رؤوسهم ماء يغلي.<sup>(٥)</sup> و هناك مقامع من حديد فوق رؤوس أهل النار،<sup>(٦)</sup> و لا يمكن الفرار منها أبداً،<sup>(٧)</sup> و جلودهم تتبدل على الدوام من شدة النار، و الجلود تحترق و تذوب، و لكن لا تنتهي و تحلُّ محلها جلود غيرها ﴿كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾<sup>(٨)</sup> و هم في عذاب دائم ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ لَا يَحْيَى﴾،<sup>(٩)</sup> و أيديهم و أعناقهم مغلولة بالسلاسل و الأغلال.<sup>(١٠)</sup> و يعيشون في حسرة و ندم دائم على تفریطهم بالفرصة التي أُتيحت لهم في الدنيا، و يتمنون لو كان رفاقهم في الدنيا رفاق خير نصحاء، ولو أنهم كانوا يسبيرون على الصراط المستقيم.

فهل تستحق أيام الدنيا العابرة أن يغفل المرء عن ربّه، أو يظلم عباد الله؟ أو أن لا يؤدّي فرائض الله، فيذلّ و يخزي؟ هناك كثير من آيات القرآن الكريم و أحاديث النبيّ و المعصومين في وصف عالم الآخرة و جهنّم و عذابها الشديد. و لاشكّ في أنّ رسالات الله و تحذيرات الأنبياء و الأوصياء إنّما هدفها توعية و إيقاظ الناس؛ إذ لا ينبغي أن ينهك الناس في نعم الدنيا و ملذّاتها بحيث ينسوا ما عليهم من فرائض و تكاليف، و يضيّعوا آخرتهم في خضمّ التهاافت على الحياة الدنيا. و ينبغي أن لا يكون الإقبال على ملذّات الدنيا إلى الحدّ الذي يوقع المرء في عذاب الآخرة. إنّ العقل والمنطق يفرض علينا الاصغاء لهذه التحذيرات و أخذها على محمل الجد؛ فهذه التحذيرات ليس هدفها إبعاد الناس عن نعم الدنيا، و إنّما الغاية منها إيجاد توازن في السلوك بين الدنيا والآخرة.

١- سورة المدثر (٧٤)، الآيات ٢٦-٢٨.

٢- سورة الحاقة (٦٩)، الآية ٣٦؛ سورة الواقعة (٥٦)، الآية ٥٢.

٣- سورة الكهف (١٨)، الآية ٢٩.

٤- سورة الهَمزة (١٠٤)، الآية ٧.

٥- سورة الحج (٢٢)، الآية ١٩.

٦- سورة الحج (٢٢)، الآية ٢١.

٧- سورة الحج (٢٢)، الآية ٢٢.

٨- سورة غافر (٤٠)، الآية ٧١.

٩- سورة غافر (٤٠)، الآية ٧١.

١٠- سورة غافر (٤٠)، الآية ٧١.



**الباب الثاني:**

**الأخلاق**



# علم الأخلاق

الفضائل الأخلاقية من المنجيات الموصلة إلى السعادة الابدية، ورذائلها من المهلكات الموجبة للشقاوة السرمدية. فالتخلي عن الثانية والتحلي بالأولى من أهم الواجبات للوصول إلى الحياة الحقيقية.<sup>(١)</sup>

و علم الأخلاق يعلم النفس الإنسانية كيفية تحصيل الخلق بحيث تصدر جميع الأحوال والأفعال بإرادتها، لتكون جميلة و حميدة.<sup>(٢)</sup> فالنفس الإنسانية ذات ميول و غرائز شتى. وقد وضع علم الأخلاق لتهديب الميول والرغبات الباطنية للإنسان. فمن الطبيعي أن أفعال الإنسان و أعماله إنما تصدر عن ملكاته وصفاته الحسنة أو القبيحة، و معرفة هذه الملكات تتعلق بعلم الأخلاق. و علم الأخلاق يعلم الإنسان كيفية نبذ الرذائل واكتساب الفضائل. وهو يعني بإصلاح الإنسان والارتقاء باستعداداته إلى الكمال. روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: «الزُّمُّ الْعِلْمُ لَكَ، مَا دَلَّكَ عَلَى صَلَاحِ قَلْبِكَ وَ أَظْهَرَ لَكَ فِسَادَهُ». <sup>(٣)</sup> إذاً فالأخلاق هي معرفة الفضائل والرذائل والتحلي بالفضائل، إضافة إلى التحلي بمحاسن الأخلاق المنبثقة من طباع حسنة.

## فلسفة الأخلاق

يتناول علم الأخلاق دراسة الحسن الأخلاقي والقبح الأخلاقي، والأوامر والنواهي الأخلاقية. و أمّا فلسفة الأخلاق فمهمتها الإجابة عن أسئلة مثل: ما هو معيار الخير والشرّ

١- التراقي، الملا مهدي، جامع السعادات، ج ١، ص ٩ و ١٠.

٢- الطوسي، الخواجة نصير الدين، اخلاق ناصري، ص ٤٨.

٣- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٢٠، الحديث ٥٤.

والحسن والقيح؟ ولماذا هذا الشيء حسن و ذلك الشيء قبيح؟ و ما منشأ اعتبار الأمر والنواهي الأخلاقية؟ و هل الأمور الأخلاقية نسبية أم مطلقة؟ و كيف يُنظر إلى الجمال؟ ولماذا يرى البيضُ مصاديق معيّنة للجمال و يرى السودُ مصاديق أُخرى للجمال، مما لا يوافقهم غيرهم عليها؟ و نحن هنا في هذا الكتاب نتناول علم الأخلاق. و أمّا فلسفة الأخلاق فعلى الرغم مما تتصف به من الروعة والجذّابية إلّا أنها خارج هدف و موضوع هذا الكتاب.

الإنسان مجبول بالفطرة على حُبّ الجمال، و قد أبدع الكثير من معالم الجمال المسموعة والمرئية في مختلف المجالات. و لاشكّ في أنّ نشوء و تطوّر الكثير من الفنون الجميلة كالرسم، و الموسيقى، و النحت، و فن العمارة و غيرها منبثقة أساساً من هذه الفطرة و جاءت بهدف إشباع هذا الميل. و الإنسان حسب طبيعته البدائية يستشعر اللذة و الارتياح من أمور، و النفور من أمور أُخرى. و على هذا الأساس يقسّم الأمور إلى جميلة و قبيحة، و حسنة و سيّئة. و هذا التقسيم ينطبق على ما هو محسوس و على ما هو غير محسوس. فعندما نرى شخصاً يعمل من أجل الآخرين و يمد لهم يد العون، نكرّم هذه النزعة الإنسانية فيه و نرى عمله جميلاً. و من جانب آخر إذا رأينا شخصاً يضرب شخصاً ضعيفاً من غير سبب نستقبح عمله. و كذلك نصف بالعدل من يحكم بين الناس بعيداً عن مؤثرات الحب و البغض و بحسب الشواهد والأدلة، و نصف بالظلم من يفعل خلاف ذلك. و أساس السلوك الأخلاقي هو الحسن و القبح اللذان يقرّهما العقل و الفطرة. و الصفة الأخلاقية الفاضلة هي ما يستحسنها الآخرون، و أمّا الصفة الأخلاقية الرذيلة فهي ما يستقبحها الآخرون.

إنّ منطلقات سلوك الناس ليست من نمط واحد. فبعضها تنطلق من دوافع حسية و من غير وعي و إرادة، كالصياح عند مواجهة خطر مفاجيء، و إغماض العينين تلقائياً عند الاصطدام بشيء خارجي. و بعض الأفعال الأخرى مبعثها الغريزة و الميول الذاتية كالأكل و الشرب عند استشعار الجوع و العطش، و الدفاع عن الذات عند مجابهة خطر.

و هناك نوع آخر من السلوك مبعثه الفطرة كحب الجمال و حُبّ الحقيقة. و التوجّهات و السلوكيات المنطلقة منها خاصّة بالإنسان دون سواه من الكائنات. و ما يلاحظ من

الحضارات والثقافات منبثق من هذه الخصال. وهناك قسم من السلوك - وهو ما يُسمّى بالسلوك الأخلاقي - يأتي انطلاقاً من دوافع فطرية. فالسلوك الذي يؤدي إلى الكمال، ويتّصف بالحسن والجمال يعتبره أمراً لازماً (وهو ما يُسمّى بالأوامر، أو ما ينبغي فعله)، أمّا السلوك المخالف للكمال و ما يستشعر النفور منه فيرى لزوم تركه (وهو ما يُسمّى بالنواهي أو ما لا ينبغي فعله).

## النظام الأخلاقي في الإسلام وخصائصه

تؤلف الإرشادات والتوجيهات الأخلاقية قسماً مهماً من تعاليم الدين الإسلامي، ومنها يتكون النظام الأخلاقي، وهي تتصف بالخصائص التالية:

### ١- التحول في الأخلاق

من أهداف التعاليم الأخلاقية في الإسلام إحداث تغيير في الأخلاق، ونقل المجتمع من الأخلاق الجاهلية إلى الأخلاق الإسلامية، وإيجاد نظام أخلاقي سامٍ منسجم مع الفطرة الإنسانية. فقد كانت القيم الأخلاقية قد ضعفت في العصر الجاهلي و حلّت محلّها القيم القبلية. وبالرغم من وجود قيم أخلاقية حسنة في العصر الجاهلي غير أنها كانت محدودة من جهة، ومن جهة أخرى كانت مدياتها لا تتعدى أفراد القبيلة الواحدة. حيث كان التعصب القبلي هو أساس السلوك، وكان نسيج الحياة الاجتماعية قائماً على قاعدة الحياة القبلية، ولكن بعد ظهور الإسلام تغيّرت هذه المفاهيم الأخلاقية على نحو واسع، و حلّ مبدأ «الإنسان» بدلاً من فكرة القبيلة. وحصل تطوّر هائل في مضامين المفاهيم الأخلاقية، وأخذ مبدأ الأخوة الدينية مكانته بدلاً من العادات والتقاليد الجاهلية.<sup>(١)</sup> و طرح الإسلام فكرة «الأمة الإنسانية الواحدة» كبديل لفكرة الأعراق والأقوام.<sup>(٢)</sup>

٢- سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٣.

١- انظر: سورة المجادلة (٥٨)، الآية ٢٢.

كانت هناك في العصر الجاهلي سجايا أخلاقية حميدة، وقد أقرّها الإسلام و أمضاها، كالضيافة والمروءة. وهذا يعني أنّ الإسلام لم يحارب كل ما كان موجوداً في الجاهلية، وإنّما أقرّ واستحسن ورشّح صفات حسنة كالمرءة، والكرم، والشهامة، والضيافة، والشجاعة، وغير ذلك.

## ٢- الواقعية

اهتم الإسلام في تعاليمه الأخلاقية بحاجات الإنسان الفطرية، و طرح القيم بشكل واقعي يأخذ بنظر الاعتبار صعوبات الحياة كالفقر والجوع والمرض والعوز، ودعا إلى تلك القيم بطريقة تتسم بالمرونة في مثل هذه الظروف، بحيث لا يقع المكلف في عسر و حرج. التعاليم الأخلاقية في الإسلام قائمة على رؤية واقعية، وهي ليست مجرد وصايا جامدة و خالية من الروح، و مقرونة بتوجيه لفائدتها والغاية التي وضعت لأجلها. و هناك تأكيدات على أنّ الالتزام بالقيم الأخلاقية يعود بالفائدة على الشخص نفسه، و هذا يمثّل بحد ذاته تشجيعاً على العمل بها. والنظام الأخلاقي في الإسلام لا يكتفي بذكر مفاهيم أخلاقية عامّة و قضايا أخلاقية بديهية، و إنّما جرى تبيان مصاديق كل مفهوم عام. و ما يُعرف باسم القيم الأخلاقية عبارة عن أمور ذات قيمة و خاضعة للمصلحة. و ما يُعرف بأنه غير قيمي فهو يتعارض مع القيم و ينطوي على مفسدة، كما هو الحال بالنسبة إلى الدعوة إلى العدل والإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>(١)</sup> والنهي عن الفحشاء والمنكر ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾<sup>(٢)</sup>.

يهتم الإسلام بعواطف الإنسان وضبط المشاعر و توظيفها لترسيخ القيم الأخلاقية. كما أنه يوجّه الغرائز و يهدّبها. و يعير اهتماماً واضحاً للرفقي المعنوي والوصول إلى بناء اجتماعي متكامل. كما يعنى المنهاج التربوي في الإسلام بالعلاقات العاطفية في إطار الأسرة، و في العلاقات مع الأخوة في الدين.

١- سورة النحل (١٦)، الآية ٩٠.

٢- سورة النحل (١٦)، الآية ٩٠.



### ٣- الاهتمام بالجوانب الوجودية للإنسان

من خصائص النظام الأخلاقي المفيد والفاعل أن يتعامل عن وعي مع مكونات الإنسان وقدراته. وهذه الميزة موجودة في النظام الأخلاقي الذي جاء به الإسلام. من الواضح أن الإنسان يملك عقلاً ووعياً ومشاعر ومتطلبات وحاجات مادية ومعنوية، وهو مجبول على فطرة وغرائز، والكثير من حاجاته الفطرية والطبيعية ذات تأثير في سلوكه، ومن خلالها تتبلور صياغة شخصيته. ولا شك في أن تجاهل أي من تلك العناصر والمكونات قد يفضي إلى بناء إنسان غير متزن في الجوانب الأخلاقية والتربوية، ولكن الإسلام قد وضع نصب العين - في تعاليمه الأخلاقية - جميع مكونات الإنسان؛ لأن عدم أخذ تلك الجوانب بنظر الاعتبار يُفقد الإرشادات الأخلاقية فاعليتها.

### النفس و أقسامها

يهتم النظام الأخلاقي في الإسلام بشكل أساسي بتنمية وتهذيب الجانبين الروحي والعقلي لدى الإنسان، ويرى أن الشؤون الأخلاقية مبنية على الاختيار والوعي والعقل. والإنسان ذو نفس حيّة، ولها تأثيرات ووظائف شتى. ومنها أنها تقوم بمهمة توجيهه. ومن الطبيعي أن الميول والرغبات أمور واقعية في وجود الإنسان ومبعثها النفس. وقد أخذت هذه الرغبات والنوازع بنظر الاعتبار في التعاليم الأخلاقية. وهناك تعاليم كثيرة وضعت لتهذيب النفس وتنظيم دورها وتأثيرها، ولكن دون أن تستهدف إلغاءها وكبتها. نورد في ما يلي أمثلة من أفعال النفس وتأثيراتها مع ذكر التعاليم الأخلاقية التي وضعت لها:

### النفس الأمارة

تحدّث القرآن الكريم عن النفس بتعبيرات شتى، منها أنه نصّ مثلاً على: ﴿إِنَّ النَّفْسَ

لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾<sup>(١)</sup> وتُسمَّى هذه النفس بالأمارة؛ وبها تربط الأهواء والنزوات، وهذه النفس تسعى إلى تحقيق رغائبها. وإذا خضعت أعضاء الإنسان وجوارحه إلى هيمنة النفس الأمارة، تستحوذ عليها وتسوقها إلى تنفيذ كل ما تمليه عليها، وتسوق الأيدي والأعين والأرجل إلى ارتكاب المعاصي، وتدفع اللسان إلى اقتراف قبائح كالغيبة والتهمة والشتيم والإساءة. وهذه أسوأ حالات النفس، وهي التي تسوق الإنسان إلى الضياع وتجعل منه عبداً للشهوات والأهواء وحشاً كاسراً، بل قد تؤدّي نفس أمارة واحدة إلى إفساد خلق كثير. وإذا لم يقف الإنسان ضد أهوائه النفسية و ترك العنان للنفس الأمارة فسيصبح أكثر خطورة من أيّ وحش كاسر.

### النفس اللوامة

للنفس وظيفة أخرى ذات جانب إيجابي، وهو ما يُسمّى بالنفس اللوامة: ﴿لَا أُقْسِمُ بِبَيْتٍ أَقِيَامَةٍ \* وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾<sup>(٢)</sup> وكلمة اللوامة صيغة مبالغة - كما هو الحال بالنسبة إلى النفس الأمارة - أي كثيرة اللوم. وهذه النفس إذا اضطلعت بدورها ولم يتضاءل تأثيرها بفعل الجوانب الأخرى، فهي كفيلة بالارتقاء بالإنسان إلى مستوى الكمال. وهي تلوم الإنسان وتعتفه، كما يُعبّر عنها أحياناً باسم الضمير أو الوجدان. وتأثير النفس اللوامة هي أنّ الإنسان إذا اقترف قبيحاً يلتفت إلى خطئه ويتوجّه باللوم إلى ذاته، ولكن يحتمل في الوقت ذاته أن تفقد هذه النفس تأثيرها على مرّ الزمن، ويتلاشى دورها بسبب تكرار الفعل القبيح.

خلق الله للإنسان قدرات تحول بينه وبين الخروج عن حدود الإنسانية. ولا شك في أنّ اللوم الذي تبديه النفس يخلق لدى المرء حالة من التوبة والإنابة التي تؤدي بدورها إلى تهيئة الظروف للامتناع عن تكرار الذنب. إذاً فالنفس اللوامة تسوق الإنسان نحو الكمال؛ ولهذا أقسم بها الله عزّ وجلّ شأنه.

١- سورة يوسف (١٢)، الآية ٥٣.

٢- سورة القيامة (٧٥)، الآيتان ١-٢.

## النفس المُلهمة

و هناك صفة أخرى للنفس، وهي صفة ذات جانب أخلاقي وهي الإلهام. جاء في القرآن الكريم بخصوص هذا المعنى ما يلي: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (١).

وهذه النفس إذا تيقّظت تحظى برعاية من الله، ويمكنها عند ذلك البتّ في ما هو صحيح أو ما هو خطأ من الأعمال. ولهذه النفس نوع من الارتباط بعالم الغيب وهي قادرة على تمييز الخطأ من الصواب.

## النفس المطمئنة

النفس الإنسانية تتيقّظ و تجد طريقها و تسلك منهج العمل واليقين. و عندما تبلغ أعلى مراحلها و لاتساورها أية شكوك أو هواجس تغدو «مطمئنة»، و هذه النفس متصلة بالحق، و هذا الاتصال بالله يبعث فيها الاطمئنان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً...﴾ (٢).

## ٤- الاعتدال

إحدى الخصائص الأخرى للتعليمات الأخلاقية، هي الدعوة إلى الاعتدال في تلبية المتطلّبات والحاجات. فهي لا تطلب من الناس كبت غرائزها و تجاهل اللذائذ الدنيوية، و على صعيد آخر لا تريد لهم الانهماك بها؛ لأنّ أهم هدف للتعاليم الأخلاقية هو انتهاج مسلك الاعتدال واجتناب الإفراط والتفريط. فالإفراط تعدّ و تجاوز للحد، والتفريط تقصير و قصور في أداء ما ينبغي أدائه. كما أنّ تجاوز الحدّ في طلب الشيء إفراط، والتهاون أو التقصير في طلبه تفريط. و من الطبيعي أنّ الإنسان إذا أرسى بناء حياته على الإفراط أو

١- سورة الشمس (٩١)، الآيات ٧-٨.

٢- سورة الفجر (٨٩)، الآيتان ٢٧-٢٨.

التفريط، فلا بد أن يتجه تدريجياً نحو التعدي أو ينتهي في سلوكه إلى أن يكون سبباً في تعدي الغير. فمثل هذا السلوك، يفضي إلى إحداث خلل في السلوك الاجتماعي العام و يلحق ضرراً بشخصية الفرد.

إنّ الإنسان عبارة عن مجموعة من الغرائز والميول والرغبات والنوازح المختلفة. وتجتمع فيه القوة العاقلة، والقوة الغضبية، و غيرها. ورغبات الإنسان و طموحاته كثيرة و لاحد لها و لا حصر. و مهما حقق من الطموحات والأمني لا يشبع. ولو أعطيت له الدنيا بأسرها لطلب المزيد. و قد دعا الإسلام إلى الاعتدال و وضع له معايير انطلاقاً من حرصه على تحجيم مثل هذا الخطر. و من خصائص الإسلام أنّ تعاليمه و أحكامه تلتزم منهج الاعتدال والحد الوسط، حتى أنّه سمى الأمة الإسلامية «أُمَّةً وَسَطًا» في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾. (١)

ذهب الإسلام إلى اعتبار عباد الله الخاصين هم المعتدلون البعيدون عن الإفراط والتفريط، كما جاء في قول العزيز الحكيم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾. (٢) و فيما يتعلق بهذه الصفة أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن لا يجعل يده مغلولة إلى عنقه في الإنفاق و لا يبسطها تماماً؛ لأنّ ذلك يؤدي به إلى أن يقعد ملوماً محسوراً. (٣) كما أمر تعالى في موضع آخر نبيه ﷺ بعدم اتباع من ينتهجون منهج الإفراط والتفريط، استناداً إلى ما ورد في الآية الشريفة: ﴿وَ لَا تَطْعُ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ كَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. (٤)

و قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الإفراط والتفريط: لَقَدْ عَلِقَ بِنِيَابِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ، وَ ذَلِكَ الْقَلْبُ، وَ ذَلِكَ أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ أَضْدَاداً مِنْ خِلَافِهَا، فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وَ إِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ، وَ إِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ، وَ إِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ، وَ إِنْ أَسْعَدَهُ الرَّضَى نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وَ إِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَعَلَهُ الْحَذَرُ، وَ إِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْعُرَّةُ، وَ إِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْعَاهُ الْغِنَى، وَ إِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ

٢- سورة الفرقان (٢٥)، الآية ٦٧.

١- سورة البقرة (٢)، الآية ١٤٣.

٤- سورة الكهف (١٨)، الآية ٢٨.

٣- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٢٩.

فَصَحَهُ الْجَزَعُ، وَإِنْ عَصَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلَاءُ، وَإِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وَإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشَّبِيعُ كَطَنَتُهُ الْبُطْنَةُ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ.<sup>(١)</sup>

من المعروف أنّ الإفراط والتفريط كليهما رذيلة، والفضيلة هي الحد الوسط بينهما. فإذا تجاهل الإنسان أمانيه و تطلّعاته تجاهلاً تاماً فلا بدّ أنّه سيكابد الحسرة والغم، وإذا انهماك في اللّهات وراء رغباته يستحوذ عليه الطمع. والاعتدال في ذلك، هو الحد الوسط. قال أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال: «لا ترى الجاهل إلا مفراطاً أو مفراطاً».<sup>(٢)</sup> و قال أيضاً: ثمرة التفريط الندامة.<sup>(٣)</sup> والعدالة التي أكّدها النصوص الدينية كثيراً، هي حالة الاعتدال واجتناب الإفراط والتفريط في شؤون الحياة.

## ٥- الترابط بين الأخلاق والعبادة

ينبغي طبعاً إخضاع الإنسان للتربية منذ الطفولة، من أجل أن يكتسب الفضائل الأخلاقية و يبتعد عن الرذائل. فالطفل من يمكن صياغته بالنحو الذي يُراد. و في هذا الطور يتعيّن على الوالدين و من يتولى شؤون الطفل أن يوجهوه إلى المسار السليم. و عندما يكبر يجد أمامه مجموعة من التعاليم التي يمكنه من خلال الالتزام بها تربية و تهذيب ذاته. إذ تتضمن الفرائض العبادية أسمى المناهج التربوية و أساليب تهذيب النفس. و لم يستخدم الاسلام -بل و حرّم أيضاً- الطرائق غير المتعارفة و أساليب الرياضة الروحية القاسية و الصارمة في التهذيب و التربية. و إنّما أمر بتهذيب النفس عن طريق العبادة التي هي أمر فطري. و من الطبيعي أنّ الالتزام بهذه الفرائض و التعاليم يؤدي بشكل تلقائي و من غير ضغوط إلى تهذيب و ضبط الغرائز. نذكر مثلاً: إنّ للصلاة و الصوم و سائر العبادات تأثير فاعل في هذا المضمار.

و من الفرائض الأخرى المؤثرة في تهذيب النفس، الحج. فالحج يعتبر من بدايته و إلى نهايته بمثابة نظام تربوي متكامل. فالحاج يجب أن يخلع من البداية ثيابه و يرتدي ثياب

١- الكليني، الكافي، خطبة الوسيلة، ج ٨، ص ١٩؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ١٠٨، ص ٤٨٧.

٢- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٧٠. ٣- المصدر السابق، الحكمة ١٨١، ص ٥٠٢.

الإحرام. ولا بُدَّ أن يكون البدن طاهراً والثياب طاهرة و مباحة و ليس فيها حق لأحد. بل ينبغي حتى اجتناب الكثير من الحلال، و يجب أداء الحج في وقت معين، و بأعمال و حركات معينة. ففي الحج يبلغ التدريب والضبط النفسي ذروته. فهذا التكليف بمثابة تمرين على تهذيب الذات و بنائها، لأنَّها تغرس في النفس تأثيرات عميقة بنحو تدريجي. و هي كفيلة بقطع دابر الغرور والكبر. و هي بالنتيجة تنتهي بالمرء من الأنانية و عبادة الذات إلى عبادة الله. كما أنَّ العبادة تتركس في النفس نزعة حُبِّ الخير للآخرين.

و الصوم فريضة عبادية أُخرى، يجب فيها على المكلفين الامتناع عن أمور معينة لمدة شهر في كل سنة، و أمَّا في بقية السنَّة فهي مباحة له. و يُفرض عليه في هذا الشهر أن يمتنع عما ينبغي الامتناع عنه، في وقت معين بإرادته، و الانتهاء من ذلك في وقت معين آخر. و لا شكَّ في أنَّ لهذا العمل أثراً تربوياً و أخلاقياً عميقاً في النفس من حيث الجانب الفردي أو الاجتماعي، و هو يبعث في الإنسان مشاعر التعاطف مع أبناء جنسه. و الصوم يدفع الفرد إلى الاهتمام بأحوال الفقراء و المساكين.

## ٦- التقوى ركيزة للأخلاق

ينص القرآن الكريم على أنَّ طريق الفلاح و النجاة هو تهذيب النفس و تنقيتها من الدنس و الرذيلة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾<sup>(١)</sup> و أنَّ النتيجة الطبيعية لدنسها و تجاهل تهذيبها هي الخسران و الشقاء ﴿وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾<sup>(٢)</sup> و من البديهي أنَّ الانهماك في الرذائل يترك تأثيراً سلبياً في النفوس، و يغدو عائقاً يحول دون المعرفة و الإيمان. قال الباربي عزوجل في وصف مكذبي آيات الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

لقد اهتم الأنبياء ﷺ قبل أي شيء آخر بتهذيب النفس و الارتقاء بمستوى الأخلاق. و قال الله سبحانه و تعالى في وصف أحوال الأنبياء السابقين و أممهم ما يلي: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا

٢- سورة الشمس (٩١)، الآية ١٠.

١- سورة الأعلى (٨٧)، الآية ١٤.

٣- سورة المطففين (٨٣)، الآية ١٤.

كَانُوا يَكْسِبُونَ»<sup>(١)</sup> و يُستدل -من خلال تأكيد الله عزّ وجلّ على التقوى على أنّ هذه الخصلة تعدّ سبباً مهماً لاستقرار وثبات المجتمعات وسعادتها في الدنيا والآخرة، وأنّ السير على خلاف منهج التقوى لا يعود على أهله إلا بالخسران والهلاك.

و كلمة التقوى مشتقة أساساً من كلمة «وقى»، ومنها الوقاية وهي حفظ الشيء ممّا يؤذيه و يضرّه.<sup>(٢)</sup> والتقوى تعني قدرة الإنسان على ضبط نفسه في حالات الغضب أو الميول والرغبات. و قلّما تجد سورة في القرآن لم تتحدث عن التقوى. و يبيّن القرآن الكريم أنّ البرّ لا يأتي إلا من التقوى،<sup>(٣)</sup> وكذلك الحال في ما يخص المعرفة والقدرة على تمييز الحق من الباطل،<sup>(٤)</sup> وأن يكون الإنسان في أمان من وساوس الشياطين،<sup>(٥)</sup> و بالتقوى ينال النصر الإلهي،<sup>(٦)</sup> وأنه تعالى يَمُنُّ بالنصر والعون على المتقين،<sup>(٧)</sup> و بها تُنال السكينة والاطمئنان،<sup>(٨)</sup> و أنها هي السبيل إلى النجاة.<sup>(٩)</sup> و فضلاً عما للتقوى من آثار أخروية فهي ذات آثار دنيوية أيضاً، كسعة الرزق والنجاة من الشرور،<sup>(١٠)</sup> و يمكن القول بإيجاز: إنّ النجاة للمتقين،<sup>(١١)</sup> و المتقون أحبّاء الله.<sup>(١٢)</sup>

دعا الله تعالى العباد في مواضع و مناسبات كثيرة إلى الورع والتقوى، و وصفها بأنها درع يصون الإنسان من المشاكل، و بيّن أنّ التقوى سبب للكرامة و علو المنزلة عند الله، و ليس هناك شيء آخر من الأموال والحسب والنسب والمقام والمنصب يضاهي التقوى أو يعطي لفرد ميزة عن غيره. فالتقوى -إذاً- مصدر الفضائل كلها ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(١٣)</sup>

- ١- سورة الأعراف (٧)، الآية ٩٦.
- ٢- الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٨٨١.
- ٣- سورة البقرة (٢)، الآية ١٨٩.
- ٤- سورة الأنفال (٨)، الآية ٢٩.
- ٥- سورة الأعراف (٧)، الآية ٢٠١.
- ٦- سورة آل عمران (٣)، الآيات ١٢٠ و ١٢٥.
- ٧- سورة البقرة (٢)، الآية ١٩٤؛ سورة النحل (١٦)، الآية ١٢٨.
- ٨- سورة الأعراف (٧)، الآية ٣٥.
- ٩- سورة النمل (٢٧)، الآية ٥٣؛ سورة الزمر (٣٩)، الآية ٦١؛ سورة فصلت (٤١)، الآية ١٨.
- ١٠- سورة الأعراف (٧)، الآية ٩٦؛ سورة الطلاق (٦٥)، الآيات ٢ و ٤؛ سورة الليل (٩٢)، الآيات ٥-٧.
- ١١- سورة النور (٢٤)، الآية ٥٢.
- ١٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ٧٦.
- ١٣- سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٣.

من الطبيعي أن المتقي لا يرتكب حراماً ولا يترك واجباً، بل يحتاط حتى عند الشبهات. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا ورع كالوقوف عند الشبهة».<sup>(١)</sup> ومن المعروف أن التقوى فوق الإيمان.<sup>(٢)</sup> وتُقل أن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال للمفضل بن عمر: «إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى» وهنا يقول المفضل: إني سألت الإمام كيف يكون العمل الكثير بلا تقوى. فقال: مثل الرجل يطعم الطعام ويرفق بجيرانه، ولكن إذا فتح له باب من الحرام دخل فيه. فهذا العمل بلا تقوى، ولكن هناك من ليست عنده هذه الخصال غير أنه لو فتح له باب الحرام لم يدخل فيه.<sup>(٣)</sup>

ومما يروى في هذا المجال أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف بعد معركة بدر على قتلى المشركين فقال: إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فقال المنافقون: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكلم الموتى. فنظر إليهم فقال: لو أذن لهم في الكلام لقالوا: «نعم وإن خير الزاد التقوى».<sup>(٤)</sup>

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متى ما ودّع المؤمنين قال لهم: «زودكم الله التقوى».<sup>(٥)</sup> وقال علي بن أبي طالب عليه السلام في جواب من سأله: فأى عمل أفضل؟ قال: التقوى.<sup>(٦)</sup> وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام: التقوى وصية الله فيكم وفي الذين من قبلكم. قال الله عز وجل: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ».<sup>(٧)</sup> وفي ضوء ما ورد آنفاً يمكن أن نفهم بوضوح أكثر معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «التقوى رئيس الأخلاق»<sup>(٨)</sup> لأن من يتحلّى بالتقوى قادر في كل الأحوال والظروف على صيانة نفسه وحفظها من الذنوب والآثام.

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ١١٣، ص ٤٨٨.

٢- الكليني، الكافي، باب فضل الإيمان على الإسلام، ج ٢، ص ٥١.

٣- المصدر السابق، ص ٧٦، الحديث ٧.

٤- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، باب التعزية، ج ١، ص ١١٤، الحديث ٥٣٦.

٥- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، آداب السفر، الباب ٢٩، ج ١١، ص ١٨٠، الحديث ١.

٦- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨٣، ح ٥٨٣٣.

٧- الكليني، الكافي، ج ٣، ص ٤٢٣، الحديث ٦.

٨- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٤١٠، ص ٥٤٨.



## ٧- الاعتزاز بالنفس

الإنسان ينفر من الذلّ بطبعه، ويميل إلى العزّ. وهذه خصلة واضحة عند جميع الناس. وفي النظام الأخلاقي الإسلامي يتطلب التحلي بالأخلاق الحسنة أن يكون الشخص معتزاً بنفسه ولا يقبل بالذلّ والحقارة أمام الغير. ولا ينبغي لمؤمن أن يذلّ نفسه في مقابل الآخرين، أو يبيع ماء وجهه أو يمتهن كرامته ويكون مدعاة للسخرية. ولا مسوّغ لأحد باحتقار نفسه واستصغارها أمام الغير. إنّ التواضع شيء والذلّ شيء آخر. والتحلي بحسن الخلق لا يدعو إلى سحق الكرامة والاستهانة بالذات. قال عزّ من قائل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>. والمؤمن ينبغي أن يتّصف بالشموخ والاعتزاز بالنفس، وبالصلابة في مقابل الأعداء وأهل الختل والخداع، وأن يكون في منتهى الحزم والجد في التعامل مع الأمور، ولا ينبغي لأحد أن يتّصف بالميوعة والتفاهة والخضوع لتأثير الآخرين، أو يكون أداة في أيديهم.

جاء في حديث شريف: لا يحق لأحد إراقة ماء وجهه بذريعة أنّ خيار كل شيء بيده، ومن حقّه أن يفعل ما يحلو له، خاصّة من كسب كرامته عن طريق الدين، فهو لا يحق له هتك كرامته بأيّ ثمن كان، أو في مقابل شيء تافه. قال الإمام الصادق عليه السلام: «وَلَا تَكُنْ فِطْرًا غَلِيظًا يَكْرَهُ النَّاسُ قُرْبَكَ وَلَا تَكُنْ وَاهِنًا يُحَقِّرُكَ مَنْ عَرَفَكَ»<sup>(٢)</sup>.

و جاء في حديث آخر: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ قَدْرًا مَنْ لَا يَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ خَطْرًا»<sup>(٣)</sup>. وقال الإمام علي عليه السلام في وصية لابنه الحسن: «أَكْرَمُ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرِّغَائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاظَ بِمَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ عَوْضًا، وَلَا تَكُنْ عَبْدًا غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا»<sup>(٤)</sup>.

١- سورة المنافقون (٦٣)، الآية ٨.

٢- الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٠٤.

٣- الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٩؛ الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٨٩.

٤- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ص ٤٠١؛ النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ٣٣ من أبواب الصدقة، ج ٧، ص ٢٣١ و ٢٣٢؛ الحديث ٧.

لا يليق بمسلم أن يتّصف بصفات دنيئة كالتملّق والذل والهوان، حيث ورد هذا المعنى في حديث قاله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وهو: «إِنَّ الْحَرَّ حُرٌّ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ».<sup>(١)</sup> ورد في القرآن الكريم ثناء على جماعة من المؤمنين ممن عرفوا باسم أصحاب الصُّفَّة، حيث وصفهم بما يلي: إنهم على درجة عالية من الاعتداد بالنفس والعزّة بحيث أنهم لا يسألون أحداً ولا يطلبون من أحدٍ شيئاً رغم فقرهم، بل إذا رأهم من لا يعرفهم يحسب أنهم أغنياء من التعفف.<sup>(٢)</sup>

روي أنّ الإمام علي عليه السلام قال: «رَضِيَ بِالذُّلِّ مِنْ كَشَفِ عَنْ ضُرِّهِ».<sup>(٣)</sup> وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: ليس من أخلاق المؤمن التملّق والحسد إلا في طلب العلم.<sup>(٤)</sup>

## ٨- الأسرة التربوية

من خصائص الأديان السماوية أنها تعرض في ما يتعلق بالشؤون التربوية أسوة عملية لتعاليمها الأخلاقية والسلوكية. والأسوة تعني تقديم شيء أو أحد بمثابة دليل يُقتدى به. والاقْتداء بأحد يعني السير على خطاه واحتذاء دربه في المعتقد والقول والسلوك. وتكمن ضرورة الأسوة العملية في الأخلاق في أنّ الإنسان ربّما يعجز عن تشخيص وتطبيق الأطر العامة الموضوعية لهذا الغرض، أو أنه قد يقع عند ممارستها عملياً في الإفراط أو التفريط. ولعل البعض قد تدفعه الرغبة في اكتساب المعنوية، إلى أساليب الرياضة الروحية الشاقة بأكثر ممّا هو مطلوب، أو ربّما بما يتنافى مع الشرع أحياناً. وفي مثل هذه الحالات التي يُحتمل فيها الشطط عن حدّ الاعتدال، أو يُحتمل فيها عدم فهم المسائل و تطبيقها بشكل صحيح، يصبح من الضروري وجود الأسوة التي تساعد عند التأسّي بها على انتهاج مسلك أخلاقي خالٍ من النقص والزلل. وقد كان الأنبياء أئمة هدى صالحين، نصبهم الله للناس

١- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٨٩، الحديث ٦. ٢- كما جاء في سورة البقرة (٢)، الآية ٢٧٣.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٢، ص ٤٦٩.

٤- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ١١٩ من أحكام العشرة، ج ٩، ص ٨١، الحديث ٤.

علماء وأسوة يُستدل بهم على ما أنزله من تعاليم سماوية. وفي القرآن الكريم بعد أن استعرض في سورة الأنعام سلسلة الأنبياء مع ذكر أسماء بعضهم، توجه بالخطاب إلى النبي محمد ﷺ قائلاً: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ﴾. (١) والملاحظة ذات الأهمية البالغة في هذه الآية هي أنه تعالى لم يقل حين دعا إلى الاقتداء بالأنبياء: «فبهم اقتده» أي اقتد بهم، وإنما أمر بالاقتداء بهديهم وقال: ﴿فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ﴾ وهذه إشارة إلى أن ميزتهم الهداية من الله، وهذا هو ما ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار عند الاقتداء والتأسي بالأسوة. إذاً ينبغي التأسي بمن يتصفون بجانب إيجابي وبمن تتوفر فيهم فضيلة بارزة. ولا بد أن يكون التأسي عن وعي وإرادة، وبقصد الاستفادة المعنوية والسمو الأخلاقي.

كل الأنبياء أسوة حسنة للناس في كل الجوانب الدينية والأخلاقية والاجتماعية، ولكن القرآن الكريم وصف اثنين منهم بعلو المرتبة والأهلية للتأسي بهما: وأحدهما خليل الله إبراهيم عليه السلام الذي قال فيه تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، (٢) والآخر هو خاتم الأنبياء نبينا محمد ﷺ الذي قال فيه تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾. (٣)

استعرض القرآن الكريم سيرة أناس صالحين آخرين غير الأنبياء، وجعل منهم أسوة يتأسى بهم الناس، ويمكن أن نذكر منهم اسمي امرأتين عظيمتين: أحدهما آسية زوجة فرعون، والأخرى مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ... \* وَ مَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ﴾. (٤)

كانت آسية زوجة رجل يدعي الربوبية ولا يرى أحداً أعلى من نفسه، وكانت نزعتها الاستكبارية تأبى عليه حتى الاستماع إلى كلمة الحق أو التفكر فيها. وكان يشق بطون الحوامل و يقتل ما فيها من الأجنة مخافة أن يولد من يشكّل خطراً على حُكمه في المستقبل. وقد جابه فرعون النبي موسى عليه السلام و مارس كل أنواع الأذى ضد أتباعه والمؤمنين به. وفي ختام الأمر غرق عند ملاحقته لهم في البحر، وبقي جسده آية دالة على

١- سورة الأنعام (٦)، الآية ٩٠.

٢- سورة الممتحنة (٦٠)، الآية ٤.

٣- سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٢١.

٤- سورة التحريم (٦٦)، الآيتان ١١-١٢.

قدرة الله. كانت آسية زوجة مثل هذا الحاكم، و لكنّها في الوقت نفسه استهانت بكل تلك الحياة الرغيدة و آمنت بالله و لم تقع تحت تأثير زوجها.<sup>(١)</sup>

و أمّا بالنسبة إلى مريم فقد كانت امرأة طاهرة، و قد وصفها الله بالطهر والعفاف،<sup>(٢)</sup> وكانت أمّاً لنبىّ و كانت مطيعة لله، و قد حملت بعبسى بنفخة إلهية.<sup>(٣)</sup>

إنّ طهارة هاتين السيّدتين و طاعتهما لله قد جعل منهما شخصيّتين مثاليّتين، بحيث ضرب الله بهما مثلاً للمؤمنين.

## ٩- الثبات والمرونة في القضايا الأخلاقية

الفضائل الأخلاقية في النظام الأخلاقي في الإسلام، من الثوابت التي لا تخضع لمستجدّات الأمور. و لا يجوز لأيّ كان أن يصوغ سلوكه الأخلاقي وفقاً لمقتضيات الظروف التي يعيش فيها. فان كان يعيش في أجواء يغلب عليها طابع اللأبالية يصبح لأبالياً، و إذا استلزمت النفاق نافق، و إن كان يغلب عليها السلوك الإيماني انتهج أسلوب الإيمان. إنّ الأخلاق خاصّة بالإنسان و يجب على الإنسان -حيثما كان- الالتزام بسلوك أخلاقي مبني على المعايير الإنسانية. و من الواضح أنّ الأمور الأخلاقية قد وضعت من أجل رقي الإنسان وتكامله، و هذا ما يمكن تحقيقه من خلال العمل والمعرفة، و لا يمكن اعتباره خاضعاً للظروف.

و في الوقت ذاته، تتصف بعض التعاليم الأخلاقية بالمرونة و ينبغي الالتزام بها في ضوء ما تتطلبه المصالح العامّة. و على الرغم من ثبات الأمور الأخلاقية، غير أنّ المقتضيات الاجتماعية تتطلب أحياناً استبدال سلوك أخلاقي بسلوك أخلاقي آخر. نذكر من ذلك -على سبيل المثال- أنّ الصدق من القضايا الأخلاقية الفائقة الأهمية، و لكن قد تعرض أحياناً مصلحة أهم تستدعي التغاضي عن الصدق. فلو كانت نفس إنسانية محترمة معرّضة للخطر مثلاً يمكن عدم قول الصدق، بل يجب عدم الصدق.

٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ٤٢.

١- سورة التحريم (٦٦)، الآية ١١.

٣- سورة التحريم (٦٦)، الآية ١٢.

يمكن في الواقع أن يُقال بشأن القضايا الأخلاقية التي تُستبدل بأخرى في حالات استثنائية: عندما يريد الإنسان أداء تكليفه الأخلاقي يكون أمامه أحياناً أمران متضادان، فما العمل في مثل هذه الحالة؟

عند إجراء تقييم أخلاقي دقيق للظروف، لا بد من تقديم الأمر الأخلاقي الأعم مصلحة والأكثر فائدة. وعلى هذا الأساس، ينبغي القول بعبارة أخرى: إنَّ المكلف لم يقع منه تخلف عن أداء الأمر الأخلاقي من جهة، و من جهة أخرى في حالة تعارض الأمرين، تمَّ تقديم أحدهما على الآخر رعاية لمصلحة أهم. و يجب بطبيعة الحال الالتزام بأقصى درجات الاحتياط في مثل هذه الحالات، لكي لا يعطل أثناء ذلك أمر أخلاقي من غير مبرر، أو أن تؤدّي الغفلة إلى وقوع المكلف في زلل.

### ١٠- شمولية النظام الأخلاقي في الإسلام

النظام الأخلاقي في الإسلام ليس نظاماً أحادي الجانب. فالإرشادات الأخلاقية في الإسلام لا تنحصر فقط في الأمر بالابتعاد عن الدنيا واجتناب الناس والزهد والانهماك في العبادة، وإنما أخذت بنظر الاعتبار في هذا النظام جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية. فهذا النظام يهتم بتزكية النفس من جهة، كما اهتم من جهة أخرى بالشعور بالمسؤولية والإحساس بالواجب إزاء القضايا الاجتماعية.

روى الإمام جعفر الصادق عليه السلام أو الإمام محمد الباقر عليه السلام: مرَّ أمير المؤمنين بمجلس من قريش، فإذا هو يقوم بيض ثيابهم، صافية ألوانهم، كثير ضحكهم، يشيرون بأصابعهم إلى من يمرُّ بهم، ثم مرَّ بمجلس للأوس والخزرج فإذا قوم بليت منهم الأبدان، ودقت منهم الرقاب واصفرت منهم الألوان، وقد تواضعوا بالكلام، فتعجب علي عليه السلام من ذلك و دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: بأبي أنت وأمي إني مررت بمجلس لآل فلان، ثم وصفهم، و مررت بمجلس للأوس والخزرج فوصفهم، ثم قال: و جميع مؤمنون. فأخبرني يا رسول الله بصفة المؤمن. فنكس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم رفع رأسه فقال: عشرون خصلة في المؤمن فإن لم تكن فيه لم يكمل إيمانه، إن من أخلاق المؤمنين يا علي: الحاضرون الصلاة ... جعلنا الله و أياكم

من المتقين.<sup>(١)</sup> واستناداً إلى هذا الحديث يُعرف المؤمن بالعلامات التالية: حضور صلاة الجماعة، المسارعة إلى دفع الزكاة، إطعام المساكين، المسح على رأس اليتيم، الاهتمام بالنظافة والطهارة، العفة، الصدق في نقل الحديث، الوفاء بالوعد، الأمانة، العبادة في الليل، المروءة والشجاعة في النهار، كثرة الصوم، عدم إيذاء الجار، التواضع في المشي، تفقد بيوت الأرامل، المشاركة في تشييع الجنائز.

و هذا يعني أن الإسلام لم يركّز في تعاليمه الأخلاقية على جانب واحد فقط من جوانب الحياة - مهما كانت أهميته - وإنما ركّز على جميع جوانبها.

### هدف النظام الأخلاقي في الإسلام

إنّ الغاية التي يهدف إليها النظام الأخلاقي في الإسلام، هي السعادة الأبدية.<sup>(٢)</sup> وهذا ما يتحقق عن طريق الارتباط بعالم الغيب والاستعداد لسفر روحي ومعنوي، والانطلاق نحو غايات سامية. فالإنسان بطبعه، يميل إلى الكمال واللذة. والطريق إلى الكمال واللذة، يتوقّف على ما يحمله المرء من نظرة إلى الكون والحياة. فمن ينظر إلى هذا العالم نظرة مادية ضيقة لا تتعدى حدود المادّة والدنيا الزائلة يطلب من الكمال واللذائذ بما يتناسب مع هذه النظرة الضيقة. بينما إذا كانت لديه رؤية تتجاوز في مدياتها حدود عالم المادّة، فلا بد أن يسعى إلى كمال ولذّة أبعد من حدود هذا العالم.

لقد وجه الإسلام نزعة حُبّ الكمال وحُبّ السعادة عند الإنسان وأرشده إلى أهداف سامية ونبيلة من خلال المقارنة بين الأهداف والغايات الدنيوية الآنية العابرة والأهداف واللذائذ الخالدة في الآخرة.<sup>(٣)</sup>

١- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٣٢، الحديث ٥؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٤ من أبواب جهاد النفس، ج ١٥، ص ١٨٨، الحديث ١٥.

٢- يبين القرآن أن طريق السعادة ينتهي إلى جنة الخلد، وطريق الشقاء ينتهي إلى الخلود في جهنم. سورة هود (١١)، الآيات ١٠٦-١٠٨.

٣- سورة الأعلى (٨٧)، الآيتان ١٦-١٧.

## أسس النظام الأخلاقي في الإسلام

هناك مجموعة من مبادئ النظام الأخلاقي في الإسلام مرتبطة بالمبدأ، بينما ترتبط مجموعة أخرى منها بالمعاد، أمّا الإرشادات الأخلاقية فمرتبطة بكليهما، وإن بدا الكثير منها إرشادات اجتماعية في الظاهر. إنّ التوجهات الأساسية للسلوك الأخلاقي يجب أن تكون موجّهة صوب الله والتوحيد، وإلا فإنها لن تكون مدعاة للرقى والتكامل. ومن الطبيعي أنّ الإرشادات الأخلاقية تؤدّي إلى خلق نظام اجتماعي سليم أيضاً، بيد أنّ الفارق الأساسي الذي يميّز النظام الديني عن سائر النظم الاجتماعية، هو أنّ الاتجاه الأساسي لكل عمل في ظل النظام الديني هو الله، بينما الأمر ليس كذلك في النظم غير الدينية.

في النظام الديني يُعتبر الله مصدر كل شيء وإليه يعود كل شيء. ولا بدّ للمؤمن أن يربط كل سلوكه بالله ويُرجعه إلى الله. وهذا النمط من الرؤية الكونية يفضي إلى ترصين الأمور الأخلاقية و وضعها في الاتجاه الصحيح، و يخلق لدى الناس محفّزات للتمسك بالقيم الأخلاقية واجتناب كل ما يتعارض مع الأخلاق. أما بالنسبة إلى حسن أو قبح الأعمال، فهو يتقرر في ضوء ما يتمخّض عنها من تأثيرات في مختلف جوانب الحياة، أو بعبارة أخرى: استناداً إلى تأثيرها في سعادة أو شقاء الفرد.

لا يمكن لنظام أخلاقي أن يتبلور بمعزل عن النظام الفكري والعقائدي و في هذا النظام الأخلاقي يجب أن تكون غاية الأفعال الأخلاقية رضا الله، وإلا فستكون قيمتها الأخلاقية ذات مستوى هابط، بل وقد تكون مضادة للقيم. نذكر من ذلك -على سبيل المثال- أنّ الإنفاق على المحتاجين يعتبر عملاً أخلاقياً في الظاهر، ولكن من وجهة النظر الإسلامية يُعتبر هذا العمل ذا قيمة فيما إذا كان خالياً من دوافع الرياء و من المَن والأذى، وإن لم تتوفر فيه هذه الشروط فهو مجرد من القيمة الأخلاقية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَ اِبِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾<sup>(١)</sup>.

١- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٦٤.

يُستفاد من هذه الآية، أنّ النية الخالصة هي التي تضي على العمل قيمة، و تجعل منه عملاً سامياً و نبيلاً. و في المقابل، فإنّ مثل من ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله و تثبيتاً لقلوبهم كمثل جنّة في موضع مرتفع، فهطل عليها مطر غزير فأثمرت ضعف محصولها، و حتى لو لم ينزل مطر و فير و نزل مطر قليل، فهي تُثمر أيضاً.<sup>(١)</sup> إنّ قيمة أي عمل صالح - حتى و إن كان من خير الأعمال و أفضلها - يتوقّف على النية المقصودة من ورائه. إذاً فالأعمال رهينة بنية فاعليها. و النية الخالية من الرباء هي التي تضي على العمل وجاهة، و تجعل منه باعثاً على الكمال. أمّا الأعمال التي لا يراود بها وجه الله فلا قيمة لها، بل إنها تقطع السبيل المؤدّية إلى الله. و قد يرضي البعض مثل هذه الأعمال لنفسه و يكتفي بها بدلاً من المبادرة إلى أعمال صالحة فيها رضاً لله.

### مكانة النظام الأخلاقي في الإسلام

المفاهيم الأخلاقية في الإسلام، تابعة لنظام ديني. و هناك علاقة عميقة بين المفاهيم الأخلاقية، و القضايا الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية. و لا يمكن فصل الأخلاق عن السياسة و عن القضايا الاقتصادية و الاجتماعية.

إنّ كلّ واحد من أحكام الإسلام له موقعه في الموضع المخصص له، و عدم وجوده في موضعه يُعدُّ بمثابة نقص، و يؤدّي إلى عدم فاعلية الأحكام الأخرى. نذكر مثلاً أنّ التزكية تعني<sup>(٢)</sup> تهذيب و إصلاح النفس، و قرنت في بعض الآيات القرآنية المكّية بإنفاق الأموال و بالتقوى.<sup>(٣)</sup> و أمّا في السور المدنية فغالباً ما قرنت الزكاة بالصلاة. و لعلّ السبب الكامن وراء استعمال هذه الكلمة في القرآن هو أنّ إنفاق المال يجب أن يكون ذا منطلق أخلاقي، و بقصد تهذيب النفس و تركيتها من الرذائل الأخلاقية كالبخل و الحسد، و تقوية ما فيها من فضائل أخلاقية. و بهذا العمل تتحقق الغاية الأساسية من وراء الزكاة و هي الطهارة و التهذيب:

١- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٦٥.

٢- سورة الأعلى (٨٧)، الآية ١٤؛ سورة الشمس (٩١)، الآية ٩.

٣- سورة الليل (٩٢)، الآيتان ١٧ و ١٨.



﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾<sup>(١)</sup>.

لقد اعتبرت مجموعة الإرشادات الأخلاقية والاعتقادات والفروع والأحكام العملية بمثابة صفات للأبرار. وهذا يدل على أن الأمور الأخلاقية في الإسلام قائمة على الإيمان و مستندة إلى ضمانة إيمانية.

فالدين بلا أخلاق غير مجدٍ ولا مؤثر. ومتى ما كان الإيمان ضمانة للإخلاق فإنها تكون فاعلة و مؤثرة. ومتى ما اضمحل الإيمان الديني تتراجع الفضائل الأخلاقية تبعاً له. وعلى العكس من ذلك متى ما ازدهر الإيمان والالتزام الديني تزدهر على أثره الأخلاق أيضاً. وهذا يعني أن النظام الأخلاقي ينجح متى ما كان قائماً على الإيمان. وذلك لأن الأخلاق تعني بالدرجة الأولى محاربة الرغبات الجامحة. ومن الطبيعي أن التغلب على أهواء النفس يتطلب سناً و دعامة قوية، والقوة الوحيدة التي تتيح للإنسان التغلب على أهوائه النفسية هي الإيمان والاعتقاد الديني.

إن الإيمان بالله يتغلغل في أعماق النفس، ويجعل الإنسان يُسلم قياده لله. وليس هناك من عنصر آخر كالضمير أو حُبّ أبناء الجنس البشري له مثل هذا التأثير. والأخلاق لا تحظى بالثبات بلا قاعدة دينية وإيمانية. والنماذج التي طرحها الإسلام لتكون أسوة، كانت تمزج بين الأخلاق والعمل، والمعتقد والعبادة، وليس بمعزل عنها. من البديهي أن بعض الأمور الأخلاقية إلزامية كالإمامية الأحكام الدينية الأخرى، نذكر مثلاً إن وجوب الوفاء بالعهد<sup>(٢)</sup> و أداء الأمانة<sup>(٣)</sup> واجتناب الغيبة<sup>(٤)</sup> لا يختلف عن وجوب الأوامر الشرعية والحقوقية والفقهية؛ وبعضها قد تكون ذات طابع أخلاقي من جهة، و ذات طابع فقهي و حقوقي من جهة أخرى. إن التعاليم الأخلاقية قادرة على تهذيب النفس، و كفيلة بتكامل الفرد. و على من يبغى الكمال والرقي أن يأخذ بها و يلتزم بها بدقة.

٢- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٣٤.

١- سورة التوبة (٩)، الآية ١٠٣.

٤- سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٢.

٣- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٨٣.

## الأخلاق الفردية

ينبغي في ضوء ما سبق ذكره تصحيح التصوّر الذي يظهر الأخلاق وكأنّها ذات طابع اجتماعي صرف، وأنّ جميع الإرشادات الأخلاقية تتعلق بطريقة السلوك مع الآخرين. فالأخلاق ذات طابع فردي من جهة و ذات طابع اجتماعي من جهة أخرى. وتدلّ التعاليم الأخلاقية بأن الأخلاق الاجتماعية لا تكفي بمفردها لصياغة شخصية الإنسان صياغة أخلاقية، وإنّما التعاليم الأخلاقية تنظم سلوك الإنسان مع الآخرين، و تنطوي في الوقت ذاته على ما يقرب الإنسان إلى ربّه. و على هذا الأساس فإنّ مجرد تنظيم السلوك الأخلاقي مع الآخرين لا يكفي للاتصاف بالأخلاقية. فهناك قسم من السلوك الاجتماعي قد يكون حسناً و مفيداً للحياة الاجتماعية، ولكنه غير مقبول دينياً. نذكر على سبيل المثال أنّ احترام الناس و مساعدة المحتاجين منهم و تقديم العون المادي للمعوزين، من أمور الخير والإحسان، و هي مطلوبة، ولكن من وجهة النظر الدينية تصحّ هذه الأعمال فيما إذا كان القصد منها التقرب إلى الله، و أن تكون خالية من الرياء. ولو أدى الإنسان أعمالاً كثيرة بدون قصد التقرب إلى الله فلن تصل به إلى الكمال والسمو. فالأخلاق هي السلوك الحسن مع العباد، و فضلاً عن ذلك لا بدّ أن تقرب الإنسان إلى الله.

من الأمور المهمّة في الأخلاق الفردية اجتناب الخبائث و تطهير النفس منها، واستحضار نيّة التقرب إلى الله في الأعمال الفردية والجماعية، والإخلاص في العمل، و خشوع القلب، والذكر، و آداب الأكل والنوم، والقناعة، و حالات القلب، والشكر والصبر، والخوف والرجاء، والزهد، والتوكل، والرضا بقضاء الله.

و يفهم من مجموع التعاليم الأخلاقية في الإسلام أنّ من يريد الرقي والتكامل فلا بدّ له من نظام يسير عليه. إذ لا يمكن طي الطريق والسلوك المعنوي إلى الله من غير عمل منظم. فهناك إرشادات و تعليمات لكل ساعة من ساعات الليل والنهار، و هي تعبير عن هذا المعنى و تعد بمثابة منهاج يومي، و مثل هذه التعليمات والإرشادات لا ينحصر هدفها في الجانب الجماعي فقط، و إنّما وضعت لأجل اللحظات التي يعيش فيها الإنسان مختلياً بنفسه.

### السلوك الشخصي

أحد التعاليم الأخلاقية للإسلام هو أن يكون لدى الشخص نظام ورؤية مستقبلية. إذ ينبغي للمؤمن أن ينظم سلوكه الشخصي وفقاً للتعاليم الأخلاقية التي دعا إليها الدين. وعليه أن لا ينسى ربه في الخلوات، وأن يكون في تفكير دائم، وأن يستفيد من عقله وفكره إلى أبعد ما يمكن. روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: إنَّ العبادة ليست في كثرة الصوم والصلاة، وإنَّما في كثرة التفكير في أمر الله. <sup>(١)</sup>

يجب على المؤمن أن يسعى لتقوية إيمانه بالله تعالى وأن يصل إلى حدّ اليقين. وسيدرك عند ذلك بأن الله هو المدبّر لكل شؤون العالم وأن إرادته هي التي ترسم كل الحوادث. وحينذاك يتوكّل عليه في كل أموره، ويرضى بقضائه. جاء في ما روي من الأحاديث أن الإمام الصادق عليه السلام سُئل عمّا يُعرف به المؤمن، فقال: بالتسليم لله والرضا في ما ورد عليه من سرور أو سخط. <sup>(٢)</sup>

وفي ضوء الحقيقة السالف ذكرها يتولد لدى الإنسان خوف من أن يقوم بعمل يؤدي إلى سخط الله عليه أو قطع رحمته عنه. وعلى صعيد آخر، بما أن الله أرحم الراحمين ويتكرم على عباده دوماً باللطف والرحمة، فقد يدفعه هذا التصوّر إلى تجاهل أداء فرائض الطاعة والعبودية، ويقصّر في أداء ما يجب عليه أدائه انطلاقاً من الأمل برحمة الله الواسعة. ومن المحتمل طبعاً أن حالة الرجاء بلا خوف والخوف بلا رجاء تؤدّي إلى إبعاد الإنسان عن النهوض بمهامّه واجباته أو زرع اليأس في نفسه. وكلاهما تين الحالتين تتعارضان مع روح التوحيد. فالمؤمن يجب أن يعيش على الدوام بين حالي الخوف والرجاء. فقد نُقل أنّ الإمام الصادق عليه السلام سُئل: ما كان في وصية لقمان لابنه؟ فقال: كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما فيها أن قال لابنه: خف الله عزّ وجلّ خيفة لو جئت بئر الثقلين لعذبك، وارح الله رجاء لو جئت بذنوب الثقلين لرحمك. <sup>(٣)</sup>

١- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٥٥، الحديث ٤.  
٢- المصدر السابق، ص ٦٣، الحديث ١٢.  
٣- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٦٧، الحديث ١.

المؤمن لا يضيع وقته هباءً، وإنما هو مشغول على الدوام بذكر الله وبالعبادة. وفي الوقت الذي يمارس فيه أعماله اليومية لتمشية وإدارة شؤون أسرته بشرف وكرامة، فإنه لا يغفل عن ذكر الله. وهو يقوم بمساعيه في الحياة طاعة لله وأداءً لما هو مفروض عليه. وحتى ما هو مباح من شؤون الحياة يؤدّيه لوجه الله وبهدف نيل مرضاته.

الإنسان قد تتنابه الغفلة وبيتعد عن المسار الإلهي في خضم الحياة اليومية، وفي معترك الحياة ومجابهة حلوها ومرّها، وربما ينزلق وينحدر في شرك الشيطان. ولاجتناب مثل هذه المخاطر عليه أن يضع نظاماً يومياً لمحاسبة نفسه؛ فإن عثر على خطأ أو ذنب في أعماله ندم وتاب وعزم أن لا يعود إليه، وإن وجد عملاً صالحاً شكر الله وطلب منه توفيق الاستزادة منه. روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: «لَيْسَ مَتَا مَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَإِنَّ عَمَلَهُ حَسَنًا اسْتَزَادَ اللَّهُ وَإِنْ عَمِلَ سَيِّئًا اسْتَعْفَرَ اللَّهُ مِنْهُ وَتَابَ إِلَيْهِ».<sup>(١)</sup> وإن وجد في نفسه قصوراً أو تقصيراً في عمل الخير، بادر إلى تلافيه ما سلف منه. وبالإضافة إلى ما يعزم عليه من عدم تكرار الذنب وعدم الوقوع في شرك الشيطان، عليه أن يراقب نفسه ويكون بمثابة العين الساهرة على سلوكه وأفعاله مخافة الانحراف عن المسار الإلهي. فالغفلة عن هذه المهمة قد تُبعد الإنسان عن سبيل الله.

إن لكلٍّ من النهوض والجلوس، والمشي والنوم وما شاكل ذلك آداباً، وكل واحدة منها تستدعي ذكر الله وشكره. وردت في الروايات تأكيدات على التحري عن حلية الطعام والشراب، وأن يُبدأ بتناولها بذكر اسم الله،<sup>(٢)</sup> وغسل اليدين<sup>(٣)</sup> إضافة إلى الرضا بما يتناوله من الطعام. وأن يتناول لُقماً صغيرة، ويضع الطعام في فمه بيده اليمنى، وأن يتأنى ولا يتعجل في الأكل. قال الإمام الصادق عليه السلام أطيلوا الجلوس على الموائد فإنها ساعة لا تُحسب من أعماركم.<sup>(٤)</sup> ويجب مضغ الطعام جيّداً، وبعد الانتهاء من الطعام يحمد الله،

١- المصدر السابق، ص ٤٥٣، الحديث ٢.

٢- الكليني، الكافي، باب التسمية والتحميد، ج ٦، ص ٢٩٢.

٣- المصدر السابق، باب الوضوء قبل الطعام، ص ٢٩٠.

٤- الطبرسي، حسن بن فضل، مكارم الأخلاق، الفصل الثالث في آداب الأكل، ج ٢، ص ٣٠٥، الحديث ٣.

وأن ينوي تبةً سالحة لتناول الطعام وبقصد التقوي على طاعة الله. وأن لا يكثر من الطعام، ويقوم عنه قبل أن يشبع منه. قال الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام في ذم كثرة الأكل: إنَّ أبغض الأشياء إلى الله البطن المملوء. <sup>(١)</sup> ويكره أن يأكل الشخص زاده وحده. فقد كان من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يأكل وحده. <sup>(٢)</sup>

و عند أكل الطعام مع جماعة يُكره النظر إلى طعام الآخرين. وإذا كان على مائدة الطعام أشخاص من ذوي الفضل لا ينبغي البدء بالأكل قبل أن يبدأوا. وينبغي أيضاً مؤاكلة الآخرين و مراعاة حالهم و عدم رفع اليد عن الطعام قبلهم، و يستحسن الابتعاد عن التصنع و المجاملات الزائدة.

و كما تلاحظون فإنَّ كل هذه الارشادات والآداب والمستحبات والمكروهات قد وردت بشأن الطعام وحده، فهكذا الحال أيضاً بالنسبة إلى بقية السلوك الفردي؛ إذ إنَّ له آدابه، و يجدر بالمؤمن التحلي بهذه الآداب في سلوكه الشخصي.

## الإخلاص

الإخلاص هو تطهير النية والعمل عن أية شائبة مناقضة للتوحيد، والإخلاص سرٌّ من الأسرار الإلهية توهب للمحبوبين من العباد. و هذه الحالة يجب أن تعم جميع الشؤون الفردية والاجتماعية، و لكن بما أن مثاها و مقرّها ذات الإنسان، فهي حالة فردية تماماً. للإخلاص مكانة رفيعة بين التعاليم الدينية، و عليه يتوقف أحياناً تأثيرها وصحتها. و له من التأثير درجة بحيث أن مَنْ يُخلص لله أربعين يوماً تثبت الحكمة في قلبه و ينطق بها لسانه، <sup>(٣)</sup> و الاخلاص يؤدي أيضاً إلى عجز إبليس عن إغواء الإنسان. <sup>(٤)</sup>

و بالإخلاص - كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام - يكون الخلاص. <sup>(٥)</sup> ثم إنَّ قبول الأعمال عند الله و حتى الصالح منها، مشروط بإخلاص التبة فيها لله. روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه

١- الكليني، الكافي، ج ٦، ص ٢٧٠، الحديث ١١. ٢- الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ٣٢.

٣- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٦، الحديث ٦. ٤- سورة الحجر (١٥)، الآية ٤٠.

٥- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٨، مقدمة العبادات، ج ١، ص ٥٩، الحديث ٢.

قال: «قال الله عز وجل: اَنَا خَيْرُ شَرِيكَ؛ مَنْ أَشْرَكَ مَعِيَ غَيْرِي فِي عَمَلِهِ لَمْ أَقْبَلْهُ إِلَّا مَا كَانَ لِي خَالِصًا»<sup>(١)</sup>. إِنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ إِنْ كَانَ فَاقِدًا لِلنِّيَّةِ لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَحَتَّى مَنْ يَقْتُلُونَ فِي مَيَادِينِ الْجِهَادِ قِيلَ فِيهِمْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُقَالُ: مَا فَعَلْتَ، فَيَقُولُ: قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيُقَالُ: بَلْ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ فُلَانٌ شُجَاعٌ جَرِيءٌ<sup>(٢)</sup>. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْمَعْيَارَ فِي قَبُولِ الْأَعْمَالِ حَتَّى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَهِينٌ بِأَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ فِيهِ لِلَّهِ. فَإِنْ كَانَ الْقَصْدُ لِلَّهِ فَهَذَا الْعَمَلُ يَبْلُغُ بِصَاحِبِهِ أَعْلَى الرُّتَبِ، وَإِلَّا فَلَا يَنَالُ أَيَّ مَقَامٍ حَتَّى وَإِنْ قَتَلَ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ.

## العُجْبُ

العُجْبُ: هُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ مَغْتَرًّا أَوْ مَعْجَبًا بِذَاتِهِ وَبِأَفْعَالِهِ وَبِخَاصَّةِ الْعِبَادَةِ. وَكُلُّ مَنْ يَشْعُرُ بِالْعُلُوِّ وَالتَّفَوُّقِ عَلَى غَيْرِهِ وَيَعْجَبُ بِنَفْسِهِ يُقَالُ دَخَلَهُ الْعُجْبُ. وَمِثْلُ هَذِهِ الْحَالَةِ تُحْدِثُ لَدَى الْإِنْسَانِ الْكِبْرَ. وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَسْتَشْعِرُ فِي ذَاتِهِ أَفْضَلِيَّةَ عَلَى غَيْرِهِ وَظَهَرَ ذَلِكَ فِي سُلُوكِهِ، فَذَلِكَ يُسَمَّى كِبْرًا، وَقَدْ يَصِلُ إِلَى حَدِّ الْاسْتِكْبَارِ. وَهَذَا طَبْعًا مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ. وَحَتَّى لَوْ كُنْتُمْ هَذَا الشُّعُورَ دَاخِلَ ذَاتِهِ، فَهَذَا مَذْمُومٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الشُّعُورِ يَحْجِبُهُ عَنِ السَّعْيِ إِلَى الْكَمَالِ. قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام: «مَنْ دَخَلَهُ الْعُجْبُ هَلَكَ»<sup>(٣)</sup> وَذَكَرَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ عليه السلام ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ، وَاعْتَبَرَهَا مِنْ دَوَاعِي هَلَاكِ الْإِنْسَانِ وَهِيَ: الْبَخْلُ، وَالْهَوَى، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ<sup>(٤)</sup>.

وَنظَرًا إِلَى مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ الْعُجْبُ مِنْ خَطَرٍ شَدِيدٍ عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَقَدْ حَذَّرَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَائِلًا: لَوْلَا الذَّنْبُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْعُجْبِ مَا خَلَّى اللَّهُ بَيْنَ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ ذَنْبٍ أَوْ بَدَأَ<sup>(٥)</sup>.

١- المصدر السابق، ص ٦١، الحديث ٩.

٢- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ١٢، مقدمة العبادات، ج ١، ص ١١١، الحديث ٧.

٣- الحُرِّ الْعَامِلِي، وسائل الشيعة، باب ٢٣ من أبواب مقدمة العبادات، ج ١، ص ١٠١، الحديث ٨.

٤- المصدر السابق، ص ١٠٣، الحديث ١٣.

٥- المصدر السابق، ص ١٠٤، الحديث ١٩.

العُجب يوقع الإنسان في وهم الصلاح والتقوى، وهذا مما يُبعده طبعاً عن سبيل الله. ومثل هذه الحالة تثير طمع الشيطان فيه، ويستدرجه إلى منزلقات بعيدة عن ربه. ووجود مثل هذه الحالة في الإنسان يُطمع الشيطان فيه و بالنتيجة يبتعد عن ربه و يسوء ظنه بسائر عباد الله. وهذا يختلف طبعاً عن البهجة التي تنبعث في نفسه على أثر توفيقه في عبادة الله. إنَّ الجهل والغفلة يدفعان الإنسان إلى الغرور. والصحة، والسلامة، والذكاء، والمال، والجاه، والحسب والنسب، والأولاد، والقدرات، بل وحتى الأوهام أحياناً تكون مدعاة للغرور وسوق الإنسان إلى مرتع الشيطان. وهنا ينبغي الانتباه والابتعاد عن الغفلة.

### الجاه و حُب الشهرة

إنَّ حُبَّ الشهرة رغبة نابعة من ذات الإنسان. وإذا لم تلجم هذه الرغبة تتمخض عنها نتائج خطيرة؛ إذ إنها تعيقه عن المسير نحو الغاية الإلهية، وتلقيه في حبائل الشيطان. فإنَّ مَنْ يروم الشهرة يسعى إلى أن يُعرف بين الناس بأي ثمن كان. ثم إنَّ هذه الرغبة تقوده تدريجياً إلى محاولة إخضاع سائر الناس لطاعته بالقوة. ومن هنا ينبثق الجور والطغيان. لا مانع طبعاً إذا جاءت الشهرة بشكل تلقائي ولوجه الله، وإذا استثمرت لمقاصد إلهية. إنَّ الجاه والصيت من مصائد إبليس و يجب الحذر منه، فقد قال النبي ﷺ: كفى بالرجل أن يُشار إليه بالأصابع. (١)

ولمَّا كان الصيت والشهرة يجعلان الإنسان عرضة للكثير من المنزلات فلا بد من اجتنابها و ترجيح أن يكون مغموراً بين الناس. فقد ورد في مناجاة عن الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام قال فيها: اللهم لا ترفعني في الناس درجة إلاَّ حططتني عند نفسي مثلها، و لا تحدث لي عزاً ظاهراً إلاَّ أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها. (٢) و جاء في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: حُبُّ المال والجاه ينبتان النفاق في القلب. (٣) و قال

١- التوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل، الباب ٥١ من أبواب جهاد النفس، ج ١١، ص ٣٨٧، الحديث ١٧.

٢- الصحيفة السجّادية، دعاء مكارم الأخلاق، الرقم ٢٠، ص ١٠٠.

٣- الشهيد الثاني، كشف الريبة عن أحكام الغيبة، ص ٩٣.

الإمام الصادق عليه السلام في هذا المعنى: ملعون من ترأس، ملعون من هم بها، ملعون من حدّث بها نفسه. (١)

## حُبّ الدنيا

الأجواء التي نعيش فيها وتسمّى الدنيا، هي عبارة عن إمكانيات ومقدّرات مادية. والمقدّرات وسائل الحياة ولا يمكن استمرار الحياة بدونها. وهي كلها نعم إلهية يضعها الله تحت تصرّف العباد مدّة من الزمن. ووجودها ضروري ولا مندوحة منه، ولكن في الوقت نفسه ورد في التعاليم الدينية الكثير في ذم الدنيا واللّهات وراءها والحرص عليها والتحلّق بها؛ لأن هذه السلوكية تعيق الإنسان أحياناً عن السعي نحو الكمال. فحلاوة الدنيا في نظر الإنسان تجعله شديد التعلّق بها وغير مستعد للخروج منها. وحبّ الدنيا يوقع الإنسان في المنزقات، ويبعده عن أهدافه الإنسانية السامية. فقد جاء في كلام للنبي عيسى عليه السلام: طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر، كلّما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله. (٢)

و هناك سؤال قد يتبادر إلى أذهان البعض وهو: هل الدنيا غير ذات قيمة حقّاً؟ ولماذا كل هذه المذمة لها والحث على اجتنابها؟ والجواب عن ذلك هو أن للدنيا معنيين: «الدنيا بمعنى النعم الإلهية»، و «الدنيا بمعنى التعلّق بها والانشداد إليها». نأتي هنا على شرح كل واحد من هذين المعنيين على حدة:

١- إن كان المقصود من الدنيا هي مخلوقات هذا العالم وما فيه من نعم يستفيد منها الإنسان ويتنعم بها فلا بأس بها. فالدنيا موضع يعيش فيه الناس، وهي موضع تعليم و تربية وعبادة الله و بلوغ الكمال. وهذا المعنى للدنيا شيء جيّد، بل لولاها لما كان هناك إيمان، وتقوى، و كمال، بل لما كان هناك معنى للآخرة.

روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلاً يذمّ الدنيا فقال له: «أَيُّهَا الدَّامُ لِدُنْيَا الْمُعْتَرِّ

١- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٩٨، الحديث ٤.

٢- ورام بن أبي فراس، مجموعة ورام، ج ١، ص ١٤٩.



بِعُرُورِهَا الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا أَتَعْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَدُمُّهَا أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ. ثم قال: إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا وَ دَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا وَ دَارُ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا وَ دَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ وَ مُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللَّهِ وَ مَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ وَ مَتَجَرُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ اِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَ رَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ». (١)

و مما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في وصف الدنيا: نعم العون الدنيا على الآخرة. (٢) و قال أيضاً ليس منا من ترك دنياه لآخرته، أو ترك آخرته لدنياه. (٣)

٢- و أمّا إذا كان المراد من الدنيا، التعلّق بها والانشداد إليها والشره إلى ما فيها من زينة و طعام و شراب و مال و جاه، بحيث يتخذ المرء من هذه الأمور غاية يسعى إليها، فهذا هو الشيء المذموم الذي ينبغي اجتنابه؛ لأنّ مثل هذه التعلّقات تجعل المرء في غفلة عن ذكر الله، و عن الغاية الأساسية التي جعلت له و هي بلوغ الكمال و بناء الآخرة.

و بعبارة أخرى: إذا نظر إلى الدنيا كمقدمة و وسيلة و مزرعة للآخرة، فهي شيء قيّم و لا مذمّة لها، و لكن إذا اتّخذ أحد من الدنيا غاية و هدفاً كالمسافر الذي يشغله النظر إلى مشهد جميل عرض له في الطريق عن الوصول إلى المقصد، أو يستغرق في الانشغال في المنازل التي يمرّ بها حتى كأنّه ليس بمسافر و كأنّ تلك هي داره. و يفهم في ضوء ما ذكر أنّ الدنيا المذمومة هي ما تتخذ هدفاً بالمقارنة مع الآخرة. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ وَ مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ» (٤) و على هذا فإنّ الانتفاع من الدنيا في هذا السياق و التمتع بنعمها غير منهي عنه، بل بالعكس هناك حث عليه و ترغيب فيه، كما قال الله عزّ و جلّ في كتابه الكريم: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (٥)

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ١٣١، ص ٤٩٢.

٢- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، باب المعاش، ج ٣، ص ١٥٦، الحديث ٣٥٦٧.

٣- المصدر السابق، الحديث ٣٥٦٨. ٤- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ٨٢، ص ١٠٦.

٥- سورة الأعراف (٧)، الآية ٣٢.

## الزهد

الزهد هو الاستهانة بالدنيا وعدم الرغبة فيها. وقد وردت تأكيدات كثيرة على الزهد. فمن ذلك قول رسول الله ﷺ: «إزهد في الدنيا يحبك الله»<sup>(١)</sup> وقال الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا، أَثْبَتَ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ»<sup>(٢)</sup>. والزهد مقام رفيع يبلغ بالإنسان درجات عليا من المعنوية. وقال الإمام علي عليه السلام في وصف الزهد: «الزهد ثروة»<sup>(٣)</sup>. و حقيقة الزهد هي الإعراض عن شيء إلى ما هو أفضل منه. وهذا يعني أنّ الزهد لا يعني الإعراض عن كل شيء. ولا يعني الشعث ولبس الأظمار. ولا هو التشبّه بالمتسولين والتظاهر بالمرض والغول. وإتّما الزهد، هو عدم الانكباب على الدنيا وعدم التعلّق بها.

الزاهد من يعيش في هذه الدنيا ويتمتع بنعيمها، ولكنه يرى نفسه كالمسافر الذي لا تطول إقامته فيها، وعليه أن يستعد للسفر إلى مقصد آخر. والزاهد من يعيش في هذه الدنيا وبما فيها من نعم ومقدرات من غير أن يتعلّق بها إلى الحد الذي يعيقه عن مواصلة سفره. جاء في رواية عن إمام معصوم قال فيها: «اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا وَاغْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا»<sup>(٤)</sup>.

هناك فارق أساسي بين الزهد والرهبانية. الرهبانية بدعة مذمومة. وقد تحدّث القرآن الكريم عن الرهبانية واصفاً إياها: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِغَائِبَتِهَا﴾<sup>(٥)</sup> لأن الرهبانية تعني الإعراض عن كل شيء، بينما لم يحرم الإسلام الزينة والرزق الطيب الحلال، بل حثّ عليها ودعا إليها<sup>(٦)</sup>، ولكن إذا كان الانشغال

١- «إزهد في الدنيا يحبك الله»، سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٣٧٤، الحديث ٤١٠٢.

٢- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٢٨، الحديث ١. ٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٤، ص ٤٦٩.

٤- التوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ٢٥ من أبواب الطهارة، ج ١، ص ١٤٦، الحديث ١؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، باب المعاش، ج ٣، ص ٩٤، الحديث ٤.

٥- سورة الحديد (٥٧)، الآية ٢٧. ٦- سورة الأعراف (٧)، الآية ٣٢.

بالدنيا وزينتها و نعيمها مدعاة للتوقف عن التكامل، فهو يعتبر في مثل هذه الحالة مخالفاً للزهد. وهذا ما حذّر منه القرآن الكريم في الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. (١)

قال المفسرون: إنَّ النبيّ جلس يوماً فذكرّ الناس و وصف القيامة، فرقّ الناس و بكوا. واجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون، واتفقوا على أن يصوموا النهار، و يقوموا الليل، و لا يناموا على الفرش، و لا يأكلوا اللحم، و لا يقربوا النساء و الطيب، و يلبسوا المسوح، و يرفضوا الدنيا، و يسيحوا في الأرض، و همّ بعضهم أن يجبّ مذاكيره. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتى دار عثمان، فلم يصادفه، فقال لامرأته: أحق ما بلغني عن زوجك و أصحابه؟ فقالت: يا رسول الله ﷺ إن كان أخبرك عثمان فقد صدقك. فانصرف رسول الله. فلما دخل عثمان، أخبرته بذلك، فأتى رسول الله ﷺ هو و أصحابه، فقال لهم رسول الله: ألم أنبئكم أنكم اتفقتم على كذا و كذا؟ قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ، و ما أردنا إلاّ الخير. فقال رسول الله: إني لم أؤمر بذلك. ثم قال: إن لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا و أفطروا، و قوموا و ناموا، فإني أقوم و أنام، و أصوم و أفطر، و أكل اللحم و الدسم، و آتي النساء، و من رغب عن سنتي، فليس مني. ثم جمع الناس و خطبهم، و قال: ما بال أقوام حرّموا النساء، و الطعام، و الطيب، و النوم، و شهوات الدنيا؟ أما إنني لست أمركم أن تكونوا قسيسين و رهباناً، فإنه ليس في ديني ترك اللحم، و لا النساء، و لا اتخاذ الصوامع، و إن سياحة أمتي الصوم، و رهبانيتهم الجهاد، اعبدوا الله، و لا تشركوا به شيئاً، و صوموا رمضان، و استقيموا يستقم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد: شدّدوا على أنفسهم، فشدّد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديارات و الصوامع. فأنزل الله الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾. (٢)(٣)

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ أَفْضَلَ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ». (٤) و إذا كان زاهداً في الدنيا

١- سورة المنافقون (٦٣)، الآية ٩.

٢- سورة المائدة (٥)، الآية ٨٧.

٣- الطبرسي، مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٣٥ و ٢٣٦.

٤- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٢٨، ص ٤٧٢.

لا يصح منه أن يظهر ذلك؛ لأن الزهد عدم رغبة، واطهار هذه الصفة رياء و دليل على التعلّق بالدنيا. و يجب أن يكون الزهد بالاختيار لا بالإجبار. فإنّ الزهد في الدنيا يجعل المرء يستهين بالمصائب<sup>(١)</sup> و قد قيل: لا زهد كالزهد في الحرام.<sup>(٢)</sup>

### القناعة

القناعة هي الاكتفاء بمقدار الحاجة. و أصل هذه الكلمة من القناع الذي يُعطى به الرأس، و تُطلق كلمة قانع على الفقير الذي يستتر فقره على اعتبار أنه يقنّعه.<sup>(٣)</sup> و تأتي كلمة القناعة في مقابل الطمع بمال الغير. والغاية من هذا المبدأ الأخلاقي هي أن يجتنب الإنسان الطمع والحرص، و أن يكتفي في منهج حياته بما هو مُتاح له من امكانيات و مقدّرات محدودة، ولكن بعض الناس ممّن لا قناعة لهم يوقعهم طمعهم في الذل والهوان. بينما القناعة تجعل حياة الإنسان هادئة و خالية من الهواجس والمنغصات.

قال الإمام علي عليه السلام في مواظبه: «إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ وَ إِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ»<sup>(٤)</sup> وقال عليه السلام في موضع آخر في وصف القناعة: «كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكًا»؛ وذلك لأنّ القانع يحفظ ماء وجهه و لا يقع في الذل والمهانة. و قال في تفسير الآية الشريفة: «فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً»<sup>(٥)</sup> هي القناعة.<sup>(٦)</sup> عنه أيضاً: «عز من قنع و ذلّ من طمع». و قال أيضاً في رواية أخرى: «من قنع عزّ واستغنى».<sup>(٧)</sup> و جاء في حديث عن رسول الله ﷺ: «القناعة كنز لا يفنى».<sup>(٨)</sup>

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٣١، ص ٤٧٢.

٢- المصدر السابق، الحكمة ١١٣، ص ٤٨٨.

٣- الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٦٨٥ و ٦٨٦.

٤- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ١٥٠، ص ٤٩٧.

٥- سورة النحل (١٦) الآية ٩٧.

٦- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٩، ص ٥٠٨.

٧- الآمدي، غرر الحكم، ج ٢، ص ٧١٥.

٨- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، ج ١٥، ص ٢٢٦.

## الصبر

إنَّ عوادي الدهر وما يكتنفه من سرِّاءٍ وضرِّاءٍ، وكذلك مواجهة الذنوب، قد تبعد الإنسان أحياناً عن الطريق القويم، فتزل قدمه عن طريق الله من غير أن يشعر ويقع في حبال الشيطان. وانطلاقاً من ذلك فقد وردت إرشادات ووصايا مؤكدة تحث على الصبر والثبات على طريق الحق، وعدم الانجراف إلى مهاوي النزوات. والصبر يعني سعة الصدر والقدرة على تحمُّل الشدائد والحوادث المريرة. وقد فسّر الخواجه نصير الدين الطوسي الصبر بضبط النفس ولجمها عن الجزع في الملمات<sup>(١)</sup>.

الصبر ليس موقفاً سلبياً واستسلاماً مطلقاً للحوادث، وهو لا يعني الخمود والجمود والانهيار أمام الشدائد، وإنما هو عبارة عن جهد حثيث وسعي دؤوب لحل عقدة مستعصية والعتور على سبيل للتخلُّص من منعطف ضيق، ومن مأزق عصب، مع التحمُّل وعدم الجزع، والصبر يصنع إنساناً صلباً يخوض غمار الحياة بجَلَدٍ ويعالج صعاب الأمور بأناة و تدبير. ومن ثمار شجرة الصبر الحلم وكظم الغيظ.

إنَّ الغاية من تهذيب النفس سحق الأهواء والتحرر من النزوات. وهذا بطبيعة الحال يستلزم ضرباً من المشقَّة وترويض النفس، ولا بدَّ له من صبر وثبات. ولا شكَّ في أنَّ الصبر يحصِّن النفس بوجه الأهواء، ويطبعها على تحمل الشدائد. وللصبر درجات تتناسب مع مراتب المصاعب. وقد يكون الصبر تارة في مواجهة المصائب والمعضلات، وقد يكون تارة أخرى صبراً على الطاعة، ويكون تارة ثالثة صبراً عن المعصية ومحاربة هوى النفس. جاء في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصبرُ ثلاثة: صبرٌ عندَ المُصيبةِ وَ صَبْرٌ

عَلَى الطَّاعَةِ وَ صَبْرٌ عَنِ المَعْصِيَةِ»<sup>(٢)</sup>.

و في ضوء الحديث الآنف الذكر ندرك معنى قول الإمام الصادق عليه السلام: «الصبرُ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد»<sup>(٣)</sup>. فعندما يُقطع الرأس يفنى الجسد، وكذلك الصبر إذا

١- الطوسي، نصير الدين، اوصاف الاشراف، ص ١٠٨، الفصل ٥، الباب ٣.

٢- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٩١، الحديث ١٥. ٣- المصدر السابق، ص ٨٧، الحديث ٢.

زال يزول الإيمان . وقد روى أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أنه سمعه يقول ذات مرة: «الحرُّ حرٌّ على جميع أحواله؛ إن نابتة نائبة صبر لها، وإن تداكَّت عليه المصائب لم تكسره... فاصبروا ووطنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا». (١) والصبر من صفات الأنبياء. (٢) وقد أمر الله تعالى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر، في قوله: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾. (٣)

والصبر لا يتنافى طبعاً مع الشكوى لله والتضرع بين يديه، مثلما حصل للنبي أيوب عليه السلام؛ إذ أن الله تعالى ضرب به المثل في الصبر والثبات: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٤) ولكن ذلك لم يمنعه من الشكوى إلى الله حين قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾. (٥)

### الدعاء والتوسل

أحد التعاليم المؤكدة في الإسلام هو الدعاء. والدعاء هو طلب شيء من الله، ولا بد طبعاً أن يكون ذلك الشيء أسمى من أمور الحياة العادية كأن يكون طلب الثمّل والمبادئ الصحيحة، وطلب التحلّي بالأخلاق الفاضلة والصفات ذات القيمة المعنوية. والدعاء التزام وتوجّه وتصميم على عدم الانسياق وراء أمور تافهة وغرائز حيوانية. والدعاء وسيلة للارتباط الروحي بالله عزّ وجلّ.

ومن الطبيعي أن ما يطلب في الدعاء هو الأمور التي يكون فيها خير وسعادة للفرد والأسرة والمجتمع. ولهذا فلا بد من تعلّم الدعاء ومضامينه المعنوية من ذوي العلم والفضل. والأدعية المأثورة لدينا، ذات وقع وتأثير على النفس وترقى بالروح بديع الكلمات وسمو المضامين. والروح تتأثر عادة بالدعاء حتى وكأَنَّها ماثلة بين يدي ربّها وبه لائذة.

١- المصدر السابق، ص ٨٩، الحديث ٦.

٢- سورة الأنعام (٦)، ٣٤؛ سورة الأنبياء (٢١)، الآية ٨٥؛ سورة ص (٣٨)، الآية ٤٤.

٣- سورة يونس (١٠)، الآية ١٠٩.

٤- سورة ص (٣٨)، الآية ٤٤.

٥- سورة ص (٣٨)، الآية ٤١.

جاء في رواية نقلها الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدعاء سلاح المؤمن و عماد الدين و نور السموات والأرض»<sup>(١)</sup> و وصف الإمام جعفر الصادق عليه السلام الدعاء بأنه مفتاح كل رحمة و نجاح في كل طلبه، و لا يحصل أحد على ما عند الله إلا بالدعاء.<sup>(٢)</sup> و جاء في القرآن الكريم في بيان أهمية الدعاء: «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ»<sup>(٣)</sup>.

و على هذا الأساس فإن الدعاء والتوسل وارتباط الإنسان بربه بتوجيه من الدين و في ضوء القواعد الاعتقادية، يهدي الإنسان إلى ربه من خلال تعليمه كلمات و مفاهيم معينة. و هذا يمنح الإنسان شوقاً و اندفاعاً و يغرس فيه انشداداً و تحرّكاً. و لهذا فالدعاء سنة من سنن الله و حركة في طريق تكامل الإنسان، و اجابته تأتي أيضاً ضمن هذا السياق و وفقاً لهذه القاعدة. لقد جاءت أغزر مضامين الأدعية في القرآن الكريم و في كلمات أهل البيت عليهم السلام. فسورة الحمد تدعونا إلى التضرع لله خمس مرات في اليوم: «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ»<sup>(٤)</sup> و تنوع هذه الأدعية و المطالب في آيات أخرى حتى تمتد إلى غفران الذنوب،<sup>(٥)</sup> و الهداية إلى الصلاح،<sup>(٦)</sup> و تمني خير الدنيا و الآخرة سوية،<sup>(٧)</sup> و الخلاص من الظالمين.<sup>(٨)</sup> كما تضمنت الأدعية الواردة عن أهل البيت مثل دعاء كميل، و دعاء أبي حمزة الثمالي، و دعاء مكارم الأخلاق، معارف و موضوعات مثل معرفة الله، و معرفة الإنسان، و المبادئ الأخلاقية، و الأصول الاجتماعية، و حقوق الأفراد على بعضهم، و بيان المثل و القيم الإنسانية، و يتوضح فيها سمو المطالب المعنوية.

١- الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٣٧، الحديث ٩٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢٨٨، الحديث ١.

٢- الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، الفصل الأول في فضل الدعاء، ج ٢، ص ٩.

٣- سورة البقرة (٢)، الآية ١٨٦.

٤- سورة الفاتحة (١)، الآيات ٥-٧.

٥- سورة آل عمران (٣)، الآيتان ١٦-١٧.

٦- سورة البقرة (٢)، الآية ١٢٨.

٧- سورة البقرة (٢)، الآيات ٢٠٠-١٠٢.

٨- سورة النساء (٤)، الآية ٧٥.

ينبغي أن لا يُظنَّ طبعاً بأنَّ الدعاء تهرَّب من المسؤولية، و نكول عن مجابهة الشدائد، واستبدال العمل والمثابرة بالكلام والتوسُّل، وإنَّما الدعاء هو عبارة عن محاولة لسدِّ النواقص و نقاط الضعف التي ترافق العمل والتفكير - اتكالاً على قدرة الله و طلباً للتوفيق والنجاح منه - و نفهم من خلال الأدعية التي علَّمنا إياها نبيِّنا و أئمتنا أنهم لم يلجأوا إلى الدعاء كبديل عن الجهد والمسؤولية الاجتماعية والاستفادة من المقدمات، وإنَّما كانوا يحرصون على توفير كل المقدمات والأسباب اللازمة لأي عمل، و يضعون نصب أعينهم الخطة والمتطلَّبات اللازمة لإنجاز ذلك العمل، و لكن كانوا يقدِّمون عليه اتكالاً على الله و من خلال الاستعانة به.

و على صعيد آخر يقترن الدعاء أحياناً بالتوسل بأناس لهم وجاهة عند الله كالنبيِّ والأولياء، و هذا لا يتعارض مع التوحيد؛ لأنَّ التوسل بهم يعني أننا نطلب العون منهم لمساعدتنا للارتباط بالله. و هذا هو اعتماد الوسيلة التي ذكرها الله في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾. (١) كما يخبرنا القرآن الكريم عن سنَّة أُخرى و هي أنَّ المسلمين في صدر الإسلام كانوا متى ما أذنبوا جاؤوا إلى النبيِّ واستغفروا الله، و كان هو بدوره يستغفر لهم. (٢) و هناك دليل يؤيد هذا المعنى و هو أبناء يعقوب الذين جاءوا إلى أبيهم و قالوا: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾. (٣)

و للدعاء آداب منها: أن يكون بخشوع و أن لا يكون بصوت عالٍ، لكي لا يتسبب في إزعاج الآخرين ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآضَالِ﴾، (٤) و لا يكون فيه تظاهر ورياء. و هذا المعنى أكَّده القرآن الكريم في الآية المباركة: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً﴾. (٥)

١- سورة المائدة (٥)، الآية ٣٥.

٢- سورة النساء (٤)، الآية ٦٤.

٣- سورة يوسف (١٢)، الآية ٩٧.

٤- سورة الأعراف (٧)، الآية ٢٠٥.

٥- سورة الاعراف (٧)، الآية ٥٥.



## الأخلاق الأسرية

من الجوانب الأخرى للأخلاق حسن المعاشرة مع أفراد الأسرة، والتعامل الحسن بين الزوج والزوجة وبين الأبناء والوالدين.

الأسرة هي الحجر الذي يتربى فيه الإنسان و تتكامل شخصيته. و بين أحضان الأسرة يُصاغ تفكير الإنسان و تدينه. و نظراً إلى أهمية الأسرة في تكوين الشخصية، فقد أبدى الإسلام اهتماماً واضحاً بها. و شرع لهذا الأمر أحكاماً فقهية و حقوقية أوردناها في الموضوع المناسب من هذا الكتاب، كما وضع له تعاليم أخلاقية. و لكل واحد من أعضاء الأسرة حقوق يجب على بقية الأعضاء رعايتها. و التعاضد و التكافل بين أعضاء الأسرة يؤدي بهم إلى الرقي. و لاشك في أنّ تجاهل هذه الأمور و عدم الانسجام بين أعضاء الأسرة يحول دون تقدّمهم مادياً و معنوياً. و إذا فقد التعاون بين أعضاء الأسرة الواحدة أو غلبت عليهم النزاعات فسوف يكرّس كل واحد منهم جهوده من أجل إفشال الآخر.

من الطبيعي أنّ لكلّ من الأب و الأم و الأولاد و الأقارب مكانته و موقعه في هذا الكيان، كما تقع على كل واحد منهم مسؤوليات و واجبات إزاء الآخرين. و لا يحق لأيّ منهم تجاهل دور و مكانة الأعضاء الآخرين، أو التهاون في أداء ما عليه من مسؤوليات إزاءهم. إنّ القرابة توجب نوعاً من المسؤولية فضلاً عما تمثله من رابطة إنسانية. و لا يمكن لمن تربطهم علاقات قريبي أن يتجاهلوا بعضهم و يتعاملوا كالأغراب، و إنّما يجب أن يشاركوا بعضهم في السراء و الضراء. و كل مسلم مسؤول عن أقربائه على قدر وسعه. و قد شرّع الإسلام أحكاماً و وضع إرشادات للمحافظة على صلات القريبي، و ألزم المسلمين برعايتها.

## الزوج و الزوجة

يؤلف الزوج و الزوجة كيان الأسرة، و من الطبيعي أنّ تتأثر أخلاق بقية أعضاء الأسرة و سلوكها و اعتقاداتها بما يتّصف به الأبوان. و الأبوان يتأثران عادة بأخلاق و معتقدات و

آراء بعضهما، ويؤثران في صياغة سلوك وأخلاق وآراء ومعتقدات أبنائهما. وهذا ما يستدعي منهما الدقة والحذر في الأقوال والأفعال. وكلما كان الأبوان يعيشان حياة قوية وسليمة كان ذلك مفيداً في بناء شخصية الأولاد.

من الطبيعي أن يكون هناك اختلاف في الأذواق بين الزوج والزوجة إزاء مختلف الموضوعات، غير أن الحياة الزوجية وما ينشأ عنها من رباط وثيق ومحبة تجعلهما يتغاضيان عن الكثير من الاختلافات. وقد بين القرآن أن المحبة التي تنشأ بعد الزواج بين شخصين لم تكن بينهما أية علاقة سابقاً، من آيات الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١).

و رغم كل ذلك يبقى هناك احتمال لنشوء اختلافات بين الرجل والمرأة، خاصة في بداية تكوين الأسرة حيث لم يكونا قد عرفا بعد طبائع بعضهما بشكل جيد. وإذا لم تُعالج اختلافات الزوجين، تسري تأثيراتها المدمرة إلى الأبناء والأقارب بل حتى إلى المجتمع. الطفل الذي ينشأ في أسرة يسودها الاضطراب والمشاكل وكثرة النزاع بين الوالدين، سوف يتصف بعدم الاتزان ويغلب عليه القلق والهواجس، وهذا يحول دون ازدهار ما لديه من طاقات. ومن الطبيعي أن تؤدي الضغوط النفسية وعدم الاستجابة لمتطلباته المشروعة إلى تراكم العقد في نفسه، وعندما يبلغ سن الشباب ويدخل في الحياة الاجتماعية تنعكس هذه العقد المكبوتة على شكل سلوك غير مرضٍ قد يتجسد أحياناً على شكل تضاد مع الآخرين، أو ربّما يوقع الشخص في الجريمة وحبّ المغامرة.

إن أكثر السلوك الاجتماعي السلبي يعود في جذوره إلى تصرفات أفراد الأسرة الأكبر سنّاً. فالذين لا يسلكون سلوكاً حسناً في البيت لكي يتعلّم منهم الأطفال هم المسؤولون عن اعوجاج سلوك أبنائهم.

و نظراً إلى أهمية الأسرة والجو الأسري السليم في تربية الأبناء، فقد ركّز القرآن الكريم

١- سورة الروم (٣٠)، الآية ٢١.

على اصلاح شؤون الأسرة و حلّ ما يبرز من اختلافات بين الزوج والزوجة. فقد أوصى القرآن الكريم بكنمان الاختلافات الأسرية جهد الإمكان و أن يحاول الزوجان حلّها بتدبير و بما فيه مصلحة الأسرة لكي لا تُهتك حرمة الأسرة و تُفشى أسرارها. فقد وردت في القرآن الكريم التوصيات التالية: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١).

و يفهم من هذه الآية، أنّ البخل والشحّ من الأسباب التي تخلق الأزمات بين أفراد الأسرة، و تدفعهم إلى التنازع والخصام. و يمكن تبديد مثل هذه المخاطر بالإحسان والتقوى. و أمّا إذا لم يفلح الزوجان في حلّ ما ينشب بينهما من اختلافات، فعليهما الاستعانة بالكبار من الأقارب لحلّها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا...﴾ (٢).

يجب أن تُبنى الحياة الأسرية على التفاهم والانسجام. و لأبّد من التضحية و ترك الأنانية في محيط الأسرة أكثر و قبل أي مكان آخر. فقد عبّر القرآن الكريم عن أعضاء الأسرة بـ«النفس» حين قال: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ (٣) و بدلاً من أن يقول: سلّموا على بعضكم، قال: سلّموا على أنفسكم؛ أي أن الأشخاص الذين في البيت بمنزلة أنفسكم. فالأب، والأم، والزوجة، والأولاد، والأخ، والأخت، و كل عضو من أعضاء الأسرة هم منكم و ليسوا غرباء.

و مما ينبغي على الرجل أن لا يتوانى و لا يقصّر في أداء ما فرضه عليه الله من حقوق الأولاد و العيال، و عليه أن يسعى لتلبية متطلّباتهم على قدر وسعه. و لا يضيّع حقوقهم. قال الصادق (عليه السلام): «كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يعول» (٤) و عليه أيضاً أن يصبر على ما قد يصدر من بعض أفراد الأسرة من أخطاء و أن يسعى إلى تقويمهم، و يحرص على تربيّتهم

١- سورة النساء (٤)، الآية ١٢٨.

٢- سورة النساء (٤)، الآية ٣٥.

٣- سورة النور (٢٤)، الآية ٦١.

٤- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٦٨، الحديث ٨.

تربية سليمة إضافة إلى تلبية متطلباتهم والاهتمام بشؤونهم؛ فإنه يُسأل يوم القيامة عنهم. وقد أمر القرآن الكريم بما يلي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...﴾ (١). لاشك في أنّ معاشرَةَ الصبيان والشبان والنساء لها أسلوبها الخاص. فلكل رجل أو امرأة، أولاد يعيشون معهم، و عليهم معرفة كيفية تربيتهم وما ينبغي تعليمه لهم، و عليهم أن يلبّوا الصحيح من مطالبهم، و أمّا غير الصحيح منها فعليهم توعيتهم بأضراره و مساوئه. فربُّ الأسرة هو مطعمها و معلّمها و مديرها الذي ينبغي أن يسير بها قُدماً و ينتهي بها إلى حسن الختام. و هذا طبعاً يعود عليه بثواب و فير من ربّه.

على الرجل أن يحترم زوجته. فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ وَ أَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي» (٢) و كان هو صلوات الله عليه خير الناس لأهله.

### الوالدان والأولاد

لا احترام الوالدين والإحسان إليهما أهمية بالغة. فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (٣) و احترام الوالدين قضية إنسانية وردت تأكيدات كثيرة عليها. (٤) و قد روي عن رسول الله ﷺ حديث قال فيه: «و طاعتها واجبَةٌ إلّا في ما فيه معصية لله و لا يحق للأولاد القيام حتى ببعض المستحبات إلّا بإذنها» و قد أوصى الله خيراً بالوالدين خاصة في الكبر، فقال: ﴿إِذَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَ لَا تَنْهَرُهُمَا وَ قُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٥) و وردت في هذا المجال رواية عن الإمام جعفر الصادق قال فيها: «لو علم الله أدنى من أفٍ لنهاى عنه، فهذا الحد هو أدنى أنواع العقوق، و من العقوق أيضاً أن ينظر الرجل إلى والديه بحدّة». (٦) يجب على الوالدان

١- سورة التحريم (٦٦)، الآية ٦.

٢- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٤٤٣، الحديث ٤٥٣٨.

٣- سورة العنكبوت (٢٩)، الآية ٨.

٤- سورة البقرة (٢)، الآية ٨٣؛ سورة النساء (٤)، الآية ٣٦؛ سورة الأنعام (٦)، الآية ١٥١؛ سورة الإسراء (١٧)، الآية ٢٣؛ سورة لقمان (٣١)، الآية ١٤؛ سورة الأحقاف (٤٦)، الآية ١٥.

٥- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٢٣. ٦- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٤٩، الحديث ٧.

يكلم والديه بإجلال وإكرام، و حتى عند الاحتضار والوصية عليه أن يخصص لهما مقداراً من ماله في الوصية. فقد جاء في القرآن: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup> وعند الإنفاق على الفقراء تكون الأولوية للأب والأم. ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

و مما يروى في هذا المجال «أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، إنني راغب في الجهاد، قال: فجاهد في سبيل الله، فإنك إن تقتل كنت حياً عند الله تُرزق، وإن مت فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجت من الذنوب كما ولدت. فقال: يا رسول الله، إن لي والدين كبيرين يأنسان بي ويكرهان خروجي. فقال رسول الله ﷺ: أقم مع والديك، فوالذي نفسي بيده لأنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة». (٣) وقال علي بن موسى الرضا عليه السلام: «إن الله أمر بثلاثة أشياء و قرن بها ثلاثة أخرى وهي أنه أمر بالصلاة والزكاة معاً؛ فمن صلى و لم يزك لا تقبل صلاته، كما أمر تعالى بالشكر له و للوالدين، فالذي لا يشكر والديه لا يشكر ربه...»<sup>(٤)</sup> و روي عن رسول الله ﷺ أنه وصف النظر إلى الوالدين حُباً لهما بأنه عبادة.<sup>(٥)</sup>

و من جانب آخر ينبغي أن يحترم الوالدان أبناءهما، و يسعيا في تلبية حاجاتهم. و لابد طبعاً من تعليم الأولاد، الآداب الدينية والاجتماعية، و تزويجهم و معاملتهم بالعدل. و هذه الأمور من مسؤوليات الوالدين.

## الأقارب

للأسرة مفهوم واسع يشمل جميع الأقارب السببيين والتسببيين. والقراية متى ما تحققت أوجبت للقريب حقاً. و من اللازم طبعاً رعاية الأولوية في درجات القربى. ﴿وَأُولُوا

١- سورة البقرة (٢)، الآية ١٨٠. ٢- سورة البقرة (٢)، الآية ٢١٥.

٣- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٦٠، الحديث ١٠.

٤- الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٣ من أبواب تحريم منع الزكاة، ج ٩، ص ٢٥، الحديث ٢٥.

٥- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٨٤، الحديث ٥٩ و ٦٠.

الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿١﴾. والقراية توجد حقاً إلى درجة أن الله تعالى أباح تناول الطعام من بيت الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت أو العم أو العمة أو الخال أو الخالة أو ما كانت مفاتيحه بيد الشخص. (٢)

### صِلَةُ الرَّحْمِ

أفراد الأسرة الكبيرة لا يعتبرون في رأي الاسلام غرباء إذا كانوا متباعدين في مناطق سكناهم. و أفراد الأسرة الواحدة أقارب و أعضاء في تلك الأسرة حتى وإن غادروا تلك الأسرة و تباعدت مساكنهم. و تقع عليهم مسؤوليات إزاء بعضهم، و يفترض أن يشاركوا بعضهم في السراء والضراء، و يطلعوا على أحوال بعضهم. و لهذا طرحت في الإسلام قضية صلة الرحم، و وردت تأكيدات كثيرة عليها.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في الحث على صلة الرحم: «صِلُوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالتَّسْلِيمِ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾» (٣). (٤) و روي عنه أيضاً أنه قال: «صِلُوا أَرْحَامَكُمْ وَإِنْ قَطَعْتُمْ». (٥) و روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَنْ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ أَقْرَبَهُ مِنْ قَطْعِهِ». (٦)

و روي عن علي عليه السلام أنه قال: «أَكْرَمُ عَشِيرَتِكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَ يَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ». (٧) إِنَّ لَصِلَةِ الْأَرْحَامِ أَهْمِيَّةَ عَظِيمَةً، حَتَّى أَنْ تَأْتِيَهَا يَمْتَدُّ إِلَى الْآخِرَةِ وَ يَوْجِبُ سَهُولَةَ الْحِسَابِ عَلَى الْأَعْمَالِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، (٨) وَ أَمَّا

١- سورة الأنفال (٨)، الآية ٧٥؛ سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٦.

٢- سورة النور (٢٤)، الآية ٦١. ٣- سورة النساء (٤)، الآية ١.

٤- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٥٥، الحديث ٢٢.

٥- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٤ من أبواب جهاد النفس، ج ١٥، ص ٢٢٣، الحديث ١٤.

٦- التوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ٩٦ من أحكام العشرة، ج ٩، ص ١٠، الحديث ٣.

٧- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ص ٤٠٥.

٨- الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ١٧٧، الحديث ١٤.

تأثيرها الدنيوي فهي تطيل العمر،<sup>(١)</sup> و على العكس من ذلك يؤدي قطع الرحم إلى قصر العمر.<sup>(٢)</sup>

## الأخلاق الاجتماعية

يمكن إيجاز الأخلاق الاجتماعية بأنها حسن معاشرّة الآخرين. و يتألف القسم الأعظم من حياة الناس من علاقاتهم الإنسانية. و تكتسب العلاقة مع الآخرين أهميتها من جانبين: تأثير العلاقة مع الآخرين على الإنسان نفسه، و الحقوق التي تنشأ للآخرين على أثر تلك العلاقة، و خاصة المؤمنين منهم.

و احترام الإنسان لنفسه و للآخرين على رأس قائمة الأخلاق. و لا ينبغي أن تطغى النزعات الذاتية و الأهواء النفسية على العلاقات مع الآخرين، كأن يحاول الإنسان التباهي أو التكبر على غيره.

و هناك أنواع أخرى من السلوك الذي ينشأ من نزوات ذاتية و يؤدي إلى الإساءة إلى الآخرين و هضم حقوقهم. و هو طبعاً سلوك غير أخلاقي و لابدّ من اجتنابه. بل إنّ بعض التصرفات قد تستسيغها النفس، و لكنها تؤدي بالنتيجة إلى الإساءة إلى الغير و المساس بحقوقهم. و هذا أيضاً مما ينبغي الاحتراز منه.

الاسلام يدعو المؤمنين إلى حسن المعاشرة و إقامة علاقات طيبة في ما بينهم، و يبدو أنه من غير الصحيح أن يكون كل مؤمن مشغولاً بشؤونه الخاصّة و منقطعاً عن الآخرين، فالله تعالى لا يحب هذه الصفة. فالتعاليم الدينية قد شرّعت على نحو يدعو إلى التواصل مع الآخرين، و هذا فضلاً عمّا في بعض الأحكام و الفرائض من جانب اجتماعي كصلاة الجماعة، و الحج، و دفع الفرائض المالية للمحتاجين و غير ذلك. و هناك تأكيدات كثيرة تحثّ على المشاركة في الحياة الاجتماعية و التزاور بين المؤمنين.

١- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٥٠ إلى ١٥٧. ٢- المصدر السابق، باب قطيعة الرحم، ص ٣٤٦.

قال رسول الله ﷺ: «من زار أخاه في بيته قال الله عزّ وجلّ له: أنت ضيفي و زائري»<sup>(١)</sup>.

## العزلة والتواصل

قد تكون للعزلة الاجتماعية نتائج مفيدة في السلوك الأخلاقي، إذ إنها تحول دون الكثير من الذنوب التي تقع عادة بين الجماعة كالغيبة والرياء، ولكنها في الوقت ذاته تحرمه من المعطيات الإيجابية للاجتماع، ولكن لو كانت العزلة هي الحل الوحيد لهروب الإنسان من الذنوب، وكان الإنسان لا يجني من جرّاء وجوده في الوسط الاجتماعي إلا الذنوب فعليه الابتعاد عن المجتمع جهد المستطاع.

يتعلّم الإنسان من خلال العلاقات الاجتماعية كثيراً من الأشياء و يستفيد من تجارب الآخرين، و يقدّم للآخرين ما لديه من معلومات. يتعلّم من الآخرين و يعلمهم الأدب، و يفيدهم و يستفيد منهم. و هناك في الوسط الاجتماعي فرص كثيرة لأعمال الخير التي يمكن القيام بها والحصول على ثوابها. و في ضوء ما سبق ذكره فإنّ الإسلام يرجّح الروح الاجتماعية والتواصل على العزلة والابتعاد عن المجتمع، و لكثته في الوقت ذاته حتّ المؤمنين على اجتناب آفات الاجتماع. إنّ من يعتزل المجتمع قد يبلغ مقامات معنوية رفيعة و يتخلّص -في الوقت ذاته- من الهواجس والمشاكل الاجتماعية، ولكنه يحرم نفسه قطعاً من فضيلة الجهاد في سبيل الله و خدمة الناس، و لا يحذو حذو الأنبياء والأولياء والأئمة. و هذه فضيلة كبرى يخسرها المعتزلون.

## حُسْنُ الخُلُق

ينبغي تنظيم العلاقات بين الناس الذين يعيشون إلى جانب بعض، بشكل لا يسيء إلى المبادئ الإنسانية. و يفترض بالإنسان أن يعيش بين الناس بالنحو الذي وصفه

١- المصدر السابق، ص ١٧٦ و ١٧٧، الحديث ٦.



أمير المؤمنين عليه السلام وهو أن يبكوا عليه إذا مات و يحثوا إليه إذا عاش. <sup>(١)</sup> و وصف الله عز وجل نبيه بأنه على خلق عظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. <sup>(٢)</sup> و جاء في حديث نبوي و وصف حسن الخلق بأنه أفضل ما أُعطي للإنسان، و أنه من موجبات دخول الجنة. <sup>(٣)</sup> و جاء في كلام للإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما من شيء أرجح من حسن الخلق عندما توزن الأعمال يوم القيامة». <sup>(٤)</sup> و قال الإمام محمد الباقر عليه السلام «إن حسن الخلق علامة على كمال الإيمان». <sup>(٥)</sup> و لاشك في أن الثمرة التي تُجنى من حسن الخلق هي الألفة بين أفراد المجتمع.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام في وصف حسن الخلق: «تلين جانبك و تطيب كلامك و تلقى أخاك ببشر حسن». <sup>(٦)</sup> و مما ورد عنه عليه السلام أيضاً أنه قال «إن حسن الخلق من صفات الأنبياء». <sup>(٧)</sup>

### علاقة الأخوة والإيمان

يعتبر الإسلام المؤمنين إخوة. و قد أبدى اهتماماً كبيراً بعلاقاتهم في ما بينهم و حث على ذلك، و من جملة ما دعا إليه أن يكون هناك تآلف بين المؤمنين، و أن تزول كل دواعي الأحقاد و الجفاء.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف طبائع الناس: «قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحَشِيَّةٌ فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ». <sup>(٨)</sup> و تألف المؤمنين نعمة إلهية عظيمة جاد الله بها على رسوله: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾. <sup>(٩)</sup> و من خصائص المؤمن

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ١٠، ص ٤٧٠.

٢- سورة القلم (٦٨)، الآية ٤.

٣- الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ج ٣، ص ٢٨٤.

٤- المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٩؛ الديلمي، إرشاد القلوب، ج ١، ص ١٣٣.

٥- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣٧٣، الحديث ١.

٦- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٢٩٥، الحديث ٨٩٣.

٧- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٩٤، الحديث ١٧.

٨- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٥٠، ص ٤٧٧.

٩- سورة الأنفال (٨)، الآية ٦٣.

أنه يتآلف مع الآخرين ولا يجتد العزلة والازواء، ويخالط الآخرين و يتّصف بقوة جاذبة لا طاردة. وقد قال رسول الله ﷺ في وصف المؤمن: «المؤمن آلف مألوف ولا خير في من لا يآلف ولا يؤلف»<sup>(١)</sup> وقد ورد أن الابتعاد عن الناس يؤدي إلى العداوة وسوء الظن، وهذا ما بينه الإمام الباقر عليه السلام أو الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «إنّ الانقباض عن الناس يُكسب العداوة»<sup>(٢)</sup>. ومن الواضح أنّ المبادئ الأخلاقية في الإسلام تحثّ على التآلف بين المؤمنين بشتى السبل والوسائل، ولهذا السبب جعلت الأخوة بين المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(٣)</sup> وجاء في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليمين تغسل إحدهما الأخرى، و ما التقى المؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً»<sup>(٤)</sup>.

### الموقف من المنكرات

كيف ينبغي التعامل مع المنكرات التي تؤدي أحياناً إلى هضم حقوق أفراد المجتمع؟ فمن الطبيعي أنّ التغاضي عنها كثيراً ما يكون سبباً لتجرؤ البعض على ارتكابها من جديد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يؤدي الوقوف بوجهها إلى سلبيات أو نزاعات، وهي طبعاً ممّا نهت عنه الشريعة.

هناك نوعان من التعليمات في ما يخص الوقوف بوجه مثل هذه الأعمال المنكرة. فمن جهة لا ينبغي فسخ المجال أمام من يحاولون انتهاك حرمة الآخرين والمساس بالجو الاجتماعي السليم. ومن جهة أخرى لدينا تعاليم دينية أخرى تدعو إلى التغاضي عن أخطاء الآخرين. قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿إِذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾<sup>(٥)</sup> وجاء في آية شريفة أخرى ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ إِذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>.

١- الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ج ٣، ص ٢٨٥.

٢- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٦٣٨، الحديث ٥. ٣- سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٠.

٤- الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ج ٣، ص ٢٨٥.

٥- سورة المؤمنون (٢٣)، الآية ٩٦. ٦- سورة فصلت (٤١)، الآية ٣٤.

و جاء في أقوال الإمام علي عليه السلام ما يلي: «عَاتِبْ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَارْزُدْهُ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ». (١) و جاء في كلام آخر له: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للمقدرة عليه. (٢)

و من الواضح أنّ هذه التوجيهات كفيلة ببناء المجتمع من جهة و بتزكية نفس الإنسان من جهة أخرى. فمقابلة إساءة الآخرين بالإحسان تتطلب نفساً كريمة و سموّاً في الشخصية. أما ما هي الحالات التي تستدعي موقفاً حازماً و متشدداً؟ و ما هي الحالات التي ينبغي فيها التسامح؟ فهذا من الأمور التي تستلزم كثيراً من النباهة و الفطنة، و لكن القاعدة العامة في التعامل مع الآخرين هي العفو و التسامح، بل ينبغي العمل بهذا السلوك جهد الإمكان لكي تسود الروح المعنوية في المجتمع، مع الابتعاد عن العناد و روح الانتقام. و حتى إذا كان سلوك الفرد سلبياً في الظاهر يجب حمله على وجه حسن. فقد جاء في حديث شريف «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه. و لا تظن بكلمة خرجت من فم أخيك سوءاً و أنت تجد لها في الخير محملاً». (٣)

و لكن رغم كل ذلك يجب ان لا يفوتنا أنّ التغاضي عن المنكرات التي يرتكبها الأقوياء و ما يبدو أنه من خصال التكبر و التعدي على الغير قد يدعوهم إلى الاستهتار و التمادي في الإثم و الظلم. و في هذه الحالة لابدّ من التصدي لهم في إطار القواعد المقررة في هذا المضمار.

### المحبة

الإنسان مخلوق اجتماعي بالفطرة و يميل بطبعه إلى إقامة علاقات و محبة مع الآخرين. و الحاجة إلى المحبة واحدة من العوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية. و هذا ما يدعو الناس إلى العيش إلى جانب بعضهم. و قد يكون هذا الشعور أحياناً على درجة من الشدة بحيث يغيّر مسار حياة الإنسان كلياً.

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ١٥٨، ص ٥٠٠.

٢- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ١١، ص ٤٧٠.

٣- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٦٢، الحديث ٣.

وفي المقابل تبرز أيضاً خصال الحقد والعداء بين الناس بسبب دوافع شيطانية أو أطماع مادية، و تدفع بهم نحو التناحر والنزاع. والاسلام يحثُّ الناس على المحبَّة والمودَّة، ويدعوهم إلى نبذ الأحقاد. قال نبينا محمد ﷺ: «رأس العقل بعد الدين، التودد إلى الناس واصطناع الخير إلى كلِّ برٍّ و فاجر»<sup>(١)</sup>.

لا يمكن طبعاً إنكار تأثير الناس على بعضهم تربوياً و أخلاقياً. فمن المعروف أن من العوامل المؤثرة في التربية، الأصدقاء؛ إذ إنَّ لهم تأثير بالغاً في صياغة شخصية الفرد. وهناك حديث نبوي شريف يصف هذا التأثير و يقول إنَّ الشخص على دين خليله، و على المرء أن ينظر إلى من يكون خليله.<sup>(٢)</sup> لدى كل إنسان حاجة عاطفية للمحبَّة والصدافة، حتى أن الأحاديث دعت إلى أن يتخذ المرء إخواناً و أصدقاء.

روي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «عليكم بالإخوان فإنهم عُدَّةٌ في الدنيا والآخرة؛ ألا تسمعُ إلى قولِ أهلِ النارِ فما لنا من شافعين و لا صديقٍ حميمٍ»<sup>(٣)</sup>. و ورد أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام في سياق دعوته إلى عدم الإفراط في الحبِّ والبغض ما يلي: «أحبُّبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَ أَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»<sup>(٤)</sup>.

و ينبغي بطبيعة الحال اجتناب مصادقة الفاسق، لما في ذلك من انعكاسات سلبية و مضرة. فمن لا يخشى ربَّه لا يسلم صاحبه من شرِّه. والمحبَّة إذا لم تكن عن إيمان و إخلاص لا دوام لها. والفاسق يتخلَّى عن صاحبه عند الشدَّة والضيق. و على المؤمن مصادقة من هو على شاكلته. و كما قال لقمان الحكيم: «لا صداقة بين الذئب والكبش، و لا صداقة بين البر والفاجر»<sup>(٥)</sup> قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٩٢، الحديث ١٢.

٢- الفيض الكاشاني، المحجَّة البيضاء، ج ٣، ص ٣٠٩.

٣- المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٩.

٤- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٢٦٨، ص ٥٢٢.

٥- الفيض الكاشاني، المحجَّة البيضاء، ج ٣، ص ٣١٢.

الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup> وقال تعالى أيضاً: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾<sup>(٢)</sup>.  
يجب أن يكون صديق المرء على شاكلته<sup>(٣)</sup> وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يكون  
الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبتِه وغيبتِه ووفاتِه»<sup>(٤)</sup>.  
على المؤمن أن يختار صديقاً كصديق أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال في وصفه: «كَانَ لِي  
فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِعْرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَانَ خَارِجاً مِنْ  
سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَسْتَهَيِّ مَا لَا يَجِدُ وَلَا يَكْتُرُ إِذَا وَجَدَ وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً فَإِنْ قَالَ بَدَّ  
الْقَائِلِينَ وَنَفَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعِفاً فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثٌ غَابٍ وَصَلُّ  
وَادٍ لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَيَّ مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى  
يَسْمَعَ اعْتِدَارَهُ وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَلَا يَقُولُ مَا  
لَا يَفْعَلُ وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ وَكَانَ عَلَيَّ مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ  
مِنْهُ عَلَيَّ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَكَانَ إِذَا بَدَّه أَمْرَانِ يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبَ إِلَى الْهُوَى فَيُخَالِفُهُ فَعَلَيْكُمْ  
بِهَذِهِ الْخَلَائِقِ فَالزُّمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا فَإِنَّ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخَذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ  
تَرَكَ الْكَثِيرِ»<sup>(٥)</sup>.

### أصدقاء السوء

أوصى الإمام علي عليه السلام ابنه الحسن المجتبي عليه السلام بما يلي: «يا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَمِصَادِقَةٌ:  
١- الأحمق فإنه يريد أن ينفكك فيضرك، وإياك ومصادقة ٢- البخيل فإنه يقعد عنك  
أحوج ما تكون إليه. وإياك ومصادقة ٣- الفاجر فإنه يبيعك بالتافه، وإياك ومصادقة  
٤- الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد، ويُبعد عنك القريب»<sup>(٦)</sup>.  
وقال عليه السلام في موضع آخر: «واحذر صحابة من يفيل رأيه ويُنكر عمله، فإنَّ الصاحب

١- سورة النجم (٥٣)، الآية ٢٩. ٢- سورة لقمان (٣١)، الآية ١٥.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ص ٤٠٣.

٤- المصدر السابق، الحكمة ١٣٤، ص ٤٩٤. ٥- المصدر السابق، الحكمة ٢٨٩، ص ٥٢٦.

٦- المصدر السابق، الحكمة ٣٨، ص ٤٧٥.

معتبر بصاحبه»<sup>(١)</sup> و قال أيضاً: «لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك»<sup>(٢)</sup>  
«مجالسة أهل الهوى منساة للإيمان و محضرة للشيطان»<sup>(٣)</sup>

### الأصدقاء الصالحون

روي عن النبي ﷺ إنه قال: «يا روح الله من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته و يزيد في علمكم منطقته، و يرغبكم في الآخرة عمله»<sup>(٤)</sup>  
و أوصى الإمام علي عليه السلام ابنه محمد بن الحنفية (رضوان الله عليه): «و من خير حظ المرء قرين صالح، جالس أهل الخير تكن منهم، و باين أهل الشر و من يصدك عن ذكر الله عزوجلّ و ذكر الموت بالأباطيل المزخرفة و الراجيف الملققة تبين منهم»<sup>(٥)</sup> كما أنه أوصى أباذر (رضوان الله عليه): «جالس المساكين و عدهم إذا مرضوا و صلّ عليهم إذا ماتوا واجعل ذلك مخلصاً»<sup>(٦)</sup>

### الكلام

الكلام وسيلة للتعبير عما في النفس من جهة، وللارتباط مع الآخرين من جهة أخرى. و من الطبيعي أنّ التعبير عن الآراء و سماع آراء الآخرين يفتح الباب أمام الناس لإقامة علاقات في ما بينهم. و عندما يُوظف اللسان للتعبير عن الحقائق بشكل صحيح، تُبنى العلاقات عند ذلك على الإخلاص و الصدق. أمّا إذا أُتخذ اللسان وسيلة للمكر و الخداع، فمن الطبيعي أن لا تكون العلاقات سليمة و قويمة. فهذه النعمة الإلهية الكبرى، إذا وضعت في خدمة الإنسان و الأهداف الإلهية، فهي تقود الإنسان نحو الرُقي و الكمال، و لكن إذا كُرسَتْ لِمَا يُخالف ذلك تُرديه في المهالك.

- 
- ١- المصدر السابق، الكتاب ٦٩، ص ٤٥٩. ٢- المصدر السابق، الكتاب ٣١، ص ٤٠٣.  
٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ٨٦، ص ١٧٧.  
٤- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٩، ح ٣.  
٥- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٢٧٥ و ٢٧٦.  
٦- النوري، ميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ٦ من أبواب الاحتضار، ج ٢، ص ٧٨، الحديث ١٧.

قال رسول الله: «من وُقي شرّ قَبِيهه و لَقَلقه و ذَبَذبه، فقد وُقي الشرّ كلّه»<sup>(١)</sup> و روي عنه عليه السلام «و ما يكب الناس على مناخرهم في النار إلاّ حصائد ألسنتهم»<sup>(٢)</sup> و أكّد رسول الله عليه السلام على بيان أهمية اللسان و ما ينطق به، و أنّ شخصية كل إنسان تكمن في قوله و سلوكه، و أنّ ما يأتي على اللسان إنّما هو انعكاس لما في القلب<sup>(٣)</sup>.

و قال الإمام علي عليه السلام في وصف مدى أهمية الكلام: «كلام الرجل ميزان عقله»<sup>(٤)</sup> أي يمكن قياس مدى رجاحة عقل أي شخص من خلال ما ينطق به من الكلام. و من الطبيعي أنّ الكلام المناسب في المقام المناسب دليل على العقل. قال أمير المؤمنين «لسان العاقل وراء قلبه و قلب الجاهل وراء لسانه»<sup>(٥)</sup> أي أنه يفكر في الموضوع أولاً ثم يتفوه لاحقاً بالكلام المناسب الذي ينبغي الإدلاء به، في حين أنّ قلب الجاهل وراء لسانه؛ بمعنى أنه ينطق بالكلام من غير تروٍّ و تأمّل. قال أمير المؤمنين: «التروّي في القول يؤمن الزل»<sup>(٦)</sup> و الملاحظة الأخرى هنا هي أنّ الكلام كالدواء؛ قليله مفيد و كثيره قاتل. و ممّا ورد من الأقوال في هذا المضمار قول الإمام علي عليه السلام «إنّ قلة الكلام دليل على رجحان العقل»<sup>(٧)</sup> إنّ الأقوال تُسجل مثلما تسجّل الأعمال، و لا بُدّ يوماً من أن يُسأل عنها الإنسان، إذ جاء في آية شريفة: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾<sup>(٨)</sup> كما حتّ القرآن الكريم في آيات كثيرة على حسن الكلام مع الناس مع اجتناب الكلمات اللاذعة و المؤلمة؛ لأنّ هذه الأساليب من حيل الشيطان التي يتبعها لإثارة البغضاء و العداوات بين الناس<sup>(٩)</sup> و من الموائيق التي أخذها الله عزّ و جلّ على بني إسرائيل: ﴿و قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾<sup>(١٠)</sup> و اعتبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لين الكلام ضرباً من العبادة حين قال: «إنّ من العبادة لين الكلام...»<sup>(١١)</sup>

١- الديلمي، إرشاد القلوب، ج ١، ص ١٠٣. ٢- المصدر السابق.

٣- إنّ الكلام لفي الفؤاد و أنّما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

٤- الآمدي، غرر الحکم، ص ٢٠٩، الحديث ٤٠٣٢.

٥- المصدر السابق، الحديث ٤٠٧٩. ٦- المصدر السابق، ص ٣٧٥، الحديث ٨.

٧- المصدر السابق، الحديث ٤٠٨٣. ٨- سورة ق (٥٠)، الآية ١٨.

٩- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٥٣. ١٠- سورة البقرة (٢)، الآية ٨٣.

١١- الآمدي، غرر الحکم، ص ٢١٥، الحديث ٤٢١٠.

لعل أي عضو من أعضاء البدن لا يقتترف من الذنوب بقدر ما يقترفه اللسان؛ لأنّ اللسان يجمع من الذنوب الكذب، والنميمة، والسباب، والجدل، وإيذاء الآخرين، والغيبة، وانتهاك الحرمات، والافتراء، والذم، ومدح الظالم، وإثارة الفتنة، وإشاعة الفحشاء، وكتم ما ينبغي قوله، وترويح الباطل، والغناء، وهتك حرمت المؤمنين، والسخرية بالآخرين، وغير ذلك.

### النميمة

نقل أقوال هذا وذاك من شخص إلى آخر، بقصد إثارة الفتنة هو ما يسمّى بالنميمة، وهو طبعاً عمل مذموم. قال الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: «مُحَرَّمَةٌ الْجَنَّةُ عَلَى الْقَتَاتَيْنِ الْمَشَائِنِ بِالنَّمِيمَةِ»<sup>(١)</sup>. فالنمائم عندما ينقل كلام الناس من أحدهم إلى الآخر يؤدي طبعاً إلى زرع البغضاء بينهم. وقد أمر القرآن الكريم النبي صراحة ﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ \* هُمَا زِ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إياكم والنمائم فإنها تورث الضغائن»<sup>(٣)</sup>.

### الغيبة

إذا تكلم خلف إنسان مستور بما يغمّه لو سمعه - حتى وإن كان صدقاً - سُمّي غيبية، وإن كان كذباً سُمّي بهتاناً<sup>(٤)</sup> وكذلك ذكر الشخص بما يتنقص منه و توبيخه بأشياء لا يروك له أن تُقال له ممّا يعيبه به الناس، غيبة أيضاً<sup>(٥)</sup>.  
و قال الشيخ الأنصاري بعد ذكر آراء أهل اللغة في الغيبة و ما ورد فيها من الأحاديث: الغيبة أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمّه لو سمعه<sup>(٦)</sup>. و يمكن القول: إنّ أفضل تعريف للغيبة هو ما نقل عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ»<sup>(٧)</sup> يقول الراوي: سألت

١- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٦٩، الحديث ٢. ٢- سورة القلم (٦٨)، الآيتان ١٠-١١.  
٣- الأمدي، غرر الحكم، ص ٢٤٢، الحديث ٤٤٥٤.  
٤- الجوهرى، صحاح اللغة، ج ١، ص ١٩٦.  
٥- الشهيد الثاني، كشف الريبة عن أحكام الغيبة، ص ٥١.  
٦- الأنصاري، الشيخ مرتضى، المكاسب المحرمة، ص ٤١.  
٧- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٥٢ من أحكام العشرة، ج ١٢، ص ٢٨١، الحديث ٩.



النبيّ إن كان ما قيل فيه؟ فقال: إن كان فيه فهو غيبة، وإن لم يكن فهو بهتان. الغيبة من الذنوب التي نهى عنها القرآن صراحة في الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾<sup>(١)</sup>. فكما يكره الإنسان أكل لحم الميتة، فلا بد أنه يكره الغيبة أيضاً. ومما يروى في ذم الغيبة أن النبي ﷺ لما رجم رجلاً في الزنا، قال رجل لصاحبه. هذا أفقص الكلب. فمر النبي ﷺ معهما بجيفة، فقال: انهشها منها. فقالا: يا رسول الله نهش جيفة؟ فقال: ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه.<sup>(٢)</sup>

الغيبة مؤسّر يدلّ على ما يعانیه المَغْتَاب من مرض واضطراب نفسي. فالشخص الذي يغتاب الآخرين يشعر بنقص و يريد التعويض عنه. قال الإمام عليّ عليه السلام في هذا المعنى: «الغيبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ».<sup>(٣)</sup> ونقل عنه أيضاً أنه قال: «طُوبَى لِمَنْ شَعَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ».<sup>(٤)</sup> وقال الإمام جعفر بن محمد عليه السلام قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من أسلم بلسانه و لم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تذرّموا المسلمين و لا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله تعالى عورته، و من تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته».<sup>(٥)</sup> وقال رسول الله ﷺ أيضاً: «كلّ المسلم على المسلم حرامٌ دمه و ماله و عرضه».<sup>(٦)</sup> من الطبيعي أنّ الغيبة لا تأتي عند جميع الأشخاص من منطلق واحد؛ فالبعض قد يغتاب عن حقد و بقصد استصغار الآخرين والحط من قيمتهم. بينما يغتاب آخرون بسبب الغفلة والجهل بالعواقب الدنيوية والأخروية التي يلقاها المغتاب. و هناك أيضاً من الناس من يدركون طبيعة الإثم الذي يرتكبونه، و لكنهم يحاولون بتبريرات واهية أن يحلّوا لأنفسهم ما حرّمه الله؛ لذلك فهم يرتكبون بدل الإثم الواحد عدّة آثام. فقد يقولون -مثلاً- إن فلاناً تجوز غيبته، أو يقول المغتاب: إنني على استعداد لقول هذا الكلام أمامه، أو قد يقول:

١- سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٢. ٢- الفيض الكاشاني، المحجّة البيضاء، ج ٥، ص ٢٥٣.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٤٦١، ص ٥٥٦.

٤- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦، ص ٢٤٣.

٥- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٥٤، الحديث ٢.

٦- الشهيد الثاني، كشف الريبة عن أحكام الغيبة، ص ٥٢.

إِنَّ فُلَانًا فَاسِقٌ وَغَيْبَتُهُ مَبَاحَةٌ، بَلْ رَبُّمَا يَقُولُ: إِنَّ غَيْبَتَهُ وَاجِبَةٌ. قَالَ الْمَرْحُومُ الشَّهِيدُ الثَّانِي فِي كِتَابِ كَشْفِ الرِّيْبَةِ، مَا يَلِي: «أَقْبِحَ أَنْوَاعَ الْغَيْبَةِ مَا تَصْدُرُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ يَظْهَرُونَ كَأَنَّهُمْ يَجْتَنِبُونَ الْغَيْبَةَ وَيَغْتَابُونَ عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ؛ فَهَمَّ قَدْ اقْتَرَفُوا الْغَيْبَةَ وَالرِّيَاءَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ»<sup>(١)</sup>.

وَلَكِنْ لِمَاذَا تُسْتَعْظَمُ الْغَيْبَةُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ؟ وَالْجَوَابُ هُوَ لِأَنَّ الْمَغْتَابَ يَسْتَبِيحُ إِيمَانَ الْمَجْتَمِعِ وَرُوحَهُ الْمَعْنَوِيَّةَ، وَيَغْرَسُ فِي الْقُلُوبِ أَحْقَادًا وَعَدَاوَاتٍ. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ تَعَرَّضَ لِحَقِّ اللَّهِ مِنْ جِهَةٍ، وَتَعَدَّى عَلَى حَقِّ النَّاسِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَبِهَذَا فَإِنَّ الْمَغْتَابَ يَنَالُ مِنْ كِرَامَةٍ وَحَيْثِيَّةِ إِنْسَانٍ آخَرَ.

الغيبه من الذنوب التي تستلزم طلب العفو ممن وقعت عليه الغيبه؛ لأن الغيبه ظلم له و لا بد من تلافي هذا الظلم بشكل أو آخر. روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ كِفَارَةَ الْغَيْبَةِ هِيَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنْ اغْتَابَتْهُ كُلَّمَا ذَكَرْتَهُ»<sup>(٢)</sup>.

## النفاق

النفاق هو أن يكون كلام الإنسان وسلوكه الظاهري خلاف ما يضره في باطنه. مثلاً يمدح أحداً بلسانه و يضره له العدا في قلبه، و يتملق له في وجهه، و يغتابه وراءه. و المنافق يعاني من الحيرة و ازدواج الشخصية. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ لَقِيَ الْمُسْلِمِينَ بَوَجْهِينَ وَ لِسَانِينَ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ»<sup>(٣)</sup>. قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «بئس العبد عبد يكون ذا وجهين و ذالسانين»<sup>(٤)</sup>. و من أبرز صفات أهل النفاق، الرياء، و التظاهر بالزهد، و الإيحاء بأنه على الحق، و تقديم النفس على الغير، و كثرة الكلام و قلة العمل، و النميمه و إثارة الفتنة، يظهر لك صفاء الود و يظهر العداوة في غيبتك، الانتهازية. و النفاق صفة شيطانية ذميمة. فإبليس جاء إلى آدم و حواء من باب النصيحة و أظهر لهما أنه

٢- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٥٧، الحديث ٤.

١- المصدر السابق، ص ٦٢.

٤- المصدر السابق، الحديث ٢.

٣- المصدر السابق، ص ٣٤٣، الحديث ١.

من الناصحين وخدعهما بنعومة اللسان: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾<sup>(١)</sup> بينما كان في الباطن يضرهما لهما العدا.

قال النبي محمد ﷺ في وصف المنافق: «إِنَّ الْمُنَافِقَ كَالْجَذَعِ الْأَعْوَجِ الَّذِي لَا يَسْتَقِيمُ لِصَاحِبِهِ فِي الْبِنَاءِ أَيْنَمَا يَضَعُهُ، فَيَضْطَرُّ صَاحِبَهُ فِي آخِرِ الْمَطَافِ إِلَى إِحْرَاقِهِ»<sup>(٢)</sup>. بينما الإنسان الذي غرس الإيمان في قلبه يجتنب النفاق؛ لأنَّ النفاق حالة مرضية تُخرج المرء من حالة الاتزان. والمنافق يعاني و يكابد بسبب نفاقه كما أنه يخرج المجتمع من حالة الصدق والشفافية.

### الكذب

من آفات اللسان، الكذب و قول ما يخالف الحقيقة. ولهذا فإنَّ من واجبات اللسان اجتناب الكذب. قال الإمام محمد الباقر في بيان خطورة و قبح الكذب: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ جَعَلَ لِلشَّرِّ أَقْفَالًا وَ جَعَلَ مَفَاتِيحَ تِلْكَ الْأَقْفَالِ الشَّرَابَ، وَ الْكُذْبَ شَرًّا مِنَ الشَّرَابِ»<sup>(٣)</sup>. وقال أيضاً في هذا المجال «إِنَّ الْكُذْبَ خَرَابُ الْإِيمَانِ»<sup>(٤)</sup>.

و لا فرق في الكذب بين صغيره و كبيره، و هذا ما بيّنه الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام حين دعا إلى اتقاء القليل والكثير من الكذب في الجدل و الهزل معللاً ذلك بأن من يكذب في صغار الأمور يجترىء في كبارها<sup>(٥)</sup>.

### السبّ

السبُّ و اللَّعْنُ من الأعمال المنهي عنها، و لا يجوز لأحد كيل السُّبَابِ و الشتائم للآخرين تحت أية ذريعة كانت. و هذا النهي في ما يخص المؤمنين أشد، حيث جاء في حديث شريف أنّ من يسبّ مؤمناً كمن يشرف على الهلاك<sup>(٦)</sup>. و نقل الإمام محمد الباقر عليه السلام عن

١- سورة الأعراف (٧)، الآية ٢١. ٢- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٩٦، الحديث ٥.  
٣- المصدر السابق، ص ٣٣٩، الحديث ٣. ٤- المصدر السابق، الحديث ٤.  
٥- المصدر السابق، ص ٣٣٨، الحديث ٢. ٦- المصدر السابق، ص ٣٥٩، الحديث ١.

النبي ﷺ حديثاً قال فيه: «سباب المؤمن فسوقٌ و قتاله كفرٌ و أكل لحمه معصيةٌ و حرمةٌ ماله كحرمة دمه». (١)

السُّبَابُ من دواعي إيجاد الحقد والعداء. و ممّا جاء في هذا المجال حديث رواه الإمام الباقر و فيه أنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ و طلب منه أن يوصيه بأمر فيه خير فقال له النبي: «لَا تَسُبُّوا النَّاسَ فَتَكْتَسِبُوا الْعَدَاوَةَ بَيْنَهُمْ». (٢)

### التكبر

التكبر حالة نفسية يشعر فيها الإنسان بالأفضلية على غيره. و على الصعيد الاجتماعي يؤدي التكبر إلى زعزعة التوازن الذي يحكم السلوك الاجتماعي. و أمّا من الناحية الأخلاقية فهو يبعث على إيجاد الضغينة والكرهية ضد المتكبر. و على الصعيد الذاتي فالتكبر يحجب المرء عن الرُّقي والتكامل، و لا بدّ من الإشارة إلى أنّ التكبر يأتي كثمرة للعجب، (٣) و ينجم عن الشعور بالنقص. قال الإمام الصادق عليه السلام مبيّناً هذا الشعور: «ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذّةٌ وجدها في نفسه» (٤) و قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ما يخص التكبر: «فَلَوْ رَحَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَحَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَ أَوْلِيَائِهِ وَ لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَهُ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ وَ رَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ وَ عَقَرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ وَ حَفَّضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ كَانُوا قَوْمًا مُسْتَضْعَفِينَ قَدْ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَحْمَصَةِ وَ ابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ». (٥) و جاء في القرآن الكريم في ذم الكبر: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾. (٦)

و دعا الإمام جعفر الصادق عليه السلام إلى اجتناب الكبر مبيّناً بأن هذه الصفة «رداء الله، و كل

١- المصدر السابق، ص ٣٦٠، الحديث ٢.

٢- المصدر السابق، الحديث ٣.

٣- الراغب الاصفهاني مفردات ألفاظ القرآن، ص ٦٩٧.

٤- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣١٢، الحديث ١٧.

٥- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، ص ٢٩٠.

٦- سورة النساء (٤)، الآية ٣٦.

من ينازع الله رداءه يرديه و يذّله يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. وقال النبي ﷺ «لا يدخل الجنة من كان في قلبه كبر ولو بمقدار حبة خردل»<sup>(٢)</sup> والإنسان يتكبر عادة حينما يكون غافلاً عن حقيقة حاله و عن بدايته و نهايته، و أنه لو التفت إلى أنّ أوله نطفة و آخره جيفة و هو عاجز عن جلب الرزق لنفسه أو دفع الحتف عنه، لما تكبر<sup>(٣)</sup>.

و كان أحد أسباب طرد إبليس من رحمة الله تكبره على آدم. و هناك في العالم الكثير من الشياطين<sup>(٤)</sup> و لكن الله ذكر أكثرهم تكبراً و غروراً. كما يوجد بين الناس كثير من العلماء الذين يسرون بأهوائهم و لا يعملون بعلمهم، و لكن ذكر منهم بلعم بن باعوراء و علماء اليهود الذين لا يطبقون ما لديهم من علم.

كان سبب معصية إبليس لأمر الله و عدم السجود لآدم هو تكبره<sup>(٥)</sup>. و قال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً في بيان مدى خطورة الكبر: إن الله قد أحبط ما كان قد فعله آدم من عمل طويل و جهد جهيد عن كبر ساعة واحدة. إذا فمّن الذي يكون في أمان من عذاب الله بعد إبليس فيما لو ارتكب معصية كمعصيته؟ «مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا»<sup>(٦)</sup> و خلاصة الكلام هي أنّ التكبر يدفع الإنسان إلى تجاهل الحقيقة و الامتناع عن العبادة<sup>(٧)</sup> و تكذيب آيات الله<sup>(٨)</sup> و مخالفة الأنبياء<sup>(٩)</sup> و مواجهة الحق بعناد و تعصّب<sup>(١٠)</sup>.

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٥٨ من أبواب جهاد النفس، ج ١٥، ص ٣٧٦، الحديث ٩.

٢- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٤١، الحديث ١.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٤، ص ٥٥٥.

٤- سورة الأنعام (٦)، الآية ١١٢.

٥- سورة البقرة (٢)، الآية ٣٤؛ سورة ص (٣٨)، الآية ٧٤.

٦- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

٧- سورة النساء (٤)، الآيتان ١٧٢-١٧٣.

٨- سورة الأعراف (٧)، الآيات ٣٦ و ٤٠.

٩- سورة الأعراف (٧)، الآيات ٧٥ و ٧٦ و ٨٨؛ سورة نوح (٧١)، الآية ٧.

١٠- سورة الأحقاف (٤٦)، الآية ١٠.

## الحَسَدُ

الحَسَدُ مرض نفسي ينبغي الاستعاذة بالله منه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ \* مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ \* ... وَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ. <sup>(١)</sup> قال بعض المفسرين: إنَّ الله تعالى قد جمع كل الشرور في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليُعلم أنه أَحْسُ الطَّبَائِعِ. <sup>(٢)</sup> والحسد نار تحرق العلاقات الإنسانية ويثير الفتنة بين الناس. والسبب الآخر الذي منع إبليس من السجود لآدم حسده لمقامه. وهذه الصفة الذميمة هي التي انتهت به إلى معصية أمر ربّه، فعجز عن إدراك أنّ الموجود الترابي يمكن أن يصل إلى مقام يكون لديه فيه علم بالأسماء و تسجد له الملائكة. كان الحسد هو السبب في إراقة دم أوّل إنسان بريء في عالم الخلق حين حسد قابيل أخاه هاويل وكان ذلك هو السبب في قتله. وقد أمر الله عزّ وجلّ النبيّ أن يتلو هذه القصة على الناس ليعرفوا مدى فضاغة الحسد التي يدفع الناس حتى إلى القتل: ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ \* إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ \* فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَاقْتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ. <sup>(٣)</sup> وقد شبه الإمام الصادق عليه السلام الحسد بالنار، وقال: إنَّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب. <sup>(٤)</sup> وقال الإمام علي عليه السلام في النهي عن الحسد: «دع الحسد والكذب والحق، فإنهن ثلاثة تشين الدّين و تهلك الرجل». <sup>(٥)</sup>

## الغضب

القوّة الغضبية من نعم الله الكبرى التي أودعها في الإنسان ليكون على استعداد للدفاع

- ١- سورة الفلق (١١٣)، الآيات ١ و ٢ و ٥ .  
 ٢- الطبرسي، مجمع البيان، ج ٥، ص ٥٦٩ .  
 ٣- سورة المائدة (٥)، الآيات ٢٧ - ٣٠ .  
 ٤- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٠٦، الحديث ٢ .  
 ٥- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ٥٥ جهاد النفس، ج ١٢، ص ٢٣، الحديث ١٧ .

عن دينه و ماله و عرضه. و هذه الخصلة تحفز الإنسان على الحركة، و تدفع عنه الكسل و التهاون، و لكنّ هذه الخصلة إذا لم تضبط في حدودها تؤدّي بالمرء إلى الانتقام و الحقد و التنازع. قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ الغضب شعلة يضرهما الشيطان في قلب الإنسان». (١)

يجب محاربة الغضب الذي يحصل من أجل منافع دنيوية و لأغراض ذاتية. و ينبغي طبعاً عدم الغضب على الضعفاء و البائسين؛ لأنّ مثل هذا الغضب يزيل الإيمان، و يفكك عرى الصداقة. روى الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حديثاً قال فيه: «الغضب يُفسد الإيمان كما يُفسدُ الخلُّ العسل». (٢) فالكثير من الجرائم و الجنایات مصدرها الغضب. و هذا هو السبب الذي جعل كظم الغيظ من الصفات النبيلة التي يتّصف بها المتقون: ﴿وَ سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. (٣)

و روي الصدوق عن شيخ من أهل اليمن عن عبدالرزاق يقول: جعلت جارية لعلي بن الحسين عليه السلام تسكب الماء عليه و هو يتوضّأ للصلاة، فسقط الابريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع علي بن الحسين عليه السلام رأسه إليها. فقالت الجارية: ان الله عزّوجلّ يقول: ﴿وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾، فقال لها: قد كظمت قالت: ﴿وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ قال لها: قد عفى الله عنك، قالت ﴿وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال: اذهبي فأنت حرة. (٤)

و روي عن الإمام الباقر قوله: «مكتوبٌ في التوراة... يا موسى! أمسك غضبك عمّن ملكتك عليه أكفُّ عنك غضبي». (٥)

و قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام سمعت أبي يقول: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قال له: أنا من أهل البادية فعلمني ما فيه جوامع الكلم. فقال له النبي: أوصيك أن لا تغضب، فأعاد الأعرابي المسألة ثلاث مرّات و النبي يقول له: لا تغضب. (٦) و قال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً:

١- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٠٤ و ٣٠٥، باب الغضب، الحديث ١٢.

٢- المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠٢، الحديث ١. ٣- سورة آل عمران (٣)، الآيتان ١٣٣ و ١٣٤.

٤- بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٦٨، الحديث ٣٦. ٥- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٠٣، الحديث ٧.

٦- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٥٩، الحديث ٧.

كان أبي يقول: أي شيء أشد من الغضب؟! فإن من يغضب يقتل النفس التي حرم الله و يرمي المحصنة بالزنا.<sup>(١)</sup>

و ذكر الغضب عند الإمام الباقر عليه السلام فقال: إذا غضب الرجل و هو قائم فليجلس، و إذا غضب على ذي رحم فليقترب منه و يلمسه فإنَّ الرحم إذا مسَّت سكنت.<sup>(٢)</sup> و من المفيد أثناء الغضب أن ينشغل الغاضب في شيء آخر ليحوّل فكره عما غضب من أجله و يغيّر من حالته إلى أن يسكن الغضب. قال الإمام علي عليه السلام: «و تَجَرَّعَ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً».<sup>(٣)</sup> و قال في موضع آخر: «وَاحْذِرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ».<sup>(٤)</sup>

## العصبية

العصبية: من العُصبة (ذو رحم من الأب) و هي بمعنى الدفاع والنصرة للأقارب. والعصبة جماعة متعاضدة يحمي بعضها بعضاً.<sup>(٥)</sup> والعصبية هي الدفاع عن شخص بسبب التماثل في اللون أو اللّغة، أو العرق، أو الفئّة الاجتماعية. و هذا يعني أنّ العصبية بعيدة عن أسس العدل والإنصاف، و أنّ مؤدّاها الظلم، بينما العلاقات الاجتماعية يجب أن تُبنى على الحق والعدل. و هذا يعني أنّ العصبية تتنافى مع مبادئ الإنسانية والتعاليم الدينية. و هذا يفرض على المسلم أن لا يبنّي سلوكه على العصبية.

يدعو القرآن الكريم إلى القيام بالقسط والشهادة بالحق ولو على النفس أو الوالدين أو الأقارب.<sup>(٦)</sup> والتعصّب يبعث على العمل بما يخالف العدالة. و ورد في هذا المعنى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال فيه: «من تعصّب أو تُعصّب له، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِيمَانِ مِنْ عُنُقِهِ».<sup>(٧)</sup>

١- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٠٣، الحديث ٤. ٢- المصدر السابق، ص ٣٠٢، الحديث ٢.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ص ٤٠٣.

٤- المصدر السابق، الكتاب ٦٩، ص ٤٥٩. ٥- الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٦٨.

٦- سورة النساء (٤)، الآية ١٣٥. ٧- المصدر السابق، ص ٣٠٧، الحديث ١.



## الحلم

الحلم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب. و قال البعض: إنه بمعنى العقل؛ لكونه من مسببات العقل. وسمي زمان البلوغ حُلماً لكون صاحبه جديراً بالحلم<sup>(١)</sup> والحليم من يتأني عند خطأ غيره ولا يتعجل في عقوبته. والحليم من صفات الله ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> و ذكرت هذه الصفة للنبي إبراهيم في موضعين في القرآن.<sup>(٣)</sup>

قال الإمام علي عليه السلام: إن أول عوض يتلقاه الحليم عن حلمه أن الناس يناصرونه على الجاهل.<sup>(٤)</sup> و قال أيضاً في موضع آخر: «الحلم فِدَامُ السَّفِيهِ»؛<sup>(٥)</sup> لأن الحليم بسلوكة النبيل يرغم الجاهل على الصمت في مقابله. و قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام في بيان صفات الشيعة: «خمش البطون و ذبل الشفاه و أهل ورع و علم و حلم».<sup>(٦)</sup> و قال أيضاً في بيانه لما ينبغي أن يتصف به من ينبغي الحج إلى بيت الله الحرام «كان أبي يقول: ما يُعبأ بمن يؤم هذا البيت إذا لم يكن فيه ثلاث خصال: خلق يخالف به من صحبه و حلم يملك به غضبه و ورع يحجزه عن محارم الله عز وجل».<sup>(٧)</sup> و روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يكمل المؤمن في إيمانه إلا أن تكون فيه ثلاث خصال: حلم يردعه عن الجهل،...».<sup>(٨)</sup>

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن لم تكن حليماً فعليك بالتحلم؛ فإنه نادراً ما يتشبهه أحد بقوم إلا يوشك أن يكون منهم.<sup>(٩)</sup>

١- الراغب الاصفهاني، مفردات إلفاظ القرآن، ص ٢٥٣.

٢- سورة الحج (٢٢)، الآية ٥٩.

٣- راجع: سورة التوبة (٩)، الآية ١١٤؛ وسورة هود (١١)، الآية ٧٥.

٤- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٢٠٦.

٥- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٢١١، ص ٥٠٦.

٦- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٣٣، الحديث ١٠.

٧- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٧٣، باب ما يجب على المسافر في الطريق، الحديث ٢٤٢٤؛

الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٢٨٥، الحديث ١؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٥، ص ٤٤٥، الحديث ١٩٥.

٨- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ٢٦ من أبواب جهاد النفس، ج ١١، ص ٢٨٨، الحديث ٦.

٩- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٢٠٧، ص ٥٠٦.

## العفة

العفة: حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة،<sup>(١)</sup> وهي تعني اجتناب التحلل والتهتك. والعفة تدعو المرء إلى ترك الصفات البذيئة وكل ما هو قبيح من القول والفعل والتغلب عليها. والعفة والحياء مصدران لمحاسن الصفات، وراعاة عن كل ما هو مستقبح. ومن أبرز مصاديق العفة ضبط الشهوة الجنسية وعدم السماح لها بالامتداد إلى خارج ما رسمته لها الشريعة. إذ لا يفلح من ترك عنان شهوته. وبيّن القرآن الكريم أنّ أبرز صفات المؤمنين العفة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ... وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ...﴾<sup>(٢)</sup> وأجدر من ينبغي له أن يتّصف بهذه الصفة، العزّاب الذين لا يتيسر لهم الزواج، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٣)</sup>

و أبرز أبطال العفة والطهارة الذين ذكرهم القرآن هو النبي يوسف عليه السلام الذي اجتمعت فيه السيرة الملكوتية والسيرة الملائكية، وكان يتّصف بجمال ظاهري وباطني. فهو كان في الظاهر غلاماً من غلمان البلاط، ولكنّه كان في واقع الحال أكثر تحراً من أيّ حرّ. وقد أُلقي في السجن الذي اختاره بنفسه مرجحاً إياه على حرية مصحوبة بالائتم الذي دعت إليه زوجة عزيز مصر و نساء البلاط. وكان ردّه على ما دعت إليه زوجة عزيز مصر أن قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾<sup>(٤)</sup>

و من مظاهر العفة اجتناب النظر الحرام، وعدم النظر إلى الأجنبية بريبة و شهوة؛ لأنّ النظر بشهوة - كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم - سهم من سهام إبليس.<sup>(٥)</sup> وقال عليه السلام: «وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة».<sup>(٦)</sup>

١- الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٧٣، مادة «عف».

٢- سورة المؤمنون (٢٣)، الآيات ١-٣؛ سورة المعارج (٧٠) الآيتان ٢٩-٣٠.

٣- سورة النور (٢٤)، الآية ٣٣. ٤- سورة يوسف (١٢)، الآية ٢٣.

٥- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، باب ما جاء في النظر إلى النساء، ج ٤، ص ١٨، الحديث ٤٩٦٩.

٦- الكافي، ج ٥، ص ٥٥٩، الحديث ١٢.

ومن صفات المسلم العفة والطهارة؛ عفة النظر، وطهارة الذيل، والعفة في مراعاة شروط الزينة وطرُوفها. وفي الوسط الاجتماعي الذي تهتك فيه حجب العفة، لا بد من أن تُخترق أسوار حياء أفراد المجتمع. ولا شك في أن معالم المجتمع الإسلامي في علاقاته الاجتماعية، وخاصة العلاقة بين الرجل والمرأة، ينم عن وقار وحياء ورزانة وعفة وتحرز من أي قول أو فعل مثير للشهوة. ولا بد من أن يكون الكلام واللباس والسلوك الاجتماعي معبراً عن عفة وحياء باطني.

جاء في القرآن الكريم خطاب لأزواج الرسول ﷺ يحثهن على التقوى وعدم الخضوع في القول: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾<sup>(١)</sup> ناهياً إياهن من التبرج ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾<sup>(٢)</sup>. كما يسرد القرآن أيضاً قصة بنت شعيب التي أرسلها أبوها لدعوة النبي موسى للقُدوم إليه، مبيّناً ذلك بقوله: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهناك مجالات أخرى ينبغي التزام العفة فيها، وهي المجالات المالية والعلاقات الاقتصادية؛ ومنها أن لا يجاهر المعوز بعوزه، بل عليه أن يتعفف ويحافظ على عزة نفسه، ولا يبدي حاجته أمام كل أحد. جاء في القرآن الكريم: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا﴾<sup>(٤)</sup>.

## الإحسان

التعاون في الحياة الاجتماعية من الضروريات. وتقديم العون للآخرين هو ما يُسمى بالإحسان. وهذه الكلمة مشتقة من «الحسن» بمعنى العمل الجميل والصالح. وكل عمل جميل سواء جاء على شكل تقديم الخير والمعونة المالية أو القيام بأعمال خيرية أخرى يُسمى إحساناً. والإحسان يمثل ذروة التكافل الاجتماعي لمعالجة المشاكل المالية أو الإنسانية للمجتمع. والإسلام لا يحبذ للمسلم التقوقع على ذاته والاهتمام بأموره الذاتية

٢- سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٣٣.

٤- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٧٢.

١- سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٣٢.

٣- سورة القصص (٢٨)، الآية ٢٥.

فحسب، مع عدم الاهتمام بما يجري حوله، أو يتجاهل ما يدور في بيئته الاجتماعية و لا يبدي أي رد فعل إزاء ذلك.

غالباً ما تحمل الارشادات الاجتماعية جانباً اجتماعياً. وهي تحمل بين ثناياها دلالات على أنّ الإسلام قد فرّض على المسلم المبادرة إلى أعمال الخير والمشاركة في إصلاح شؤون المجتمع. فما حثّ عليه الإسلام من إحسان، وبرٍّ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ورحمة، ورأفة، و تعاون على الخير، و مساعدة المحرومين والفقراء والمحتاجين، وإنفاق، و صدقة، يُصب كُله في مسار تأمين الحاجات الاجتماعية للناس. ومؤداه بالنتيجة تحسين وضع المجتمع. و على العموم فالإحسان من المبادئ الأساسية في التعاليم الدينية والتربوية، و قد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾. (١) ومعنى هذا ليس أنّ الفرد إذا عمل صالحاً لا تعود فائدته على الآخرين فقط، بل إنّ فائدة عمله الصالح تعود عليه، هذا فضلاً عما يجنيه من أجرٍ معنوي. وإضافة إلى ما ذكر فإنّ محبة المحسن تنغرس في القلوب، علاوة على أنه لا يلقي حسداً أو حقداً و عداً من أحد. وإذا واجهته مشكلة لا يجد نفسه وحيداً إزاءها. و لا يبدّ من الإشارة طبعاً إلى أنّ الإحسان يجب أن يكون لوجه الله و لنيل رضاه، و أن يكون أيضاً بعيداً عن الإسراف والتبذير.

### التراحم والمودة

من أبرز صفات الله صفة الرحمن والرحيم. قال تعالى في القرآن: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (٢) و هو يحب أن تكون هذه الصفة في عباده. قال نبينا محمد ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ رَحِيمٌ وَ يُحِبُّ كُلَّ رَحِيمٍ». (٣) و وصف الله تبارك و تعالى في القرآن الكريم النبيّ بالرحمة، قائلاً: ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، (٤) و وصفه في موضع آخر بأنه

١- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٧. ٢- سورة الأنعام (٦)، الآية ٥٤.

٣- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٩٤، الحديث ١٦.

٤- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ١٠٧.

حريص على المؤمنين و بهم رؤوف رحيم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾. (١) إنَّ الأسلوب الذي مارسه رسول الله ﷺ في التعامل برأفة ورحمة مع أناس كانت الغلظة والقسوة جزءاً من طبيعتهم، أدى إلى أن يصنع منهم أناساً مؤمنين و يتصفون بالرأفة والرحمة. فالرحمة والمودة التي غمرهم بها النبي، كانت باعثاً على ازدهار مكارم الأخلاق والفضائل الإنسانية فيهم.

مما أوصى الله به المؤمنين أن يتبعوا أسلوب الرأفة والرحمة في التعامل مع عباده. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من لا يرحم لا يرحم». (٢)

وقال الإمام الصادق عليه السلام في هذا المجال: «تواصّلوا و تبارّوا و تراحموا و كونوا إخوة برة كما أمركم الله». (٣) وقال رسول الله ﷺ: «وقروا كباركم و ارحموا صغاركم». (٤) وهذا طبعاً يستدعي مزيداً من الاهتمام خاصة بشؤون غير القادرين على العيش الكريم فهؤلاء ينبغي أن يحصلوا على مزيد من الرعاية والاهتمام.

## المداراة

المداراة تعني السلوك الذي يتسم بالرأفة واللين مع الآخرين. وهذه الصفة من الأمور ذات الأهمية البالغة في العلاقات الاجتماعية؛ أي كيف ينبغي التحدث مع الآخرين والتعامل معهم بحيث تكون أجواء الحياة هادئة و بعيدة عن التناحر والجدال. إن أساس التعاليم الأخلاقية في الأديان السماوية مبني على الرأفة والمودة وحب الخير للآخرين. نذكر على سبيل المثال أن فرعون ادّعى الألوهية و كان ظالماً و مستبداً و سفاحاً إلى أبعد الحدود، و لكن الله بعث إليه موسى و هارون عليهما السلام عسى أن تؤثر فيه الدعوة

١- سورة التوبة (٩)، الآية ١٢٨.

٢- الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٩ من أبواب المواقيت، ج ٤، ص ١٩٧، الحديث ١٦.

٣- المصدر السابق، الباب ١٢٤ من أحكام العشرة، ج ١٢، ص ٢١٦، الحديث ٣.

٤- المصدر السابق، الباب ١٨ من أحكام شهر رمضان، ج ٧، ص ٢٢٧، الحديث ٢٠.

المعنوية: ﴿... فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾. (١) ومما ورد في هذا المعنى أن رسول الله ﷺ قال: «أَعْقَلُ النَّاسِ أَشَدُّهُمْ مُدَارَاةً لِلنَّاسِ». (٢)

و روي عنه أيضاً أنه قال: «مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ». (٣) والصدقة لا تقتصر على العون المالي فحسب، بل حسن الأخلاق، والبشاشة، و مداراة الناس هي أيضاً نوع من الصدقة. فلو قدّمت مالاً لفقير ولكن بأسلوب يتسم بالغلظة والأذى، لما كانت لهذا العمل قيمة. جاء في القرآن الكريم: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾. (٤) و يأمر الله نبيه بما يلي: ﴿وَأِمَّا تَغْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾. (٥)

نقل أحد أصحاب الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه سمعه يقول: إن المؤمن لا يكون مؤمناً إلا إذا كانت فيه ثلاث خصال: وإحدى هذه الخصال أن تكون لديه سنة من نبيه وهي مداراة الناس امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾. (٦)

روى الإمام الصادق (عليه السلام) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مُدَارَاةُ النَّاسِ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَالرِّفْقُ بِهِمْ نِصْفُ الْعَيْشِ» (٧) فالشخص إذا كان حاد المزاج وسيء الأخلاق فإنه يجعل الحياة مرة بالنسبة إلى نفسه وإلى غيره. والإنسان الغشوم المجرد من العواطف لا يغرس في الأنفس سوى العنف والقسوة ولا يحصد طبعاً غير الحقد والعداء. يقول الإمام علي بن أبي طالب: «مَنْ لَانَ عُوْدُهُ كَثُفَتْ أَعْصَانُهُ». (٨) بمعنى أن صاحب الأخلاق الدمثة لديه قدرة على اجتذاب كثير من الأصدقاء، ولا يبقى وحيداً أبداً في منعطفات الحياة، على خلاف سيء الطباع الذي لا يرغب أحد في الاقتراب منه. يروي في هذا المضمون أن آخر وصايا

١- سورة طه (٢٠)، الآية ٤٤.

٢- الصدوق، معاني الاخبار، باب معنى الغايات، ص ١٩٦، الحديث ١؛ من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٢٨٢، الحديث ٨٣٦.

٣- نهج الفصاحة، ص ٥٦٦، الحديث ٢٧٣٦.

٤- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٦٤.

٥- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٢٨.

٦- سورة الأعراف (٧)، الآية ١٩٩. والكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٤١، الحديث ٣٩.

٧- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١١٧، الحديث ٥؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٢١ من أحكام العشرة، ج ١٢، ص ٢٠١، الحديث ٥.

٨- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٢١٤، ص ٥٠٧.

الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام أن الرفق بعباد الله أحبُّ الأمور إلى الله؛ لأنه ما من أحد يرفق بآخر في الدنيا إلا يرفق الله به يوم القيامة. (١)

والمؤمن ينبغي أن يتعامل مع الناس بوجه بشوش وطلاقة محيا. فقد ورد في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أمر أن يلقي المؤمن أخاه بوجهٍ مُنْبَسِطٍ. (٢)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ابدل لأخيك دمك و مالك، و لعدوك عدلك و إنصافك، و للعامة بشرك و إحسانك». (٣)

## آداب المعاشرة

نجاح الإنسان في الحياة يعود قسم منه إلى المجتمع، و يتوقف على كيفية علاقته بسائر الناس. فمن المهم بالنسبة لنا أن نعرف كيف نتعامل مع الناس؟ وكيف نحترمهم و نكون على بينة من مسؤوليتنا إزاءهم؟ و أن لانعتبر أنفسنا بمعزلٍ عنهم. و انطلاقاً من هذه الرؤية فقد وردت في التعاليم الإسلامية وصايا تعتبر من مكملات الأخلاق، و فيها عون للإنسان في الحياة، و هذا ما يفرض عليه طبعاً العمل بها. نذكر من ذلك مثلاً أنه من المناسب أن يسلم المؤمن على من يلقاه. و هذا العمل بحد ذاته مستحب و لكن جوابه واجب (٤) و قال الإمام الصادق عليه السلام إن البخيل هو من يبخل بالسلام. (٥) و من محاسن الأخلاق الاجتماعية أيضاً البشر؛ إذ قال الإمام الصادق عليه السلام في بيان أهميته أن هناك ثلاثة أشياء من أتى بواحدة منهنَّ وجبت له الجنة و هي: الإنفاق من إقتار، و البشر لجميع الناس، و الإنصاف مع الناس (٦) كما وردت تأكيدات كثيرة تحت على المصافحة فقد قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: إن المؤمنين إذا التقيا و تصافحا أدخل الله يده بين أيديهما. (٧) و هذا يعني بأن حسن التعامل مع الناس

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٢٩٤، الحديث ٨.

٢- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٢، الباب ١٠٧ من أحكام العشرة، الحديث ٢.

٣- الحرّاني، تحف العقول، ص ٢١٢.

٤- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٦٤٤، الحديث ١.

٥- المصدر السابق، ص ٦٤٥، الحديث ٦.

٦- المصدر السابق، ص ١٠٣، الحديث ٢.

٧- المصدر السابق، ص ١٧٩، الحديث ٢.

يوجب رضا الله ويكون مدعاة للنجاح في الحياة.

ومن محاسن الأخلاق الاجتماعية أيضاً الصدق مع الناس واجتناب الكذب. ودعا الإمام الصادق عند بيانه لأهمية هذه الخصلة إلى عدم النظر إلى طول سجود الرجل وركوعه، لأنه ربّما اعتاد على هذه الممارسة ويستشعر الوحشة إذا تركها، ولكن انظروا إلى صدقه في الحديث و أدائه للأمانة. (١)

ينبغي طبعاً التعامل مع الآخرين بإنصاف؛ وأن نحبّ للآخرين ما نحبّ لأنفسنا. روي عن النبي ﷺ أنه قال: «سيد الأعمال إنصاف الناس من نفسك، ومواساة الآخر في الله، وذكر الله عزّ وجلّ على كل حال». (٢) وفي الوقت الذي يمدّ فيه الإنسان يد العون للآخرين عليه أن يستغني عنهم ولا يمد يد الحاجة إليهم. وهذه الخصلة أشار إليها الإمام محمد الباقر عليه السلام حين بين أن اليأس مما في أيدي الناس عزّ للمؤمن في دينه. (٣) وفي الوقت ذاته ينبغي أن يهتم المؤمن بأمر المسلمين ولا يعتزلهم، امتثالاً لقول رسولنا ﷺ: من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم. (٤) ويُفترض طبعاً المبادرة إلى قضاء حاجات المؤمنين ومعالجة مشاكلهم، خاصة إذا كان هناك اختلاف بينهم؛ إذ ينبغي الإسراع إلى حلّه. كما يتعيّن أيضاً اجتناب الجدل والمنازعات الفارغة؛ لأنّ مثل هذه الممارسات تؤدي إلى مرض القلب و غرس النفاق في النفوس. (٥)

## أخلاق الأمراء والمسؤولين

إحدى الخصائص التي تتميز بها التعاليم الإسلامية في ما يخصّ أخلاق المسؤولين، فضلاً عن آليّة الرقابة الخارجية على أعمالهم، والتأكيد على حقّ الانتخاب والنقد، هي أنّ

١- المصدر السابق، ص ١٠٥، الحديث ١٢.

٢- المصدر السابق، ص ١٤٩، الحديث ٦.

٣- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٨ من أبواب فعل المعروف، ج ١٦، ص ٣٣٦، الحديث ٢.

٤- الكليني، الكافي، باب المرء والخصومة، ج ٢، ص ٣٠٠.



فيها وصايا و توجيهات أخلاقية للمسؤولين؛ لكي يكون لديهم وازع ذاتي و اندفاع نحو تهذيب الأخلاق و بناء الذات. إذ ينبغي على المسؤولين و أصحاب المناصب أن يضعوا نصب أعينهم على الدوام في سلوكهم أمرين:

**الأول:** ضبط ميولهم و أهوائهم النفسية، مع الحرص على أن لاتأتي أفعالهم من باب الانسياق وراء الأهواء النفسية. و إذا رأوا أن بعض الأعمال ينطلق من رغبات و نوازع نفسية، فعليهم اجتنابها. روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أَجَلُّ الأَمْرَاءِ مَنْ لَمْ يَكُنْ الهوى عَليهِ أَميراً»<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** نظراً إلى وجودهم في مواقع مؤثرة و حساسة، فعليهم اجتناب كل ما من شأنه هدر حقوق الناس. و عليهم أن لا يفعلوا -وإن كان بشكل غير مباشر- ما يترك تأثيراً سلبياً في سلوك الناس، مثل الإكثار من الكماليات، و إطلاق أيدي أفراد الأسرة والأقارب لاستغلال المقدرات العامة لأغراض شخصية و ما شابه ذلك.

و في ضوء ذلك و بما أن المسؤولين معرضون لاستغلال مواقعهم و مناصبهم، و يحتمل منهم أكثر مما يُحتمل من غيرهم من الناس، و قد يصدر منهم استعمال القوة ضدّهم و الإجحاف بحقّهم، لذلك يجب عليهم أن يراقبوا سلوكهم أكثر من غيرهم: «قلوبُ الرّعية خَزائنُ راعيها فما أودّعها من عدل أو جور وجدّه»<sup>(٢)</sup>.

و نظراً إلى حساسية موقع المسؤولين و تأثيرهم في الناس، و لما كانوا أقدر من غيرهم على استغلال مناصبهم، و هم معرضون للانحراف و الانزلاق أكثر من سائر الناس، فقد تضمّنت التعاليم الدينية -فضلاً عن الإرشادات العامة الواردة لكل الناس- وصايا خاصة بهم. و جاءت عن المعصومين عليهم السلام تعاليم و وصايا أخلاقية للمسؤولين، و هي تتناسب بطبيعة الحال مع الآفات التي غالباً ما تُبتلى بها هذه الشريحة. لقد قدّم الإمام علي عليه السلام في عهده إلى مالك الأشرر رضوان الله عليه و وصايا في تهذيب النفس، قبل أن يقدّم له وصايا في

١- الآمدي، غُرر الحِكَم، ص ٣٤٠، الحديث ٧٧٨٢.

٢- المصدر السابق، ص ٣٤٦، الحديث ٧٩٨٢.

شؤون الولاية والحكومة؛ وذلك لأنَّ المسؤول الحكومي يجب أن يكون مهذباً حتى يستطيع تهذيب الناس. فالكثير من الناس يقتدي بالمسؤولين. والحاكم طالما لم يصلح نفسه، لا يستطيع اصلاح الآخرين: «من نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ وَلِيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ وَمُعَلِّمٌ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

عزى أمير المؤمنين عليه السلام سقوط الدول إلى عدّة أسباب حين قال: «يستدلُّ على إِدْبَارِ الدَّوَلِ بأربعة: تضييعُ الأصول، والتمسُّكُ بالغرور، و تقديمُ الأراذل و تأخيرُ الأفاضل»<sup>(٢)</sup>.  
نتعرض في ما يلي مجموعة من الملاحظات المهمة التي ينبغي على المسؤولين الالتزام بها في سلوكهم و أخلاقهم:

### ١- الصفح

المسؤولون و أصحاب المناصب الحكومية يكون موقعهم في صدارة الأمور، ولهذا السبب فإنَّ الناس يعتقدون عليهم الكثير من الآمال، ولكن حين يشعر الناس أنَّهم لا ينجزون لهم أعمالهم، أو أنهم يهدرون حقوقهم، فمن المحتمل أن يغضبوا عليهم و حتى قد يشتموهم. و على المسؤولين والمتصدِّين لزام الأمور أن يصفحوا عمَّا يصدر من الناس من أخطاء تجاه الحُكَّام، و أن يسامحوهم عليها. فمن المساوية التي قد تلحق بالمسؤولين على الدوام هي التعدي والطغيان والتعامل مع الناس بقسوة.

قال الإمام علي عليه السلام: «أَقْبَحُ أَعْمَالِ الْمُقْتَدِرِ الانتقام»<sup>(٣)</sup>. و كأنَّ الإمام يريد أن يقول بكلمة أخرى: إنَّ الصفح عن خطأ المخطيء أمر محمود. و هو يقول لمن يظفر بالمسيء إليه: إن أولي الناس بالعفو أقدروهم على الانتقام ممَّن أساء إليه<sup>(٤)</sup>. و يقول أيضاً في موضع آخر:

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٧٣، ص ٤٨٠.

٢- الخوانساري، جمال الدين، شرح غُرر الحُكْم، ج ٦، ص ٤٥٠ و ٤٥١، الحديث ١٠٩٦٥.

٣- الآمدي، غُرر الحُكْم، ص ٣٤٦، الحديث ٧٩٥٢.

٤- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٥٢، ص ٤٧٨.

«العفو زِينُ الْقُدْرَةِ»<sup>(١)</sup> وهو يقول في عهده إلى مالك الاشران الناس «يَقْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ وَ تَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَ يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَ الْخَطَا». <sup>(٢)</sup> و يواصل الإمام كلامه هذا بالقول: «فَاعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَ صَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَ صَفْحِهِ». صحيح أنك حاكم على الناس و مسلط عليهم، و لكن فوقك الذي و لاك، و الله فوق الوالي الذي و لاك.

و جاء في مقطع آخر مما عهد به عليه السلام إلى مالك الاشر (رضوان الله عليه) إن ظلم الرعية حرب على الله. «و لا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ».

إن ظلم أي أحد من الناس و خاصة المسلم، بمثابة حرب على الله. و أنت لا طاقة لديك لدفع غضب الله و انتقامه، و بالنتيجة تصيبك المسكنة و الذلّة في مقابل غضب الله. و أنت لا يمكن أن تستغني أبداً عن رحمة الله. إذا طالما أنت بحاجة إلى عفو الله و رحمته و مغفرته، عليك أن تعامل الرعية الذين تحت يدك بالعفو و الرحمة. و عليك أن لاتندم على العفو، و لا يدخل عليك السرور لمعاقبة أحد.<sup>(٣)</sup>

أحد الأمور التي تؤكد عليها التعاليم الدينية هو العفو عن سلوك الجاهلين، و عمن لا يراعون حقّ الحكّام، و يتصرّفون معهم بأسلوب مهين. جاء في القرآن الكريم خطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ و هو: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»<sup>(٤)</sup> و جاء في موضع آخر: «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ»<sup>(٥)</sup>.

و جاء في حديث مروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «أما علمت أن إماراة بني أمية كانت بالسيف و العسف و الجور و إن إمارتنا بالرفق و التأنف و الوقار و التقية و حسن الخلطة و الورع و الاجتهاد، فرغبوا الناس في دينكم و فيما أتم فيه»<sup>(٦)</sup>.

١- الآمدي، غرر الحكم، ص ٣٤٢، الحديث ٧٨١٥.

٢- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص ٤٢٨.

٤- سورة الأعراف (٧)، الآية ١٩٩.

٥- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٥٩.

٦- الصدوق، الخصال، باب السبعة، ص ٣٥٤ و ٣٥٥، الحديث ٣٥.

أبرز موانع العفو والصفح هو الخشية من إصرار المخطيء على خطئه أو المجرم على جرمه، وهذا ما يؤدي عادة إلى ثني الحاكم عن العفو. وقد ورد في رواية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام إنه قال: «التَّادِمَةُ عَلَى الْعَفْوِ أَفْضَلُ وَ أَيْسَرُ مِنَ التَّدَامَةِ عَلَى الْعُقُوبَةِ»<sup>(١)</sup>.  
و من الأخلاق الحسنة الأخرى التي ينبغي أن يتحلَّى بها المسؤولون هي التغافل والتغاضي عن إساءات و مخالفات الأفراد لحقوق الحكومة. وكذلك التواضع للناس والابتعاد عن الكبر والغرور والاستبداد و ما شابه ذلك.

## ٢- تهذيب النفس

تهذيب النفس صفة ينبغي أن يسعى إليها كل الناس. و بما أن من يتبوأون مواقع حساسة يحظون عادة بإقبال جماهيري، أو تكون تحت تصرفهم مقدرات هائلة، معروضون أكثر من غيرهم لوساوس النفس والشيطان، فلا بد أن تكون المسؤولية الملقاة عليهم في تهذيب أنفسهم أكثر من المسؤولية الملقاة على غيرهم. الناس كلهم معروضون في كل لحظة للوقوع في منزلقات الأهواء. و كما ذكرنا أن الإمام علياً عليه السلام قال: «أَجَلُّ الْأُمْرَاءِ مَنْ لَمْ يَكُنْ الْهَوَىٰ عَلَيْهِ آمِيرًا»<sup>(٢)</sup>. فعلى من يتحملون مسؤوليات اجتماعية أن يسيروا بحذر و انتباه لكي لا يقعوا عند أداء واجباتهم الاجتماعية في منزلقات تجعلهم يقترفون خيانة أو خشونة بدلاً من خدمة الناس، فيكون ذلك مدعاة للخسران في الآخرة. قال الإمام علي عليه السلام لمالك الأشر: «و إِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبْهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ». واذكر أن سلطان الله فوق سلطانك. و أنت مخلوق الله و حياتك و موتك بيده. وانظر إلى عظمة ملك الله، و لاتنس أن الله قادر على ما عندك أكثر من قدرتك. و أنت إذا ذكرت عظمة الله اضمحلت في نفسك دواعي الغرور والكبر، وتبددت منك الحجة. فالكبر والغرور يستشري في النفس عند غياب العقل؛ إذ إن العاقل يعلم أنه لا شيء، و أنه مجرد

١- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٠٨، الحديث، ص ١٠٨، الحديث ٦.

٢- الآمدي، غرر الحكم، ص ٣٤٠، الحديث ٧٧٨٢.

مخلوق لله، والعقل لايرخي لصاحبه زمام الجموح، ولكن استذكار عظمة الله يعيد إلى ناظره ما غاب عن عقله.

ثم قال: «إيّاك و مُساماة الله في عَظَمَتِهِ»، و مثلما ترى الله كبيراً تستكبر و تحاول مضاهاة الله في عظمته، و عليك أن لا تكون كما قال فرعون ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾<sup>(١)</sup> و تتشبه بما لله من عظمة و جبروت. و إذا عرضت عندك هذه الحالة من الكبر فإنّ الله يذلّك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُذَلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهَيِّنُ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

أوصى الإمام علي عليه السلام مالك الأشر في عهده إليه أن يلجم نفسه عند الشهوات، و أن يخضعها لإرادته فيما إذا حاولت التمرد والعصيان؛ لأن النفس تأمر بالسوء والفحشاء. فهو عليه السلام يقول له: عليك أن تشحّ بنفسك عما لا يحل لك؛ لأن هذا النوع من الشحّ انصاف منها في ما أحببت أو كرهت.<sup>(٣)</sup> في بعض الأحيان قد تكره النفس شيئاً ممّا لا يتمشى مع مشتهاها، ولكن يكون فيه خير؛ فالإنسان يكره الحرب مثلاً و لا تترتاح نفسه للوقائع المؤلمة والمريرة، و لكن هذه الأمور قد تكون ضرورية لنضجه و كماله. قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

### ٣- مداراة الناس

الغاية الأساسية من وجود الحكومة هي نظم أمور الناس و إصلاح أمورهم. و الحكومة لم تُجعل من أجل السيادة على الناس و التسلط عليهم، بل للتخطيط لإدارة شؤونهم و توفير الأمن و المعاش لهم. و انطلاقاً من ذلك يجب على الحكومة أن تسعى لتلبية الحاجات المشروعة للناس و كسب رضاهم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً مالك الأشر: «وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَ أَعْمَهَا فِي الْعَدْلِ وَ أَجْمَعَهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ». و كلما كان الناس راضين عنك أكثر

١- سورة النازعات (٧٩)، الآية ٢٤.

٢- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص ٤٢٨.

٣- المصدر السابق.

٤- سورة البقرة (٢)، الآية ٢١٦.

كان ذلك أفضل: «فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ». (١)

الحكام يسعون عادة إلى ضمان مصالحهم و مصالح الجماعة المحيطة بهم. وفي هذه الحالة يثيرون سخط عامة الشعب. و أما إذا سعى الحاكم إلى كسب رضا عامة الشعب، فلا بد أن يؤدي ذلك إلى سخط المقرّبين والأصدقاء، ولكن أي هذين الخيارين أفضل؟ لاشك في أن من مصلحة الشعب والحاكم أن يكسب رضا الناس حتى وإن كان في ذلك إثارة لسخط المقرّبين. و تعليل ذلك هو أن الشعب إذا سخط و ثار على الحاكم فسيؤدي ذلك إلى ذهاب رضا المقرّبين، ولكن إذا رضي الشعب فلن يكون لسخط المقرّبين من ضرر.

في الظروف العادية يشكل المقرّبون من الحكام أثقل الناس عبئاً عليهم، وفي الظروف العصيبة يكونون أقل الناس نصرة لهم. فإذا كان ثقل الشؤون الاجتماعية والدينية يقع على عامة الناس، فلا بد أن ينصبّ الاهتمام والرعاية عليهم دائماً. و على الحاكم أن يرجّح رضا العامة على رضا المقرّبين إليه.

على الحكومة أن تُلبّي المطالب المشروعة لأبناء الشعب، و أن تُبدي محبتها لهم، فالمحبّة تستميل قلوب الآخرين. والإنسان يحرص عادة على أن يكون محبوباً و موضع اهتمام. و إذا رأى الإنسان محبّة من أيّ موجود كان فإنه يميل إليه. و هذا ما يفرض على الحكّام إبداء المحبّة لأبناء الشعب من أجل كسب تأييدهم ورضاهم.

كتب أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى مالك الأشر، ما يلي: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ». و مؤدّى هذا الكلام هو أن لا تكون محبّتك للناس في الظاهر فقط، أو تكتفي بمجرد الادّعاء بالدفاع عنهم و حماية مصالحهم، بل ينبغي أن تنطلق هذه المحبّة والاحترام من أعماق القلب؛ و ينبغي عدم المتاجرة باسم الشعب للمصلحة الخاصّة. و يجب أن تكون محبتك للشعب غير منفصلة عنك، و كأن تكون كالثياب الداخلية الملصقة بالبدن، و أن لا تكون هناك فاصلة بينك و بين الشعب.

ثم بيّن الإمام في سياق كلامه الأخلاق التي ينبغي أن يتحلّى بها المسؤولون و يقول: «ولا تكوننّ عليهم سبُعاً ضارياً تَعْتَمُّ أكلَهُمْ فإنَّهُم صنفان: إمّا أخ لك في الدين و إمّا نظير لك في الخلق». فأنت إنسان، والمواطن إنسان أيضاً، و ينبغي أن لا يكون سلوك الناس مع بعضهم كسلوك الحيوانات مع بعضها.

يتعيّن على المسؤولين الحكوميين عدم الاكتفاء بالتقارير للاطلاع على مشاكل الناس، بل عليهم تخصيص جزء من وقتهم للاطلاع على الأوضاع و على آراء الناس عن كُتب. و هذا يؤدي إلى الاطلاع على مشاكل الشعب و معاناته من جهة، و يؤدّي من جهة أُخرى إلى إعطاء أبناء الشعب شخصية و جعلهم يشعرون بأن الحكومة منهم، و هذا ما يدفع أبناء الشعب بطبيعة الحال إلى مؤازرة الدولة على سدّ النواقص.

كتب أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى مالك الاشر يحثّه على أن يخصّص جزءاً من وقته لمقابلة من لديه حاجة من الناس، و دعاه أيضاً إلى أن يجلس هو شخصياً للاستماع إليهم و أن يتواضع لله و يُبعد عنهم جنده و حرسه لكي تكون لهؤلاء الناس حرّية في الكلام. و يشترط أيضاً أن يكون هذا المجلس خالياً من مظاهر الأبهة بحيث لا يتجرأ أحد من الناس على الكلام.<sup>(١)</sup>

و كان أمير المؤمنين عليه السلام قد ألقى في صفين خطبة قال فيها: إنّ الله جعل لي حقاً عليكم بما توليت من أمركم و جعل لكم حقاً علي. والذي يسترعي الانتباه في هذا الكلام هو التأكيد على الحقوق المتبادلة بين الحاكم و الشعب. و قال في سياق كلامه أيضاً: «فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ وَ لَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ...».

#### ٤- رفض التملّق و اجتناب سيرة الجبابة

و من التعاليم الأخلاقية الأخرى التي ينبغي أن يتّصف بها المسؤولون هي الحيلولة دون شيوع ثقافة التملّق في المستويات العليا لإدارة البلاد. و هذا ما يفهم بكل جلاء من خلال سيرة النبي صلى الله عليه وآله و الإمام علي عليه السلام في مدّة حكومته القصيرة.

١- المصدر السابق، الكتاب ٥٣، ص ٤٣٩.

حينما أكثر أحد أصحابه من مدحه والثناء عليه، مبدياً استعداده للطاعة، تحدّث عليه السلام ضمن كلام له قال فيه: «فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تَكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يَتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ». أي يجب أن لا يكون سلوككم معي مصطنعاً، و لا تظنوا أنني استثقل سماع كلمة الحق، و لا يريد أن تعظموني و تتحفظوا مني؛ لأن كل من يتقل عليه سماع الحق و دعوة العدالة، لا بدّ و أن تطيب الحق و إجراء العدالة سيكون عليه أثقل و أشد، و على هذا فعليكم أن لا تتورعوا عن قول الحق و الدعوة إلى العدل، فأنا لست أكبر من أن أخطيء، و لا أنا في عملي مصون من الخطأ، إلا أن يكفيني الله نفسي، فهو أقدر عليها مني.<sup>(١)</sup>

يضع الحكام عادة حاجزاً من التشريفات بينهم و بين أبناء الشعب. و بهذا يجعلون لأنفسهم مكانة متميزة عن سائر الشرائح الاجتماعية، و يعتبرون أنفسهم أعلى منزلة من الشعب، و ليس الشعب إلا تحت أيديهم و عبيداً لهم، و يرى البعض أن واجب أبناء الشعب هو خدمة الحكام و التضحية من أجلهم. و هذه الممارسات تؤدّي بالتدرّج إلى غرس آثار سلبية في الحكام و تجعلهم يعتقدون أنهم ظلّ الله في الأرض. و الإسلام طبعاً يعارض هذا المنهج الذي يجعل للطبقة الحاكمة امتيازات، و يضعها بمعزل عن الشعب، و يجعلها فوق المساءلة. إنَّ مقام: «لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ»<sup>(٢)</sup> خاص بالله وحده. فالإسلام قد أزال الحدود و الفواصل المصطنعة بين الناس، و علّمنا أن الحُكم ليس بالإكثار من الأبهة و مظاهر السلطة المترفة. و الحُكم ليس بالاستيلاء على الأموال العامة بشكل أو آخر، و لا هو السلب و النهب لصالح الحاكم و بطانته. و إنّما تقع على الحاكم واجبات يجب أن يؤدّيها بصفته أميناً للأمة. عندما كان أمير المؤمنين عليه السلام متوجّهاً إلى محاربة معاوية في صفين، مرّاً بمدينة الأنبار، فاستقبله دهاقنتها و أهاليها و ترجّلوا و أسرعوا بين يديه. فقال لهم: ما هذا الذي تفعلونه؟ قالوا خلق منا نعظّم به أمراءنا. فقال لهم:

والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم و إنكم لتشقون به على أنفسكم في دنياكم و تشقون به في

١- المصدر السابق، الخطبة ٢١٦، ص ٢٤٨ إلى ٣٣٣.

٢- إشارة إلى الآية الشريفة: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ سورة الأنبياء (٢١)، الآية ٢٣.



آخرتكم؛ وما أخسر المشقة وراءها العقاب، وأربح الدعة وراءها الأمان من النار.<sup>(١)</sup> وكتب عليه السلام في كتاب إلى أحد ولاته: «فَأَخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ وَأَبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ».<sup>(٢)</sup> نحن نعلم أن ما يفعله الحاكم له تأثير مباشر على المقرّبين منه، وعلى الشرائع الاجتماعية الأخرى. فإذا كان الحاكم مسرفاً و مبدراً، فلا بد أن الآخرين يسيرون بهذه السيرة أيضاً.

إنَّ وَهْمَ العظمة ينبغي أن لا يدفع الحاكم إلى التعامل مع الناس بوجه مكفهرّ و بأسلوب الزجر. ورد في كتب التاريخ أن عبدالله بن عباس لمّا أصبح والياً على البصرة أخذ يتعقب من ناصروا طلحة والزبير في معركة الجمل، و يضيق عليهم، فبعث إليه أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً جاء فيه: أربع بما جرى على لسانك من خير أو شرّ.<sup>(٣)</sup> من الواضح أن لكل من المداراة والخشونة موضعه المناسب. و ليس هناك تأكيد على واحد منهما بشكل مطلق. والمهم هو تطبيق كل واحد منهما في موضعه.

وصرح عليه السلام في موضع آخر: حين يعتبر اللين ضعفاً يجب استبداله بالشدّة. أي ينبغي التصرف بلين مع الناس، ولكن إذا استغلّ اللين، لأبد من انتهاج أسلوب آخر. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً»<sup>(٤)</sup> و حتى عندما ضربه أشقى الأشيقاء، أوصى ابنه و هو على فراش الموت: «إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي وَإِنْ أَفَنَ فَالْفَنَاءُ مِيْعَادِي وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَ هُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ فَاعْفُوا أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ».<sup>(٥)</sup>

و بعد فتح مكّة سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أصحابه إلى حنين، و غنموا في تلك المعركة غنائم كثيرة من المشركين، فأعطى النبيّ قسماً كبيراً منها لأشراف قريش - كأبي سفيان و أمثاله - ممّن شاركوا في تلك المعركة تليفاً لقلوبهم ورداً للفتنة.<sup>(٦)</sup>

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٣٧، ص ٤٧٥.

٢- المصدر السابق، الكتاب ٤٦، ص ٤٢٠ و ٤٢١.

٣- المصدر السابق، الكتاب ١٨، ص ٣٧٥.

٤- المصدر السابق، الكتاب ٣١، ص ٤٠٢.

٥- المصدر السابق، الكتاب ٢٣، ص ٣٧٨.

٦- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٣٩.

## ٥- كتمان السرّ

على الحكومة أن تكتف ما تعرفه وتطلع عليه من أسرار الناس. فلا يحق للحاكم انتهاك حرّات الناس والإساءة إلى كرامتهم و مكائهم الاجتماعيّة من خلال الكشف عمّا في يده من وثائق و مستمسكات بشأنهم. بل و ينبغي أن يتعامل بشدّة و صرامة مع المأمورين الذين يسعون للتتقيب عن معايب الناس لجمعها كمستمسكاتٍ ضدّهم، و أن لا يسمح لأحد بالكشف عن أسرار الناس بذرائع مختلفة و اتّخاذها مستمسكاتٍ توجّه كحراب ضدّهم.

كتب أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى مالك: «وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَ أَشَدُّهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ». <sup>(١)</sup> لأنّ مثل هذا الشخص يتجاهل محاسن الناس، و يتشبّه بنواقصهم و عيوبهم، و يسعى إلى تقبيح المجتمع بنظر الحاكم. و من الطبيعي إنّ الناس غير معصومين و فيهم الكثير من المعايب، و الحكام أولى من غيرهم بسترها. فالحاكم كالوالد بالنسبة إلى أبناء الشعب، و عليه أن يحرص على كتمان أسرارهم.

## ٦- اجتناب الغضب

من الطبيعي إنّ كلّ الناس ملزمون بكظم ما لا يكون في موقعه من الغضب. و لاشكّ في أنّ المسؤولين و أصحاب السلطة و النفوذ أولى من غيرهم بالعمل بهذه الوصية؛ لأنّ الغضب ينتابهم أكثر من غيرهم، و لأنّهم أكثر قدرة من غيرهم على ممارسة هذا الغضب، و ذلك لشعورهم بالقدرة على تنفيذ ما يشاؤون بكلّ سهولة. و عندما تكون لدى الإنسان إلى جانب هذه الغريزة قوّة و سلطة، فإنّ نار الغضب تشتعل فيه أكثر من غيره. فصاحب السلطة متعطّش إلى ممارسة سلطته، و يميل إلى الانتقام من معارضيّه. و قد جاء في الأحاديث و صايا تحت أصحاب السلطة و الحُكّام على الاتّصاف بالتحمل و سعة الصدر <sup>(٢)</sup> و أوصى

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٥٣. ٢- الآمدي، غرر الحُكْم، ص ٣٤٢، الحديث ٧٨٢٥.

أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس حينما عيَّنه والياً على البصرة، بعدم الغضب، قائلاً: «إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ».<sup>(١)</sup>

و جاء في عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الاشتهر ما مضمونه: إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فِي مَا يُمْكِن اجْتِنَابَهُ مِنَ الْغَضَبِ، وَعَلَيْكَ بِكَظْمِ غَيْظِكَ. فالغضب والحدة قد يأتيان بسبب شعورك بأنك حاكم ولك اليد الطولى و يجب أن تُطاع، و تريد أن تُمارس سلطتك وإمرتك على الرعية، و من لا يُطيع يُعاقب باعتباره متمرداً على الأوامر الحكومية، و لكن يجب أن لا تكون لأنك بهذه الطريقة تُفسد قلبك، و يزداد تعاليك و كبرك على الناس، مما يؤدي بالنتيجة إلى ضعف إيمانك. والحكومة التي تتعامل مع شعبها بقسوة و شدة، و تسجن و تعذب لأتفه الأسباب، لن يُكتب لها الدوام، بل يطالها التغيير والتبدل.

## ٧- اجتناب الكبر

الرزيلة الأخرى التي قد يتَّصف بها أصحاب المقام والسلطة هي التكبر والتباهي. فالإنسان مجبول - إذا لم يهدَّب نفسه - على الشعور بالكبر بمجرد أن ينال أدنى قدر من القوة والإمكانات. يقول القرآن: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ \* أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾.<sup>(٢)</sup> و جاء في مضمون حديث شريف: إنَّ أحوال الإنسان تتغير في ثلاثة مواقف، أي إنَّ معظم الناس يتغيرون في هذه الظروف: الأول إذا أوكلت إليه مسؤولية، والثاني عند الاقتراب من صاحب مسؤولية و منصب، والثالث عندما يتحسن وضعه المالي. و من لم تغيِّره هذه الحالات الثلاث فهو يتَّصف برجاحة العقل، وثبات الأخلاق.<sup>(٣)</sup> إنَّ عواقب الكبر والغرور وخيمة بالنسبة إلى جميع الناس، و هو على الحُكَّام والمسؤولين أشدَّ و أخطر. وإذا كان الحاكم لا يؤمن بالآخرة و لا يسعى لها، و لا يبالي فليس من مصلحة حُكمه

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٧٦، ص ٤٦٥.

٢- سورة العلق (٩٦) الآيتان ٦-٧.

٣- الخوانساري، جمال الدين، شرح عُزْرِ الحُكْم، ج ٢، ص ٥٤٦، الحديث ٢١٣٣.

الديبوي أيضاً أن يتعامل مع الناس بغرور، و يتصور أنهم كائنات جاهلة، وأنه هو عبقرى العالم كله. و من الطبيعي ان مثل هذه الحكومة لا تعبر أي اعتبار لشعبها، و ترى نفسها الفارس الوحيد الذي يصول و يجول في الميدان، و تُقدم على كل ما ترتبه من غير مبالاة، و هكذا فإنها تضع نفسها عرضة للمخاطر.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «آفةُ الرِّياسَةِ، الفُخْرُ»<sup>(١)</sup> و قال أيضاً: إن لكل شيء زكاة و زكاة السلطان الإنصاف.<sup>(٢)</sup> و على أية حال يتعين على المسؤول أن يدرك بأن السلطة مثلما جاءت إليه يوماً ستذهب عنه يوماً. قال الإمام علي عليه السلام في هذا المجال: «الدولةُ كما تُقبِلُ تُدبِرُ».<sup>(٣)</sup> و على كل مسؤول أن يرضى حاله قبل أن يرضى الوقوف إلى جانب الآخرين: «حقّ على الملك أن يسوس نفسه قبل جُنْدِهِ».<sup>(٤)</sup>

## ٨- سعة الصدر

سعة الصدر معناها أن تكون لدى المرء مقدرة عالية على التحمّل. و سعة الصدر أداة يسوس بها الحكّام الرعية. و لا يمكن تحمّل المسؤوليات الاجتماعية من غير سعة صدر؛ و ذلك لأن مشاكل أفراد المجتمع، و هي مشاكل لا عدّها و لا حصر، تتوجه عادة إلى الحكام والمسؤولين. و إذا كانت قدرة الحاكم على التحمّل قليلة فسوف يعجز عند الشدائد عن اتّخاذ القرارات اللازمة، و تخونه الشجاعة و تقعده عن إجراء ما عزم على إجرائه. و على المسؤولين والمتصدّين لزام الأمور أن يوطّنوا أنفسهم على الدوام لمجابهة المشاكل والشدائد. و أن يشمروا عن السواعد لخدمة الناس انطلاقاً من الثقة بالنفس والاستعانة بالله. و من مستلزمات هذه الأخلاق طبعاً استقبال النقد، بل و تحمّل حتى الكلمات الفظة من الناس.

١- الآمدي، غرر الحكم، ص ٣٤٦، الحديث ٧٩٥٧.

٢- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، ج ٧، ص ٤٦.

٣- الخوانساري، جمال الدين، شرح غرر الحكم، ج ١، ص ٣٢١، الحديث ١٢٢٦.

٤- الآمدي، غرر الحكم، ص ٣٤٠، الحديث ٧٧٨٦.

و انطلاقاً من هذه الرؤية نلاحظ أمير المؤمنين يقول: «آلة الرياسة سعة الصدر»<sup>(١)</sup>. كما أن حرص النبي موسى عليه السلام على حسن أداء رسالته جعله يدعو ربه أن يمنّ عليه بسعة الصدر فقال: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي»<sup>(٢)</sup>.

## ٩- المداراة

من الخصال الأساسية الأخرى التي يجب أن تتوفر في من يتولّى زمام الحكم هي روح المداراة واللين، و دماثة الخلق واجتناب المشاحنات مع الناس. جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ هناك ثلاثة أمور من لا تكون فيه لا يكمل عمله، وهي أن تكون له تقوى تحجزه عن المحارم، و خلق حسن يداري به الناس، و حلم يدرأ به جهل الجاهلين»<sup>(٣)</sup>.

و جاء في قول آخر: «مُدَارَاةُ النَّاسِ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَالرَّفْقُ بِهِمْ نِصْفُ الْعَيْشِ»<sup>(٤)</sup>. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: «وَأَعْلَمُ أَنَّ رَأْسَ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، مُدَارَاةُ النَّاسِ»<sup>(٥)</sup>. و جاء في رواية صحيحة عن الإمام الصادق عليه السلام أن رسول الله قال: «أَمَرَنِي رَبِّي بِمُدَارَاةِ النَّاسِ كَمَا أَمَرَنِي بِإِدَائِ الْقُرَائِضِ»<sup>(٦)</sup>. و روي عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ بِمُدَارَاةِ النَّاسِ مِثْلَمَا أَمَرْتُ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ»<sup>(٧)</sup> و أوصى الإمام عليّ الحُكَّام بالرفق بقوله: «رَأْسُ السِّيَاسَةِ اسْتِعْمَالُ الرِّفْقِ»<sup>(٨)</sup>.

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ١٧٦، ص ٥٠١.

٢- سورة طه (٢٠)، الآية ٢٥.

٣- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١١٦، الحديث ١.

٤- المصدر السابق، ص ١١٧، الحديث ٥.

٥- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨٧، الحديث ٥٨٣٤.

٦- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١١٧، الحديث ٤.

٧- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٥١، الحديث ٩٧.

٨- الآمدي، غرر الحكم، ص ٣٤٢، الحديث ٧٨٣٠.

## ١٠- الحلم

لا بد أن يتحلّى الحُكَّام بالحلم والصبر في التعامل مع أخطاء الناس. فقد روى الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه أنه وصف الإمامة والحكومة بأنها تصلح لمن يتّصف بثلاث خصال: وهي تقوى تتنبيه عن الحرام، وحلم يلجم به غضبه، وحسن التعامل مع من تولّى حتى يكون لهم كالوالد الرحيم.<sup>(١)</sup> وبيّنت رواية أخرى الشروط التي يلزم توفّرها في من يتصدّى لزمام الإمامة والحكومة، وذكرت بعد التقوى أنه يجب أن يكون لديه «حلمٌ يردُّ به جهلَ الجاهل»<sup>(٢)</sup> وقال أمير المؤمنين: «الحلمُ رأسُ الرِّياسة».<sup>(٣)</sup>

## ١١- العدالة

العدالة من المبادئ الأساسية التي دعا إليها جميع الأنبياء، وهي من الآمال التي بقيت تداعب مخيلة بني الإنسان طيلة تاريخ حياتهم، وسعى الناس من أجل تحقيقها على مرّ التاريخ. والعدالة للناس كماء الحياة، وقد ضحّى بنو الإنسان في سبيلها بالعالي والنفيس. قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في وصف حلاوة العدل: «الْعَدْلُ أَحْلَى مِنْ الْمَاءِ يُصِيبُهُ الظَّمَانُ مَا أَوْسَعَ الْعَدْلُ إِذَا عَدَلَ فِيهِ وَإِنْ قَلَّ».<sup>(٤)</sup>

ومع أنّ العدالة من الأمور الفطرية ذات الحُسن الذاتي، لكنّها بقيت على الدوام عرضة لعدوان المعتدين. فالذين استولوا على زمام السلطة وحازوا المقدرات، اعتبروا أنفسهم درّة عالم الوجود، وحاولوا بأنواع الأساليب تجاهل حقوق الناس. وهكذا وقعت العدالة بذرائع وتبريرات شتى فريسة لظلم المستكبرين. كانت العدالة من الأمور التي كان الأنبياء يتطلعون إلى تربية الناس عليها بحيث يقومون هم أنفسهم بتطبيقها.<sup>(٥)</sup>

١- الصدوق، الخصال، باب الثلاثة، ص ١١٦، الحديث ٩٧.

٢- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١١٦، الحديث ١. ٣- الآمدي، غرر الحكم، ص ٣٤٢، الحديث ٧٨١٤.

٤- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٤٦، الحديث ١١. ٥- سورة الحديد (٥٧)، الآية ٢٥.

العدالة من الأمور الحسنة عقلاً؛ أي ممّا يستطيع العقل الحكم بحسنها، وهي من الأمور الفطرية التي لا تتطلب تعليماً. وهذا ما يجعلها مقدّمة على أي شيء آخر، ولا يخضع تطبيقها للشروط والمصلحة، بل هي بذاتها أسنى المصالح وأعلاها. وهذا ما جعلها لا تميّز بين عدو و صديق ولا بين مؤمن وكافر، و تنظر إلى الجميع من منظار واحد. وهنا يقول الله تعالى في كتابه الكريم حول أهمية العدالة: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (١).

العدالة توطّد ركائز المجتمع وترسخ أركان الحكم. ومع أنّها شأن اجتماعي غير أنّها من أهم واجبات الحكومة. و تجاهل الحكومة للعدالة يسيء إلى الحكومة نفسها، و يلحق الأذى والضرر بأبناء الشعب.

كتب الإمام علي عليه السلام في ما كتبه في عهده إلى مالك الأشر: «وإنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد و ظهور مودّة الرعية».

نقل الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «طوبى لمن يتصف الناس من نفسه» (٢). و جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: أفضل الأعمال ثلاثة: إنصاف الناس من نفسك حتى لا ترضى لهم إلّا ما ترضاه لنفسك، و مساعدة أخيك بمالك، و ذكر الله في كل حال (٣).

و جاء في رواية أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله حين كان عازماً على السير في إحدى غزواته، و قال له: يا رسول الله، علّمني عملاً أدخل به الجنة، فقال له: ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأتته إليهم، و ما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأتته إليهم (٤).

و قال الإمام علي: إنّ أحبّ العباد إلى الله من جعل العدل قرينه (٥) و أولى مراحل العدل - طبعاً - اجتناب هوى النفس، و قول الحق، والعمل به.

١- سورة المائدة (٥)، الآية ٨.

٢- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٤٤، الحديث ١.

٣- المصدر السابق، ص ١٤٤، الحديث ٣.

٤- المصدر السابق، ص ١٤٦، الحديث ١٠.

٥- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ٨٧، ص ١١٨.





**الباب الثالث:**

**التكاليف**

**والمسؤوليات**



## الأحكام

يعيش الإنسان على الدوام متأرجحاً بين الشهوات والرغائب من جهة، وبين العقل من جهة أخرى، ولكن بما أن الإنسان لم يُخلق عبثاً، وأن مكانته تتوقف على اختياره للسبيل الصحيح من بين هذه السُّبُل والاتجاهات، وبلوغ المرتبة التي تليق به، لذلك فهو بحاجة إلى منهاج وقانون، لكي يتعلّم في ضوءه كيف يعيش وكيف يلبي متطلباته، ويضمن سعادته. وعلى صعيد آخر، الإنسان كائن اجتماعي بالطبع، بمعنى إنه مجبول على الحياة مع بقية الناس، هذا إضافة إلى أنه لا يستطيع تأمين كل متطلبات حياته بنفسه، ولا بدّ من تضافر جهود جميع الناس من أجل تمشية شؤون الحياة، فيحمل كل واحد منهم عبئاً من أعباء الحياة، ويتآزر الجميع لبلوغ الرفاه والسعادة والكمال.

من الطبيعي أن كل إنسان يتطلّع إلى حياة أفضل وأكمل، وهو لذلك، يسعى للانتفاع أكثر ما يمكن من النعم التي وفّرها الله للناس. وهذه رغبة طبيعية لدى جميع الناس، وهي التي تدفعهم نحو الكدّ والعمل. وفي هذا المسعى العام يُحتمل أن يحاول عدد كبير من الناس الاستفادة من شيء معين، فيقع تراحم و تنافس بينهم. وإن لم تكن هناك قيود وضوابط تحدد كيفية الاستفادة من ذلك الشيء فقد يحصل تنازع وتصارع بينهم، وهذا ما يؤدي -طبعاً- إلى انفراط عقد الحياة الاجتماعية، وانفلات النظام في الحياة.

ولغرض تفادي مثل هذه الصراعات والنزاعات لا مناص من وضع حدود و قيود و معايير يلتزم بها الجميع. والذي يُعيّن هذه الحدود والمعايير في كل نظام هو القانون. القانون ضروري لتفادي وقوع الفوضى في الحياة الاجتماعية، ولكن هذا لا يعني أن أيّ قانون سيفي بهذا الغرض، وذلك لأن القانون قد يضمن مصالح فئة معيّنة دون غيرها، وهذا بطبيعة

الحال يجعل المجتمع عرضة لأنواع الأزمات والمشاكل. فالقانون يجب أن يُسنَّ على أساس العدل وضمأن مصالح عموم الناس.

و بالإضافة إلى مهمة القانون في التنظيم للعلاقات الاجتماعية بهدف المحافظة على حقوق الناس و تعيين مسؤولياتهم الاجتماعية، فهم بحاجة أيضاً إلى أحكام تمهّد لهم السبيل نحو بلوغ الكمال والسعادة الأبدية. و لاشكّ في أن تشخيص كل هذه الأمور و كيفية العمل بها لا يتأتّى عن طريق القانون الجماعي والبشري. والعقل غير قادر على تشخيص كل ما ينبغي فعله.

### أفضلية التشريع الإلهي

تُضح من خلال ما سبق ذكره أنّ تشريع القوانين يهدف إلى تحقيق غايتين:

١- بسط النظام والعدالة في المجتمع؛ لتفادي وقوع الاضطراب والفوضى.

٢- الارتقاء بالإنسان نحو الكمال و تحقيق سعادته الأبدية.

في ما يخص الفئة الأولى من القوانين، لا يذهب المشرّعون إلى أكثر من القول: إنّ القوانين التي يستونها ترمي إلى الحفاظ على المجتمع و نظمه، و تحسين الوضع المادي للناس. و أمّا بالنسبة إلى الفئة الثانية من القوانين فينسبها القائمون عليها إلى الله، و يقولون: إنّ هذه القوانين تهدف إلى إقرار النظام و حفظ المجتمع، و فضلاً عن ذلك تتكفّل بمهمة الارتقاء بالإنسان إلى مرحلة الكمال، و إنّ الالتزام بهذه القوانين يضمن تحقيق السعادة الحقيقية للإنسان، أي الكمال الفردي والاجتماعي، و المادي والمعنوي من جميع الجوانب. و ذكروا لهذه الطائفة من القوانين مزايا تفتقر إليها الطائفة الأولى، و منها:

١- بما أن علم الله مطلق و هو مطلع على أسرار الكون و خباياه، و من جملة ذلك

الإنسان، فهو قد شرّع قانوناً شاملاً و كاملاً لا نقص فيه و لا خلل.

٢- هذا القانون خالٍ من أيّ دافع شخصي أو منافع خاصّة أو مصالح فتوية.

٣- وضع وفقاً لمقتضيات العدل و مصلحة الناس.

الكثير من القضايا التي تُطرح اليوم في العالم باسم الحقوق بشتى أنواعها (كالحقوق الأساسية، والحقوق المدنية، و حقوق الأسرة، والحقوق الجزائية، والحقوق السياسية و ما شابه ذلك) قد جاءت في القوانين الإلهية، أو يمكن استنباطها من بين ثناياها. و على هذا الأساس فإن للدين تعاليم و قوانين و أحكاماً في شتى ميادين الحياة الفردية والاجتماعية.

يُستَشَفُّ من خلال التتبع في آيات القرآن الكريم، والأخبار الواردة عن المعصومين عليهم السلام، و أبواب الفقه، أن أحكام الدين الإسلامي الحنيف لا تنحصر في القضايا العبادية والأخلاق الفردية، بل له أحكامه و تعاليمه في الشؤون الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والقضائية والجزائية، و فيما يتعلّق بالسلطة والحكم، و شروط الحاكم والعلاقة بين الحاكم والمحكوم. و لا بُدَّ من رعاية هذه الجوانب في مسار الحياة.

## مصادر التشريع

فإذا كانت هذه القوانين من الله، يتبادر إلى الأذهان هنا سؤال و هو: ما هو الطريق للوصول إلى هذه القوانين؟ وكيف يمكن الوصول إلى الأحكام الشرعية؟ هناك أربعة مصادر لاستنباط الأحكام الشرعية و هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل.

### ١- القرآن

القرآن هو الكتاب الموحى من الله، و بقي لدى المسلمين محفوظاً بتمامه من كل أنواع التلاعب والتحريف محفوظاً من الله تعالى، و برعاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و بفضل جهود واهتمام المسلمين. و هو وثيقة معتبرة لاستقاء معارف و أحكام الدين منه. و كما أشرنا من قبل، يعتبر القرآن وثيقة رسالة نبي آخر الزمان، و أهم مصدر لمعرفة عقائد و أحكام الإسلام. بل إن حجّة السنة و اعتبارها يثبت بالقرآن.

## ٢- السُّنَّة (قول، فعل و تقرير المعصوم)

وردت الأصول العامة للشريعة في القرآن الكريم، و للتوصل إلى التفاصيل والجزئيات فقد بين النبي للناس تعاليم الدين و فسرها لهم من خلال ما كشفه له الوحي، و في ضوء إفاضة الله ولطفه. و مع كل ذلك فقد كان على حذر شديد أن لا يقول بغير حكم الله. (١) وكانت الرعاية الإلهية الخاصة طبعاً تحفه في هذا المسعى، (٢) يُضاف إلى ذلك الأمر الإلهي الصريح للمسلمين بطاعته و وجوب النظر إلى أوامره، و كأنها أوامر مباشرة من الله. (٣)

و مع أن الأئمة المعصومين عليهم السلام لم يكونوا هم الذين جاؤوا بالدين، و لكن الله قد جعلهم بواسطة النبي، مبيّنين للشريعة الإلهية، و حملة و مفسرين للأحكام الإسلامية، و على هذا الأساس يمثل قولهم سنداً قاطعاً لكشف الحكم الإلهي. و سيرة النبي والأئمة - تأسيساً على ما هو معروف من عصمتهم و طهارتهم - عند وجود سند قطعي عليها، تُعتبر دليلاً جلياً، و في حالة تأييدهم (تقريرهم) لعمل الآخرين، يمكن فهم ذلك التأييد على أنه حكم شرعي.

## ٣- الإجماع

إذا لم يوجد دليل من الكتاب و السُّنَّة على حكم لموضوع معين، و لكن الفقهاء القريبين من عصر الأئمة اتفقوا على رأي واحد فيه، ممّن نعلم أنّهم لا يأخذون بالقياس و الاستحسان الظني و الحدسي، و إنّما يتبعون الكتاب و السُّنَّة، و يفهم طبعاً أنّهم يفتون على ما في أيديهم من مستمسك من السُّنَّة، و لم يعثر الفقهاء المتأخرون على تلك الرواية، أو يظهر للمتأخرين أن المعصوم أيّد هذا الرأي فهذا هو ما نسميه بالإجماع. و الواقع إنّ حجية الإجماع تأتي استناداً إلى سُنَّة ليست متوقّرة بين أيدينا.

٢- سورة الإسراء (١٧)، الآيتان ٧٣ - ٧٤.

١- سورة النجم (٥٣)، الآية ٣.

٣- سورة النساء (٤)، الآية ٥٩.

## ٤- العقل

إن لم يكن هناك حكم شرعي لحالة معينة -و بما أن الأحكام الإلهية تابعة للمصالح والمفاسد، والعقل قادر إجمالاً على تشخيص المصالح والمفاسد- فإذا توصل العقل جزماً و يقيناً إلى حكمية خاصة إلى جانب سائر الحكم، يحصل عندئذ الحكم الشرعي لتلك الحالة. وكذلك إذا كان للشرع حكم واجب لقضية معينة، ولكن أداء ذلك الواجب يتوقف على عمل آخر خاضع لتشخيص العقل، فهنا يكون لحكم العقل اعتبار و وثاقة في هذه الحالة والحالات الأخرى التي تسمى بـ«غير المستقلات العقلية».

و على العموم في المستقلات العقلية لها قيمة واعتبار في كشف الحكم الشرعي إلى درجة وجود تلازم بين حكم العقل والشرع، وقيل: «كلما حكم به العقل حكم به الشرع و كلما حكم به الشرع حكم به العقل»، وذلك لأن حجية العقل ذاتية و لا تحتاج إلى دليل آخر.

هذا طبعاً فيما إذا توصل العقل بشكل قطعي و يقيني إلى مصلحة واجبة تلزم المكلف بأداء ذلك العمل، أو كشف عن فساد يوجب عليه اجتنابه، وهو ما يُطلق عليه اصطلاحاً أنه كشف عن الملاك والمناط الواقعي بشكل يقيني، وإلا فإن مجرد الظن والحدس والتخمين لا يمكن أن تُطلق عليه تسمية حكم العقل.

## الاجتهاد و تاريخه

كل من يكشف عن الأحكام المقررة و يفهم تكاليفه الدينية عن طريق فهم آيات القرآن و التحقيق في الأحاديث و المصادر المذكورة، يغدو صاحب رأي و نظر في هذا المضمار، و يُسمى «مجتهداً».

و لكن فهم أحكام الدين لم يكن في جميع الأزمان على مستوى واحد من حيث السهولة و الصعوبة، و إنما مرَّ بأدوار مختلفة نستعرض كل واحدة بإيجاز في ما يلي:

## ١- دور تعلّم ونشر الأحكام

في عهد حياة النبي ﷺ عُرضت التعاليم الدينية على الناس من قبل النبي بالتدرّج و بما يتناسب مع الظروف والمتطلّبات. و عندما كان عدد المسلمين قليلاً و أحكام الإسلام محدودة كان بإمكان كل المسلمين الاتّصال بالنبي ﷺ و تعلّم الأحكام منه مباشرة، ولكن بعدما انتشر الإسلام و دخل فيه أناس كثيرون في مختلف الأرجاء من غير مشاهدة النبي ولو لمرة واحدة، خاصّة غير العرب، أو العرب الذين كانت يتحدثون بلهجة تختلف عن اللهجة التي نزل بها القرآن، داعياً لأن ينتدب النبي ﷺ عدداً من المسلمين لهذه المهمة الخطيرة، و هي تعليم الإسلام و القرآن و التعاليم الدينية لمن كانوا قد أسلموا حديثاً.<sup>(١)</sup> و في هذا الدور كان هناك اجتهاد بشكل أو آخر و لكن على نطاق محدود. و كان المندوبون الذين يبعثهم النبي ﷺ إلى مناطق بعيدة يجتهدون في بعض الحالات.

## ٢- دور الاجتهاد الابتدائي

في عصر الأئمة المعصومين ؑ حين شهد المجتمع الإسلامي مزيداً من الاتّساع، و لم يكن الاتصال سهلاً، هذا إضافة إلى ظهور مسائل و قضايا جديدة، كان الأئمة - رغم وجودهم في المجتمع - يوعزون إلى بعض أصحابهم بالاجتهاد و استخراج الفروع من الأصول. و هذا ما جاء في بعض الروايات كقولهم: «علينا إلقاء الأصول و عليكم التفريع».<sup>(٢)</sup> و لاشكّ في أنّ الروايات الكثيرة التي جاءت عن الأئمة الأطهار ؑ في موضوعات و مسائل مختلفة، جعلت من الفقه الشيعي فقهاً غنياً بالقياس إلى بقية المذاهب، فأصبحت الحاجة أقل إلى بذل الجهود في هذا المضمار. و كان الفقهاء يعرضون مشاكلهم على الأئمة ؑ حدّ الإمكان - رغم بُعد المسافات و الصعوبات الأخرى - و لكن في الوقت نفسه لم يكن الشيعة يجدون أنّهم في غنى عن التفقه و الاجتهاد.

١- سورة التوبة (٩)، الآية ١٢٢.

٢- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٦ من أبواب صفات القاضي، ج ٢٧، ص ٦٢، الحديث ٥٢.



### ٣- دور الاجتهاد التخصصي

في عهد غيبة الإمام المهدي عليه السلام - حيث تعذر الاتصال المباشر بالمعصوم - صار الاجتهاد حلاً للكثير من المستجدات والمسائل المستحدثة. وبهذا يحفظ الدين حيويته واصلته الإلهية. وفي هذا الدور بدأ الاجتهاد بمعناه الاصطلاحي؛ أي ردّ الفروع إلى الأصول وتطبيق الأصول على الفروع مع الأطلاع التام على المصادر، والمعرفة بقواعد الاستنباط وآراء الفقهاء السابقين.

في رأي الإسلام، الاستنباط والاجتهاد ليس حكراً على طبقة أو فئة من الناس دون سواها. وبإمكان كل من يملكون الأهلية العلمية أن يجتهدوا. وكل من لديهم القدرة على فهم الأحكام الإلهية من مصادرها، بإمكانهم عند إحراز الصلاحية، استنباط الأحكام من خلال الرجوع إلى النصوص الدينية و مصادر التشريع.

وأمّا الأخبار الواردة في ذم الاجتهاد والعمل بالرأي فالمراد منها هو الاجتهاد المتداول عند بعض فقهاء أهل السنّة، الذين يفتنون - عند عدم وجود نص - وفقاً للاستحسانات الظنيّة والحدسية. في حين أنّ مرادنا من الاجتهاد هو استنباط الفروع من الأصول الكلية الواردة، وهو ما كان الأئمة أنفسهم قد أسسوه وروّجوا له، حيث قالوا: «علينا إلقاء الأصول و عليكم التفريع»<sup>(١)</sup> وهذا شيء معقول و منطقي طبعاً.

### التقليد

بحكم العقل من اللازم والضروري معرفة الأحكام والواجبات الدينية التي فرضها الله على كل مسلم؛ لأن سعادة الإنسان مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعمله بالفرائض الدينية؛ إذ لا يمكن العمل بالواجبات دون معرفتها.

١- المصدر السابق.

ومع أنَّ العناوين الكلية والوظائف العملية الواضحة -كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وغيرها- موضع اتفاق جميع المسلمين، و من ضروريات الدين، بيد أنَّ الأطلاق على كثير من تفاصيلها الجزئية يحمل جانباً تخصصياً. وإذا لم يكن أحد حائزاً على هذا التخصص، عليه الرجوع إلى من لديه اطلاع واختصاص كاف، أي يجب عليه الرجوع في أمر الدين إلى مجتهد صاحب نظر و حائز على الشرائط. فمثلما يرجع كل الناس في أعمالهم اليومية -في المجالات التي ليس لهم فيها خبرة واختصاص- إلى من يتقون به من ذوي الاختصاص والخبرة، فإنَّ التقليد يعني في الحقيقة الأخذ برأي متخصص في القضايا التي تحتاج إلى تخصص.

التقليد يسري فقط على الأحكام العملية من الدين، و أما أصول الدين والشؤون الاعتقادية فيه فلا تخضع للتقليد. فالإيمان والاعتقاد بحقائق الوجود، والتمسك بالقضايا الاعتقادية وأصول الدين، يجب أن تكون بالدليل والبرهان و كسب العلم واليقين. فلا يمكننا القول: إنَّ الله واحد لأن آباءنا أو العلماء يقولون ذلك، أو إنَّ الحياة بعد الموت حق لأن كل المسلمين يعتقدون بذلك. نعم يمكن الاعتقاد والاطمئنان بذلك استناداً إلى ما قاله الأنبياء. و لا بُدَّ طبعاً أن يتناسب الدليل مع فهم المكلف، كما حصل بالنسبة إلى رسول الله ﷺ حينما سأل عجوزاً بيدها مغزل، عن الله، أو قفت الغزل و قالت: مثلما أن هذا المغزل لا يدور بدون وجود من يدوره، فإنَّ هذا العالم العظيم لا يدور دون مدبر.

### شروط مرجع التقليد

يجب أن تتوفر في مرجع التقليد الشروط التالية:

- ١- الاجتهاد؛ فلا بُدَّ أن يكون مرجع التقليد جامعاً لشروط الإفتاء، و قادراً على استنباط المسائل الشرعية من مصادرها الأصلية.
- ٢- العدالة؛ يجب أن يتَّصف مرجع التقليد بملكة العدالة. وتطلق كلمة «عادل» على من يكون مستقيماً و معتدلاً في العقيدة والأخلاق والعمل، بحيث أنه يلتزم في الظروف العادية بما هو واجب عليه و يترك ما هو محرّم عليه.

٣- الأعلمية؛ الرجوع إلى المجتهد في الحالات التي يوجد فيها اختلاف بين المجتهدين في فهم الحكم الإلهي، أمر مشابه لغيره من قضايا الحياة. أي متى ما حصل اختلاف بين آراء المتخصصين في أمر مهم مثل علاج مرض عضال، فمن المنطقي أن يُقبل رأي أكثرهم تخصصاً. وعلى هذا الأساس يبدو من الضروري تقليد الأعلم في المسائل الاختلافية.

٤- أن يكون على قيد الحياة؛ الاجتهاد أسلوب سيّال وحي في فهم أحكام الدين و تحديتها، وهو يسير عادة مواكباً ظهور متطلّبات وعلاقات وقضايا بشرية مستجدّة. وعلى هذا الأساس يجب أن يكون هناك على الدوام في المجتمع مجتهدون متنوّرون و يعيشون في ميدان الحياة الاجتماعية. وأمّا الحالات التي يجيز فيها المرجع الحي، البقاء على تقليد الميّت - في المجالات التي يعينها هو - فهي تمثّل في الحقيقة تقليداً للمجتهد الحي. كما و يجب أن يكون مرجع التقليد بالغاً، عاقلاً، شيعياً اثني عشرياً، و طيب المولد، وبناءً على الاحتياط الواجب يجب أيضاً أن لا يكون مولعاً بالدنيا و مغرماً بها و منكباً عليها. وإذا اعتبرنا دليل الرجوع إلى المجتهد هو بناء العقلاء، يمكن أن تكون المرأة مرجع تقليد أيضاً. لأن العقلاء لا يفرّقون عند الرجوع إلى رأي ذوي الاختصاص - في المسائل التي ليس لديهم فيها تخصص كافٍ - بين المرأة والرجل. و مسألة المرجعية والتقليد في معزل عن قضية السلطة والقضاء.

## التكليف

تُسمى الواجبات الدينية للأفراد المسلمين «تكليفاً» و كل الأعمال التي يؤدّيها الإنسان إرادياً لها في نظر الدين حكم معين، و هي على العموم لاتخرج عن واحدة من الحالات الخمس التالية:

١- الواجب؛ و هو ما ينبغي فعله و لايجوز تركه كالصلاة. و إذا كان رأي المجتهد في مسألة هو «الاحتياط الواجب» فمعنى ذلك هو أنه لم يتوصّل في تلك المسألة إلى الرأي

القطعي. ولهذا على من يقلّد هذا المجتهد أن يعمل بهذا الاحتياط الذي يأتي في المرتبة بعد الفتوى، أو يجب عليه في هذه المسألة الرجوع إلى المجتهد الأعلّم.<sup>(١)</sup>

٢- **المستحب**؛ وهو ما يكون من الأفضل والمحبذ أدائه، وفي أدائه رضاً لله، وليس في تركه إثم، مثل المشاركة في صلاة الجماعة. و«الاحتياط المستحب» فيه عندما يُفتي المجتهد برأي قطعي، ويشير في الوقت ذاته إلى طريق الاحتياط أيضاً. ويمكن للمقلّد العمل بفتوى المجتهد في تلك المسألة، أو يعمل شخصياً بالاحتياط، ولا يمكنه الرجوع فيها إلى مجتهد آخر.

٣- **الحرام**؛ وهو ما ينبغي تركه، وفي فعله إثم ومعصية، كالظلم.

٤- **المكروه**؛ وهو العمل الذي يكون تركه أولى، كمزاولة الأعمال التي لا تستسيغها طباع الإنسان، كالاشتغال في شؤون الموتى.

٥- **المباح**؛ وهو العمل الذي يتساوى في نظر الدين فعله وتركه، وهو خاضع لرغبة الشخص وإرادته مثل اختيار أيّ عمل حلال و جائز. والأمر المباح إذا فعلها المرء لنيل رضا الله فهي تُعتبر عبادة.

### شروط التكليف

كل مسلم بالغ و عاقل ولديه القدرة على أداء الأحكام الإلهية مكلف بأداء الفرائض المقررة عليه من الله. وعلى هذا فالأحكام الدينية مرفوعة عن غير البالغ، وعن المجنون، وعن غير القادر.

علامة البلوغ عند الفتيات والفتيان من الناحية الشرعية، واحدة من الأمور الثلاثة

التالية:

أ - نمو شعر خشن تحت البطن، وفوق العورة.

ب - خروج المنى، في النوم أو في اليقظة.

١- تُطلق كلمة «فالاعلم» على المجتهد الأدنى مرتبة علمية من المجتهد الأعلّم، ويكون أعلى مرتبة من سائر المجتهدين.

ج - إكمال خمس عشرة سنة قمرية للفتيان، و تسع سنوات قمرية للفتيات.<sup>(١)</sup> في بعض الحالات لا يكفي السن وحده لصحة العمل، بل لأبَد من توفّر شروط أُخرى أيضاً. نذكر من ذلك، الإقدام على الزواج والقبول به، والتعامل في الشؤون المالية، إذ يُعتبر إضافة إلى البلوغ، النمو الجسمي والعقلي، والقدرة على التمييز بين الخير والشرّ، والمصالح والمفاسد، و لا تصح معاملة من لا يشخّص الشيء الصحيح، ويُحتمل أن يقع في الخديعة.

### الفرق بين التكليف والحق

يتميّز «التكليف» و «الحق» أحدهما عن الآخر، في بعض الحالات التي نذكر منها:

- ١ - التكليف لا يُغتصب من قبل شخص آخر، ولكن الحق مُعرّض للغصب.
- ٢ - التكليف واجب يتعيّن على كل مكلف به أدائه، و لا يجوز له تركه. و أما الحق فهو شيء يجب أن يحوزه كل من يكون له، و إذا غُصِبَ أو صار تحت تصرّف شخص آخر، يجب إعادته إلى صاحبه.
- ٣ - الحق بشكل عام و على الغالب، يمكن التنازلي والصفح عنه في الحالات التي تكون فيها مصلحة عامّة للمسلمين أو خاصّة للفرد المسلم، بينما التكليف ليس كذلك.
- ٤ - يكون الحق عادة منشأً لتكليف على آخر. أي أنّ كل من يكون له حق على آخر، يترتّب على ذلك الآخر تكليف خاص. بينما التكليف ليس بهذه الصورة إلا في موارد خاصّة.
- ٥ - حالات الحق تكون عادة ذات طرفين. و بعبارة أُخرى: كل من يكون له حق على أحدٍ لا بد في المقابل أن يكون للآخر حق على هذا الشخص أيضاً، عدا الله الذي له حقوق على عباده، و لكنه في المقابل غير مكلف بشيء إزاءهم، و إن كان قد أوجب على نفسه الرحمة بعباده، تفضلاً منه عليهم.<sup>(٢)</sup>

١- تكتمل الخمسة عشرة سنة القمرية قبل مثلتها الشمسية بما يقارب ١٦٤ يوماً، أي حوالي خمسة أشهر ونصف. و تكتمل التسع سنوات القمرية قبل مثلتها الشمسية بما يقارب ٩٨ يوماً.

٢- ﴿كُتِبَ رَبِّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾، سورة الأنعام (٦)، الآية ٥٤.

## أبواب الفقه

نظراً إلى أنَّ الفقه يتَّسع لكل ميادين الحياة، لذلك قسّمه الفقهاء إلى أبواب مختلفة. و حاولنا في هذا الكتاب تقسيم أبواب الفقه تبعاً للأهمية التي اكتسبتها بعض الموضوعات، وفي ضوء ما تحظى به من اهتمام، و جعلناها على النحو التالي: العبادات، الأسرة، الاقتصاد، السياسة.

# العبادات

يتناول هذا القسم الموضوعات المتعلقة بكيفية ارتباط الإنسان مع ربه، كالصلاة، والصوم، والحج، والاعتكاف، والنذر، وهي ما يشترط فيها القصد، وتية التقرب إلى الله. وتجدر الإشارة إلى أن بعض العبادات تنسم بطابع سياسي اجتماعي إضافة إلى كونها عبادة لله، مثل صلاة الجماعة، وصلاة الجمعة، والحج و...<sup>(١)</sup>

بعض العبادات واجبة، مثل الصلوات الواجبة، وبعضها الآخر مستحب مثل الصلوات المستحبة، والدعاء، والتوسل، والزيارة.

## الصلاة

الصلاة تعني المناجاة وإظهار العبودية والشكر لله -بطريقة و شكل خاص- أمام الإله الذي يؤمن به الإنسان، ويرى أن وجوده و ما لديه من نعم كلها من عنده. والصلاة علاقة معنوية بين المخلوق والخالق، و طلباً للعون منه ليتمكن من حفظ إنسانيته والسير على طريق الحق والحقيقة. وهناك في الدين تعاليم تبين للمكلفين كيفية مناجاة خالقهم و ما هي الصفات التي يليق أن يعتونه بها.

## أهمية الصلاة

للصلاة تأثير مهم في تهذيب الإنسان والارتقاء به نحو الكمال. والصلاة تنتشل الإنسان

---

١- الزكاة والخمس لهما جانب عبادي، و يجب دفعهما بقصد القربة، و لكن بما أن الجانب المالي فيهما أقوى، سيجري بحثهما في باب الاقتصاد.

من الهواجس والاضطراب؛ لأن ذكر الله يبعث في القلوب السكينة: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(١)</sup> وهي أعظم ذكر لله ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾<sup>(٢)</sup>، وهي أيضاً عمود الدين: «اللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ»<sup>(٣)</sup> ولو روعيت كل شروط الصلاة و آدابها فإنها كفيلة بتطهير النفس من الرذائل والمنكرات ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾<sup>(٤)</sup> فالصلاة ذات تأثير بالغ في صياغة شخصية الإنسان بحيث إنه إذا التزم المصلي بكل شروطها فهي تردعه عن القبائح والرذيلة. نضرب مثلاً على ذلك أن أحد شروط الصلاة هو أن لا يكون مكان و ثوب المصلي مغصوباً، و لا تُقبل صلاته حتى و إن كان في ثيابه خيطٌ واحد مغصوب. و عندما يجد المصلي نفسه ملزماً باجتناب الحرام إلى هذا الحد، فمن الطبيعي أن لا يتصرف في مالٍ حرام و لا يظلم أحداً حقّه أبداً. كما أن الصلاة تكون لها تأثيرات معنوية أيضاً فيما إذا اجتنب الإنسان بعض الرذائل الأخلاقية كالبخل و الحسد و غيرهما. و إذا كان البعض ممن يؤدّون الصلاة يقترفون بعض الممارسات القبيحة فإن سبب ذلك يعزى إلى عدم التزامهم بالتعليمات اللازمة في الصلاة، و بالنتيجة لا تترك الصلاة التأثير اللازم فيهم، و لا يقفون شيئاً من ثمارها. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَتَمَّا مَثَلُ الصَّلَاةِ، فَيَكُمُ كَمَثَلِ السَّرِيِّ - وَهُوَ النَّهْرُ - عَلَى بَابٍ أَحَدِكُمْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ يَغْتَسِلُ مِنْهُ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَبْقِ الدَّرَنُ مَعَ الْغَسْلِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَ لَمْ يَبْقِ الذَّنُوبُ مَعَ الصَّلَاةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ»<sup>(٥)</sup>.

و روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَحَاسِبُ الْعَبْدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ فَإِذَا قَبِلَتْ قَبْلَ سَائِرِ عَمَلِهِ وَ إِذَا رُذِّتَ عَلَيْهِ رُذِّ سَائِرِ عَمَلِهِ»<sup>(٦)</sup>.

و على العموم فقد أظهرت الشريعة المقدّسة أهمية كبرى للصلاة، بحيث إنّها أوجبته في كل الأحوال و حتى في حالة الاحتضار، و إذا تعذّر على المحتضر التلفّظ بالصلاة بلسانه،

١- سورة الرعد (١٣)، الآية ٢٨.

٢- سورة العنكبوت (٢٩)، الآية ٤٥.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٤٧، ص ٤٢٢.

٤- سورة العنكبوت (٢٩)، الآية ٤٥.

٥- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٣١١، باب فضل الصلاة، الحديث ٦٤٠.

٦- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ٦ من أعداد الفرائض، ج ٣، ص ٢٥، الحديث ٣.



عليه أن يصلّي بقلبه. وكذلك إذا تعدّرت عليه الصلاة أثناء الحرب والخوف من العدو، أو إذا لم يتمكن من الصلاة نحو القبلة في حال الاضطراب، لا يجب عند ذاك الصلاة نحو القبلة، ولكن الصلاة تجب على كل حال.

وقد ورد كثير من الذم والتقييح لمن يستخف بالصلاة ولا يرهاها حق رعايتها. قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وعلى هذا يتعيّن الاهتمام بأمر الصلاة وأدائها في أول وقتها. روي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «لما حضرت أبي الوفاة، قال لي: يا بني أنه لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة»<sup>(٢)</sup> وروي أنه دخل رجل مسجداً فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحَقَّق سجوده دون ما ينبغي ودون ما يكون من السجود، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نقر كنقر الغراب، لو مات هذا على هذا مات على غير دين محمد»<sup>(٣)</sup>.

لقد خُلِق الإنسان من أجل بلوغ الكمال، ولا يمكن له التكامل إلا من خلال الارتباط بالله. وأفضل وسيلة للارتباط بالله هي الصلاة. وهذا ما يفرض أن تؤدّي الصلاة بتوجّه قلبي تام وخشوع وقار مع اجتناب الاستعجال والغفلة، وعليه ان ينتبه مع من يتكلّم. وعلى أية حال فإن لتترك الصلاة تأثيرات سيّئة في حياة الإنسان، هذا إضافة إلى حرمانه من رحمة الله، ويتبعه عذاب أخروي. جاء في القرآن الكريم ما مفاده أن أهل النار يُسألون يوم القيامة عمّا سلكهم في سقر، فيقولون: إنهم ما كانوا من المصلين<sup>(٤)</sup>.

### الصلوات الواجبة

على كل مكلف عدد من الصلوات الواجبة وهي عبارة عن:

- ١- الصلوات اليومية ٢- صلاة الجمعة ٣- صلاة الآيات ٤- صلاة الميّت ٥- صلاة الطواف الواجب ٦- قضاء ما فات من صلاة الوالدين على الابن الأكبر، أو احتياطاً تجب

١- سورة الماعون (١٠٧)، الآيات ٤-٥. ٢- الكليني، الكافي، ج ٣، ص ٢٧٠، الحديث ١٥.

٣- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٩ من أبواب اعداد الفرائض، ج ٤، ص ٣٧، الحديث ٦.

٤- سورة المدثر (٧٤)، الآيات ٤٠-٤٣.

على أكبر الذكور من الورثة ٧- ما يجب من الصلاة بالإجارة أو النذر أو العهد أو القسم  
٨- صلاة عيدي الفطر والأضحى عند توفّر شروطهما.

### مقدمات الصلاة

هناك مجموعة من المقدمات التي يلزم توفرها للصلاة والوقوف بين يدي الله وإظهار  
العبودية له، ولا تصح الصلاة من غير أداء هذه المقدمات. وهذه المقدمات عبارة عن:  
الوقت، المكان، القبلة، الثياب والطهارة.

### وقت الصلاة

الصلوات اليومية التي يجب على المسلم المكلف أدائها، هي خمس صلوات، وهي:  
صلاة الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء. ويجب أداء كل واحدة منها في وقتها.  
١- صلاة الصبح، ركعتان و وقتها من أول بياض الصبح إلى حين شروق الشمس.  
٢- صلاة الظهر، أربع ركعات (في غير السفر) و وقتها من أول الظهر إلى مقدار أربع  
ركعات قبل غروب الشمس (و هو الوقت المخصّص لصلاة العصر).  
٣- صلاة العصر، أربع ركعات (في غير السفر) و وقتها من بعد أربع ركعات بعد أول الظهر  
(و هو الوقت المخصص لصلاة الظهر) إلى غروب الشمس.  
٤- صلاة المغرب، ثلاث ركعات، و وقتها من أول المغرب إلى منتصف الليل.  
٥- صلاة العشاء، أربع ركعات (في غير سفر) و وقتها من بعد ثلاث ركعات من أول  
المغرب (و هو الوقت المخصص لصلاة المغرب) إلى منتصف الليل.

### مكان المصلي

يجب أن تتوفر في مكان المصلي الشروط التالية:

- ١- الإباحة.
- ٢- السكون و عدم الحركة. فلا تصح الصلاة في الأماكن التي لا استقرار فيها ولا سكون

كالمواضع النابضة أو وسائط النقل المتحركة إلا عند الاضطرار مثل ضيق الوقت. و عند الاضطرار أيضاً يجب المحافظة جهد الإمكان على صورة الصلاة، وأن يتوقف المصلي عن الصلاة عند اهتزاز أو تحرك المكان، و متى ما انحرفت واسطة النقل عن القبلة يجب أن يستدير هو أيضاً صوب القبلة.

٣- طهارة موضع السجود، و غير موضع السجود يجب أن يخلو أيضاً من النجاسة السارية.

٤- استواء موضع الصلاة، بحيث لا يكون موضع الجبهة أعلى أو أدنى من موضع ركبتيه بمقدار أربعة أصابع مضمومة، والأحوط وجوباً أن لا يكون موضع الجبهة أعلى أو أدنى من سائر أعضاء السجود، بأكثر من أربعة أصابع مضمومة.

٥- يجب أن يكون موضع المصلي بحيث يستطيع القيام والركوع والسجود بشكل صحيح، إلا عند الاضطرار حيث يجب عليه أداؤها بالقدر الممكن.

٦- يجب أن لا يكون موضع المصلي من الأماكن التي يحرم الوقوف أو المكوث أو الجلوس فيها، مثلاً يجب أن لا تكون فوق قبور المعصومين أو أمامها بل حتى إذا كانت الصلاة في موازاتها توجب هتكاً لحرمتهم، يجب أن لا يصلي هناك.

### القبلة

طبعاً ليس هناك اتجاه معيّن للتوجه إلى الله وعبادته، كما تنص على ذلك الآية الشريفة: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> غير أن الكعبة قد جعلت قبلة لأسباب معينة منها توحيد وجهة جميع المسلمين ولفت أنظارهم إلى البقعة التي انبثق منها نور الإسلام؛ وهو الموضع الذي بُني باسم التوحيد. و أُعيد بناؤه على يد النبي إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام. و أما الذين يصلون في المسجد الحرام و قريباً من الكعبة فيجب أن يقفوا باتجاه الكعبة تماماً؛ و لكن من يصلون في أماكن بعيدة فيجب أن يكون وقوفهم باتجاه القبلة بالشكل الذي يكفي فيه أن يُقال إنهم واقفون باتجاه القبلة.

١- سورة البقرة (٢)، الآية ١١٥.

و يجوز للمسلم أداء الصلاة المستحبة ماشياً أو راكباً. وإذا صلى أحد صلاة مستحبة في هاتين الحالتين، لا يلزم أن يكون متوجّهاً نحو القبلة.

### ثياب المصلي

١- يجب على الرجل ستر عورتيه حال الصلاة، وإن لم يكن هناك من يراه، والأفضل أن يستتر من سرّته إلى الركبتين. ويجب على المرأة أن تستتر تمام بدنّها، ولا يجب أن تشتت من وجهها ما يُغسل في الوضوء، ويديها إلى الزندين وقدميها إلى المفصلين. ولكي يحصل لها اليقين بستر المقدار الواجب، يجب أن تستتر مقداراً من أطراف الوجه و مقداراً من أسفل الزند ومفصل القدم.

٢- يجب أن تكون ثياب المصلي طاهرة، وإذا كانت نجسة يجب تطهيرها.

٣- يجب أن تكون ثياب المصلي مباحة على الأحوط وجوباً. وعلى هذا الأساس فمن يعلم أن ارتداء الثوب المغصوب حرام، ثم صلى عمداً بثوب بعضه مغصوب كأن تكون خيوطه أو أزراره أو أي شيء آخر فيه، فالأحوط وجوباً إعادة صلاته بثوب غير مغصوب.

٤- يجب أن لا تكون في ثياب المصلي ولا معه أشياء من ميتة أو من حيوان يحرم أكله.

و يسري هذا الحكم من باب الاحتياط الوجوبي على الحيوان من غير ذي النفس السائلة أيضاً.

٥- لا يجوز للرجال ارتداء ثياب منسوجة من حرير خالص أو مطرّزة بالذهب، والصلاة بها باطلة، وعلى المرأة احتياطاً أن لا تُصلي في ثياب حرير، ولكن لا اشكال في أن ترتدي المرأة ثياباً منسوجة بالذهب أو التزيّن بالذهب بشكل عام في صلاة أو غيرها.

### الطهارة

يجب أن يكون بدن المصلي طاهراً. والطهارة على نوعين: ظاهريّة، و باطنية معنوية.

#### أ- الطهارة الظاهرية

الطهارة الظاهرية هي أن لا يكون بدن وثوب المصلي متنجساً بأشياء نجسة. وهذا يعني

أنه يجب أن يكون قد أزال النجاسة مسبقاً، ثم صلى بعد إزالة النجاسة، إلا في حالة المشقة أو الحالات المستثناة في الأحكام الشرعية على مذهب أهل البيت عليهم السلام.<sup>(١)</sup>

### النجاسات

هناك أشياء نجسة يجب أن لا يكون أثر منها على بدن المصلي أو ثيابه. وإذا كانت موجودة يجب عليه إزالتها عن بدنه و ثيابه قبل الصلاة. وهي عبارة عما يلي:

١ و ٢- بول و غائط الإنسان والحيوانات التي يحرم أكلها. والأحوط وجوباً اجتناب بول الحيوان الذي يحرم أكله وليس له نفس سائلة، ولكن لا يجب اجتناب غائطه.  
٣ و ٤ و ٥- مني و دم و ميتة الإنسان والحيوان ذي النفس السائلة، وإن كان ممّا يؤكل لحمه. ومع أن نجاسة مني الحيوانات التي يحل أكل لحمها غير ثابت، ولكن ينبغي اجتنابه احتياطاً.

٦ و ٧- الكلاب والخنازير البرية نجسة، و أما البحرية منها فطاهرة.  
٨- الخمر و كل مُسكر للإنسان، إذا كان مائعاً بطبعه، نجس و يحرم تناوله، أما إذا كان غير مائع كالحشيشة، فهو طاهر وإن أصبح سائلاً بالعرض بخلطه بالماء ولكن يحرم تناوله.  
٩- يلزم اجتناب عرق الجنب من الحرام على الأحوط وجوباً.  
١٠- يلزم على الأحوط وجوباً اجتناب عرق البعير المعتادة على أكل نجاسة الإنسان، بل عرق كل حيوان اعتاد على نجاسة الإنسان.

الكثير من الفقهاء يعتبرون الكافر نجساً أيضاً. والكافر هو من ينكر وجود الله عناداً وجحوداً، أو يجعل له شريكاً، أو ينكر نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو ينكر المعاد، ولكن يبدو أن أهل الكتاب كاليهود والنصارى والزرادشتية إذا لم يتنجسوا بالخمور ولحم الخنزير و ما شابه ذلك لأتستبعد طهارتهم. و نجاسة الكفار من غير أهل الكتاب موضع إشكال، و على فرض نجاستهم فإن ذلك ليس من قبيل سائر النجاسات، وإنما هو حكم سياسي جعله الإسلام، و كانت غاية الشريعة من وراء ذلك إبعاد المسلمين عن التداخل والتواصل مع

١- الأحكام الشرعية على مذهب أهل البيت عليهم السلام، المسائل ٨٥٨-٨٧٣.

الكفار، لكي لا يقعوا تحت تأثير أفكارهم و معتقداتهم. وهذا لا يتعارض مع التباحث العلمي والعلاقات الاقتصادية معهم، إن لم تكن في ذلك مفسدة.

### طرق إثبات النجاسة

ثبتت نجاسة أي شيء بواحدٍ من الطرق الثلاثة التالية:

- أ - أن يكون الشخص نفسه موقناً بنجاسة الشيء.
- ب - إذا شهد بنجاسته من هو في يده و لم يكن متهماً بالكذب.
- ج - شهادة رجلين عادلين بنجاسة الشيء، بل حتى إذا شهد رجل عادل واحد بنجاسته يجب اجتنابه من باب الاحتياط الوجوبي.

### طرق تنجس الأشياء الطاهرة

إذا لامس الشيء النجس شيئاً طاهراً، و كان أحدهما أو كلاهما رطباً بنحو تسري الرطوبة من أحدهما إلى الآخر، يتنجس الطاهر. أما إذا كانت الرطوبة بمقدار قليل بحيث لا تسري بينهما، فالطاهر منهما لا يتنجس.

### المطهّرات

تظهر المنتجّسات بأحد عشر شيئاً، و تسمى المطهّرات و هي:

#### ١- الماء

الماء يطهّر الشيء المنتجّس بشروط أربعة هي:

- ١- أن يكون الماء مطلقاً. و عليه فالماء المضاف -كماء الورد- لا يطهر الشيء النجس على الأحوط وجوباً.
- ٢- أن يكون الماء طاهراً.
- ٣- أن لا يتحول الماء حين التطهير إلى ماء مضاف، و أن لا تتأثر رائحته أو لونه بالنجاسة.
- ٤- أن لا تبقى عين النجاسة في الشيء بعد تطهيره.

### الماء القليل والكر

يُقَسَّم الماء من حيث المقدار و خاصية التطهير إلى قسمين:

١- الماء الكر، وهو مقدار الماء الذي إذا لاقى الأشياء النجسة لا يتنجس، و يطهرها، بشرط أن لا تُغيّر عين النجاسة رائحة أو لون أو طعم ذلك الماء، و يساوي بالوزن ٣٨٤ كيلو غراماً تقريباً، و يساوي حسب الحجم ثلاثة أشبار و نصف طولاً و عرضاً و ارتفاعاً بشبر الشخص العادي، و هو ما يقارب ٧٣ سانتيمتر.

٢- الماء القليل، هو الماء الذي لا ينبع من الأرض، و لا يبلغ كُراً.

و إذا أردنا تطهير الشيء النجس بالماء القليل بواسطة إبريق مثلاً أو دُورق أو ما شابه ذلك، يجب إراقة الماء من الأعلى إلى الأسفل. و إذا لاقى النجاسة الماء القليل يتنجس، ولكن الماء الكر إذا لاقى الشيء النجس لا يتنجس إلا إذا تغيّرت واحدة من ثلاث صفات فيه و هي اللون والرائحة والطعم.

يجب غسل الإناء النجس ثلاث مرّات بالماء القليل، و لكن تكفي مرة واحدة بالماء الجاري والماء الكر. أما الإناء الذي ولغ فيه الكلب و شرب منه ماء أو مائعاً آخر، يجب تعفيره بالتراب الطاهر أولاً، ثم بالتراب الممزوج بشيء من الماء على الأحوط وجوباً، و بعد ذلك غسله بالماء ثلاث مرّات على الأحوط. و كذلك الحال بالنسبة إلى الإناء الذي لطحه الكلب، أو سال لعابه فيه، فالأحوط وجوباً أن يُعفّر بالتراب قبل غسله بالماء. و يجب غسل الإناء الذي ولغ فيه الخنزير سبع مرّات بالماء القليل، و بالكر والجاري أيضاً سبع مرّات على الأحوط. و لا يجب تعفيره بالتراب، و إن كان الأحوط استحباباً. و الإناء المتنجس بالخمير يطهر بغسله بالماء القليل ثلاث مرّات، و كذلك بالماء الكر الجاري على الأحوط.

يطهر المخرج بالماء مع رعاية الشروط المذكورة في الأحكام الشرعية<sup>(١)</sup> بالحجر والخرق و أمثالها.

١- راجع: الأحكام الشرعية، المسائل ٦٦، ٦٩، ٧٠.

## ٢- الأرض

تطهّر الأرض باطن القدم و باطن النعل المتنجّس بخمسة شروط:

١ و ٢- أن تكون طاهرة و جافّة على الأحوط وجوباً.

٣- أن تكون نجاسة باطن القدم والنعل و أمثالها حاصلة من المشي على الأرض

المتنجّسة و ملاقاتها.

٤- أن تزول عين النجاسة أو المتنجّس - كالدّم والبول والطين - التي تكون على باطن

القدم أو النعل بالمشي على الأرض أو المسح بها.

٥- أن تكون الأرض تراباً أو حصياً أو حجراً أو مفروشة بالآجر. أمّا الأفرشة والسجادة

والحصير والعشب، فلا يطهر باطن القدم والنعل بالمشي عليها. و طهارة باطن القدم والنعل

بالمشي على الأرض المزقّنة والأرض المفروشة بالأخشاب محل إشكال.

## ٣- الشمس

تطهّر الشمس، الأرض والأبنية و ما يدخل في بنائها مثل الأبواب والشبابيك، و كذلك

المسامير المثبتة في الجدران التي تعدّ جزءاً من البناء بستّة شروط:

١- أن يكون الشيء المتنجّس رطباً، بحيث إذا لامسه شيء آخر سرت رطوبته إليه.

٢- أن تزول عنه عين النجاسة إن كانت، قبل أن تشرق عليه الشمس.

٣- أن لا يكون حائل بينه و بين الشمس. فلو أشرقت عليه الشمس من خلف ستار أو

غيم وجفّفته، لا يطهر، ولكن إذا كان الغيم خفيفاً بحيث لا يمنع أشعة الشمس، فلا إشكال فيه.

٤- أن تستقلّ الشمس بتجفيف الشيء المتنجّس. فلو جفّ بسبب الريح والشمس معاً،

لم يطهر. أمّا إذا كان الريح قليلاً بحيث لا يقال إنّه ساعد في تجفيفه. فلا إشكال فيه.

٥- أن تجفّف الشمس المقدار المتنجّس من الأرض والبناء مرّة واحدة. فلو أشرقت

الشمس عليه في المرّة الأولى وجفّفت طاهرة، ثمّ اشرقت مرّة أخرى وجفّف باطنه، يطهر

ظاهره و يبقى باطنه على نجاسته.



٦- أن لا يكون بين ظاهر الأرض أو البناء الذي تشرق عليه الشمس وبين باطنه فاصل من هواء أو جسم ظاهر آخر، وإلا فإن الباطن لا يطهر وإن جفّ بسبب شروق الشمس.

#### ٤- الاستحالة

يطهر الشيء النجس أو المتنجس إذا تغيّر جنسه إلى شيء طاهر، ويُسمى ذلك الاستحالة. كأن يحترق الخشب المتنجس و يصير رماداً، أو يسقط الكلب في بحيرة أملاح و يستحيل إلى ملح. أمّا إذا لم يتحوّل جنسه، كما لو طحنت الحنطة المتنجسة، أو صنعت خبزاً، فإنّها لا تطهر.

#### ٥- ذهاب ثلثي العصير العنبي

غليان عصير العنب الذي يوجب حرمة يكون في حالتين:  
 أ - إذا غلى عصير العنب بالنار يحرم تناوله و هو نجس احتياطاً. و لا يطهر و لا يحل إلا إذا غلى بحيث يتبخّر ثلثاه.  
 ب - إذا غلى بنفسه يتنجس و يحرم تناوله، و لا يطهر و لا يحل إلا إذا صار خلاً.

#### ٦- الانتقال

إذا دخل دم الإنسان أو الحيوان ذي النفس السائلة، إلى جسم حيوان ليس بذي نفس سائلة كالبرغش، و صار يُعدُّ من دمه، صار طاهراً. ويُسمى ذلك: الانتقال، مثل الدم الذي تمتصه البعوضة من جسم الإنسان أو حيوان آخر و يصير جزءاً من جسم البعوضة.

#### ٧- الإسلام

إذا نطق الكافر بالشهادتين؛ يعني أن يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله»، عن اعتقاد و عزم - حتى وإن كان بلغه أخرى - يصير مسلماً - و بناءً على القول بنجاسة الكافر - يطهر بدنه و عرفه.

**٨-التبعية**

وهي طهارة الشيء النجس تبعاً لطهارة شيء نجس آخر، كالخمر إذا استحال خلاً، يظهر الإيناء الذي كان فيه تبعاً لطهارة الخل.

**٩-زوال عين النجاسة**

إذا تنجس بواطن الإنسان -مثل داخل الحلق والأنف- ثم تلاشت النجاسة يظهر الموضع ولا يجب تطهيره بالماء. وكذلك إذا تنجس بدن الحيوان وزالت عنه النجاسة. أمّا إذا تنجس شيء خارجي موضوع في الفم -كالسن الاصطناعي مثلاً- فطهارته بمجرد زوال عين النجاسة موضع إشكال.

**١٠-استبراء الحيوان الجلال**

الأحوط وجوباً نجاسة بول و غائط الحيوان الجلال المعتاد على أكل نجاسة الإنسان. وإذا أُريد تطهيره، وجب أن يُستبرأ؛ يعني يُمنع لمدة -ورد بيانها في الأحكام الشرعية<sup>(١)</sup> - من أكل النجاسات ويُعطى طعاماً طاهراً.

**١١-غيبية المسلم**

إذا كان بدن المسلم أو ثيابه أو الأواني التي يستعملها متنجسة، ثم غاب ذلك المسلم و كان هناك احتمال في تطهير تلك الأشياء بالماء، أو طهارتها بنزول المطر عليها، أو بالماء الكر أو الجاري، فلا يجب اجتنابها.

**ب - الطهارة المعنوية**

هناك إضافة إلى الطهارة التي سبق الكلام عنها، نوع آخر من الطهارة التي أوجبها

١-راجع: الأحكام الشرعية، المسألة ٢٢٧.

الإسلام، و اشتراطها لصحة أعمال عبادية منها الصلاة. وهي تتحقق بثلاثة أشياء: الوضوء، والغسل، والتيمم.

## الوضوء

الوضوء: اغتسال خاص يقوم به الإنسان بأمر الله قبل الصلاة وبعض العبادات الأخرى، لتطهير القلب والتقرب إلى الله. والوضوء عمل لطهارة الروح والاستعداد للعبادة. ولهذا فهو على درجة كبيرة من الأهمية، وقد وُصِفَ في رواية بأنه نور.<sup>(١)</sup> وأما الأمور التي يجب لها الوضوء فهي: الصلاة، والطواف الواجب، ومسّ كتابة القرآن، وكذلك لأداء نذر أو عهد أو قسم. والمصلّي يتهيأ بهذا الاغتسال الظاهري لإزالة الخبائث والأدران الروحية والقلبية. ولهذا كلما كان الإنسان يتوضأ بمزيد من الاهتمام وحضور القلب، يكون له توجه وإخلاص أكثر في الصلاة، ولكن لا ينبغي طبعاً حصر الحكمة من الوضوء بهذه الأمور أو بأمور أخرى مثل رعاية جوانب الصحة والنظافة. وما يجب في الوضوء هو التعبد والخضوع لله الواحد.

يجب في الوضوء غسل الوجه واليدين، ومسح مقدم الرأس و ظاهر القدمين. ويمكن فعل ذلك بطريقتين: الترتيبي، والارتماسي.

## الوضوء الترتيبي والارتماسي

الوضوء الترتيبي هو صبُّ الماء على كل واحد من أعضاء الوضوء وغسله من الأعلى إلى الأسفل و بالترتيب. و أما في الوضوء الارتماسي فيغمر كل عضو في الماء بالترتيب. في الوضوء الترتيبي يجب غسل الوجه طويلاً من منبت الشعر إلى نهاية الذقن من الأعلى إلى الأسفل، و عرضاً بمقدار ما شمله الإبهام والإصبع الوسطى. و لأجل أن يحصل له اليقين بغسل تمام هذه المساحة، يجب أن يغسل شيئاً مما حولها. و بعد الوجه، يغسل اليد

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٨ من أبواب الوضوء، ج ١، ص ٣٧٧، الحديث ٨.

اليمنى ثم اليسرى، وأن يكون غسل اليدين من المرفق إلى نهاية الأصابع من الأعلى إلى الأسفل. ولأجل أن يحصل له اليقين بغسل المرفق كاملاً، يجب غسل مقدار قليل أعلى المرفق.

بعد تمام غسل اليدين يجب مسح ربع الرأس الواقع فوق الجبهة بالرطوبة الباقية على كف اليد، ثم يمسح ظاهر القدمين ابتداءً من رأس إحدى الأصابع إلى كعب القدم. وعند المسح يجب أن يكون موضع المسح جافاً، وأن يثبت الرأس والقدم و يسحب اليد عليها. ولو كان الشعر طويلاً بحيث لو مشطه مثلاً يصل إلى وجهه أو سائر أجزاء الرأس، يجب أن يمسح على أصوله أو يفترقه و يمسح على البشرة. أما لو لم يكن هذا الشعر طويلاً إلى هذا الحد يكفي المسح على ظاهر الشعر. والأحوط وجوباً مسح الرأس بكف اليد اليمنى من الأعلى إلى الأسفل بثلاثة أصابع. وفي مسح القدمين توضع اليد على رؤوس الأصابع ثم تُسحب على ظهر القدم، لأن توضع كل اليد على ظاهر القدم وتُسحب قليلاً.

### شروط الوضوء

لصحة الوضوء ثلاثة عشر شرطاً:

- ١ و ٢- أن يكون ماء الوضوء طاهراً و مطلقاً.
- ٣- أن يكون الماء مباحاً، والأحوط وجوباً أن يكون الفضاء الذي يقع فيه الوضوء مباحاً أيضاً.
- ٤ و ٥- أن يكون إناء ماء الوضوء مباحاً و ليس من الذهب والفضة.
- ٦- أن تكون أعضاء الوضوء حين الغسل والمسح طاهرة على الأحوط وجوباً.
- ٧- أن يكون هناك وقت كافٍ للوضوء والصلاة، وإلا فعلياً أن يتيمم.
- ٨- أن يكون الوضوء بقصد القربة؛ يعني يتوضأ امتثالاً لأمر الله تبارك و تعالى.
- ٩ و ١٠- أداء أفعال الوضوء بالترتيب والموالاتة والمتابعة.

١١- أن يباشر الإنسان أعمال الوضوء بنفسه، لا أن يوضئه أو يساعده على الوضوء شخص آخر.

١٢- أن لا يكون في استعمال الماء ضرر عليه.

١٣- أن لا يكون على أعضاء الوضوء مانع من وصول الماء.

القماش واللفاف الذي تُصمّد به الجروح، والقماش أو البلاستيك اللاصق الذي يوضع على الجرح مؤقتاً لمنع وصول الماء إليه يُسمى «جبيرة». وأي وضوء أو غسل أو تيمم يجري فوق هذا القماش أو اللفاف أو اللاصق يُسمى وضوء أو غسل أو تيمم الجبيرة. وهو صحيح إذا جرى وفقاً للشروط التي بيّنتها الرسائل العملية.<sup>(١)</sup>

### مبطلات الوضوء

مبطلات الوضوء سبعة:

١ و ٢- خروج البول والغائط.

٣- خروج ريح من مخرج الغائط.

٤- النوم الذي لا ترى فيه العين ولا تسمع الأذن، ولكن إذا توقفت إحداها فقط عن العمل لا يبطل الوضوء.

٥- الأشياء المذهبة للعقل مثل الجنون والسكر والإغماء.

٦- الاستحاضة.

٧- الأفعال التي توجب الغسل، كالجنابة والحيض والنفاس والاستحاضة، بل مسّ الميّت على الأحوط، بعد برودته وقبل غسله.

### الغسل

أحياناً يشترط «الغسل» لصحة العبادة. يعني يجب غسل تمام البدن بترتيب و شروط خاصة و بقصد القربة، و لا يكفي الوضوء وحده. و في بعض الحالات يُستحب الغسل.

١- راجع: الأحكام الشرعية، المسائل ٣٣٢-٣٥٢.

## الأغسال الواجبة

يجب الغُسل في عدّة موارد للصلاة وكل عمل يجب أدائه بوضوء.

١- غسل الجنابة، وهو ما يجب بسببين، الأول: الجماع، والثاني: خروج المنى سواء في اليقظة أو في النوم.

٢ و ٣ و ٤- غسل الحيض، والاستحاضة والنفاس، الحيض هو الدم الذي يخرج من رحم المرأة عادة عدّة أيام من كل شهر، ولا تكون مدّة الحيض أقل من ثلاثة أيام، ولا أكثر من عشرة أيام. أمّا وقت وعدد أيام حيض المرأة فهو تابع للانتماء العرقي للمرأة وأسرتها وظروفها الجسمية وغير ذلك، فهي تحيض في زمان ومدّة خاصّة، وهو ما يُسمّى بالعادة.

والاستحاضة: وهي ما تراه المرأة من الدم الذي تقل مدّته عن ثلاثة أيام أو تزيد على عشرة أيام.

النفاس: وهو كل دم تراه المرأة من أول خروج جزء من الطفل من بطنها ومدته مثل مدّة العادة الشهرية. وإذا لم تكن هناك مدّة ثابتة للعادة، فإنّ مدّة النفاس لا تكون أكثر من عشرة أيام، ولكن قد تكون أقل من ثلاثة أيام.

وفي كل واحدة من هذه الحالات الثلاثة يجب على المرأة بعد أن تطهر أن تغتسل غسل الحيض، أو الاستحاضة، أو النفاس، من أجل الصلاة والعبادات الأخرى. و تفصيل ذلك المذكور في الرسائل العملية.<sup>(١)</sup>

٥- غسل مسّ الميّت، يجب أن يغتسل الإنسان غسل الميّت مسّ الميّت إذا مسّ الميّت، أي لامس بجزء من بدنه بدن الميّت - عدا الشعر- بعد أن يبرد وقبل أن يُغسّل. ويشمل هذا الحكم أيضاً إذا مسّ قطعة منفصلة من جسم الميّت إن كان فيها عظم.

٦- غسل الميّت، يجري غسل الميّت على نحو خاص؛ إذ يجب ابتداءً غسل تمام

١- راجع: الأحكام الشرعية، المسائل ٤٠٠-٥٢٧.

البدن بالماء المخلوط بالسدر، و من بعده يُغسل بالماء المخلوط بالكافور، ثم بالماء الخالص القراح، بالنحو الذي جاء في الرسائل العملية.<sup>(١)</sup>

٧- الغسل الذي يجب بالنذر أو اليمين أو العهد.

### كيفية الغسل

يمكن الغسل بطريقتين: الغسل الترتيبي، والغسل الارتماسي. وفي الغسل الترتيبي يجب غسل الرأس والرقبة أولاً، ثم على الأحوط وجوباً غسل الجانب الأيمن من البدن، ثم غسل الجانب الأيسر. والغسل الارتماسي أن يرمس الإنسان بدنه في الماء دفعة واحدة بنية الغسل.

### أحكام الغسل

- ١- كل الشروط التي ذكرت لصحة الوضوء، تُشترط في صحة الغسل أيضاً، ولكن لا يجب في الغسل غسل البدن من الأعلى إلى الأسفل، ولا تجب الموالاة والمتابعة في الغسل، بشرط أن لا يأتي بما يبطل الوضوء.
- ٢- من تجب عليه عدة أغسال يمكنه أن ينويها جميعاً في غسل واحد. ويمكنه أيضاً الغسل مرة واحدة عن عدة أغسال واجبة ومستحبة.
- ٣- من يغتسل عن الجنابة لا يتوضأ للصلاة، ولكن لا يصح أن يصلي بالأغسال الأخرى، والأحوط وجوباً أن يتوضأ معها.
- ٤- يشترط على الأحوط وجوباً في صحة الغسل الارتماسي أن يكون جميع البدن طاهراً. ولا يجب ذلك في الغسل الترتيبي، بل يكفي فيه تطهير كل جزء قبل غسله.
- ٥- لا يجوز للصائم صوماً واجباً معيناً أن يغتسل غسلًا ارتماسياً حين الصوم؛ لأن الصائم يجب أن لا يغمر كل رأسه في الماء.

١- راجع: المصدر السابق، المسائل ٥٥٧-٥٧٧.

٦- إذا أَحَدَتْ أثناء الغُسل ما يوجب الوضوء، فالأحوط وجوباً أن يستأنف الغُسل وأن يتوضأ.

٧- إذا وجب على المكلف غسل آخر ولم يغتسل، ثم أجنب واغتسل من الجنابة، يكفيه غسل الجنابة عن الأغسال الأخرى وإن لم يلتفت إليها عندما اغتسل.

### أحكام الجنابة

الغُسل الوحيد الذي صرَّح به القرآن الكريم هو غسل الجنابة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾<sup>(١)</sup> ومن هنا يُستفاد أنه يمكن الصلاة بغُسل الجنابة ولا يجب الوضوء.

ومع وجوب غسل الجنابة للصلوات الواجبة والصوم الواجب والطواف، ولكن الإتيان به لذاته مستحب، ويُذم البقاء على الجنابة، ويكره كراهة شديدة الأكل والشرب والنوم في حال الجنابة. وتزول الكراهة في هذه الحالات الثلاثة بالوضوء أو التيمم قربة إلى الله تعالى في حالة النوم لعدم وجدان الماء.

### ما يحرم على الجنب

يحرم على الجنب خمسة أشياء:

١- مس كتابة القرآن، بأي جزء من أجزاء البدن، وكذا لفظ الجلالة على الأحوط وجوباً. وكذلك مس أسماء الأنبياء والأئمة والزهراء -عليهم الصلاة والسلام- إذا استلزم مسها هتكاً وإهانة كما تقدّم ذكره في الوضوء.

٢- الدخول إلى المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ، وإن دخل عابراً من باب وخرج من آخر.

٣- المكث في المساجد الأخرى. وكذلك على الأحوط وجوباً حرم مشاهد الأئمة عليهم السلام. أمّا إذا دخل من باب وخرج من آخر، أو دخل المسجد لأخذ شيء منه فلا حرمة عليه.

١- سورة المائدة (٥)، الآية ٦.



٤- وضع شيء في المسجد.

٥- قراءة سور العزائم التي فيها آيات السجدة الواجبة. وهي أربع سور: ١- السورة الثانية والثلاثون (الم تنزيل). ٢- السورة الحادية والأربعون (حم السجدة). ٣- السورة الثالثة والخمسون (والنجم). ٤- السورة السادسة والتسعون (إقرأ). فإذا قرأ الجنب حرفاً من هذه السور -ولو غير آية السجدة- فهو حرام على الأحوط وجوباً، وأمّا من آية السجدة فحرام بدون شك.

### أحكام الحيض

١- يحرم الجماع في أيام الحيض.

٢- لا تجوز عليها العبادات التي تُشترط فيها الطهارة كالصوم والصلاة، ولكن يستحب لها في وقت الصلاة اليومية أن تتوضأ وتجلس نحو القبلة وتدعو وتذكر الله.

٣- لا قضاء للصلوات اليومية التي لم تصلها المرأة حال الحيض، ولكن يجب أن تقضي ما فاتها من الصوم الواجب.

٤- كل ما يحرم على الجنب، يحرم على الحائض أيضاً، ويجب عليها اجتنابه ويجب عليها الاغتسال بعد الطهارة من الحيض.

### التيمم

شُرعت الأحكام في الإسلام على نحو يسهل العمل بها، ولا تُتوقع الأفراد والمجتمع في عُسرٍ ومشقة، ونذكر على سبيل المثال الطهارة لأداء الصلاة، فلو تعذر الوضوء أو الغسل لسبب أو آخر يجب التيمم بدلاً من الوضوء أو الغسل. قال الله تعالى في التيمم: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُبَيِّنَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

١- سورة المائدة (٥)، الآية ٦.

إنَّ الغاية من الوضوء أو الغسل ليست النظافة فقط حتّى يقال: كيف يمكن احراز النظافة بالتييمم. فأحكام الشريعة الإسلامية المقدّسة فيها إضافة إلى الحِكم والغايات التي يفهمها الكثير من الناس، مصالح و علل أخرى ربّما لا يتيسّر فهمها لجميع الناس. والجوهر المشترك في جميع الأحكام الإلهية هو إيجاد حالة من التعبد و غرس روح الطاعة والخضوع لله.

### كيفية التيمم

التيمم عبارة عن ضرب كفيّ اليدين على الأرض و مسحهما على الوجه و ظاهر الكفّين، وفقاً للشروط التالية:

- ١- تيمم بدلاً من الوضوء أو الغسل.
- ٢- ضرب كفيّ اليدين معاً على الأحوط، على ما يصحّ التيمم به.
- ٣- مسح تمام الجبهة و طرفيها بكفيّ اليدين معاً، من منبت الشعر إلى الحاجبين و أعلى الأنف. والأحوط وجوباً مسح الحاجبين أيضاً.
- ٤- مسح تمام ظاهر الكفّ اليمنى من الزند إلى أطراف الأصابع بباطن الكفّ اليسرى، ثم مسح تمام ظاهر الكفّ اليسرى بباطن اليد اليمنى. والأحوط أن يضرب كفيّ اليدين على الأرض مرّتين، ثمّ يمسح الجبهة و ظاهر الكفّين بهما، ثم يضرب الكفّين مرّة أخرى على الأرض و يمسح ظاهر الكفّين بهما.

### ما يصحّ به التيمم

يصحّ التيمم بالتراب والحصى والحجر والمدر والطين المطبوخ كالأجر والخزف و حجر الجص والنورة و أحجار الرخام و سائر أقسام الحجر، ولكن التيمم على المعادن مثل حجر العقيق والفيروزج، باطل. و لا يترك احتياطاً تقديم التراب على الباقي خصوصاً الحجر. يجب أن يكون ما يُتيمم به طاهراً و غير مغصوب، وإذا كان التيمم بما فيها غبار، فالأحوط أن يعلق باليد شيء من الغبار.

## موارد التيمم

- ١- تعذر الحصول على الماء الكافي للوضوء أو الغسل.
- ٢- إذا لم يتمكن من الحصول على الماء بسبب شيخوخته أو خوفه من سارق أو سبع و أمثالهما، أو لعدد وجود وسيلة لحمل الماء.
- ٣- الخوف من المرض أو أن يطول أو يشتد عليه المرض بسبب استعمال الماء.
- ٤- إذا خاف - من صرف الماء في الوضوء أو الغسل، على نفسه، أو زوجته وأولاده، أو رفقاته، أو نفس محترمة يجب حفظها - الموت عطشاً أو المرض أو العطش الذي يشق تحمّله، وكذلك إذا خاف على حيوان كالفرس والبغل مما لا يذبح عادة لأكل لحمه، فيجب عليه في مثل هذه الحالة أن يتيمّم بدلاً من الغسل أو الوضوء.
- ٥- ضرورة صرف الماء لتطهير البدن أو الثوب النجس.
- ٦- إذا لم يكن عنده ماء أو إناء غير ما يحرم استعماله.
- ٧- إذا كان وقت الصلاة ضيقاً ولم يكن هناك وقت كافٍ للوضوء أو الغسل.

## واجبات الصلاة

- ١- النية؛ وتعني العزم والإرادة على فعل شيء. وإذا كان الإنسان متنبهاً للعمل الذي يؤدّبه، فلا بد أن يكون قاصداً له ولديه نية على أدائه. وعلى الإنسان أن يؤدّي العبادات و منها الصلاة بنية القربة إلى الله؛ أي امتثالاً لأمر الله تعالى. ولا يجب أن يستحضر النية في قلبه، ولا أن يتلفظ بها بلسانه.
- ٢- القيام؛ عند الإمكان يجب أن يكون المصلي في حالة قيام أثناء التكبير و قراءة الحمد والسورة. والقيام حال تكبيرة الإحرام، والقيام الذي عنه يركع ركنان.
- ٣- تكبيرة الإحرام؛ تبدأ الصلاة بقول «الله أكبر». و من بعدها يجب على المصلي اجتناب كل ما لا يناسب حال الصلاة.

٤- **القراءة؛** وهي قراءة سورة الحمد وسورة أخرى من القرآن في الركعتين الأولى والثانية، وقراءة التسيبحات الأربعة وهي «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» ثلاث مرّات أو قراءة سورة الفاتحة وحدها في الركعتين الثالثة والرابعة.

٥- **الركوع؛** وهو الانحناء إلى الأمام بعد قراءة الحمد والسورة أو التسيبحات الأربعة في كل ركعة، بحيث يمكنه أن يضع يديه على ركبتيه، وأن يكون في ذلك الحال في توجه كامل إلى الله، ويذكر عظّمته، ويكفي فيه الإتيان بأي ذكر كان، والأحوط وجوباً إن أراد «سبحان الله» أن يقولها ثلاث مرّات. وإذا أراد أن يقول شيئاً آخر غير ذلك، لا يقلّ عن قول «سبحان الله» ثلاث مرّات، أو مرّة واحدة «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ». والأحوط اختيار التسيبح من بين الأذكار.

٦- **السجود؛** يقف المصلّي بعد الركوع ثم يسجد بكل تواضع. والسجود هو أن يضع جبهته، وكفّي يديه، ورأس ركبتيه، ورأس إبهامي قدميه على الأرض، ويذكر الله بالتعظيم ويقول ثلاث مرّات «سبحان الله» أو مرة واحدة «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ» أو أي ذكر آخر بالنحو الذي ورد تفصيله في الركوع. ثم يرفع رأسه من السجود ويجلس ثم يسجد السجدة الأخرى.

يجب السجود على الأرض أو ما أنبتت مما لا يؤكل ولا يلبس، كالخشب وأوراق الأشجار وأمثال ذلك، ولكن يبطل السجود على ما يلبسه ويأكله الإنسان كالحنطة والشعير والخبز، كما يبطل السجود على الذهب والفضة وكذا العقيق والفيروزج على الأحوط وجوباً. أما السجود على الأحجار المعدنية كحجر المرمر والأحجار السود وحجر الجص وحجر النورة فلا إشكال فيه، بل يصحّ السجود أيضاً على الجص والنورة المطبوخين، وعلى الآجر والكوز الطيني وأمثالها، وإن كان الأحوط تركه.

٧- **التشهد؛** على المصلّي في الركعة الثانية من كل الصلوات الواجبة والمستحبّة والركعة الثالثة من صلاة المغرب، والرابعة من صلاة الظهر والعصر والعشاء؛ أن يجلس بعد السجدة الثانية ويأتي بالتشهد وهو مستقر البدن فيقول: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.»

٨- السلام؛ يستحب بعد التشهد في الركعة الأخيرة من الصلاة أن يقول وهو جالس مستقر البدن: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» و يجب عليه أن يقول بعده: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» أو يقول: «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ»؛ ولكن إذا أتى بهذا السلام الأخير، يحسن أن يتبعه بقوله: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

٩- الذكر؛ يجب على المصلي أن يأتي باذكار الركوع والسجود والتشهد والسلام كما مرّ بيانه.

١٠- الترتيب؛ الترتيب في الصلاة معناه أن يأتي بواجبات الصلاة بالترتيب المذكور، وإذا أخلّ بالترتيب بين أجزاء الصلاة عامداً فصلاته باطلة.

١١- الموالاتة؛ يجب على المصلي أن يأتي بالصلاة بنحو الموالاتة؛ أي أن يتابع بين أفعالها كالركوع والسجود والتشهد، ويتابع بين تلاوتها بالنحو المتعارف. فإذا فصل بينها بمقدار لا يقال له أنه يُصلي، وخرج بذلك عن هيئة المصلي، فصلاته باطلة.

## أحكام الصلاة

١- هناك من بين واجبات الصلاة خمسة أركان، والأركان الخمسة للصلاة هي: النيّة، وتكبيرة الإحرام، والقيام حال تكبيرة الإحرام، والقيام المتّصل بالركوع، والركوع، والسجدتان. فإذا زاد أو نقص أحد هذه الأركان عمداً أو سهواً تبطل صلاته. و سائر واجبات الصلاة ليس ركناً؛ أي إذا زاده أو نقصه عمداً تبطل صلاته، وإذا نقصه أو زاده سهواً لا تبطل.

٢- يجب على كل مسلم تعلّم جميع كلمات الصلاة باللغة العربية وبالشكل الصحيح، وأن يقرأها بشكل صحيح.

٣- يجب على الرجل والمرأة أن يقرأ الحمد والسورة في صلاة الظهر والعصر إخفاً. ويجب على الرجل أن يقرأ الحمد والسورة في صلاة الصبح والمغرب والعشاء جهراً، ولكن هذا غير واجب على المرأة.

٤- يجب أن يكون البدن مستقراً حال الأذكار الواجبة، بل الأحوط وجوباً أن يكون مستقراً حال الأذكار المستحبة، إذا أتى بها بنية كونها ذكراً من الأذكار المستحبة الواردة في الصلاة، عدا قول «بِحَوْلِ اللَّهِ وَ قُوَّتِهِ أَقْوَمُ وَ أَقْعَدُ» فعليه أن يقولها حال النهوض للوقوف لركعة أخرى.

### مستحبات الصلاة

مثلما في الصلاة أركان و أذكار واجبة، كذلك فيها أعمال مستحبة و ردت تأكيدات كثيرة عليها، و لها تأثير كبير في التوجه إلى الله:

١- الأذان والإقامة: يستحب للمصلي الأذان والإقامة قبل الصلوات الواجبة اليومية. ويستحب أن يقول قبل صلاة عيد الفطر والأضحى ثلاث مرّات: «الصلاة»، بدلاً من الأذان والإقامة.

الأذان ثماني عشرة جملة:

«الله أكبر»، أربع مرّات. «أشهد أن لا إله إلا الله». «أشهد أن محمداً رسول الله». «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ». «حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ». «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ». «الله أكبر». «لا إله إلا الله» كل واحدة من هذه الجمل مرّتان.

والإقامة سبع عشرة جملة:

حيث ينقص من جمل الأذان مرّتان «الله أكبر» من أولها، و مرّة واحدة «لا إله إلا الله» من آخرها، و يضاف بعد «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ»، «قد قامت الصلاة»، مرّتان. «أشهد أن علياً ولي الله»، ليست جزءاً من الأذان والإقامة، ولكن يحسن الإتيان بها بعد «أشهد أن محمداً رسول الله»، بقصد القرية المطلقة لا بقصد الورود.

٢- القنوت؛ يستحب القنوت قبل ركوع الركعة الثانية، وهو أن يرفع يديه مقابل وجهه و يذكر الله بما هو شأنه، والأفضل أن يقرأ فيه من الأدعية المأثورة عن المعصومين، أو من آيات القرآن الكريم.

- ٣- يستحب مؤكداً قول «الله أكبر» بعد كل عمل، وكذلك قبل الركوع، وأن لا يترك هذا جهد الإمكان.
- ٤- يُستحب حال كل تكبيرة - وخاصة حال تكبيرة الإحرام - أن يرفع يديه إلى مقابل أذنيه بحيث يكون باطن الكفين باتجاه القبلة.
- ٥- يستحب حال القيام النظر إلى موضع السجود، و حال القنوت النظر إلى باطن الكفين، و حال الركوع النظر إلى ما بين القدمين، و حال الجلوس النظر إلى حجره.
- ٦- يُستحب أن يقول بعد الوقوف الكامل من الركوع والاستقرار «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»؛ وأن يقول حين النهوض لركعة أخرى: «يَحْوِلِ اللَّهُ وَ قُوَّتِهِ أَقْوَمُ وَ أَقْعَدُ».
- ٧- يستحب بعد الصلاة أن يجلس قليلاً ويفكر و يناجي ربه، و لا يشترط أن يكون ذلك باللُّغة العربية، و لكن الأفضل الإتيان بالمسنون الوارد عن المعصومين. ويُستحب قراءة ما علمه رسول الله ﷺ لفاطمة الزهراء ؑ والمعروف باسم تسبيح الزهراء ؑ و هو بالترتيب التالي: ٣٤ مرّة «الله أكبر»، ٣٣ مرّة «الحمد لله» و ٣٣ مرّة «سبحان الله». و تُستحب بعد الصلاة سجدة الشكر، و يقول فيها ثلاث مرّات «شكراً لله» أو «شكراً» أو «عفواً».

### مبطلات الصلاة

من المفترض طبعاً أن يقف العبد في الصلاة بين يدي ربه بحضور قلب و انتباه تام إلى عظمة الله، و في الوقت ذاته، عليه أن ينتبه أن لا يصدر منه ما يوجب الذهول عن الصلاة و بطلانها.

و مبطلات الصلاة إثنا عشر:

- ١- إذا انتفى أثناء الصلاة أحد شروطها، مثل انكشاف الستر اللازم للمرأة والرجل.
- ٢- إذا حدث أثناءها سهواً أو عمدًا أو اضطراراً ما يبطل الوضوء والغسل كخروج البول مثلاً.
- ٣- أن وضع المصلي إحدى يديه على الأخرى معتبراً ذلك من واجبات الصلاة، فالأحوط وجوباً أن يعيد صلاته.

- ٤- أن يقول عمداً «آمين» بعد الحمد.
- ٥- تعمّد استدبار القبلة أو الانحراف عنها إلى جهة اليمين أو جهة الشمال.
- ٦- تعمّد التلقّظ بكلمة خارج الصلاة يقصد معناها، بل حتى إذا لم يقصد معناها على الأحوط وجوباً.
- ٧- تعمّد الضحك المشتمل على صوت، وإذا ضحك سهواً بصوت وخرج بذلك عن هيئة المصلّي فصلاته باطلة، ولكن التبسم لا يبطل الصلاة.
- ٨- تعمّد البكاء المشتمل على صوت لأمرٍ دنيوي، ولكن إذا بكى بلا صوت لأمرٍ دنيوي عمداً من دون اختيار فقيهه إشكال.
- ٩- إذا جاء بفعل يمحو صورة الصلاة.
- ١٠- الأكل والشرب.
- ١١- الشك في عدد ركعات الصلاة الثنائية، أو الثلاثية، أو في الركعتين الأولىين من الرباعية.
- ١٢- زيادة الركن أو نقصانه عمداً أو سهواً، أو زيادة غير الركن من واجبات الصلاة أو نقصانه عمداً.

### صلاة المسافر

- ١- يجب على المسافر أن يصلّي صلاة الظهر والعصر والعشاء قصراً (أي يصلّي ركعتين لكل واحدة منها).
- ٢- من نوى ثمانية فراسخ، يجب أن يقصر صلاته عندما يصل إلى مكان لا يرى فيه سور البلد ولا يسمع أذانه.
- ٣- من شغلهم السفر كالجّمال والسائق والراعي والبحار و أمثال هؤلاء يجب أن يتمّوا الصلاة في غير سفرهم الأوّل. وأما في سفرهم الأوّل فيجب أن يقصروا الصلاة وإن طال، إلا أن يكون طويلاً جداً بحيث يصدق عليهم عرفاً أنّ عملهم السفر، أو يكون سفرهم متواصلاً بعد وصولهم إلى مقصدهم الأوّل إلى أمكنة أخرى دون أن يرجعوا إلى وطنهم.



٤- التاجر والكاسب الدوّار، والعُمّال والمضيّفون في القطارات والسفن والطائرات، والمعلّم والآمر والمأمور السيّار، والطلاب الذين يضطّرون للسفر في كل أسبوع عدّة أيام إلى مدينة أخرى و يقطعون المسافة الشرعية، يكون حُكْمهم حكم من عمله السفر وصلاتهم تامّة و يجب عليهم الصوم أيضاً.

٥- من سافر و نوى الإقامة عشرة أيام متوالية في مكان، يجب أن يتم صلاته.

٦- إذا كان في السفر ضرر له كأن يُسافر للسرقة أو لإيذاء و ظلم الغير، أو لشراء و بيع أشياء محرّمة كالمشروبات الكحولية، يجب عليه أن يتم صلاته.

### صلاة الجماعة

وردت تأكيدات كثيرة على صلاة الجماعة، فقد جاء في الحديث أنه إذا كانا اثنين كتب الله لكل واحد بكل ركعة مئة وخمسين صلاة، وإذا كانوا ثلاثة، كتب الله لكل واحد بكل ركعة ستمئة صلاة، (وكلما زاد عددهم زاد ثواب صلاتهم إلى أن يصل عددهم إلى العشرة) ومتى ما كانوا أكثر من عشرة، فلو صارت السموات كلها قرطاساً، والبحار مداداً، والأشجار أقلاماً، والتقلان مع الملائكة كُتّاباً، لم يقدرُوا أن يكتبوا ثواب ركعة واحدة.<sup>(١)</sup>

يُستحب أداء الصلوات اليومية، والصلاة على الميت، وصلاة الآيات جماعة. وقد ورد التأكيد أكثر في الصلوات اليومية، وخاصة صلاة الصبح والمغرب والعشاء، وخصوصاً لجار المسجد، و من يسمع أذان المسجد.

وتُقام صلاة الجماعة بشخصين، أحدهما يتقدّم و يبدأ بالصلاة وهو الإمام، والآخر يقتدي به وهو المأموم.

والإمام يقرأ بدلاً من الآخرين الحمد والسورة، والآخرون ينصتون و يذكرون الله بقلوبهم، كما جاء في القرآن: ﴿وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ انصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.<sup>(٢)</sup>

١- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ١ من أبواب صلاة الجماعة، ج ٦، ص ٤٤٤، الحديث ٣.

٢- سورة الأعراف (٧)، الآية ٢٠٤.

### شروط صلاة الجماعة

- ١- يجب أن لا يكون هناك بين الإمام والمأموم ساتر، وكذلك بين المأموم والمأموم الآخر الذي يتصل بواسطته بالإمام، ولكن إذا كان الإمام رجلاً والمأموم امرأة، فلا إشكال في وجود الساتر وأمثاله بينها وبين الإمام، أو بينها وبين المأموم الرجل الذي تتصل بواسطته بالإمام، ولكن يلزم أن يكون بحيث يعدّ الجميع عرفاً جمعاً واحداً.
- ٢- يجب أن لا يكون موقف الإمام أعلى من موقف المأموم.
- ٣- الأحوط وجوباً أن لا يكون الفاصل بين مسجد المأموم وموقف الإمام، وبين المأمومين أنفسهم أكثر من خطوة متعارفة.
- ٤- لا يجوز أن يتقدم المأموم في موقفه على الإمام، والأحوط وجوباً أن لا يساويه.

### شروط إمام الجماعة

يجب أن يكون إمام الجماعة عاقلاً، عادلاً، إمامياً إثنين عشرياً، طاهر المولد، والأحوط وجوباً أن يكون بالغاً، وأن يؤدي الصلاة بشكل صحيح. وإذا كان المأمومون رجالاً أو رجالاً ونساءً، يجب أن يكون الإمام رجلاً، ولكن إمامة المرأة للمرأة جائزة.

## الصلوات الواجبة الأخرى

### صلاة الجمعة

تُصلى يوم الجمعة -حين توفر شروطها- بدلاً من صلاة الظهر. وقد ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تأكيد كثير عليها.

وإذا أمكن تحصيل شروط صلاة الجمعة في زمن غيبة الإمام المهدي (عج) فالأحوط وجوباً إقامتها. وإذا انعقدت فالأحوط وجوباً لواجدي الشرائط أن يحضروها ولا يتركوها

بدون عذر شرعي.

صلاة الجمعة من التعاليم الاجتماعية المهمة في الإسلام؛ ولها أهمية بالغة، ولأجل أن يشترك فيها أكبر عدد من الناس فقد جعلت لها الشروط التالية:

- ١- يحضر الناس لإقامتها من مسافة فرسخين.
- ٢- يجب أن لا يكون الفاصل بين الجمعتين أقل من فرسخ شرعي؛ فيتفرق الناس إلى جماعات صغيرة، وإنما يشاركون كلهم في اجتماع أكبر و يجنون المزيد من نتائجه الاجتماعية.
- ٣- لا يجوز القيام بأي عمل يزاحم صلاة الجمعة، نظير المعاملات التي تجري قبل الانتهاء من صلاة الجمعة، ولكنها غير باطلة.

#### كيفية صلاة الجمعة

صلاة الجمعة ركعتان كصلاة الصبح. ويُستحب مؤكداً قراءة سورة «الجمعة» بعد الحمد في الركعة الأولى، وسورة (المنافقون) بعد الحمد في الركعة الثانية. ويُستحب فيها قنوتان؛ الأول في الركعة الأولى قبل الركوع، والثاني في الركعة الثانية بعد الركوع، ويجب فيها أن يخطب الإمام قبل الصلاة خطبتين.

#### شروط إمام الجمعة

يجب أن يكون إمام الجمعة بالغاً، عاقلاً، رجلاً، مؤمناً، طاهر المولد، عادلاً، قادراً على الخطبة من قيام. كما أن الأحوط وجوباً أن يكون منصوباً من قبل المجتهد الجامع لشرائط الحكم. وإذا تعدد المجتهدون الجامعون للشرائط، فيجب أن يكون منصوباً من قبل المجتهد المتصدّي لإدارة شؤون المسلمين الاجتماعية والسياسية. وإذا لم تكن إدارة هذه الشؤون بيد المجتهد العادل فالأحوط وجوباً أن يكون إمام الجمعة مجتهداً لاثقاً بهذا المقام، أو منصوباً من قبل مثل هذا المجتهد. وإذا لم يكن إمام الجمعة جامعاً للشرائط لاتجب المشاركة في تلك الجمعة ولا تصح الصلاة فيها.

يحسن أن يكون إمام الجمعة رجلاً مخلصاً، شجاعاً، صريحاً، حاسماً، وقوراً، خطيباً، ذافصاحة و بلاغة، و معرفة بأوضاع العالم الإسلامي و بصيراً بمصالح الإسلام و المسلمين، و أن يطرح في الخطب المسائل الاجتماعية و السياسية، و مصالح المسلمين و حاجاتهم المادّية و المعنوية، و أن يحرص في الخطبة على رفع مستوى و عي المسلمين و رشدهم السياسي و المعنوي، و أن ينبّه المسلمين إلى كيفية تعاملهم مع بعضهم و تعاملهم مع سائر الأمم، و أن يعلّمهم طرق المقاومة ضد المستعمرين و الظالمين.

و نظراً إلى أن صلاة الجمعة كصلاة العيدين و الحج، عبادة ممتزجة بالسياسة، فيلزم الاستفادة من هذه الفرائض لمصلحة استقلال و عزّة الإسلام و المسلمين؛ لأن الإسلام أخذ بعين الاعتبار جميع شؤون المسلمين و أبعاد حياتهم، و من جملة قضاياهم السياسية و الاقتصادية. و الذين يرفضون طرح قضايا الإسلام السياسية و الاقتصادية لم يعرفوا الإسلام كما يليق به.

### صلاة العيدين

على المسلمين حينما كانوا أن يصلّوا ركعتي صلاة العيدين، في كل واحد من العيدين الإسلاميين الكبيرين، و هما عيد الفطر (الأول من شهر شوال)، و عيد الأضحى (العاشر من شهر ذي الحجة)، وقت صلاة العيد من شروق الشمس يوم العيد حتّى الظهر.

تجب هذه الصلاة في زمان حضور الإمام المعصوم عليه السلام و بسط يده، و يجب أن تُصلّى جماعة. و في زمان الغيبة إذا كان تحصيل شروطها ميسراً، فالأحوط و جوباً أن تُقام، و أن يحضرها الأشخاص الواجدون للشروط، إذا لم يكن لهم عذر شرعي.

### كيفية صلاة العيد

صلاة العيد ركعتان. و الأحوط و جوباً أن يكبّر بعد قراءة الحمد و السورة في الركعة الأولى خمس تكبيرات، و يقنت بعد كلّ تكبيرة، ثم يكبّر بعد القنوت الخامس تكبيراً آخر، و يهوي إلى الركوع، ثم يأتي بسجدين، ثم يقوم إلى الركعة الثانية، و يكبّر بعد قراءة الحمد

والسورة أربع تكبيرات، و يقنت بعد كل تكبيرة، ثم يكبر الخامسة ويهوي إلى الركوع، ويأتي بعده بسجدين ثم يتشهد ويسلم، ويجب أن يخطب الإمام بعد الصلاة خطبتين. وما يعتبر في إمام الجمعة من الشروط يُعتبر في إمام صلاة العيد الواجبة أيضاً. الأفضل أن يقرأ في الركعة الأولى من صلاة العيد سورة الأعلى وفي الركعة الثانية سورة الشمس، أو يقرأ في الركعة الأولى سورة الشمس وفي الركعة الثانية سورة الغاشية. يكفي في قنوت صلاة العيدين أن يقرأ أيّ دعاء أو ذكر، ولكن الأفضل أن يقرأ الدعاء التالي بنية رجاء الثواب:

«اللَّهُمَّ أَهْلَ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ وَ أَهْلَ الْجُودِ وَالْجَبْرُوتِ وَ أَهْلَ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ وَ أَهْلَ التَّقْوَى وَالْمَغْفِرَةِ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْمُسْلِمِينَ عِيداً وَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ذُخْراً وَ شَرَفاً وَ كَرَامَةً وَ مَزِيداً، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ وَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ أَدْخَلْتَ فِيهِ مُحَمَّدًا وَ آلَ مُحَمَّدٍ وَ أَنْ تُخْرِجَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ أَخْرَجْتَ مِنْهُ مُحَمَّدًا وَ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمْ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا سَأَلَكَ بِهِ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ وَ أَعُوذُ بِكَ مِمَّا اسْتَعَاذَ مِنْهُ عِبَادُكَ الْمُخْلِصُونَ».

### صلاة الآيات

عند كسوف الشمس و خسوف القمر وإن كان جزئياً و لم يخف منهما أحد، والزلزلة وإن لم يخف منها أحد، والرعد والبرق والرياح السوداء والحمراء، فيما إذا خاف منها أغلب الناس، بل الأحوط لكل آية سماوية أو أرضية خارجة عن المتعارف وإن لم يخف منها على الأغلب، يجب صلاة ركعتين، وهذه هي صلاة الآيات. قبل الإسلام كان الناس يخافون من هذه الظواهر، و يقومون بأفعال مختلفة إزاءها، وكان الحال يصل بهم أحياناً إلى حدّ التضحية بأبنائهم. أما في الإسلام فقد دعت الشريعة إلى صلاة ركعتين من أجل لفت الأنظار إلى خالق الكون و مدبر شؤون هذا العالم. و لهذا السبب سُميت هذه الصلاة بصلاة الآيات.

### وقت صلاة الآيات

يبدأ وقت صلاة الآيات في حالتي الكسوف والخسوف من بدء الكسوف أو الخسوف و يبقى وقتها ما دام جميع القرص لم ينجل بشكل كامل، و لكن إذا صلاها بعد تمام الانجلاء فيجب أن ينوي القضاء.

عدا الكسوف والخسوف، متى ما حدثت زلزلة أو رعد أو برق و أمثالها، يجب أن يُصلي صلاة الآيات فوراً، وإذا لم يصلها يرتكب معصية، و تبقى واجبة عليه حتى آخر العمر، و في أي وقت صلاها فهي أداء.

### كيفية صلاة الآيات

صلاة الآيات ركعتان. في كل ركعة خمسة ركوعات. و يمكن صلاتها على نحوين:

أ - أن ينوي و يكبر و يقرأ الحمد وسورة كاملة و يركع، ثم يرفع رأسه من الركوع و يقرأ مرّة ثانية الحمد وسورة ثم يركع، إلى خمس مرّات. و بعد القيام من الركوع الخامس يسجد سجدتين، ثم يقوم و يأتي بالركعة الثانية مثل الركعة الأولى، و يتشهد و يُسلم.

ب - بعد النيّة والتكبير و قراءة الحمد، يقسم السورة الواحدة خمسة أقسام، و يقرأ القسم الأول منها ثم يركع، ثم يرفع رأسه من الركوع و يقرأ القسم الثاني منها دون أن يقرأ الحمد ثم يركع، و هكذا حتى يتمّ السورة قبل الركوع الخامس. و بعد رفع رأسه من الركوع الخامس يسجد السجدتين. و يأتي بالركعة الثانية مثل الركعة الأولى، و بعد سجديتها يتشهد و يُسلم.

حينما ينوي تقسيم السورة إلى خمسة أقسام، يقرأ مضافاً إلى البسملة على الأحوط آية أو أكثر أو أقل بشرط أن تكون جملة مستقلة.

يمكن أداء صلاة الآيات جماعة، و كيفيتها كسائر الصلوات اليومية التي تُصلى

جماعة.

## أحكام الموتى

### الاحتضار

على من يرى قرب أجله أن يلتفت إلى ما سلف من أعماله، وإن كان للناس حق في رقبته، أو على عاتقه تكليف والتزام لهم، فعليه أن يبت فيه و يتخذ قراراً بشأنه. وأن يتوب عن سيئاته الماضية و يحاول جهد الإمكان التخلص من تبعاتها.

يقال لمن يشارف على الموت «محتضر». و يلزم على الأحوط وجوباً توجيه المسلم المحتضر الذي تظهر عليه أمارات الموت إلى القبلة، بأن يمدد على ظهره بحيث يكون باطن قدميه إلى القبلة. و إذا لم يكن تمديده بهذا النحو كاملاً، ينبغي أن يعمل بما يمكن منه، و إن تعذر تمديده بأي وجه، يُجلس باتجاه القبلة، و إذا تعذر ذلك أيضاً يمدد بنية الاحتياط على جنبه الأيمن أو الأيسر باتجاه القبلة. و الأحوط وجوباً أن يمدد الميت إلى القبلة مثل المحتضر ما لم يتم غسله، و لكن بعد الغسل يُمدد على الحالة التي يجب أن يكون عليها حين الصلاة عليه.

### أحكام ما بعد الوفاة

تجب بعض الأمور على المسلمين واجباً كفاًياً - أي إذا قام به جماعة سقط عن الآخرين، و إذا لم يقم به أحد فمعنى ذلك أن الجميع قد ارتكبوا معصية - و فعل هذه الأمور يجب أن يكون عند الإمكان طبعاً و بأذن ولي الميت، و هذا الأمور:

١- الغسل؛ ٢- الحنوط؛ ٣- الكفن؛ ٤- صلاة الميت؛ ٥- الدفن.

### غسل الميت

يجب غسل الميت بثلاثة أغسال بنية القربة و لرضا الله، على الترتيب التالي:

١- غسله بماء السدر؛ و السدر الذي يُخلط بالماء يجب أن لا يكون كثيراً بحيث يصير

- الماء مضافاً. ويُغسل به رأسه و رقبته، ثم جانبه الأيمن، و من بعده جانبه الأيسر.
- ٢- غسله بماء الكافور على النحو المتقدم.
- ٣- غسله بالماء الخالص القراح.

### أحكام غسل الميت

- ١- غسل الميت مثل غسل الجنابة. والأحوط وجوباً أن لا يغسل الميت ارتماساً مادام الترتيبي ممكناً.
- ٢- إذا توفي الطفل المسلم يجب غسله. و يجب تغسيل السقط إذا تمّ له أربعة أشهر أو أكثر. وإذا لم يتم له أربعة أشهر، فالأحوط وجوباً أن يُلف بقطعة قماش ويُدفن بدون غسل.
- ٣- لا غسل ولا كفن على الشهيد الذي يستشهد في ميدان القتال في المعركة قبل أن يصلوا إليه، بل يُدفن بثيابه دون تغسيل.
- ٤- يجب في من يغسل المسلم الإمامي الإثني عشري أن يكون مسلماً إمامياً اثني عشرياً، عاقلاً، و يجب على الأحوط أن يكون بالغاً و عارفاً بأحكام الغسل، و أن يُغسل الميت بقصد القرية، و أن يجدد النية في أوّل الغسل الثاني والثالث.
- ٥- الأحوط وجوباً تطهير الموضع المتنجس من بدن الميت قبل تغسيله. والأحوط استحباباً أن يكون كل البدن طاهراً قبل الشروع بالغسل.
- ٦- من مات على جنابة أو حيض أو كان عليه غسل آخر، لا يجب غسل الجنابة أو الحيض أو غسل آخر، و يكفي غسل الميت وحده.

### الحنوط و أحكامه

يجب بعد غسل الميت، والأحوط وجوباً قبل تكفينه مسح مواضع السجود و هي جبهته و كفّاه و ركبته و رأساً إبهامي قدميه بالكافور، و مسح أرنبة أنفه أيضاً على الأحوط وجوباً. والأحوط أن يوضع مقدار من الكافور على هذه المواضع مضافاً إلى مسحها به. و يُسمّى هذا العمل «تحنيطاً». و تحنيط الميت تعبير آخر عن حقيقة الموت. قال الإمام جعفر



الصادق عليه السلام: «الموت للمؤمن كأطيب ريح يشمه؛ فينعس لطيبه و ينقطع التعب والألم كُله عنه»<sup>(١)</sup>.

### أحكام تكفين الميّت

يجب تكفين الميّت المسلم بثلاث قطع قماش على الترتيب التالي:

- ١- المئزر؛ يجب أن يُغطّي جوانب البدن من السُرّة إلى الركبة؛ والأفضل أن يكون من الصدر حتى ظاهر القدم. ولا يترك ذلك قدر الإمكان.
- ٢- القميص؛ ويجب أن يُغطّي كل البدن من الأمام والخلف من أعلى الكتفين إلى نصف الساق. والأفضل أن يصل إلى ظاهر القدم.
- ٣- الإزار؛ ويجب أن يكون طوله بحيث يمكن ربط طرفيه بعد تغطية تمام بدن الميّت به، و عرضه بحيث يرد جنبه على جنبه الآخر.

### أحكام صلاة الميّت

- ١- تجب الصلاة على كل ميّت مسلم أكمل ستّ سنين. وإذا لم يكن أكمل الستّ ولكن كان يدرك الصلاة و يميّزها، فالأحوط وجوباً الصلاة عليه، بشرط أن يكون أبواه أو أحدهما مسلماً.
- ٢- يجب الصلاة على الميّت بعد تغسيله و تحنيطه و تكفينه. و لا تكفي إذا صلّيت قبل ذلك أو خلاله، ولو نسياناً أو جهلاً بالحكم الشرعي.
- ٣- لا يشترط في صلاة الميّت أن يكون المصلّي متوضئاً أو متيمماً أو غير مجنب أو طاهر البدن واللباس، أو لباسه غير غصبي، أو الشروط الأخرى المعتبرة في الصلوات اليومية، وإن كان الأحوط استحباباً مراعاة كل ما يجب مراعاته في الصلوات الأخرى. والأحوط وجوباً اجتناب مبطلات الصلوات الأخرى أثناء الصلاة على الميّت و أن يستر

١- الصدوق، الاعتقادات، باب الاعتقاد في الموت، ص ٣٢.

المصلي عورته أيضاً.

٤- يجب أن يستقبل المصلي على الميت القبلة. ويجب أن يمدد الميت على ظهره مقابل المصلي، بحيث يكون رأسه إلى يمين المصلي ورجلاه إلى يساره.

٥- تجب الصلاة على الميت قياماً وبيته القربة، وأن يُعَيَّن الميت حين النيّة. وإذا لم يوجد أحد يستطيع الصلاة على الميت من قيام، جاز أن يصلي عليه من جلوس.

لصلاة الميت خمس تكبيرات، ويجب أن يقول بعد النيّة ما يلي:

١- بعد التكبيرة الأولى يقول: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.»

٢- بعد التكبيرة الثانية يقول: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ.»

٣- بعد التكبيرة الثالثة يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.»

٤- بعد التكبيرة الرابعة يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِهَذَا الْمَيِّتِ»؛ وإذا كانت امرأة يقول: «اللَّهُمَّ

اغْفِرْ لِهَذِهِ الْمَيِّتَةِ» ثم يقول التكبيرة الخامسة.<sup>(١)</sup>

تجب قراءة التكبيرات والأدعية على من يصلي على الميت جماعة. وإذا كانت هناك جنازتان أو عدّة جناز يمكن الصلاة على كل ميت بمفرده، ويجوز الصلاة عليهم جميعاً مرة واحدة. وفي هذه الحالة يجب أن توضع الجناز كلها أمام المصلي مصفوفة إلى جانب بعضها، ويثنى المصلي الضمائر أو يجمعها بعد التكبيرة الرابعة.

### الدفن

١- يجب دفن بدن الميت المسلم.

٢- يجب أن يمدد الميت في القبر على جانبه الأيمن، بحيث يكون مقدّم بدنه مواجهاً للقبلة. وأن يكون القبر عميقاً بحيث لا تخرج رائحته، ولا تتمكن الوحوش من اخراج جثمانه.

٣- يجب إخراج مصارف قبر الميت من أصل تركته.<sup>(٢)</sup>

١- لصلاة الميت كيفية كاملة. راجع: الأحكام الشرعيّة، المسألة ٦١٥.

٢- لدفن الميت مستحبات. راجع: المسائل ٦٣٧ - ٦٤٢ من كتاب الأحكام الشرعيّة.

## صلاة الوحشة

- ١- تُستحب صلاة الوحشة لأجل الميِّت في الليلة الأولى من الدفن، وهي ركعتان: يقرأ في الركعة الأولى بعد الحمد آية الكرسي مرّة واحدة، وفي الثانية بعد الحمد سورة القدر عشر مرّات، ويقول بعد السلام: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَابْعَثْ ثَوَابَهَا إِلَى قَبْرِ فُلَانٍ» و يذكر اسم الميِّت بدّل فُلَان.
- ٢- يجوز الإتيان بصلاة الوحشة في أي وقت من الليلة الأولى؛ والأفضل الإتيان بها في أوّل الليل بعد صلاة العشاء.

## نبش القبر

- ١- يحرم نبش قبر المسلم. أمّا إذا تلاشى بدنه و صار تُراباً فلا إشكال فيه.
- ٢- يحرم نبش قبور أولاد الأئمة عليهم السلام، والشهداء، والعلماء، والصلحاء، وإن تهادى عليها الزمن، فيما إذا صارت مراقد يزورها الناس. بل الأحوط وجوباً عدم نبشها وإن لم تصر مزارات.
- ٣- لا يحرم نبش القبر في موارد، منها:
  - ١- إذا كان الميِّت قد دُفن بلا غُسل أو بلا كفنٍ، أو عُلِمَ أن غسله كان باطلاً. أو أنه لم يُكفّن بالطريقة الشرعية، أو أنه لم يوضع في القبر مستقبل القبلة، إن لم يكن بدنه قد تلاشى، ولكن إذا لم يكن قد صلّي عليه أو كانت الصلاة عليه باطلة فيجب الصلاة على قبره، ولا يجوز نبش القبر.
  - ٢- من أجل أمر شرعي تفوق أهميته نبش القبر.
  - ٣- إذا أريد إثبات حق بمشاهدة بدن الميِّت.
  - ٤- إذا دُفن الميت في أرض مغصوبة، و لم يرض صاحبها ببقائه فيها.
  - ٥- إذا كان كفن الميِّت مغصوباً أو دُفن مع شيء مغصوب و لم يرض صاحبه ببقائه.
  - ٦- إذا دُفن الميت في مكان ينافي احترامه.

- ٧- إذا خيف على بدن الميت أن يمزقه وحش، أو يجرفه سيل، أو يخرجه عدو.
- ٨- إذا أريد دفن جزء من بدن الميت لم يُدفن معه، ولكن الأحوط وجوباً أن يُدفن ذلك الجزء في قبره بحيث لا يرى بدنه.
- ٩- إذا دُفِن في موضع آخر خلافاً لوصيته، ولكن لا يجوز ذلك إن كان البدن قد تلاشى أو كان نبش القبر يُنافي احترامه.

## الصوم

الصوم من العبادات التي لها معطيات مادية ومعنوية مؤثرة جداً سواء على صعيد الإصلاح الفردي وتهذيب النفس، أم على صعيد الجوانب الاجتماعية.

وهذه العبادة واحدة من تشريعات الدين الإسلامي المقدّس، بل جميع الأديان الإلهية، ولو روعيت آدابها وشروطها، لكانت لها تأثيرات بالغة. فصوم شهر كامل بالنسبة للإنسان الذي يحول معترك الحياة اليومية دون اهتمامه بنفسه، يوفر له فرصة لتحرير نفسه واكتساب قيم معنوية، وتقوية إرادته وبناء ذاته، وكسب مزيد من التقوى ليعيش بقية أشهر السنة حياة تغمرها الطهارة والنقاء. فالصائم يدرك معاناة الفقراء والمحرومين في المجتمع، ويعي مايقع عليه من المسؤولية، ازاءهم، فيحرص على مدّ يد العون لهم، وبهذا يجني المجتمع ثمار الصوم.

الصوم معناه الإمساك والامتناع. وهو في الاصطلاح الشرعي يعني أن يمتنع الصائم من أوّل أذان الصبح إلى المغرب عن فعل مجموعة من الأمور. ومنها أن يمسك عن الأكل والشرب والمجمعة وغيرها من الأمور التي تُبطل الصوم. وبالإضالة إلى ذلك يحرص على أن لا يصدر منه إثم أو معصية، فضلاً عن الاحتراز عن الرذائل الأخلاقية؛ لأن هذه الأمور لاتنسجم مع العبادة. ورد في حديث صحيح أن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، إذا صمت فليصم سمعك و بصرك من الحرام والقبيح ودع المرء». <sup>(١)</sup>

١- الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٨٧، الحديث ٣.

وقال عليه السلام أيضاً في موضع آخر: «إذا أصبحت صائماً فليصم سمعك و بصرك من الحرام، و جارحتك و جميع اعضائك من التبيح، ودع عنك الهذي، و أذى الخادم وليكن عليك وقار الصائم، و الزم ما استطعت من الصمت والسكوت إلا عن ذكر الله و لاتجعل يوم صومك كيوم فطرك»<sup>(١)</sup>.

أشار الله عزّ وجلّ في سورة البقرة إلى أن الصوم كان في تشريعات الأمم الماضية أيضاً، مبيّناً أن الأثر المهم للصوم هو بلوغ مقام التقوى، ثم ذكر في الآيات التالية زمان الصوم و شروطه<sup>(٢)</sup>. و جاء في حديث قدسي: «الصَّوْمُ لِي وَ أَنَا أَجْزِي عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

كتب أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى من سأله عن علّة الصوم: «لعرفان مسّ الجوع والعطش، ليكون العبد ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صابراً فيكون ذلك دليلاً على شدائد الآخرة، مع ما فيه من الانكسار عن الشهوات»<sup>(٤)</sup>.

و جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا نزلت بالرجل النازلة الشديدة، فليصم»<sup>(٥)</sup>. و جاء أيضاً «صوموا تصحّوا»<sup>(٦)</sup>. نعم! ان للصوم هذه الفوائد أيضاً، هذا طبعاً فضلاً عن آثاره التربوية و تهيئته للأخلاق.

### من لا يجب عليهم الصوم

لا يجب الصوم على كلِّ من:

مَنْ لا يستطيع الصوم أو كان شاقاً عليه بسبب شيخوخته، والمرضة قليلة اللبن إذا كان مضرّاً بالطفل أو بها هي، الحامل إذا كان في الصوم ضرر أو مشقة على حملها، أو عليها هي. و على العموم لا يجب الصوم على من يكون في الصوم مشقة عليهم، و من يسبب لهم الصوم

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٢٩٢، باب آداب الصائم، الحديث ١٦.

٢- سورة البقرة (٢)، الآيات ١٨٣-١٨٥.

٣- الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٦٣، الحديث ٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٢٥٥.

٤- المعزّي، جامع أحاديث الشيعة، ج ١٠، ص ٢٩١، الحديث ١٤٦٩٢.

٥- الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٦٣ و ٦٤، الحديث ٧.

٦- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٢٥٥، الحديث ٣٣.

مرضاً أو يزيد من مرضهم، ولا يجب أيضاً على من كان مريضاً بمرض العطاش ولا يستطيع تحمل العطش أو كان تحمّله شاقاً عليه. ولا يجب على الفتاة التي وصلت سنّ البلوغ، ولكنّها في وضع جسمي يتعدّر عليها الصوم أو يكون فيه عسر و حرج عليها، أو يكون فيه ضرر عليها.

قال الإمام عليه السلام في جواب من سأله عن حدّ المرض الذي يجب على صاحبه فيه الإفطار فقال: «ذلك إليه هو أعلم بنفسه، إذا قوي عليه فليصم».<sup>(١)</sup>

يجب على من لا يستطيع الصوم، عدا الفتاة التي وصلت سن البلوغ ولكن يتعدّر عليها الصوم - وفي بعض الحالات على الأحوط وجوباً - أن يُعطي إلى فقير عن كل يوم فدية مُدّاً من طعام.

### مبطلات الصوم

الأُمور التي تُبطل الصوم عشرة:

١ و ٢- الأكل والشرب.

٣- الجماع.

٤- الاستمناء.

٥- الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام، وعلى الأحوط وجوباً

الكذب على السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أيضاً، و سائر الأنبياء و أوصيائهم.

٦- إيصال الغبار الغليظ إلى الحلق على الأحوط وجوباً.

٧- غمس تمام الرأس في الماء على الأحوط وجوباً.

٨- البقاء على الجنابة أو الحيض أو النفاس إلى أذان الصبح.

٩- الحقنة بالمائعات.

١٠- التقيؤ عمداً.

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٠ من أبواب من يصح منه الصوم، ج ١٠، ص ٢٢٠، الحديث ٣.

## أحكام الصوم

- ١- يجب على مَنْ يريد الصيام أن ينوي في كل ليلة من ليالي شهر رمضان، صوم الغد، ولكن الأفضل أن يُضيف إلى ذلك نيّة صيام الشهر كُلّه في الليلة الأولى. و لا يجب طبعاً استحضار النيّة في القلب و لا التلفّظ بها باللسان، بل يكفي أن يُمسك عمّا يُبطل الصوم عن التفات من أجل امتثال أمر الله.
- ٢- إذا أكل الصائم أو شرب شيئاً عن خطأ أو نسيان، لا يبطل صومه، سواء كان صومه واجباً أم مستحبّاً.
- ٣- إذا كان في الصوم ضرر عليه لا يجب عليه الصوم، وإذا صام مع وجود الضرر فصومه باطل و يجب عليه قضاؤه.
- ٤- من كان على جنابة و أراد أن يصوم صوماً واجباً معين الوقت -كصوم شهر رمضان- إذا لم يغتسل عمداً إلى أن ضاق الوقت فالأحوط وجوباً أن يتيمّم و يصوم، ثم يقضيه و يدفع كفّارة.
- ٥- إذا نام الجنب في ليلة شهر رمضان واستيقظ، فالأحوط وجوباً أن لا ينام ثانية قبل أن يغتسل، وإن احتمل أنه إذا نام ثانية فسوف يستيقظ قبل طلوع الفجر.
- ٦- المرأة التي لم تصم بسبب الحيض أو النفاس يجب عليها بعد أن تطهر قضاء الأيام التي لم تصمها.
- ٧- المسافر الذي يجب عليه التقصير في صلاته لا يجوز له أن يصوم. أما المسافر الذي يتمّ في صلاته، يجب عليه الصوم في السفر.
- ٨- من كان صائماً و أراد السفر فإنّ لذلك عدّة حالات و هي:
  - أ - إذا سافر قبل الظهر، عندما يصل إلى حد الترخُّص و هو الحد الأدنى من المسافة الشرعية (ثمانية فراسخ ذهاباً أو أربعة فراسخ ذهاباً و أربعة فراسخ إياباً) يبطل صومه و يجب عليه قضاؤه.
  - ب - إذا سافر قبل الظهر أقل من المسافة الشرعية، صومه صحيح و يجب أن يكمله.

- ج - إذا سافر بعد أذان الظهر، صومه صحيح و يجب أن يكمله.
- ٩- إذا وصل المسافر في رمضان قبل الظهر إلى وطنه أو إلى المكان الذي يريد الإقامة فيه عشرة أيام، و لم يكن قد قام بفعل يبطل الصوم، يجب عليه أن يصوم ذلك اليوم. أما إذا كان قد قام بفعل يبطل الصوم، فلا يجب عليه صوم ذلك اليوم.
- ١٠- من أفطر في شهر رمضان عمداً و بلا عذر يجب عليه القضاء والكفارة. و هو مخير في كفارة صيام شهر رمضان بين واحد مما يلي:
- أ - صوم ستين يوماً، على أن يصوم واحداً و ثلاثين يوماً منها على التوالي. ولو لم يصم الباقي على التوالي فلا إشكال فيه.
- ب - أن يعطي ستين مُدَّ طعام ستين فقيراً، أو إشباع ستين فقيراً.

### تكريم شهر رمضان

من المناسب في شهر رمضان أن يكثر الإنسان من الاهتمام بالأعمال الصالحة و فعل الخيرات، و اغتنام ليالي القدر لتهديب نفسه، و من المناسب أيضاً أن يقرأ القرآن كُله بتدبر و دقة، و أن يبدي مزيداً من الرأفة بمن هو مسؤول عنهم، و أن يمد العون للمساكين على قدر استطاعته. و قد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا معشر الناس إذا طلع هلال شهر رمضان غُلت مرده الشياطين و فتحت أبواب السماء و أبواب الجنان و أبواب الرحمة، و غُلت أبواب النار و استجيب الدعاء».<sup>(١)</sup>

### الاعتكاف

الاعتكاف هو أن يمكث الإنسان في المسجد - بشروط سنذكرها - بقصد القربة و لأجل عبادة الله عزّ و جلّ. و هذا العمل من المستحبّات التي وردت تأكيدات كثيرة عليه. فقد روي أنّ النبي ﷺ قال:

١- المعزّي، جامع أحاديث الشيعة، ج ١٠، ص ١٤١، الحديث ١٤٣٩٥.



«اعتكاف عشر في شهر رمضان تعدل حجّتين و عمرتين»<sup>(١)</sup> و روي أيضاً: «اعتكف رسول الله ﷺ في العشر الأواخر من شهر رمضان، ثم لم يزل يعتكف في العشر الأواخر»<sup>(٢)</sup>.

يمكن الاعتكاف في أي وقت من السنة - عدا الأيام التي يحرم فيها الصوم - و أفضل أوقاته شهر رمضان و خاصة العشر الأخيرة منه. الأحوط وجوباً أن يكون الاعتكاف في أحد المساجد الأربعة: المسجد الحرام، مسجد النبي ﷺ، مسجد الكوفة، مسجد البصرة، أو مسجد تصلي فيه صلاة الجمعة الصحيحة. أما في غير هذه المساجد فيكون الاعتكاف برجاء الإثابة. على من يعتكف أن يمكث في المسجد ثلاثة أيام متواصلة، و لا يخرج منه إلا للضرورة، كأن يضطر إلى الخروج من المسجد لقضاء حاجة.

### شروط الاعتكاف

- ١- الإسلام؛ فلا يصح اعتكاف غير المسلم، والإيمان شرط لقبوله.
- ٢- العقل.
- ٣- قصد القربة؛ فلا يصح أن يكون لغير وجه الله.
- ٤- الصوم؛ فلا يصح اعتكاف من لا يستطيع الصيام لأي سبب كان.
- ٥- البقاء في المسجد ثلاثة أيام؛ فلا يصح اعتكاف من يبقى أقل من هذه المدّة أو ينوي البقاء أقل منها.

### أحكام الاعتكاف

يجب على المعتكف الامتناع في النهار عما يبطل الصوم. و يبطل الاعتكاف إذا فعل المعتكف واحداً من الأعمال التالية ليلاً أو نهاراً:

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١ من أبواب الاعتكاف، ج ١٠، ص ٥٣٤، الحديث ٣.  
٢- المصدر السابق، الحديث ٤.

- ١- مباشرة النساء بالجماع، بل على الأحوط باللمس والتقبيل بشهوة.
- ٢- فعل ما يؤدّي إلى خروج المني (على الأحوط وجوباً).
- ٣- شم الطيب.
- ٤- البيع والشراء، وحتى على الأحوط وجوباً فيما هو لازم وضروري.
- ٥- المجادلة لأجل الغلبة و أظهر الفضيحة سواء في أمور دينية أم أمور دنيوية.

## الحج

هناك بين الأحكام والتعاليم الدينية تأكيد كثير على أداء فريضة الحج والعمرة، مع ذكر آثار هذه الفريضة. ومع أنّ الحج عمل عبادي و يؤدّي قربة إلى الله، وله منافع معنوية و انجذاب روحي، فإنّ له أيضاً منافع اجتماعية، و سياسية، و اقتصادية، و ثقافية.

### ١- الجانب العبادي للحج

الحج واحد من الاختبارات الإلهية الكبرى و تمهيد لتحوّل معنوي و انطلاق في السير والسلوك، و هو عبارة عن انتقال من قفص «الذات» نحو «الله». و قد اعتبر أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة القاصعة الحجّ باباً من أبواب رحمة الله، و من عوامل بناء الذات و تهذيب النفس من الرذائل.<sup>(١)</sup> و بيّن في خطبة أخرى أن الحج مظهر لتواضع الناس أمام عظمة الله و إذعان منهم لعظمته و جلاله.<sup>(٢)</sup> و هذا يحسن ممن يريد أداء هذه الفريضة الكبرى، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا أَرَدْتَ الْحَجَّ فَجَرِّدْ قَلْبَكَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ قَبْلِ عَزْمِكَ مِنْ كُلِّ شَاغِلٍ... وَدَعْ الدُّنْيَا وَ الرَّاحَةَ وَ الْخَلْقَ...».<sup>(٣)</sup>

و يبدو في الظاهر من قضية حج إبراهيم عليه السلام و أعمال و مناسك الحج كأنّ الحج، يتألف من مجموعة من الأعمال المنفصلة عن بعضها، غير أن الدراسة الدقيقة لها تكشف أن هذه

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، ص ٢٩٢-٢٩٤.

٢- المصدر السابق، الخطبة ١، ص ٤٥.

٣- مصباح الشريعة، ص ٨٦ و ٨٩.

المناسك تؤلّف سلسلة مترابطة ترمي إلى تحقيق هدف واحد، وهذا الهدف هو الانطلاق في سير وسلوك روحي، للارتقاء في مراتب الطلب والحضور و مراسم الحب والإخلاص، وتنطوي بين ثناياها على الانعتاق من قوقعة الذات والذوبان في بحر الوجود. وكلّما أكثر المرء من الإمعان والتأمل في هذا المضمار، تجلّت له أمورٌ أكثر روعة و لطافة.

قال الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام للشبلي: «حين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة؟ و حين تجردت عن مخيط ثيابك، نويت أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟ و حين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟ قال: لا، قال: فما نزلت الميقات، و لا تجردت عن مخيط الثياب، و لا اغتسلت، ثم قال: تنظفت، و أحرمت، و عقدت الحج؟ قال: نعم، قال: فحين تنظفت و أحرمت و عقدت الحج، نويت أنك تنظّفت بنور التوبة الخالصة لله تعالى؟ قال: لا، قال: فحين أحرمت نويت أنك حرّمت على نفسك كل مُحَرَّم حرمه الله عزّ وجلّ؟ قال: لا، قال: فحين عقدت الحج نويت أنك قد حللت كل عقد لغير الله؟ قال: لا، قال له عليه السلام: ما تنظفت، و لا أحرمت، و لا عقدت الحج. قال له: أدخلت الميقات و صلّيت ركعتي الإحرام و لبّيت؟ قال: نعم، قال: فحين دخلت الميقات، نويت أنك بنيت الزيارة؟ قال: لا، قال: فحين صلّيت الركعتين، نويت أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال من الصلاة، و أكبر حسنات العباد؟ قال: لا، قال: فحين لبّيت، نويت أنك نطقت لله سبحانه بكل طاعة، و صمت عن كل معصية؟ قال: لا، قال له عليه السلام: ما دخلت الميقات و لا صلّيت، و لا لبّيت. ثم قال له: أدخلت الحرم و رأيت الكعبة و صلّيت؟ قال: نعم. قال: فحين دخلت الحرم، نويت أنك حرّمت على نفسك كل غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملّة الإسلام؟ قال: لا، قال: فحين وصلت مكّة، نويت بقلبك أنك قصدت الله؟ قال: لا. قال عليه السلام: فما دخلت الحرم، و لا رأيت الكعبة، و لا صلّيت. ثم قال: طففت بالبيت، و مسست الأركان، و سعيت؟ قال: نعم. قال عليه السلام: فحين سعيت نويت أنك هربت إلى الله، و عرف منك ذلك علام الغيوب؟ قال: لا. قال: فما طففت بالبيت، و لا مسست الأركان و لا سعيت. ثم قال له: صافحت الحجر، و وقفت بمقام إبراهيم عليه السلام، و صلّيت به ركعتين؟ قال: نعم، فصاح عليه السلام صيحة كاد

يفارق الدنيا ثم قال: آه آه، ثم قال ﷺ: من صافح الحجر الأسود، فقد صافح الله تعالى، فانظر يا مسكين لاتضيع أجر ما عظم حرمته، و تنقض المصافحة بالمخالفة، و قبض الحرام نظير أهل الآثام.

ثم قال ﷺ: نويت حين وقفت عند مقام إبراهيم ﷺ: أنك وقفت على كل طاعة، و تخلفت عن كل معصية؟ قال: لا. قال: فحين صلّيت فيه ركعتين، نويت أنك صلّيت بصلاة إبراهيم ﷺ، و أرغمت بصلاتك أنف الشيطان؟ قال: لا. قال له: فما صافحت الحجر الأسود، و لا وقفت عند المقام، و لا صلّيت فيه ركعتين.

ثم قال ﷺ له: أشرفت على بئر زمزم، و شربت من مائها؟ قال: نعم. قال: نويت أنك أشرفت على الطاعة، و غضضت طرفك عن المعصية؟ قال: لا.

قال ﷺ: فما أشرفت عليها، و لا شربت من مائها. ثم قال له ﷺ: أسعيت بين الصفا والمروة، و مشيت و ترددت بينهما؟ قال: نعم. قال له: نويت أنك بين الرجاء والخوف؟ قال: لا، فقال له: فما سعيت، و لا مشيت، و لا ترددت بين الصفا والمروة. ثم قال: أخرجت إلى منى؟ قال: نعم. قال: نويت أنك آمنت الناس من لسانك و قلبك و يدك؟ قال: لا. قال: فما خرجت إلى منى.

ثم قال له: أوقفت الوقفة بعرفة، و طلعت جبل الرحمة، و عرفت وادي نمرة، و دعوت الله سبحانه عند الميل والحجرات؟ قال: نعم. قال: هل عرفت بموقفك بمعرفة الله سبحانه أمر المعارف والعلوم، و عرفت قبض الله على صحيفتك و اطلاعه على سريرتك و قلبك؟ قال: لا. قال: نويت بطلوعك جبل الرحمة، إنّ الله يرحم كل مؤمن و مؤمنة، و يتولى كل مسلم و مسلمة؟ قال: لا. قال: فنويت عند نمرة أنك لاتأمر حتى تأتمر، و لاتزجر حتى تنزجر؟ قال: لا. قال: فعندما وقفت عند العلم والنمرات، نويت أنها شاهدة لك على الطاعات، حافظة لك مع الحفظة بأمر السماوات؟ قال: لا. قال: فما وقفت بعرفة، و لاطلعت جبل الرحمة، و لاعرفت نمرة، و لادعوت، و لاوقفت عند النمرات. ثم قال: مررت بين العلمين. وصلّيت قبل مرورك ركعتين، و مشيت بمزدلفة، و لقطت فيها الحصى، و مررت بالمشعر الحرام؟ قال: نعم، قال: فحين صلّيت ركعتين،

نويت أنها صلاة شكر في ليلة عشر، تنفي كل عسر، و تيسر كل يسر؟ قال: لا. قال: فعندما مشيت بين العلمين و لم تعدل عنهما يميناً و شمالاً، نويت أن لا تعدل عن دين الحق يميناً و شمالاً لا بقلبك، و لا بلسانك، و لا بجوارحك؟ قال: لا. قال: فعندما مشيت بمزدلفة، ولقطت منها الحصى، نويت أنك رفعت عنك كل معصية و جهل، و ثبتت كل علم و عمل؟ قال: لا. قال: فعندما مررت بالمشعر الحرام، نويت أنك أشعرت قلبك إشعار أهل التقوى والخوف لله عزوجل؟ قال: لا. قال: فما مررت بالعلمين، و لا صلّيت ركعتين، و لا مشيت بالمزدلفة، و لا رفعت منها الحصى، و لا مررت بالمشعر الحرام. ثم قال له: وصلت منى و رميت الجمرة، و حلقت رأسك، و ذبحت هديك، و صلّيت في مسجد الخيف، و رجعت إلى مكّة، و طففت طواف الإفاضة؟ قال: نعم. قال فنويت عندما وصلت منى، و رميت الجمار، أنك بلغت إلى مطلبك، و قد قضى ربك لك كل حاجتك؟ قال: لا. قال: فعندما رميت الجمار نويت أنك رميت عدوك إبليس و غضبته بتمام حجك النفيس؟ قال: لا. قال: فعندما حلقت رأسك، نويت أنك تطهرت من الأذناس و من تبعه بني آدم، و خرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟ قال: لا. قال: فعندما صلّيت في مسجد الخيف، نويت أنك لا تخاف إلا الله عزوجل و ذنبك، و لا ترجو إلا رحمة الله تعالى؟ قال: لا. قال: فعندما ذبحت هديك، نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت به من حقيقة الورع، و أنك اتبعت سنّة إبراهيم عليه السلام بذبح ولده و ثمرة فؤاده و ريحان قلبه، سنّة لمن بعده، و قربة إلى الله تعالى لمن خلفه؟ قال: لا. قال: فعندما رجعت إلى مكّة و طففت طواف الإفاضة، نويت أنك أفضت من رحمة الله تعالى و رجعت إلى طاعته، و تمسكت بوده، و أديت فرائضه، و تقربت إلى الله تعالى؟ قال: لا. قال له زين العابدين عليه السلام: فما وصلت منى، و لا رميت الجمار، و لا حلقت رأسك، و لا أديت نسكك، و لا صلّيت في مسجد الخيف، و لا طففت طواف الإفاضة، و لا تقربت فإنك لم تحج». (١)

١- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، كتاب الحج، الباب ١٧ من أبواب العود إلى منى، ج ١٠، ص ١٦٦-١٧٢، الحديث ٥.

في مثل هذه الحالة إذا أدى الإنسان مثل هذه المناسك فإنها تجعله مبرئاً من الذنوب كهيئة يوم ولدته أمه.<sup>(١)</sup>

يجتمع ملايين المسلمين في كل سنة لأداء مناسك الحج، و لكنهم وللأسف قلماً يستفيدون من هذا السفر الإلهي رغم كل ما يبذلونه له من تعب ومشقة، ومقدمات مضيية ونفقات هائلة، ولا ينتفعون إلا القليل من خصائصه المعنوية وتأثيراته الاجتماعية.

قال ابن عباس: رأيت رسول الله ﷺ في حجة الوداع فأخذ بباب الكعبة ثم أقبل على الناس يخبرهم عن أشراط الساعة والناس في آخر الزمان وقال: «تَحُجُّ أَعْيَاءُ أُمَّتِي لِلنُّزْهَةِ وَ تَحُجُّ أَوْسَاطُهَا لِلتَّجَارَةِ وَ تَحُجُّ فُقَرَاءُهُمْ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ».<sup>(٢)</sup>

هذه المخاوف التي أظهرها رسول الله ﷺ في كلامه هذا، فيها تحذير للمسلمين كيلا يفقد الحج جوهره، ويكون مدعاة لأهداف غير إلهية بدلاً من أن يكون ممارسة ببناءة

## ٢- تأثير الحج في الرقى والبقاء الثقافي

وصف الإمام علي عليه السلام في الخطبة الأولى من نهج البلاغة بيت الله الحرام بعلم الإسلام: «جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِلإِسْلَامِ عِلْمًا».<sup>(٣)</sup>

وقد سأل هشام بن الحكم الإمام جعفر الصادق عليه السلام حول الغاية من الحج، فأجابه بعدما بين مجموعة من الغايات التي يرمي إليها الحج قائلاً: «فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا، ولتعرف آثار رسول الله ﷺ وتعرف أخباره، ويُذكر ولا يُنسى، ولو كان كل قوم إنما يتكلمون على بلادهم وما فيها، هلكوا و خربت البلاد وسقط الجلب و عميت الأخبار، و لم تقفوا على ذلك، فذلك علّة الحج».<sup>(٤)</sup>

الحج عبارة عن إطلالة على التوحيد وتاريخ حُماته والدعاة إليه، ابتداءً من آدم عليه السلام، ومروراً بإبراهيم عليه السلام، وإسماعيل عليه السلام، ثم تاريخ الإسلام و نبيه، وهذا الصراع المحتدم على

١- الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٢٥٢، الحديث ٢. ٢- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦، ص ٣٠٨، الحديث ٦.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١، ص ٤٥.

٤- الصدوق، علل الشرايع، الباب ١٤٢، ج ٢، ص ١٠٩، الحديث ٦.

الدوام بين الإيمان من جهة والكفر والنفاق من جهة أخرى. وبقاء الكعبة معلماً قائماً - باعتبارها تاريخاً يتجسد فيه التوحيد، ودلالة على أن حقائق الدين قد انبثقت منه - تتخذ ثقافة التوحيد. «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة».<sup>(١)</sup>

الحج ممارسة عملية لثقافة العدالة، والمساواة، والأخوة، والتعاون على الخير وعلى ما فيه مصلحة للناس، وهو فرصة مناسبة لنشر الثقافة الإسلامية الغنيبة بين شريحة واسعة من المسلمين. في الحج يدرك المسلمون عمق ثقافة التوحيد الإبراهيمي الخالص و يذوبون في مناسكها، دون أن يتصلوا عن عاداتهم و تقاليدهم الوطنية الخاصة التي تكون شكل الحياة، وليس جوهرها و محتواها.

الحج في الحقيقة انتقال ثقافات، وإطلاع على الثقافة الفطرية الإنسانية، للتوصل إلى هوية مشتركة تجمعها الثقافة الإسلامية؛ لكي يتسنى لتلك الحشود المليونية عند العودة إلى بلدانها أن تغرس ما تعلمته من أغصان الثقافة الإسلامية في جذع ثقافتها القومية، لكي توجد متى و حيثما كانت بثمار الوحدة والسيادة والقوة والرقي.

وقد وردت رواية عن الإمام الرضا عليه السلام يبين فيها أن منافع الحج تعود على كل أهل الشرق والغرب، سواء من حجوا أو من لم يحجوا.<sup>(٢)</sup> وهذا بحد ذاته يستدعي مزيداً من الدقة والاهتمام. فهذا التجمع ليس من نوع التجمعات الفئوية والحزبية التي نراها اليوم، وهي لا تهتم عادة إلا بمصالحها الحزبية والفئوية الضيقة؛ إذ إن اجتماع الحج يرمي إلى تحرير الناس و مكافحة الحرمان وإيجاد الوحدة بين الشعوب والسير على طريق إصلاح العالم، ونشر نداء التوحيد في كل أرجاء المعمورة.

### ٣- الجانب الاجتماعي والسياسي للحج

جاء في القرآن الكريم: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾.<sup>(٣)</sup> فمن أبرز

١- الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٢٧١، الحديث ٤.

٢- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١ من أبواب وجوب الحج، ج ١١، ص ١٣، الحديث ١٥.

٣- سورة المائدة (٥)، الآية ٩٧.

مقومات أيّ شعب استقلاله الثقافي، والاقتصادي، والسياسي، وكذلك وحدة و عزّة ذلك الشعب والروح المعنوية التي يتحلّى بها. وفي هذه الآية الشريفة اعتبرت الكعبة هي الوسيلة لبلوغ هذه الغاية. فاتحاد الأمة الإسلامية الكبرى الذي يُعتبر واحداً من أسمى القيم والأهداف السياسية والاجتماعية التي يسعى إليها الإسلام، يتعلّمه الحجاج عياناً في شعائر الحج الكبرى.

المسلمون كلهم بمثابة أسرة واحدة يعيشون في بقاع مختلفة من العالم. و خليق بهم أن يأنسوا و يألفوا بعضهم، بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية أو الفئوية؛ إذ إنّ الانتماء للإسلام أسمى من الانتماء إلى شعب أو قوم أو لغة.

اليوم يشعر بنو الإنسان بالحاجة إلى مكان يحظى باحترام عالمي، ليكون على الصعيد الدولي موضعاً للمؤتمرات والتجمعات وتبادل الأفكار، و مرجعاً يُحتكم إليه لحلّ النزاعات والبتّ في الخلافات الكبرى. عسى أن يفوق الناس و ينتقلوا من عالم الأخلاق إلى صعيد الحقيقة. و على المسلمين أن يدركوا بأنّه قد وُضعت لهم مثل هذه الجمعية العامة التي تقترن بمراسيم معنوية وعبادية لإرساء أسس وحدة شاملة و كاملة بينهم. و لا بدّ من الانتباه طبعاً إلى أن هذه الحالة الفردية يمكن استثمارها و توظيفها لصالح العالم الإسلامي، و لما فيه مصلحة المسلمين. و ينبغي أيضاً اغتنام هذه الفرصة التي أتاحها الله للمسلمين، من أجل توحيدهم في كل المجالات: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

### شروط وجوب الحج

جاء في القرآن الكريم حول وجوب الحج ما يلي: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> يجب الحجّ في العمر مرّة واحدة على البالغ العاقل المستطيع، بشرط أن لا يضطر -بسبب الذهاب إلى الحج- إلى ارتكاب حرام أو ترك واجب أهم في الشرع من الحج.

١- سورة الحج (٢٢)، الآية ٢٨.

٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ٩٧.



أما الاستطاعة فتتحقق بأمر منها:

- ١- أن يكون عنده نفقات السفر وما يحتاج إليه حسب حاله في سفر الحج.
- ٢- أن يكون عنده مؤونة من يجب أن يعولهم إلى حين العودة.
- ٣- السلامة الصحيّة والقدرة البدنية على أداء الحجّ.
- ٤- أن لا يكون في الطريق مانع من الذهاب وإلياب.
- ٥- أن يكون عنده وقت بمقدار أداء أعمال الحجّ.
- ٦- أن لا يوجب الحجّ ذهاب ملكه أو كسبه الذي يحتاج إليه في إعاشة نفسه و من يعول.

### أقسام الحج

الحج على ثلاثة أقسام: قسمان منه يخصّان أهل مكّة وما حولها إلى مسافة ستة عشر فرسخاً، وهما المعروفان باسم «حج الأفراد» و «حج القران». والقسم الثالث أو ما يُسمّى بحجّ التمتع، وهو لمن يبعد محلّ إقامتهم عن مكّة أكثر من هذه المسافة،<sup>(١)</sup> وهو على قسمين: عمرة التمتع و حج التمتع.

في حج التمتع تؤدّى العمرة قبل الحجّ وهي مرتبطة به وتعدّ جزءاً منه، و يجب أدائهما في سنة واحدة وفي أشهر الحج، ولكن في حج الأفراد و حج القران تبقى العمرة مستقلة عن الحج تماماً. وفي حج التمتع يجب النحر في منى يوم عيد الأضحى، ويُعد من أعماله. وفي حج القران يقترن النحر منذ البداية بالإحرام، و يجب أن يبقى إلى يوم العيد في منى، ولكن في حج الأفراد لا يجب النحر.

### كيفية حج التمتع

يتألف حج التمتع من عمليّن عباديين هما: «عمرة التمتع» و «حجّ التمتع» و يؤدّى بالترتيب التالية:

١- في بعض الحالات يُستبدل واجب بعض الافراد المرضى أو المعذورين من حج التمتع إلى حج الافراد.

## ١- عمرة التمتع

تجب في عمرة التمتع ستة أمور:

الأول - نية عمرة التمتع.

الثاني - الإحرام من أحد المواقيت. وتجب في الإحرام ثلاثة أشياء:

أ - النية

ب - لبس ثوبي الإحرام، وهما «الإزار» و «الرداء».

ج - التلبية، وهي على النحو التالي: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ،

إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ (لَكَ) لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ».

و هناك عدة أشياء يمتنع عنها المُحرم، وجوباً أو احتياطاً وجوبياً، مما يوجب ارتكاب

البعض منها إعادة العمرة أو الحج، و يوجب ارتكاب الكثير منها دفع كفارة، وقد ورد بيانها

في مناسك الحج بالتفصيل.

الثالث - الطواف سبع مرّات حول بيت الله الحرام، ويجب الابتداء به من محاذاة الحجر

الأسود، ويُسمّى كل دورة منه شوطاً.

الرابع - صلاة الطواف؛ وهو أن يصلّي بعد الانتهاء من الطواف الواجب، ركعتين خلف

مقام ابراهيم بنية «صلاة الطواف».

الخامس - السعي بين الصفا والمروة؛ وهما جبلان معروفان، وهو أن يبدأ من الصفا

باتجاه المروة، ثم يعود من المروة إلى الصفا، سبع مرّات، تُسمّى كل مرّة منها شوطاً. إذاً

فالسعي يبدأ من الصفا وينتهي بالمروة.

السادس - التقصير وهو أن يأخذ بعد السعي بقصد القرية، و بنية خالصة، شيئاً

من أظافر يده أو رجله أو شيئاً من شعر رأسه أو شاربه أو لحيته. و من الأفضل، بل

الأحوط عدم الاكتفاء يقصّ الأظافر بل يقصّ مقداراً من الشعر، و لا يكفي حلق

الرأس و تنف الشعر.

## ٢- حج التمتع

واجبات حج التمتع أربعة عشر:

الأول - نية حج التمتع.

الثاني - إحرام حج التمتع، وهو كإحرام العمرة، عدا أنه في إحرام الحج يجب أن يحرم من مكة المكرمة بنية حج التمتع.

الثالث - الوقوف بعرفات؛ وهو أن يكون المحرم بإحرام الحج في ظهر يوم عرفة - التاسع من ذي الحجة - في عرفات، وينوي الوقوف هناك بنية القرية. وأن يذهب احتياطاً من أول الظهر إلى عرفات و يبقى هناك إلى الغروب الشرعي.

الرابع - الوقوف في المشعر؛ وهو أن يرحل الحاج بعد الوقوف في عرفات، عند الغروب في ليلة العيد إلى «المشعر الحرام»، بحيث يصلّي المغرب والعشاء في المشعر. ويجب أن يكون الوقوف في المشعر بقصد القرية، ووقته من طلوع الفجر إلى شروق الشمس. وأن يبقى احتياطاً ليلة العاشر في المشعر أيضاً إلى طلوع الفجر بقصد القرية.

الخامس والسادس والسابع - أداء مناسك منى في يوم عيد الأضحى وهي عبارة عن: أ - رمي جمرة العقبة، وهو رمي سبع حجرات، سيراً على خطا النبي إبراهيم عليه السلام الذي كان يرمي الشيطان في هذا المكان.

ب - الهدى، والحاج مخير فيها بين أن ينحر بدنة أو بقرة أو شاة. ولا يجزي حيوان آخر عن أحد هذه الحيوانات الثلاثة. والهدى، إضافة إلى ما له من آثار اجتماعية ومساعدة للمساكين، فهو يدل أيضاً على التقوى والتضحية والإيثار، كما قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَ لَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ج - حلق الرأس أو التقصير (تقصير الشعر أو الأظافر) والحاج مخير بين هذين الأمرين، ولكن النساء يجب أن يقصرن فقط. وعلى من يحج المرة الأولى أن يحلق رأسه احتياطاً وجوباً.

١- سورة الحج (٢٢)، الآية ٣٧.

الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر - أداء مناسك الحرم و هي عبارة عن: الطواف، صلاة الطواف، السعي بين الصفا والمروة، طواف النساء، وصلاة طواف النساء. الثالث عشر والرابع عشر - أعمال منى في أيام الحادي عشر والثاني عشر، و بالنسبة للبعض يوم الثالث عشر من ذي الحجة، و هي عبارة عن:

أ - المبيت في منى.

ب - رمي الجمرات الثلاثة (الأولى، والوسطى، والعقبة) و يجب أن يرمي في كل يوم سبع حصيات لكل واحدة من الجمرات الثلاثة.

### العمرة المفردة

من المستحبات المؤكدة التي عبّرت عنها الروايات بالحج الأصغر، هي العمرة المفردة. ويمكن أداؤها في كل أوقات السنة، و هناك تأكيد كثير على عمرة شهر رجب. واجبات العمرة المفردة التي يجب أن يكون فيها قصد القرية عبارة عما يلي: النيّة، الإحرام، الطواف، صلاة الطواف، السعي بين الصفا والمروة، حلق الرأس أو التقصير، طواف النساء، صلاة طواف النساء.

### زيارة قبر النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام

أحد الأمور التي يختص بها أتباع أهل البيت عليهم السلام هو الاهتمام بزيارة قبر النبي ﷺ، وقبور الأئمة المعصومين عليهم السلام. و تعود أسباب هذا الاهتمام إلى تأكيدات كثيرة وردت عنهم. فقد جاء في روايات أهل السنة عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَ لَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي»<sup>(١)</sup> و في مصادر الشيعة أيضاً روايات كثيرة تحت على زيارة قبر النبي وقبور

١- راجع: الجزري، عبدالرحمن، الفقه على المذاهب الاربعة، كتاب الحج، باب زيارة قبر النبي، ج ١، ص ٧١١-٧١٥؛ المُنَقِّي الهندي، كنز العمال، ج ٥، ص ١٣٥ و ١٣٦، الحديث ١٢٣٦٨ - ١٢٣٧٣، الحديث ٤٢٥٨٢ - ٤٢٥٨٤؛ ج ١٥، ص ٦٥١ و ٦٥٢؛ و قريب من هذا المضمون في وسائل الشيعة، الباب ٣ من أبواب المزار، ج ١٤، ص ٣٣٣، الحديث ٣.

أهل بيته. فهذه الأماكن يُستجاب فيها الدعاء و تغفر الذنوب.  
 جاء في رواية: «إِنَّ لِكُلِّ إِمَامٍ عَهْدًا فِي عُنُقِ أَوْلِيَائِهِ وَ شِيعَتِهِ، وَ إِنْ مِنْ تَمَامِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ زِيَارَةَ قُبُورِهِمْ»<sup>(١)</sup> و فضلاً عن ذلك ففي زيارة قبورهم آثار و فوائد اجتماعية و معنوية جمّة. ففي زيارة قبورهم تمتين لأواصر العلاقة بهم و ترسيخ لمحبتهم في القلوب. تقتزن زيارة القبور عادة باجتماع المؤمنين و تألفهم و تعارفهم على غيرهم، و انبثاق روح الأخوة و المساواة و الاستعداد للانصياع للأوامر الإلهية و اجتناب الأهواء النفسية. و الأدعية المأثورة التي تُقرأ في هذه المناسبات زاخرة بهذه المعاني، و الاعتراف بقدسية الإسلام و رسالة النبيّ و دعوة كل مسلم إلى أداء ما عليه من فرائض دينية، و الخشوع لله، و العمل بالأوامر و اجتناب النواهي و المعاصي.<sup>(٢)</sup> بل إنّ بعض هذه الزيارات مثل زيارة «أمين الله» و ردت في أبلغ تصوير لوحداية الله و الخشوع التام له.

و مما جاء في آداب الزيارة، أن يقول بعد الانتهاء من صلاة الزيارة: «اللَّهُمَّ إِنِّي لَكَ صَلَّيْتُ وَ لَكَ رَكَعْتُ وَ لَكَ سَجَدْتُ وَ خَدَاكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَإِنَّهُ لَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ وَالرَّكُوعُ وَالسُّجُودُ إِلَّا لَكَ لِإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ...»<sup>(٣)</sup>.

و لهذا ينبغي عند زيارة الأئمة الأطهار عليهم السلام التوجه إلى توحيد الله و ربوبيته، و التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله و الأئمة عليهم السلام؛ أي جعلهم وسيلة للتقرب إلى الله، و أخذ سيرتهم و عبوديتهم لله بنظر الاعتبار.

### النذر والعهد والقسم

الوفاء بالعهد من أسمى الفضائل الأخلاقية، و دليل على نقاء الفطرة و سلامة الطبع و الإسلام يبدي اهتماماً منقطع النظير للوفاء بالعهد، قال الباري عزّ وجلّ: ﴿وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢ من أبواب المزار، ج ١٤، ص ٣٢٢، الحديث ٥.

٢- على سبيل المثال راجع: ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ٢٥٠.

٣- مفاتيح الجنان، الزيارة السابعة من زيارات الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة وارث.

إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿١﴾.

الحياة الاجتماعية لا ينتظم عقدها من دون الالتزام بالعهد. فهذه الخصلة مدعاة لوثوق الناس ببعضهم، وبدونها لا تبقى للعهود والوعود قيمة. واستناداً إلى الآية المذكورة آنفاً يجب الالتزام بكل العهود. ومتى ما أبرم عهد سواء باسم الله، أم على شكل قسم أو نذر أو عقد، فمن الطبيعي أن التخلف عنه يُعتبر قبيحاً من الناحية الأخلاقية، إضافة إلى أنه إثم و يستوجب الكفارة.

أنزل الباري تعالى في كتابه الكريم عدداً من الآيات حول العهود والعقود والنذر والقسم، منها قوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾. (٢) وقال عز وجل من قائل في موضع آخر: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزَاهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ...﴾. (٣)

و على أية حال هناك نوع آخر من العلاقة بين العبد وربّه، وهو أنّ الإنسان يوجب على نفسه فعل أو ترك عملٍ معيّن لوجه الله تعالى من خلال عهدٍ أو نذرٍ أو قسمٍ. والنذر على عدّة أقسام:

١- نذر البرّ؛ وهو ما يُنذر لشكر نعمة دنيوية أو أخروية، كأن يقول: «نذر عليّ لله إن وفّقني للحج أن أفعل كذا عمل خيراً»، أو أن يكون شكراً لترك ذنب أو لشفاء من مرض، أو أية مشكلة أخرى.

٢- نذر الزجر؛ وهو ما يوقعه المكلف لمنع نفسه عن فعلٍ حرام أو مكروه كأن يقول مثلاً: نذر عليّ لله إن اغتبت أحداً عمداً أن أصوم يوماً.

٣- نذر التبرّع؛ وهو ما جاء مطلقاً من غير التعلّق بشرط، كأن يقول: نذر عليّ أن أصوم الغد.

٢- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٧٠.

١- سورة الإسراء (١٧)، الآية ٣٤.

٣- سورة النحل (١٦)، الآيتان ٩١-٩٢.

والنذر يصحّ في الأعمال الصحيحة شرعاً. و على هذا فلو نذر أن يفعل حراماً أو مكروهاً أو ترك واجب أو مستحبّ، لا يصحّ نذره. و حتى لو نذر لفعل أو ترك عمل مباح، لا يصحّ نذره أيضاً فيما إذا كان الفعل والترك متساويين من كل الجوانب.

في النذر والعهد لا يكفي مجرد القصد والنية، بل لا بدّ أن يُلفظ بالصيغة و تجري فيه عبارة «لله» على اللسان، و لكن لا يشترط أن يُقال باللغة العربية. و عبارة «لله» بأية لغة كانت، يجب أن تكون في صيغة النذر؛ كأن يقول مثلاً: نذر عليّ لله إذا شفى فلان من المرض أن أفعل كذا.

و إذا نذر أن يترك عملاً إلى وقت معيّن، يمكنه فعل ذلك بعد مضيّ ذلك الوقت، و إذا فعل ذلك اختياراً قبل انقضاء ذلك الوقت فعليه أن يدفع كفّارة.

و إذا عيّن كفّارة لتخلّفه عن نذر أو قسم أو عهدٍ كأن يقول مثلاً: أعاهد الله على أن لا أدخّن سيجارة بعد الآن، و إذا دخّنت اتصدّق بمائة درهم، فإذا تخلّف عليه أن يفعل ما عيّنهُ و لا كفّارة أُخرى عليه.

# الأسرة

## مكانة و أهمية الأسرة

خلق الله المرأة والرجل ليكونا سكناً لبعضهما، و عقد أواصر المحبة والمودة بينهما ليعيشا في ودٍّ و وئام ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾<sup>(١)</sup>. النقطة المهمة في ما يخص الأسرة هو تأثيرها في تربية الاستعدادات و تنمية المجتمع و نشر القيم المعنوية بين أفراد البشر. فالأسرة تساعد على الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والأخلاقي و تؤثر في صياغة الاقتصاد السالم والمتوازن.

يستفاد من الكثير من الآيات والروايات مدى أهمية الأسرة و دورها في خلق الاستقرار والمحبة و تهذيب العواطف الإنسانية، يقول القرآن عن العلاقة بين المرأة والرجل: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾<sup>(٢)</sup>.

المجتمعات التي يقوم فيها كيان الأسرة على أسس متينة، يسود فيها عادة الاستقرار والطمأنينة والتقارب بين أفرادها وتقوم الأسرة بدورها بمنع الجريمة و تربية الأبناء وسلامة المجتمع بشكل جيد. لذا يجب وضع مسألة حفظ الأسرة واستقرارها ضمن جدول أعمال المجتمعات، و عندما يتعارض حفظ واستقرار هذا الكيان مع النشاطات الاجتماعية، يجب -بسبب أهمية و حساسية الأسرة- تنظيم شؤون الحياة بالشكل الذي لا يمس بهذا الكيان. و من جهة أخرى فقد أكد الإسلام على أهمية التواصل والارتباط مع أعضاء الأسرة الأكبر سناً على أوسع مستوى -أي الأب والأم والإخوان والأخوات

١- سورة الروم (٣٠)، الآية ٢١.

٢- سورة البقرة (٢)، الآية ١٨٧.



والأقرباء- وبيّن وظائف و واجبات معينة كاحترام الوالدين والاعتناء بهما و صلة الرحم والاهتمام الخاص بأحوالهم المعاشية.

إن التأكيد على مكانة الأسرة بمعناه العام يندرج في سياق حفظ القيم، و دوام القيم المعنوية و بقاء المودة و تقوية العواطف و حلّ المشاكل الإنسانية.<sup>(١)</sup>

## الزواج

### العلاقة الطبيعية بين المرأة والرجل

أوجد الله ميلاً و انجذاباً طبيعياً بين المرأة والرجل يربطهما ببعضهما و يستمبلهما إلى العيش المشترك معاً.

تشكل المرأة والرجل النواة الأساسية للأسرة، و هذا الميل الطبيعي الذي يربطهما هو الميل الجنسي الذي يجب أن يوضع في اتجاهه الصحيح مثل بقية الغرائز. تنبتق الحياة المشتركة بين الزوجين في البداية من الميل الجنسي غالباً، و لكنّها لاتتوقف عند هذا الحد و إنما تتطوّر إلى نوع من الارتباط الروحي و العاطفي و الاعتقادي و الاجتماعي العميق. من النتائج الطيبة للزواج، بناء الأسرة، و تربية الأولاد، و التهذيب الأخلاقي، و سعي كل من المرأة والرجل لتحقيق سعادتهما و سعادة أولادهما، و التعاون من أجل توفير المصالح المشتركة.

### الزواج نوع من العبادة

أولى الإسلام أهمية بالغة لمسألة الزواج، و قد دعت الآيات القرآنية و أحاديث المعصومين عليهم السلام كثيراً إلى الزواج، حيث اعتبرته عملاً مقدساً و فعلاً للخير. إن الإسلام لا يريد تعطيل أو كبت الغرائز و المواهب التي أودعت في الإنسان لأجل حفظ وجود الفرد -بدافع حبّ الذات- أو لأجل المصالح الاجتماعية -حبّ الغير- بل هو يريد أن يضع

١- بعض مباحث الأسرة ذكرت في قسم الاخلاق من هذا الكتاب فراجع.

- بالاستعانة بالأساليب العقلانية - طاقات البشر الطبيعية في مسيرها المناسب. والإسلام لا يريد تجميد الطاقات أو تعطيلها أو إصدار أحكاماً معارضة لمسار الطبيعة والأصول الفطرية للإنسان؛ لأن القانون الذي يخالف المسار الطبيعي لا يمكن أن يطبق أو يدوم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأن الأحكام الإسلامية تستند إلى الفطرة.

الغريزة الجنسية إذا وُظِّفت بشكل صحيح ستكون سبباً لتحسين وضع الإنسان و توازنه، و سبباً لتكامل و بقاء النسل، وإذا لم توجه الوجهة المناسبة فسوف تصبح سبباً لسقوط الإنسان و مدعاة للكثير من الانحرافات و العقد المختلفة.

الذين يمتنعون عن الزواج ربّما يقعون في الكثير من الآثام التي تؤدي إلى فقدانهم توازنهم الجسمي والنفسي. لقد خلق كل من الرجل والمرأة بشكل يشير كل منهما فيه بالنقص و عدم الاستقرار والراحة من دون الآخر، و بالتأليف بينهما يزول هذا النقص، و كل من الزوجين هو لازم و ملزوم، و وسيلة لحفظ و صيانة أحدهما الآخر، يقول القرآن عن الزواج: ﴿وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(١)</sup> و روي عن الرسول ﷺ: «مَا بُنِيَ بِنَاءٌ فِي الْإِسْلَامِ أَحَبُّ إِلَيَّ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنَ التَّزْوِيجِ»<sup>(٢)</sup>.

و قال أيضاً: الزواج سنتي، فمن رغب عن سنتي فليس مني<sup>(٣)</sup>.

و قد عبرت بعض الروايات عن الزواج بأنه وسيلة لإحراز نصف الدين و وسيلة لجلب الرزق<sup>(٤)</sup>.

و قد ذمّت بعض الروايات الأخرى العزّاب<sup>(٥)</sup> و لهذا من الجدير أن يقيم الشبان المسلمون هذه السنّة الإلهية و لا يتقيدوا بالعادات و التقاليد الزائدة و المغلوطة.

١- سورة النور (٢٤)، الآية ٣٢.

٢- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١ من أبواب مقدمات النكاح، ج ٢٠، ص ١٤، الحديث ٤.

٣- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب الأول من أبواب النكاح، ج ١٤، ص ١٥٢ و ١٣٣، الحديث ١٥ و ١٨.

٤- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢١٧، الحديث ١؛ و ص ٢١٩، الحديث ١٤.

٥- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٣٨٤، باب فضل المتزوج على العزب، الحديث ٤٣٤٨ و ٤٣٤٩.

## الاهداف الأساسية من الزواج

في الزواج فوائد يعود بعضها على الزوجين، و يعود بعضها الآخر على المجتمع. يمكن تلخيص أهم الفوائد التي تعود على الإنسان من الزواج في ثلاثة أشياء:

١- إشباع الغريزة الجنسية عن الطريق الصحيح: كما نعلم أن كل إنسان لديه غريزة جنسية، و يجب أن تلبى هذه الحاجة الطبيعية، و تلبى الشريعة الإسلامية هذه الحاجة على وجه مشروع و طبيعي عن طريق الأمر بالزواج و لاترضى مطلقاً بالرهبانية و العزوبية، و من يتزوج يشبع هذه الحاجة الطبيعية، و لكن الذين يعزفون عن الزواج قد يوقعون أنفسهم و المجتمع في الانحراف و الفساد. و قد روي عن رسول الله أنه قال: «من استطاع منكم الباه فليتزوّج و من لم يقدر فعليه بالصوم فإنه له و جاء».<sup>(١)</sup>

٢- إيجاد السكينة عند الرجل و المرأة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾.<sup>(٢)</sup>

هذه الآية القرآنية - و كذلك الآية ٢١ من سورة الرّوم التي تقدّم بيانها<sup>(٣)</sup> - أسمى من اللذة الجنسية و تهدف إلى إيجاد الطمأنينة و الاستقرار و السكن و المودة و الرحمة.

٣- استمرار النسل البشري، و تربية الأبناء المؤمنين الصالحين ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا... يَذُرُّوْكُمْ فِيهِ﴾.<sup>(٤)</sup>

و قد جاء في الروايات - أيضاً - التأكيد على اختيار الزوجة الولود غير العقيم.

## اختيار الزوج

إن إحدى أكثر المسائل المتعلقة بالزواج و تشكيل الأسرة حساسية، هي مسألة اختيار الزوج، و لا بدّ من الالتفات إلى عدة مسائل في هذا المجال و هي:

١- النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل، الباب ١٣ من أبواب الصوم المنسوب، ج ٧، ص ٥٠٦ و ٥٠٧،

الحديث ١. ٢- سورة الأعراف (٧)، ١٨٩.

٣- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً﴾.

٤- سورة الشورى (٤٢)، الآية ١١.

- ١- الحرية في اختيار الزوج.
- ٢- معايير اختيار الزوج.
- ٣- من لا يقع الزواج بينهم.

### ١- الحرية في اختيار الزوج

الحياة الزوجية والمشاركة تكون مصدراً للسعادة متى ما كان هناك توافق فكري و تناسب روحي و أخلاقي بين الزوجين.

و يتحقق هذا الانسجام حينما يتم اختيار الزوج بدقة و حرية و اختيار كامل من قبل الطرفين، و لا يكون الزوجان مجبرين و مكرهين في اختيار شريك الحياة.

أول شرط لصحة عقد الزواج هو أن يكون لكل من المرأة و الرجل دور في إبرام هذا العقد، و بعد تحقق الإيجاب و القبول لا بد أن يكون ذلك عن رضی و اختيار تامين.

جاء شاب إلى الإمام الصادق عليه السلام و قال له: إنني أرغب في الزواج من امرأة، بينما يريد مني و الداي أن أتزوج غيرها. فقال له الإمام: تزوج التي ترغب أنت فيها، و اترك التي يرغب فيها و الداك. (١)

و نقل في رواية أخرى أن فتاة جاءت إلى النبي و قالت: إن أباه تزوجها و هي كارهة، فترك النبي صلى الله عليه وسلم لها الخيار في أمرها. (٢)

### إذن الأب في زواج ابنته

أكدت التعاليم الإسلامية على أن تتزوج البنت بإذن من أبيها. و من الضروري الالتفات إلى النقاط التالية بهذا الشأن:

- ١- بما أن الزواج منشأ علاقة اجتماعية بين أسرتي الزوجين، لذا يوصى الأبناء و البنات باستشارة و لديهم حول اختيار الزوج.

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٣ من أبواب عقد النكاح و أولياء العقد، الحديث ١، ج ٢٠، ص ٢٩٣.

٢- الشهيد الثاني، مسالك الافهام، ج ٧، ص ١٢٣؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٦٠٢ و ٦٠٣، الحديث ١٨٧٤.

إنّ التشاور هذا، نوع من الاحترام والحب للأبوين، و تعبير عن الامتنان لما يحمله من أجل تنشئة الأبناء و تربيتهم وهو أسلوب مناسب للاستفادة من تجاربهما الشخصية والاجتماعية، إضافة إلى أنّهما أفضل معين و مرشد في اختيار الزوج.

٢- و من اشترط إذن الأب في الزواج فإنّه قد اعتبر هذا الشرط في حالة البنت البكر، ومن الواضح أن هذا الإجراء بخصوص هذه الفئة التي لا تملك أية تجربة في هذا المضمار، ينطوي على أهمية كبيرة و وضع رأي الأب كشرط في عقد الزواج يمثل حلاً مفيداً لهنّ.

٣- شرط الإذن يكون ساري المفعول مادام الأب يسعى في سبيل مصلحة ابنته، وليس في سبيل فرض رأيه و رغبته عليها، و متى ما تبين أن الأب يعمل خلاف مصلحة ابنته، و بضررها، تستطيع البنت أن تُقدم على الزواج بتشخيصها في حالة تناسب و كفاءة المتقدم للزواج منها.

## ٢- معايير اختيار الزوج

على المرأة والرجل اللذين ينويان الزواج أن يكون كل منهما على معرفة كافية بالآخر، و أن يضع نصب عينيها المعايير اللازمة لانتخاب الزوج المناسب. و أي تسرع بهذا الخصوص ربما يكون سبباً للندم في المستقبل.

من جملة النقاط التي يجب وضعها نصب العين عند اختيار الزوج هي:

١- الإيمان: قلنا في الأبحاث المتقدمة أن الهدف من الزواج من وجهة نظر الإسلام ليس مجرد إشباع للذة الجنسية، بل تشكيل الأسرة والألفة والمودة، و إيجاد الجو المناسب لتربية أولاد نافعين للمجتمع الإسلامي.

الشرط الأوّل للوصول إلى هذه الأهداف هو أن يكون الزوجان مؤمنين و متمسكين بالإسلام، و عليه فإنّ زواج المسلمين حسب هذه الآية القرآنية بالمشركين<sup>(١)</sup> غير صحيح. يلاحظ أحياناً أن هناك من يقول: إنّ الاختلاف في الأديان يجب أن لا يكون مانعاً من الزواج بين المرأة والرجل.

١- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٢١.

هذا اللون من التفكير ينشأ طبعاً بسبب عدم الفهم الصحيح للدين والزواج. فلو كان الدين كما يفهم من هذه الكلمة هو طريق وأسلوب و منهج للحياة، وإذا كان الزواج ارتباطاً روحياً و قلبياً بين الزوجين، و تأسيس كيان يسوده الوئام والانسجام، كيف يمكن إيجاد مثل هذا الارتباط بين إنسانين أحدهما مؤمن والآخر كافر؟

لقد أثبتت التجربة العملية أن هذا النوع من الزواج إما أن ينتهي إلى الضمور الاعتقادي التدريجي للزوجين، أو على الأقل لأحدهما أو ينتهي إلى عدم الإنسجام.

٢- الاستقامة، العفة والفضائل الأخلاقية. يقول أحد أصحاب الإمام الجواد عليه السلام: كتبتُ إليه أسأله في أمر الزواج، فجاءني الجواب بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا جاءكم من ترضون خلقه و تدينه فزوِّجوه، وإذا لم تفعلوا فإن ذلك يؤدي إلى فتنة و فساد. <sup>(١)</sup> و روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: الكفاء من كان ذا عفة و يسار. <sup>(٢)</sup> إن اختيار الزوج السيء الخلق والمنحرف فكرياً والمرتكب للذنوب عمل غير صائب، حتى وإن كان ثرياً و ذامكانة اجتماعية ظاهرية، كما جاء في الحديث: إن من زوّج ابنته شارب الخمر فقد قطع ذريتها. <sup>(٣)</sup>

### ٣- من لا يقع الزواج بينهم (المحارم)

توجد مجموعة من الأفراد لا يجوز الزواج بينهم، إما بسبب علاقة نسبية أو سببية أو الرضاع <sup>(٤)</sup> و هؤلاء هم:

١- المحارم النسبيون؛ أي الأقارب الذين هم من أصل و نسب مشترك فيكونون محارم للشخص و الزواج منهم حرام، فيحرم على الرجل: الأم و الجدة و البنت و الأحفاد -مهما نزلوا- و الأخت و بنت الأخ و أحفادها و بنت الأخت و أحفادها و العمّة و الخالة و يشمل ذلك عمات و خالات الأب و الأم، مهما علوا.

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٨ من أبواب مقدمات النكاح، ج ٢٠، ص ٧٧، الحديث ٢.

٢- المصدر السابق، ص ٧٨، الحديث ٤.

٣- المصدر السابق، الباب ٢٩، ص ٧٩، الحديث ١.

٤- راجع: سورة النساء (٤)، الآية ٢٢.

و يحرم على المرأة: الأب والجد والإبن والأحفاد - مهما نزلوا - والأخ وابن الأخ و أحفاده وابن الأخت و أحفاده والعم والخال و يشمل أعمام و أخوال الأب والأم مهما علوا.

٢- المحارم السببيون: أي الأقارب الذين يرتبط بهم الشخص بنسبة سببية عن طريق الزواج و لا يمكن الزواج بهم.

فيحرم على الرجل؛ زوجة الأب والجد، وأم وجدّة المرأة فهما تحرمان على الصهر حرمة أبدية، و بنت الزوجة و أحفادها إذا كان الرجل قد دخل بأُمها و ليس بمجرد إجراء العقد، و زوجة الإبن وأخت الزوجة مادامت الرابطة الزوجية موجودة مع تلك الزوجة، و يحرم على المرأة؛ أبو الزوج و جدّه و ابن الزوج و زوج الأم و زوج البنت (الصهر) و زوج الأخت مادام زوجاً لأختها.

٣- المحارم بالرضاع؛ إذا حصلت إحدى النسب المتقدّمة عن طريق الرضاع - وفق الشرائط المذكورة للرضاع<sup>(١)</sup> - أدت إلى الحرمة و بالنتيجة حرمة الزواج.

كذلك بالإضافة إلى الموارد المذكورة فإن الزواج مع هذه الفئة من النساء حرام أيضاً:

١- المرأة التي في عدّة رجل آخر. ٢- المرأة المحصنة التي عقد عليها. ٣- المرأة المحصنة التي زنى بها على الأحوط وجوباً. ٤- بنت الخالة و على الأحوط وجوباً بنت العمّة فيما إذا زنى بأُمّهما. ٥- بنت و أم المرأة التي زنى بها على الأحوط وجوباً. ٦- أم و أخت و بنت من لاط به. ٧- المرأة المُحرّمة التي عقد عليها في حالة الإحرام. ٨- الزوجة التي طلقها زوجها ثلاث مرّات؛ إلا بعد زواج المحلّل بها وفق الشروط المذكورة في الرسائل العملية.<sup>(٢)</sup> ٩- بنت أخت و بنت أخي الزوجة من دون إذنها. ١٠- البنت الصغيرة التي تزوّجها و دخل بها على الأحوط وجوباً. ١١- الكافرون من غير أهل الكتاب (والزواج الدائم بالكافرات من أهل الكتاب و من غيرهم). ١٢- الزوجة التي لاعتها.

و قد جاء تفصيل أحكام كل من هذه الموارد في الرسائل العملية.<sup>(٣)</sup>

١- راجع: الأحكام الشرعية، المسائل ٢٦٦٢-٢٦٨٢.

٢- راجع: المصدر السابق، المسألة ٢٧٣١. ٣- راجع: المصدر السابق، المسائل ٢٥٦٧-٢٥٩٤.

## عقد الزواج

عندما يتفاهم اثنان على العيش المشترك معاً، ولكي يعربا عن إرادتهما القلبية واستعداهما لذلك، ولكي يحسما موضوع زواجهما بشكل نهائي، عليهما إبرام عقد الزواج بالتلفظ بكلمات تنم عن نيتهما الجادة، وليعلنا احترامهما لهذا العقد و لكل ما ورد فيه من وظائف و شروط.

بدايةً تقول الزوجة مخاطبة الزوج و بقصد إيجاد عقد الزوجية: «أَنْكَحْتُكَ نَفْسِي عَلَى الصِّدَاقِ الْمَعْلُومِ» أو «زَوَّجْتُكَ نَفْسِي عَلَى الصِّدَاقِ الْمَعْلُومِ». حسب العقد والشروط المتفق عليها؛ و بعد ذلك أيضاً يقول الرجل مباشرة: «قَبِلْتُ النِّكَاحَ عَلَى الصِّدَاقِ الْمَعْلُومِ» أو «قَبِلْتُ التَّزْوِيجَ عَلَى الصِّدَاقِ الْمَعْلُومِ».

حسب القوانين الإسلامية، يمكن للزوجين إجراء صيغة العقد بينهما دون تدخل الآخرين و عند الحاجة و عدم قدرة الطرفين على إجراء العقد يمكنهما توكيل الغير. والأحوط وجوباً أن تقرراً صيغة العقد عند الإمكان بلغة عربية صحيحة، و لكن إذا تعذر ذلك تجوز قراءتها بأي لغة أخرى مفهومة لمعنى «زوجت» و «قبلت».

## دور المرأة في صيانة العفاف في المجتمع

رؤية المشاهد المثيرة لها دور كبير في إثارة الغريزة الجنسية، و غالباً ما تمهد الأرضية لانحراف الشبان، لذلك يفترض بالمرأة أن تهتم بدورها في حفظ العفة في المجتمع، و الحذر من كل ما من شأنه دفع الآخرين لارتكاب الحرام. و على النساء أن لا يجعلن من أنفسهن فرجة للقاصي والداني، و أن لا يصبحن أداة للقيام بالمعاصي و تمهيد الأرضية لارتكاب الذنوب من قبل الآخرين. فيجب أن لا تقوم المرأة بما يلفت اهتمام الرجال إليها بصفقتها موجود خلقه الله سبحانه و تعالى للتسلية و الانغماس في الشهوات، و عليهن أن يعرفن قدر أنفسهن و قدر شخصيتهن الإنسانية و خاصة مقام الأمومة الذي حباهن الله به - و يجب عليهن أن يسعين إلى أن تنشأ في أحضانهن الشخصيات الفذة و العظيمة - و قد جاءت في



القرآن العظيم دعوة لضرورة عدم تبرُّج المرأة للأجنبي.<sup>(١)</sup>  
و في الوقت ذاته أمر الرجال بالعِفَّة و غضِّ البصر أيضاً.<sup>(٢)</sup>

### أحكام النظر واللمس والصوت

- ١- يحرم على الرجل النظر إلى جسد المرأة ما عدا المحارم، سواء كان نظره بلذَّة، أو بدون لذَّة والنظر إلى الوجه والكفين أيضاً حرام إذا كان بقصد اللذَّة، أو خاف الوقوع في الحرام، بل النظر بدون قصد اللذَّة والخوف من الحرام أيضاً لا يخلو من إشكال؛ إلا في حالة الضرورة فلا إشكال فيه.
- ٢- النظر بدون قصد اللذَّة إلى الوجه واليدين والشعر وما لا يستر عادة من نساء الكفار و أهل الكتاب، إن لم يخف منه الوقوع في الحرام، فلا إشكال فيه.
- ٣- لا يحرم أن يأخذ الرجل الصورة والفيلم للمرأة غير المحرم، ولكن لا يجوز التقاط الصورة إذا كان يضطر بسببها إلى ارتكاب عمل آخر حرام.
- ٤- لا إشكال في نظر الرجل إلى صورة و فيلم المرأة غير المحرم، إذا كان لا يعرفها أو كانت تلك المرأة متهتكة، بشرط أن لا يترتب على هذا النظر مفسدة.
- ٥- من أراد الزواج يجوز له -من أجل التعرف- النظر بمقدار المتعارف فقط إلى وجه و شعر و كَفِّي المرأة أو البنت المقصودة، وإذا لم يحصل الغرض من النظرة الأولى فلا إشكال في التكرار، ولكن على أي حال يجب أن لا يكون بقصد اللذَّة. ولا إشكال بحصولها قهراً.
- ٦- إذا اضطر الرجل إلى معالجة امرأة غير محرم، واضطر من أجل معالجتها أن ينظر إليها أو يلمس بدننها فلا إشكال فيه، ولكن إذا استطاع أن يعالجها بالنظر، فلا يجوز اللمس، وإذا استطاع أن يعالجها باللمس، فلا يجوز النظر وإذا اضطر لذلك، فلا فرق بين العورة و غيرها.
- ٧- يجوز للمرأة والرجل الأجنبيين سماع صوت أحدهما الآخر دون تلذذ، سواء كان ذلك بالتحدث أو بشكل آخر، وبشكل مباشر أو غير مباشر، ولكن إذا كان صوت المرأة مهيجاً يجب على الأحوط اجتناب الاستماع إليه.

١- سورة النور (٢٤)، الآية ٣١.

٢- سورة النور (٢٤)، الآية ٣٠.

## الواجبات الأسرية

١- بعد إجراء عقد الزواج تترتب الحقوق الزوجية على الطرفين، و تجب على الزوجين الالتزامات والوظائف التالية:

أ - التزامات الزوج بدفع المهر والنفقة ورعاية حقوق الزوجة.

حسب القانون الإسلامي بمجرد أن يجري العقد يصبح الزوج مديناً بالمهر للزوجة، وعليه الدفع إذا ما طالبت الزوجة به ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾؛<sup>(١)</sup> إلا أن يكونا قد وضعا شرطاً خاصاً في العقد، أو أن تقبل الزوجة بأن يبقى المهر في ذمة الرجل. على الزوج أيضاً توفير النفقات اللازمة والمأكل والملبس واحتياجات زوجته بما يليق بها وعلى قدر استطاعته وسعته، جاء في الرواية: «من كانت عنده امرأة فلم يكسها ما يوارى عورتها و يطعمها ما يقيم صلبها، كان حقاً على الإمام أن يفرق بينهما».<sup>(٢)</sup>

في الوقت نفسه - امتثالاً لأمر القرآن الكريم - فإن على كل زوج أن يكون حسن الأخلاق والسلوك مع زوجته<sup>(٣)</sup> وأن لا يحتمل شريكه حياته ما هو خارج عن نطاق الواجبات الزوجية.

من جملة حقوق المرأة الدائمة على زوجها هو إذا لم يكن بإمكانه المبيت عندها في كل ليلة، فعليه أن يمضي ليلة واحدة من كل أربع ليالٍ على الأقل في منزلها إلا أن تتنازل عن حقها.

ب - وظيفة المرأة تجاه زوجها هي أن تكون حسنة الأخلاق وأن تمكّنه من نفسها، وأن تكون عفيفة و أمينة على ماله، و يجب عليها أن تعرف واجباتها الزوجية تجاه زوجها وأن تلتزم بها. وقد قال الله تبارك و تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً﴾<sup>(٤)</sup> طبعاً على الزوج أيضاً أن يراعي مصالح

١- سورة النساء (٤)، الآية ٤ .

٢- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٤٤١، باب حق المرأة على الزوج، الحديث ٤٥٢٩ .

٣- سورة النساء (٤)، الآية ١٩ .

٤- سورة الروم (٣٠)، الآية ٢٢ .

زوجته بشكل كامل، كذلك على الزوجة - في جميع الأحوال - رعاية الأمانة والصدق تجاه الزوج في جميع جوانب الحياة المختلفة، وخاصة من ناحية تربية الأولاد و حفظ مال الزوج، وأن لاترهق زوجها بمطالب غير ضرورية تفوق طاقته قد تدفعه إلى الانحراف عن الطريق المستقيم.

جاء في الحديث: يأتي زمان يكون فيه هلاك الرجل على يد زوجته؛ تكلفه ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة.<sup>(١)</sup>

وهناك أيضاً حقوق مشتركة بين الزوجين عليهما رعايتها:

أ - حق الاستمتاع واللذة؛ وهو حق للطرفين في أن يستمتع أحدهما بالآخر على أساس الحدود التي وضعها الشارع لهما، إلا أن يكون هناك مانع شرعي يحول دون ذلك، كذلك على الرجل أن لا يقضي جميع أوقاته بعيداً عن أسرته ولو في العبادة، فيفشل في تحسين وضع الزوجة والمعيشة والاهتمام بشؤون المنزل والأبناء، و ملء أوقات فراغ الأسرة.

ب - حسن المعاشرة؛ على كل واحد من الزوجين أن يحرص على إرضاء الآخر وأن يبتعدا عما يؤدي إلى الاختلاف، روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: خير نساءكم الولود الودود العفيفة، الذليلة مع بعلا المتبرجة مع زوجها.<sup>(٢)</sup>

و نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها.<sup>(٣)</sup>

٢ - للوالدين والأبناء مجموعة من الحقوق والواجبات المتبادلة فيما بينهم وإذا لم يعرف أي منهم تلك الواجبات أو لم يعمل بها فقد ظلم الآخر. وبما أن الأم قد حملت طفلها في مدة الحمل بصعوبة، و منحت من ثمرة روحها، و حمته بكل وجودها، و حرمت نفسها حلاوة الراحة والنوم، و تحملت المرارة لكي يكبر صغيرها، فلها حق أن يشكرها في مقابل المتاعب والمعاناة التي تحملتها في سبيله، وأن يقوم بواجباته تجاهها.

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٤٧.

٢- الحُرّ العاملي، وسائل الشيعة، باب ٦ من أبواب مقدمات النكاح، ج ٢٠، ص ٢٩، الحديث ٢.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ١٣٦، ص ٤٩٥.

والأب أيضاً حقوق من الواجب رعايتها؛ فالأب هو الأصل والإبن فرع منه، ولو لم يكن الأب لما كان الإبن أيضاً. فكل نعمة ينعم بها الإبن فهي من والده. لذا يجب على الإبن أن يحمد الله وأن لا يغفل لحظة عن شكره على نعمة الأبوة. والأبناء أيضاً لهم حقوق تجب رعايتها من قبل الوالدين، فحق الإبن على والديه أن يعتبراه جزءاً من وجودهما، وأنه منسوب إليهما، وأن مسؤولية سلامة و تربية وإرشاد الإبن في الأمور الاعتقادية تقع على عاتق الوالدين، و بالتالي سوف يربان أجر حسن أو جزاء سوء تربيتهما له. فعليهما تربيته بالشكل الذي يكون فيه مصدر عزّ لهما في الدنيا، و يعذران فيه أمام الله سبحانه و تعالى في الآخرة. و يجب أن يراعي الوالدان العدالة بين أبنائهما في البذل و المعاملة، قال رسول الله ﷺ: «اعِدُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ». (١) و في رواية أيضاً: «ساووا بين أولادكم في العطيّة». (٢)

٣- الأخ والأخت بمنزلة اليد والساعد والسند، و مصدر عزّة و قوّة أحدهما الآخر؛ وحقهما هو أن لا يتخذ أحدهما الآخر وسيلة لارتكاب المعاصي و الاعتداء على حرّامات الله أو الناس، و أن يعين أحدهما الآخر في الشدائد و الملمات.

### النفقة و إدارة شؤون الأسرة

في كل مجتمع - و حتى في الأسرة - نوعان من المسؤولية: الأول: مسؤولية كل عضو من الأعضاء اتجاه الآخر و الحقوق التي تجب مراعاتها. والثاني: الوظيفة الجماعية و العامّة لكل فرد تجاه الآخر، و في هذه الحالة يكون المجتمع مسؤولاً عن استمرار و قوة و ترابط الأسرة، بعبارة أخرى: من أجل التقدم الصحيح لأية جماعة لا بُدّ من وجود نظام دقيق. و إذا لم تكن هناك أنظمة صحيحة، و لم توزع الوظائف على أساس التناسب الروحي و طاقات كل فرد، و حصل تداخل في المسؤوليات، فإمّا أن يقع الظلم و الإجحاف في ذلك المجتمع، أو أن يؤدي ذلك إلى تآكل بنيان ذلك

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠١، ص ٩٢، الحديث ١٦.

٢- المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١٦، ص ٤٤٤، الحديث ٤٥٣٤٦.

المجتمع والأسرة. و من أهم المسائل التي تواجه الأسرة هي مسألة توفير سبل العيش من الملابس والمأكل والمسكن والظروف المناسبة لتعليم و تربية الأبناء، وقد أُنيطت مسؤولية هذا الجانب من الحياة بالرجل، و على هذا الأساس تقع على عاتق الرجل مسؤولية حماية وإدارة شؤون الأسرة.<sup>(١)</sup>

و هذه المسؤولية -كنظيراتها من المسؤوليات- تتطلب التضحية والإيثار، و لذا أُمر الإنسان بالدفاع فيما لو تعرض هو أو أسرته إلى اعتداء. حتى وإن علم أنه يُجرح أو يُقتل. ولهذا فإنَّ إيكال قيمومة الأبناء الذين لم يبلغوا سن الرشد إلى الأب، أو إذا اشترط أذنه في زواج ابنته الباكر، أو إذا أعطيت للزوج صلاحيات لإدارة شؤون البيت والأسرة، فهو لأجل أن لا تتفكك الأسرة و لا يتشتت شملها، و لكي تسير الأمور وفقاً لمجراها الصحيح. و في ضوء هذا الواقع، فالرجل هو المسؤول عن شؤون الأسرة، و إذا خرج عن حدوده و صدرت عنه مخالفة ما، و تصرف ضد مصالح الأسرة أو أساء استغلال موقعه، عندئذ لا يبقى له حق على أسرته.

قيام الرجل بتوفير متطلبات الحياة و تحسين الأوضاع المعاشية للأسرة عامل مهم جداً في خلق أجواء الارتياح والاطمئنان بين أفرادها، و من جملتهم الزوجة. و إن مثل هذا التدبير يعطي الفرصة لأعضاء الأسرة للقيام بدورهم على أفضل وجه. طبعاً يجب أن لا يتحول هذا الحق إلى أداة للظلم والاستبداد و فرض الرأي على المرأة والأبناء مطلقاً. إن إدارة شؤون الأسرة لا يعني التحكم والاستبداد والتسلط عليها؛ لأن الإدارة في الأسرة -و في أي مكان آخر- تتطلب تديراً واستفادة من الأساليب الناجحة للإدارة والتربية الصحيحة.

بعض هذه السُّبل تستعد الاستفادة من آراء أعضاء الأسرة، و إشراكهم في إدارة شؤونها، و بعضها يتحقق عن طريق التشجيع والمداراة واللين، و قسم آخر منها بالإيذار والتحذير.

١- إشارة إلى الآية ٣٤ سورة النساء: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾.

و على أية حال فإنّ مسؤولية تربية الأبناء تقع على عاتق كلا الوالدين، و عليهما بالتعاون و مساعدة بعضهما للبهوض بهذه المهمة الحساسة.

### من تجب إعالتهم

يجب على الإنسان إعالة كل من:

١- الزوجة الدائمة و كذلك المؤقتة إذا اشترطت النفقة ضمن العقد.

٢- الأب والأم و آباؤهما وأُمَّهاتهما، و إن علوا.

٣- الإبن والبنت و أولادهما، و إن نزلوا.

و فيما عدا المرأة - التي تجب إعالتها على الزوج على كل الأحوال فقيرة كانت أم غنية - فإن الإنفاق على الأقارب مشروط بفقرتهم و حاجتهم، و أما إذا كانوا يستطيعون توفير مصاريفهم بعمل يناسب حالهم و شأنهم لا يجب تأمينها لهم. و الأقارب الآخرون، كالأخ والأخت والعمّ والعمّة والخال والخالة و أولادهم، ليس من الواجب الإنفاق عليهم، و لكن يستحب للإنسان إذا كان متمكناً، و كانوا محتاجين أن يعيّلهم.

### حقوق الطفل

١- الرضاعة؛ لا يجب على المرأة إرضاع طفلها مجاناً أو بالأجرة، و لكن إذا انحصرت تغذية الطفل على حليب أمّه أو كانت تغذيته من غيرها يسبّب للطفل الضرر والأذى، فيجب عليها أن ترضعه و يجوز لها أن تطالب بالأجرة و لكن من الأجدر ألاّ تفعل ذلك. مدة الرضاعة الكاملة سنتان، و يكفي واحد و عشرون شهراً. و الأحوط مراعاة هذه المدة لو أمكن.

٢- التربية؛ بالإضافة إلى توفير نفقات المأكل والملبس و تعليم الأبناء، فإن من حق الإبن على أبيه تربيته الصحيحة والإشراف على شؤونه و كذلك تزويجه. طبعاً التربية هي بمعنى الإرشاد والتوجيه التي تكون في صالح الطفل، و بما يعود بالنفع عليه، و لا يجوز ضرب الطفل.

## الأعمال المستحبة بعد الولادة

يستحب بعد الولادة غسل الوليد ولقّه بقطعة قماش بيضاء، والأذان في أذنه اليمنى، والإقامة في أذنه اليسرى، واختيار اسم حسن له. ومن المستحبات المؤكدة جداً، العقيقة عن الوليد ولها تأثير مهم على سلامة الطفل.

## الزواج المؤقت

يمكن أن يتم الزواج على صورتين: «دائم» و «مؤقت». الزواج المؤقت والدائم يشتركان في بعض الأحكام و يختلفان في البعض الآخر. وما يميز الاثنين بالدرجة الأولى هو أن الزواج المؤقت لا يبد فيه من تعيين المدّة والمهر. و بعد انقضاء المدة يمددان بعقد جديد إن رغبا في التمديد وإلا انفصلا. الاختلاف الجوهرى بين هذين الزوجين هو أن الزواج المؤقت متحرر من بعض القيود والحدود التي سنذكرها فيما بعد للزواج الدائم. وهو مرتبط برغبة الطرفين والعقد المبرم بينهما، وتقييد هذا الزواج بزمن معين يمنح الطرفين أيضاً نوعاً من الحرية في القرار.

## لماذا الزواج المؤقت؟

إشباع الغريزة الجنسية حاجة إنسانية وخاصة في فترة الشباب. وإهمال هذه الحاجة و عدم الاهتمام بها ربما يعرض المجتمع إلى أزمة جنسية، و يصاب -بسبب عدم تلبية هذه الحاجة - بآفات مثل التحلل الجنسي، والإدمان على المخدرات، والعنف والأمراض الخطيرة. و من جهة أخرى قد لا يكون الزواج الدائم أحياناً في مصلحة أو بمقدور الكثيرين. والحل الذي يقدمه القرآن الكريم هو الزواج المؤقت.<sup>(١)</sup>

١- سورة النساء (٤)، الآية ٢٤.

على هذا يمكن أن يكون الهدف الأصلي من الزواج هو أمور أخرى، إضافة إلى تشكيل الأسرة:

١- المرأة والرجل إذا لم تكن لديهما القدرة على تحمل جميع شروط الزواج الدائم، ولا يرغبان أو لا يستطيعان تحمل كل مسؤوليات و واجبات هذا الزواج، ولكي يمكنهما الاتصال واللقاء والتعرف والاطمئنان لبعضهما قبل الزواج الدائم، يتزوجان لمدة معينة؛ وفي هذه الحالة إذا اطمئنا لبعضهما اطمئناناً كاملاً يواصلان زواجهما وإلا انفصلا.

٢- الرجال الذين يبتعدون عن زوجاتهم لفترات طويلة، أو من فقدت زوجته قدرتها الجنسية على أثر مرض و غير ذلك، أو من فقد زوجته و ليس بإمكانه الزواج الدائم ثانية.

٣- الشباب البالغون الذين لا يتيسر لهم تشكيل الأسرة والزواج الدائم، فإنَّ ضغط الغريزة الجنسية والحرمان من الزوجة المناسبة يشغل أذهانهم أو يوقعهم في المعصية، ويسفر عن نتائج مريرة على الصعيد الاجتماعي والفردى.

و عليه، هناك أمامنا طريقتان لا أكثر، إما أن يُترك هؤلاء و شأنهم ليقوموا بعلاقات غير مشروعة، أو أن يشبعوا غريزتهم الجنسية عن طريق مشروع، و بما أنهم لا تتوفر لهم إمكانية الزواج الدائم، لذا يكون الزواج المؤقت أفضل حلّ للحفاظ عليهم من ارتكاب الذنوب.

و تبعاً لذلك يكون على المشرعين المعارضين للزواج المؤقت، والذين يحرمون الارتباط غير القانوني و غير الرسمي بين المرأة والرجل - و هو الزنا - إمّا أن يحظروا على الرجال والنساء أي نوع من الارتباط الجنسي خارج نطاق الزواج الرسمي الدائمى، أو إذا كانوا يشاهدون من الناحية العملية وجود روابط غير سليمة بشكل متنوع و ملحوظ بين الرجال والنساء، فيجب على المعارضين للزواج المؤقت - والحال هذه - إعادة النظر في روابط الزواج القانوني، و أن يعترفوا بأنّ عدم الاهتمام ببعض المتطلبات الضرورية هو الذي أدّى إلى هذه المخالفات والعلاقات اللامشروعة التي تؤدّي إلى الانحلال، و لا مناص من التفكير لوضع حلّ لها جميعاً.

لم يغفل الإسلام عن المتطلبات الفطرية، الجسمية منها والنفسية، فقدّم بواقعية تامّة لهذا النوع من المشاكل الاجتماعية حلولاً منطقية بعيدة عن الإفراط والتفريط؛ فطرح فكرة



الزواج المؤقت كأفضل حل لهذه المعضلة.

جاء في بعض الروايات عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام أنهما قالوا: لولا تحريم المتعة لما زنى إلا شقي. (١)

ولكن هذا الحكم قد يُساء استغلاله من قبل البعض، ولكن علينا أن ندرك بأن كل قانون لابد وأن تكون فيه ثغرات جزئية يمكن استغلالها. غير أن المهم هو منع سبل هذا الاستغلال.

### أحكام الزواج المؤقت

بالإضافة إلى تعيين المدة و مقدار المهر، يتضمن عقد الزواج غير الدائم أحكاماً يجب الالتفات إليها ومنها:

١- إذا اشترطت الزوجة في عقد المتعة أن لا يقاربهما الزوج، فالعقد والشرط صحيحان، و يجوز للزوج أن يتلذذ بها دون المقاربة، لكن إذا رضيت بالمقاربة بعد ذلك يجوز له أن يقاربهما.

٢- في الزواج الدائم، يجب على الزوج -على أي حال- أن يهتئء للزوجة الطعام والملبس والمسكن والحاجات الأخرى من قبيل العلاج، أما في الزواج المؤقت فلا تجب نفقة الزوجة إلا إذا اشترطت النفقة ضمن العقد. فقد لا يريد الرجل أو لا يستطيع تحمل هذه النفقات، أو أن المرأة لا تريد الاستفادة من أموال الرجل.

٣- في الزواج الدائم يتولى الرجل مسؤولية إدارة الأسرة، أما في الزواج المؤقت فيتوقف ذلك على العقد الذي يُبرم بين الطرفين.

٤- في الزواج الدائم يحق للزوجين منع الحمل أو تحديد النسل بالتفاهم والتوافق، ولكن في الزواج المؤقت لا ضرورة لموافقة الطرف الآخر، و تستطيع المرأة أو الرجل منع الحمل.

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١ من أبواب المتعة، ج ٢١، ص ٥ و ١٠ و ١١، الحديث ٢ و ٢٠ و ٢٤ و ٢٥.

- ٥- إذا ولد من هذا الزواج طفل فالرجل هو المسؤول عن إدارة و تأمين معيشته كما في الزواج الدائم.
- ٦- يحرم على المرأة أن تقترن بزواج آخر خلال المدة المتفق عليها في العقد المؤقت كالزواج الدائم، و تنطبق عليها جميع تلك الأحكام.
- ٧- بعد انقضاء المدة المحددة، ينفصل الزوجان تلقائياً عن بعضهما، و لا حاجة إلى حكم الطلاق، و لكن إذا كان الرجل قد قارب زوجته فيجب عليها أن تعتد لكي يعلم فيما إذا كانت حاملاً أم لا، و يتم تحديد الرجل المسؤول عن إدارة شؤون الطفل.
- عدّة المرأة في هذا الزواج فيما إذا دخل بها و كانت المرأة تحيض فالأحوط وجوباً أن تعتد بأكثر المديتين من مدة حيضتين أو طهرين، و إذا كانت لا تحيض فيجب أن تعتد إلى مدة خمسة و أربعين يوماً و إذا لم يقاربها أو كانت يائساً فلا عدة عليها.
- ٨- لا تترث الزوجة المؤقتة زوجها و لا يرثها أيضاً، إلا إذا اشترط التوارث ضمن العقد، و في هذه الحالة، على الأحوط أن تتم المصالحة مع الورثة و أن يقوم الورثة باسترضاء الطرف المعني.

## تعدد الزوجات

تعدد الزوجات أحد الأمور الواقعية في المجتمعات، و في المسائل المطروحة للبحث في مجال نظام الأسرة منذ أزمنة بعيدة. و بالنظر إلى حقيقة أن البعض لا يكتفي بزوج واحد، و حتى من الممكن أن يقيم علاقة بصورة غير مشروعة مع امرأة أخرى، لم يشجع تعدد الزوجات و لم يُلغَه و لكنّه أيضاً قام بتحديد بـأربع نساء فقط و الخامسة تحرم؛ أي وضع له حدّاً أعلى من ناحية، و من ناحية أخرى جعل له قيوداً و شروطاً و هي أن يعدل الرجل بين زوجاته، و في حالة عدم استطاعته العدالة بينهنّ فيكتفي بواحدة كما جاء في القرآن الكريم، و قد انحاز الإسلام في هذا القانون إلى جانب المرأة فقد حدد علاقات الرجل الجنسية في نطاق الزواج القانوني، و منع العلاقات غير المنضبطة و المتحللة حفاظاً على حقوق الزوجة و الأسرة.

- للتعرف على الغاية من تعدد الزوجات، من الضروري طرح عدّة نقاط:
- ١- بطبيعة الحال يكون تعدّد الزوجات فيما لو كان عدد النساء المؤهّلات للزواج أكثر من عدد الرجال المؤهلين.
  - ٢- وجود أسباب من قبيل العقر أو المرض، أو علل أخرى.
  - ٣- وجود نساء مستعدات للزواج من رجال متزوجين، وهنّ يقدمن على هذا الأمر برغبتهن، و على هذا فففي حالة قلّة عدد النساء المؤهّلات للزواج بالنسبة للرجال و عدم ميولهن للزواج من الرجال المتزوجين، فهذا الأمر سينتفي تلقائياً.
  - ٤- لو نظرنا نظرة واقعية فسوف ندرك مدى صواب هذا الحكم، و في الحقيقة إنّ جواز تعدّد الزوجات الرسمي في البلاد الشرقية كان أهم عامل لتعزيز التوجّه للزواج من امرأة واحدة. ففي الظروف التي تظهر فيها الحاجة إلى تعدد الزوجات و يزداد عدد النساء المؤهّلات للزواج على عدد الرجال، إذا لم يعترف بحق هؤلاء النسوة بالزواج و لا يمنح الرجال المؤهّلون أخلاقياً و مالياً و جسماً حق تعدد الزوجات، فإن العلاقات اللامشروعة سوف تؤثر سلباً على الزواج الشرعي.
- تمّ تعديل هذا الحكم آخذاً بنظر الاعتبار مصلحة النساء، و كذلك العادات والتقاليد في الماضي والحاضر على النحو التالي:

### شروط تعدد الزوجات

- يجوز تعدد الزوجات بثلاثة شروط هي:
- ١- حفظ حقوق الأسرة و عدم ظلم الزوجة.
  - ٢- تحديد العدد و هو أن لا يتعدى الأربع نساء.
  - ٣- رعاية العدالة بين الزوجات. لقد اشترطت الاستفادة من تعدّد الزوجات بهذا الحكم، و هو إقامة العدالة التامة بين الزوجات بحيث لا تبقى فيه الزوجات كالمعلّقات، و أن لا يُحرمن من حقوقهن ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾<sup>(١)</sup>. إنّ رعاية هذا الشرط

١- سورة النساء (٤)، الآية ١٢٩.

تستلزم تحلي الرجال بصفات وإمكانات خاصة، وإذا كانوا يفتقرون لها عليهم أن لا يتزوّجوا بأكثر من زوجة واحدة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (١)

في نظر الإسلام لا يجوز ترجيح زوجة على سائر الزوجات بأي شكل يؤدي إلى عدم المساواة بين الزوجات. نقل عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما في القسمة من نفسه و ماله جاء يوم القيامة مغلولاً مائلاً شقّه حتى يدخل النار. (٢)

و نقل عن عائشة عن مساواة النبي ﷺ بين زوجاته: كان رسول الله لا يفضل بعضنا على بعض في القسمة، وكان كل يوم يطوف علينا جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ التي هو يومها فيبيت عندها. (٣)

و على أية حال، نظراً إلى الأهداف الأساسية للحياة، أي بناء الأسرة على أساس المحبة والمودة المتبادلة بين المرأة والرجل، فالأفضل الاكتفاء بامرأة واحدة. وفي الحالات الاستثنائية فقط يتسنّى اللجوء إلى تعدد الزوجات مع رعاية الشروط المذكورة آنفاً.

## الطلاق

تقدّم آنفاً، أن الإسلام قد حثّ على الزواج و وصفه بأنه سنّة رسول الله ﷺ. و أساس الزواج هو ميثاق على أساس المحبة والمودة والتقوى و حسن المعاشرة ﴿وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٤)

و قد أوصى الإسلام كثيراً بالدقة في اختيار الزوجة، و دعا إلى محكمة عائلية، عند نشوب خلاف بين الزوجين؛ للمصالحة و إنهاء الخلاف. (٥) و من جهة أخرى ذمّ الطلاق

١- سورة النساء (٤)، الآية ٣.

٢- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٤ من أبواب القسمة والنشوز، ج ٢١، ص ٣٤٢، الحديث ١.

٣- سنن أبي داود، ج ٢، ص ٢٤٣، الحديث ٢١٣٥.

٤- سورة النساء (٤)، الآية ٢١.

٥- سورة النساء (٤)، الآية ٣٥.

بشدة، وجاء في روايات متعددة وصف الطلاق بأنه أبغض الحلال عند الله<sup>(١)</sup> ولهذا وضع الإسلام قيوداً كثيرة في شروط وأحكام الطلاق لكي لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة القصوى. في الوقت نفسه أباح الطلاق لأن استمرار الخلافات والمشاكل الزوجية بين المرأة والرجل تؤدي أحياناً إلى ضغوط نفسية غير قابلة للإصلاح، ولا يمكن علاجها مع هذا، ولأجل منع وقوع الطلاق، مهّد الأرضية للمصالحة بوضع فترة العدة و نفقة المرأة على عاتق الرجل (في الطلاق الرجعي)، لكي يكون باستطاعة الرجل الرجوع فيما لو كان الطلاق قد تمّ بسبب الغضب والعجلة أو بسبب حجج واهية.

الملاحظة الأخرى هي أن مسألة حق الطلاق بيد الرجل لا يعني أنه حصر الطلاق به. بل يمكن عند إجراء عقد الزواج أخذ حق الوكالة للمرأة بالطلاق في موارد خاصّة.

### قيود وقوع الطلاق

للحدّ من حالات الطلاق وضعت قيود و شروط كالآتي:

- ١- حضور شاهدين عادلين، مع أنّ هذا الشرط لا يوجد في أصل عقد الزواج، إلا أنه لازم في الطلاق.
- وجوب هذا الشرط يؤدّي إلى صعوبة وقوع الطلاق، وربما يكون هذان الشاهدان العادلان سبباً لإصلاح ذات البين.
- ٢- ماعدا حالات خاصّة<sup>(٢)</sup> يشترط أن تكون الزوجة حال الطلاق طاهرة من دم الحيض والنفاس، وهو مهم جداً من الناحية النفسية.
- ٣- أن تطهر المرأة من الحيض بعد آخر مقاربة.
- ٤- دفع مهر الزوجة حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً﴾<sup>(٣)</sup>.
- طبعاً دفع المهر ليس من شروط الطلاق، ويمكن دفعه بالتوافق مع المرأة بعد الطلاق.

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١ من أبواب الطلاق، ج ٢٢، ص ٧-٩.

٢- راجع: الأحكام الشرعية... المسألة ٢٧٠٤. ٣- سورة النساء (٤)، الآية ٢٠.

٥- تحديد الطلاق الذي يحقّ للزوج فيه الرجوع إلى زوجته بالمرتين الأولىين ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾<sup>(١)</sup> و شرط على من طلق زوجته الطلاق الثالث لكي يجوز له العقد عليها مرة أخرى أن يعقد عليها رجل آخر بالعقد الدائم و يدخل بها ثم يطلقها فتحل عندئذ للزوج الأول. و قد كان تشريع هذا الحكم منذ البداية من أجل الحد من الطلاقات المتكررة.

٦- من أجل خفض نسبة الطلاق لم يجعل حق الطلاق بيد المرأة إلا في موارد خاصة، وذلك لأن المرأة تغلب عليها المشاعر والعواطف، و قد تقع تحت تأثير العواطف واغواء الآخرين فتقوم بما يلحق الأذى بحياتها.

## أقسام الطلاق

### أ- الطلاق البائن

هو الطلاق الذي لا يحق للزوج بعده الرجوع إلى زوجته إلا بعقد، يعني لا يقبلها زوجة له بدون عقد. و هو على ستة أقسام:

- ١- طلاق الفتاة التي لم تكمل تسع سنين.
- ٢- طلاق المرأة اليائس.
- ٣- طلاق المرأة التي لم يقاربها زوجها بعد العقد.
- ٤- الطلاق الثالث لمن طلقها زوجها ثلاث مرّات.
- ٥- طلاق الخلع.
- ٦- طلاق المباراة.

«طلاق الخلع» هو طلاق المرأة التي لا تكون مستعدة للعيش مع زوجها لأي سبب كان؛ فتهبه مهرها أو مالا آخر ليطلقها.

أمّا طلاق «المباراة» فهو الطلاق الذي لا يريد فيه الزوج زوجته و لا تريد الزوجة زوجها، فتبذل له الزوجة مالا ليطلقها.

١- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٢٩.

الفرق بين طلاق الخلع و طلاق المبراة هو أن طلاق الخلع، تبدي فيه المرأة رغبة في الطلاق من الرجل، أما في المبراة فيكون الطرفان راغبين في الطلاق. كذلك يجب أن لا يكون المال الذي يأخذه الزوج في طلاق المبراة أكثر من المهر بل الأحوط أن يكون أقل، و لكن في طلاق الخلع، إذا كان أكثر فلا إشكال فيه.

### ب - الطلاق الرجعي

يقال للحالات الأخرى من الطلاق غير الطلاق البائن، الطلاق الرجعي. ففي الطلاق الرجعي يحق للرجل الرجوع إلى زوجته بعد الطلاق، مادامت في العدة. ولا حاجة إلى عقد جديد، و فيه يمكن للرجل أن يرجع إلى زوجته بطريقتين:

- ١- أن يتكلم بكلام يفيد أنه جعلها زوجته مرة أخرى. يعني أن ينشيء الرجوع.
- ٢- أن يقوم بعمل يقصد منه الرجوع، بحيث يفهم أنه رجع إليها؛ كأن يتصل بها بحيث يقال إنهما زوجان، و لا يجب الإشهاد على الرجوع و لا إخبار المرأة، بل إذا قال بدون أن يعرف أحد: رجعت إلى زوجتي. فهو رجوع شرعي.

و تجري على المرأة المطلقة طلاقاً رجعياً، في أيام العدة، أحكام الزوجة الشرعية و عليه تجب على الزوج نفقتها و فطرتها، و يرث أحدهما الآخر، و كذلك لا يحق للزوج أن يتزوج في أيام العدة، بأختها أو بامرأة خامسة، و حرم على الزوج الذي طلق زوجته طلاقاً رجعياً أن يخرجها في أيام العدة، من البيت الذي كانت تعيش فيه عند الطلاق.

و إذا طلق الزوج زوجته مرتين، و رجع بعد كل طلاق، أو طلقها مرتين و عقد عليها بعد كل طلاق و انقضاء العدة، فإنها تحرم عليه بعد الطلاق الثالث، و تحلّ للزوج الأول فيما إذا تزوجت بزواج آخر بعد الطلاق الثالث زواجاً دائماً، و دخل بها الزوج الثاني ثم طلقها، فيجوز له العقد عليها مرة أخرى. و شروط ذلك المذكورة في الأحكام الشرعية<sup>(١)</sup>.

١- راجع: الأحكام الشرعية، المسألة ٢٧٣١.

## أحكام العدة

### عدة الطلاق

بعد طلاق المرأة من زوجها - إما بإجراء صيغة الطلاق، أو كان ذلك من موارد فسخ النكاح، أو بانقضاء المدة، أو وهب الزوج لها المدة في العقد المؤقت - يجب عليها أن تصبر خلال المدة التي حُدِّدت لها في الشرع المقدس باسم العدة، وأن تمتنع خلال هذه المدة عن الزواج برجل آخر.

عدة الطلاق للنساء اللاتي تجب عليهن العدة ثلاثة أطهار من الحيض؛ أي إذا طلق الزوج زوجته وكان قد قاربها، فعليها أن تعتد بعد الطلاق، يعني يجب أن تصبر بقية طهرها الذي وقع فيه الطلاق، إلى أن تحيض وتطهر، ثم تحيض وتطهر، ثم تحيض الحيض الثالث، فإذا حاضت الحيض الثالث، فقد تمت عدتها، ويجوز لها أن تتزوج.

أما المرأة التي لا تحيض وهي في سنِّ من تحيض، إذا كان زوجها قد قاربها وأراد طلاقها، فيجب عليه أن لا يقاربها ثلاثة أشهر ثم يطلقها، وبعد الطلاق يجب عليها أن تعتد ثلاثة أشهر قمرية.

والمرأة الحامل عدتها حتى تضع حملها، أو تسقطه. أما إذا كان الحمل من الزنا فالأحوط وجوباً بالإضافة إلى الشرط السابق أن تعتد ثلاثة أطهار أو ثلاثة أشهر من حين الطلاق أيضاً.

### المرأة التي لا عدة عليها

- ١- لا عدة على الفتاة التي لم تكمل تسع سنين إذا طلقها زوجها قبل إكمال التاسعة.
- ٢- المرأة التي طلقها زوجها قبل أن يقاربها.
- ٣- المرأة اليأس.



### عدّة المرأة في الزواج المؤقت

عدّة المرأة إذا كانت زوجة بالمتعة و تمت مدتها، أو وهبها زوجها باقي المدّة، على النحو الآتي:

- ١- إذا لم يقاربها زوجها فلا عدّة عليها.
- ٢ و ٣- لا عدّة على المرأة التي لم تكمل تسع سنين أو كانت يائساً حتى لو كان الزوج قد قاربها.
- ٤- المرأة التي أكملت تسع سنين و لم تبلغ سنّ اليأس، إذا قاربها زوجها يجب أن تعتدّ على النحو الآتي:
- أ - إذا كانت تحيض فالأحوط وجوباً أن تعتدّ بأكثر المدّتين، من مدة حيضتين أو طهرين.
- ب - إذا كانت لا ترى الحيض، يجب أن تعتدّ إلى مدة خمسة و أربعين يوماً.
- ج - إذا كانت حاملاً و لا ترى الحيض فالأحوط وجوباً أن تعتدّ بأكثر المدّتين، وضع الحمل أو خمسة و أربعين يوماً.

### عدّة الوفاة

- الزوجة التي يتوفى زوجها يجب أن تعتد على النحو الآتي:
- ١- إن لم تكن حاملاً، فيجب عليها أن تعتدّ أربعة أشهر و عشرة أيام، و أن لا تتزوج ولو كانت صغيرة أو يائسة، أو كان زواجها متعة، أو لم يقاربها زوجها.
  - ٢- إذا كانت حاملاً فيجب عليها أن تعتدّ إلى وضع حملها، فإن وضعت الحمل قبل أربعة أشهر و عشرة أيام، يجب عليها أن تعتدّ من حين وفاة زوجها أربعة أشهر و عشرة أيام.

### ما يجب على المرأة في عدّة الوفاة

يجب على المرأة في أشهر عدّة الوفاة أن تمتنع عن الأمور التالية:

- ١- لبس الثياب الملونة التي تعدّ زينة.
  - ٢- الاكتحال.
  - ٣- الأعمال الأخرى التي تعدّ زينة.
- أمّا نظافة البدن واللباس، و تسريح الشعر والعيش في منزل مزين أثناء عدة الوفاة فلا مانع منه.

## التغذية

أولى الإسلام لموضوع التغذية -الذي هو في مقدّمة ضروريات الإنسان المادية أهمية كبيرة، و شرّع الأحكام بهذا الخصوص. و نحنُ نبين في ما يلي قسماً من هذه الأحكام.

### ١- اللُّحوم

أحلّ الإسلام أكل لحوم الأنعام فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

### أ - الحيوانات الحلال اللحم

- لا مانع من أكل لحوم الحيوانات الأهلية والوحشية التالية:
- ١- يحلّ من حيوانات البحر، الأسماك التي لها فلس أي قشر، والروبيان.
  - ٢- يحلّ من ذوات الأربع الأهلية، لحم الإبل والبقر والغنم، و يكره أكل لحوم الخيول والبعال والحمير، والكراهية في الخيول أقل من غيرها.
  - ٣- يحلّ من الحيوانات البرية والوحشية، لحم الغزال، والبقر الوحشي، والكبش والماعز الجبلي، و حمار الزرد.

١- سورة النحل (١٦)، الآية ٥.

٤- تحرم لحوم الطيور ذوات المخالب المفترسة، كالصقر والعقاب والباز والشاهين، وأمثالها وكذلك على الأحوط وجوباً، أنواع الغربان، ولكن لحوم الطيور مثل أنواع الحمام والحجل والقطا والدجاج البيتي وأنواع العصفير وأمثالها، حلال، ولحم الخطّاف حلال، ولكنّه يكره قتله، والأحوط اجتناب أكل لحم الهدهد. وبيض الطيور المحلّلة اللحم، حلال. وتميّز عادة الطيور المحلّلة اللحم عن الطيور المحرّمة اللحم بطريقتين:

١- إذا كان ديف الطير أكثر من صفيفه أي يحرك جناحيه حال الطيران أكثر ممّا يبسطهما، فهو حلال، أما الطير الذي يكون بسط جناحيه حال الطيران أكثر من تحريكهما، فهو حرام.

٢- إذا كان للطير قانصة، أو حوصلة، أو صيصيّة -والصيصيّة، إصبع في رجل الطائر بمنزلة الإبهام من الإنسان- فهو حلال، وإن لم يكن له ذلك فهو حرام. ويحرم من الحيوان -حلال اللحم- ستة عشر شيئاً.

١- الدم ٢- الروث ٣- القضيّب ٤- الفرج ٥- المشيمة ٦- العُدد ٧- البيضان ٨- خرزة الدماغ وهي حبة في الدماغ بقدر نصف الحمّصة ٩- النُخاع ١٠- العلياوان و هما عصبان ممتدان في طرفي الظهر ١١- المرارة ١٢- الطحال ١٣- المثانة ١٤- عدسة العين و سوادها ١٥- أذنا القلب ١٦- الأشجاع وهي في وسط حافر الحيوان.

### شروط ذبّاحة الحيوان

إذا ذبح الحيوان حلال اللحم على النحو الذي يذكر أدناه، يكون لحمه حلالاً و بدنه طاهراً. و لذبّاحة الحيوان خمسة شروط:

١- أن يكون الذابح مسلماً، وأن لا يظهر العداوة لأهل بيت النبي ﷺ، ولا فرق في أن يكون الذبح يدوياً أو آلياً.

٢- أن تكون آلة الذبح من الحديد، ولكن إذا لم يوجد الحديد وكان الحيوان بحيث إذا لم يذبح، مات، يجوز ذبحه بشيء حاد يقطع أوداجه الأربعة.

٣ و ٤- أن يوجّه مقادم بدن الحيوان حال الذبح إلى القبلة وأن يذكر اسم الله تعالى عليه

بنيّة الذبح، و يكفي من الذكر أن يقول: «بِسْمِ اللَّهِ». و أما إذا لم يذكر اسم الله تعالى عليه عن نسيان، فلا إشكال فيه.

٥- أن يتحرك الحيوان بعد الذبح، بحيث يعلم أنه كان حيّاً حين الذبح.

و من شروط ذبح الحيوان يجب أن تقطع الأوداج الأربعة، يعني مجرى الغذاء، و مجرى التنفس، و العرقين الكبيرين، من أسفل الجوزة بشكل كامل، بحيث يبقى قسم منها مع الرأس. و لذكاة الإبل يجب -مضافاً إلى الشروط الخمسة التي ذكرت لتذكية الحيوان- غرز السكين أو الآلة الحادة الأخرى في لبثتها التي هي بين العنق و الصدر. و يُسمى ذلك بالنحر.

لا إشكال في ذبح الحيوان بواسطة الآلات و المكائن إذا روعيت الشروط الشرعية للذبح، و لا يجب ذكر «بِسْمِ اللَّهِ» لكل واحدة، بل إذا قصد عند ضغط الزّر و ذكر «بِسْمِ اللَّهِ» ذبح عدّة حيوانات معاً حلت جميعها، بشرط أن يقال عرفاً أنها ذبحت في وقت واحد.

### أحكام الصيد بالأسلحة

إذا صيد الحيوان الوحشي حلال اللحم بالأسلحة، يكون أكله حلالاً و ميّنته طاهرة، بخمسة شروط:

١- أن يكون سلاح الصيد قاطعاً مثل السكين و السيف، أو حاداً مثل الرمح و السهم، بحيث يفري بحدّته بدن الحيوان، أما إذا صيد الحيوان بواسطة الفخّ أو العصا أو الحجر و أمثالها فلا يطهر، و يحرم أكل لحمه، إلاّ أن يقبض عليه حياً و يذبح. و إذا صيد الحيوان بالبندقية و كانت طلقته حادّة، بحيث تدخل في بدن الحيوان و تفرّيه، يكون طاهراً و حلالاً. أما إذا كانت طلقته غير حادة، و إنما تدخل بالضغط في بدن الحيوان فتقتله، أو تحرق بدنه بحرارتها فيموت بسبب ذلك، فلا تخلو طهارته و حلّية لحمه من إشكال.

٢- أن يكون الصائد مسلماً و لا ينصب العداوة لآل النبي ﷺ.

٣- أن يكون الرمي لأجل اصطياد الحيوان، فإذا استهدف مكاناً و صاد حيواناً صدفة، فلا يحلّ ذلك الحيوان و لا يكون طاهراً.

- ٤- أن يذكر «بسم الله» حال الصيد، ولكن إذا نسي فلا إشكال فيه.
- ٥- أن يدرك الحيوان ميتاً، أو لا يكون الوقت يسع لذبحه إذا أدركه حياً. فإن أدركه حياً وكان الوقت يسع لذبحه عليه أن يعمل وفقاً للتعليمات المذكورة آنفاً للذبح.

### صيد الأسماك

إذا أخذ السمك ذو الفليس (القشر) من الماء حياً و مات خارج الماء، فهو طاهر و أكله حلال، وإن مات في الماء فهو طاهر و لكن لا يحلّ أكله. وإذا ألقى الصياد الشبكة في الماء فمات فيها بعض الأسماك حين كَوْنها في الماء أو حين إخراجها منه فالأقوى يكون طاهراً و حلالاً. و كذلك فإن بيض السمك الحلال اللحم كالكافيار حلال، و لا يجب أن يكون صياد السمك مسلماً أو أن يذكر «بسم الله» حين صيده.

### ب - الحيوان المحرّم اللحم

لحم ولبن الحيوان النجس مثل الكلب و الخنزير حرام، و كذلك لحم ولبن الحيوانات المفترسة التي لها ظفر و ناب عادةً، مثل الأسد و النمر و الفهد و الذئب و الضبع و ابن آوى و الثعلب و الهرة، و كذلك الفيل و الدب و الأرنب، و كذا يحرم أكل الحيوانات الصغيرة و الحشرات، كالفأرة و الضبّ و الحية و الوزغ و العقرب و الصرصور و الزنبور و النمل و الذباب و البقّ و أنواع الديدان.

### ٢- المأكولات المأخوذة من غير الحيوان

يجوز الأكل و الشرب في المأكولات المأخوذة من غير الحيوان - باستثناء الموارد المشار إليها أدناه - بشرط أن لا تستوجب فعل حرام آخر، على سبيل المثال أن يكون المأكول يعود إلى شخص آخر فيجب أن يكون ذلك بأذنه و رضاه. أو أن لا يؤدي الأكل إلى الإسراف و التبذير.

## المأكولات الحرام المأخوذة من غير الحيوان

### أ- النجاسات

١- يحرم أكل النجس و شربه، وكذا تقديم عين النجاسة ليأكلها الآخرون، بل يحرم إطعامها للأطفال في حالة ترتب الضرر عليه. بل على الأحوط في حالة عدم الضرر أيضاً.

٢- يحرم الأكل والشرب من الأواني المصنوعة من جلد الكلب أو الخنزير أو الميتة.

### ب- المواد المضرة

يحرم أكل، وزرق، أو استعمال الشيء الذي يكون فيه للإنسان ضرر معتنى به.

### ج- السوائل والأشربة المحرمة

كل مسكر للإنسان كالخمر والفقاع «و هو ماء خاص يستخرج من الشعير و يسمى البيرة» والدم والمنتجس بالملاقة، حرام. كذلك كل شيء ينفر منه طبع الإنسان فهو حرام على الأحوط وجوباً.

### أحكام الأطعمة

- ١- يحرم تناول مال الغير بدون إذنه ورضاه، ولا بد من إحراز ذلك بعلم و نحوه.
- ٢- يجوز أن يأكل و يشرب الإنسان من بيوت أو بستان الآباء والأُمَّهات والأولاد، وإلاخوان والأخوات، والأعمام والعَمَّات، والأخوال والخالات، والأصدقاء، والزوجة و كذا الزوجة من بيت زوجها، وكذا يجوز لمن كان وكيلاً على بيت أحد مفوضاً إليه أموره و حفظه بما فيه أن يأكل من بيت موكله، إلا إذا علم الإنسان كراهة صاحب البيت.
- ٣- لو اضطر بسبب الجوع أو العطش إلى أكل مُحَرَّم فليقتصر على مقدار الضرورة، ولو اضطر إلى أكل طعام الغير لسد رمقه، فعليه دفع عوضه.

- ٤- يجوز التداوي لمعالجة الأمراض بكل مُحَرَّم -على مقدار الضرورة- إذا انحصر به العلاج ولو بحكم الحدّاق من الأطباء والتّقات.
- ٥- لا يجوز الجلوس على مائدة يُشرب عليها الخمر، إذا كان الجالس يُحسب أحد شاربي الخمر. كما يجب اجتناب الأكل من المائدة أيضاً.
- ٦- يحرم الأكل والشرب في أواني الذهب والفضّة واستعمالها.

### وسائل الترفيه والتسلية

- نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «للمؤمن ثلاثُ ساعات: فساعةٌ يُناجي فيها ربّه، وساعةٌ يرُمُّ معاشه، وساعةٌ يُخلّي بينَ نفسه وبينَ لذّتها فيما يحلُّ ولا يجُمَلُ». (١)
- يتضمن هذا التقسيم نقاطاً مهمة:
- ١- اهتمام الدّين بجوانب حياة الإنسان المختلفة.
  - ٢- اهتمام الدّين و تأكّيده على الكدح والسعي من أجل تأمين سبل العيش، وكذلك أداء حق البدن.
  - ٣- يمكن النظر إلى اللذات النفسية من عدة جوانب.
- أ- أن الترفيه في حدوده يُعدّ من مستلزمات الحياة، وهذا ما تؤيّده سيرة المسلمين على الدوام. (٢)
- ب - يجب أن يقترن الاهتمام بهذه الأمور بجوانب تربوية، وأن لا يقود المزاح إلى الاستهزاء بالآخرين والإساءة إليهم. (٣)
- ج - بما أن وسائل الترفيه السليمة ذات دور كبير في تكامل الجسم والروح، لهذا تترتب عليها فائدة عقلائية ومصلحة و غرض صحيحان. روي عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: «عَلِّمُوا أِبْنَاءَكُمْ

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٠، ص ٥٤٥.

٢- النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام، ج ٢٨، ص ٢٢١ و ٢٢٢.

٣- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٦٦٣-٦٦٥.

السَّباحة وَالرَّماية»<sup>(١)</sup> بشكل عام تجوز وسائل الترفيه المختلفة، إذا كانت غير مصحوبة أو مستلزمة لفعل الحرام. و لذلك يجوز سماع و مشاهدة برامج التلفزيون والراديو والسينما والمسرح والإنترنت و نظائرها إذا لم تستلزم فساد أفكار و أخلاق الفرد أو المجتمع أو ترويج الباطل، و لكن يجب الانتباه إلى أن لا تكون هذه الوسائل مانعاً عن أداء الواجبات والوظائف و أن لا تستغرق جميع وقت الفرد المسلم، و خاصة الأطفال الذين يجب الاهتمام بهم أكثر في هذا المجال.

## المسابقات

يجوز إقامة المسابقات التي تؤثر في تقوية الوعي الديني، و رفع المستوى العلمي والأدبي والفني في المجتمع، مثل مسابقات حفظ القرآن، والأحكام، و كتابة المقالات، و المسابقات العلمية... بدون الاشتراط بين الطرفين. و إذا منح شخص ثالث أو الدولة أو المؤسسة الراعية لهذه المسابقات جوائز للفائزين، فلا إشكال في ذلك. و يصبح الفائز مالكاً للجائزة. و يجوز الاشتراط في مسابقة الخيول و الرماية، و أيضاً جواز الاشتراط في المسابقة بأنواع الأدوات و الوسائل الحربية العصرية كالبندقية و الطائرة الحربية، و الدبابة و غيرها و هو غير بعيد.

في المسابقات التي يجوز فيها الاشتراط يجب رعاية الأمور التالية:

- ١- يجب في المسابقة، بيان الإيجاب والقبول بلفظ أو فعل دالّ عليهما.
- ٢- أن يكون الطرفان عاقلين و بالغين و مختارين و قاصدين للفعل.
- ٣- أن يكون مقدار الجائزة - عيناً أو ديناً - مُعَيَّناً، و يقوم أحد الطرفين أو شخص ثالث بالدفع.

٤- بيان الجهات التي يؤدي الجهل بها إلى الاختلاف، مثل الهدف، و مقدار المسافة، و خط البداية و النهاية، و نوع الوسيلة و....

١- الكلبيني، الكافي، ج ٦، ص ٤٧، الحديث ٤.



## أحكام بعض الوسائل الترفيهية

### ١- الغناء

الغناء و كل صوت مطرب مثير للشهوة الجنسية، و يؤدّي إلى الفساد الأخلاقي و ضياع العقل و مقام الإنسانية الرفيع أو ترويح الباطل، حرام فعله و سماعه، و أيضاً تعليمه و تعلّمه و التكلّسب به. و قد جاء في الروايات ذمٌ شديد لكل ما هو لهو و لعب و غناء، فقد جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: بيت الغناء لا تؤمن فيه الفجيرة، و لا تجاب فيه الدعوة، و لا يدخله الملك.<sup>(١)</sup> نعم قد يستثنى غناء المغنيات في الأعراس، و لكن يجب أن لا يسمع صوتهن رجل غير محرم، و أن لا يتضمّن الغناء الكلام بالباطل، و لا يترك الاحتياط و جوباً بالاقتصار على زفّ العرائس و المجلس المعدّ لهذا الغرض مقدّماً و مؤخّراً، لا مطلق المجالس. و إذا شكّ في أنّ الغناء أو اللّحن عرفاً مناسباً لمجالس الفسق و الفجور؟ و من مصاديق الغناء الحرام أم لا؟ لا يلزم الاجتناب، ولو أنّ الاحتياط أفضل.

### ٢- الألعاب السحرية

تحرم الألعاب السحرية إذا كان المقصود منها إراءة الحق باطلاً أو الباطل حقاً، و تجوز إذا كانت للتسلية و ملء أوقات الفراغ.

### ٣- إحضار الأرواح و التنويم المغناطيسي

يجوز إحضار الأرواح إذا كان لا يؤدّي إلى هتكها أو أذيتها أو الإخلال بالنظم العام و أمثال ذلك، و النوم غير الطبيعي (التنويم المغناطيسي) - إذا لم يترتب عليه ضرر - لا يوجد دليل على حرمة.

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٩٩ من أبواب ما يكتسب به، ج ١٧، ص ٣٠٣، الحديث ١.

#### ٤- القمار

يحرم اللّعب والمسابقة بأدوات القمار الخاصة به، ولو كان ذلك لمجرد الأُنس و بدون شرط، على الأُحوط. لكن يجوز اللّعب والمسابقة بالأدوات التي لاتعتبر عرفاً من الأدوات الخاصة بالقمار، وفيما إذا خرجت حالياً بشكل كامل عن هذا الموضوع. وقد اعتبر سبحانه و تعالى القمار من عمل الشيطان الذي يورث العداوة والبغضاء بين المسلمين، و يبعد الإنسان عن ذكر الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾<sup>(١)</sup>.

#### ٥- المخدرات

يحرم تناول المخدرات إذا كان فيها ضرر عقلائي على الإنسان، أو كان يحتمل مثل هذا الضرر، إلا أن تكون علاجاً للمريض و يثبت ذلك من خلال حكم الحُدّاق و أهل الخبرة بانحصار التداوي و المعالجة بها.

# الاقتصاد

## أهمية الاقتصاد

رغم ما للاقتصاد من أهمية، إلا أن أهميته لا تمثل البنية التحتية أو الأساس الذي تقوم عليه جميع القضايا الأخلاقية والاعتقادية للفرد والمجتمع، ولكن لا يمكن لأحد طبعاً إنكار تأثيره في الثقافة وفي الكثير من العادات والتقاليد وغيرها من مجريات الحياة اليومية للأفراد والمجتمعات. أمّا ما يتعلق بالدين فهو بيان الأحكام الاقتصادية ومراعاة جوانب المعاملات والعمل والكّد، وكل ما يتعلّق بالإنتاج والتوزيع والاستهلاك من قواعد و قوانين. و انطلاقاً من هذه الرؤية فقد حظت القضايا الاقتصادية، وخاصة قضية الفقر والغنى، باهتمام بالغ في التعاليم الإسلامية، إلى الحدّ الذي وصف فيه النبي ﷺ الفقر بقوله: «كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا»<sup>(١)</sup>.

رسم الإسلام مجموعة من الأهداف - في الحياة الفردية والاجتماعية لبني الإنسان - التي يتعدّد تحقيقها من غير اقتصاد سليم. فمن ناحية يجب أن يحافظ الإنسان على حرّيته و تُصان كرامته «لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا»<sup>(٢)</sup> ومن ناحية أخرى لا بدّ أن تدور عجلة حياة المجتمع على محور العدالة والإحسان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>(٣)</sup> و لاشكّ في أن تحقيق هذه الأهداف يمكن في ظلّ الظروف التالية:

أولاً: أن لا يكون الشعب المسلم محتاجاً في الجانب الاقتصادي؛ أي أن لا يمدّ يد الحاجة إلى غير المسلم خاصّة؛ لأن الحاجة تقترن على الدوام بالتبعية، وهذا ممّا يسيء إلى

١- الصدوق، الخصال، باب الواحد، ص ١٢، الحديث ٤٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣٠.

٢- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ص ٤٠١.

٣- سورة النحل (١٦)، الآية ٩٠.

كرامة الإنسان طبعاً، حتى وإن لم تُطلق عليها تسمية الرق أو العبودية. وكل شعب يمد يد الفاقة إلى الشعوب الأخرى في حياته الاقتصادية، فهو بمثابة العبد الأسير لها. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَحْسِنُ إِلَى مَنْ شِئْتَ وَكُنْ أَمِيرَهُ، اسْتَعْنِ عَمَّنْ شِئْتَ وَكُنْ نَظِيرَهُ، احْتَجِ إِلَى مَنْ شِئْتَ وَكُنْ أَسِيرَهُ».<sup>(١)</sup>

ثانياً: العدالة مفتاح لحل المشاكل ومدعاة لتقدم المجتمع ورفقته. فالمجتمع الذي يفتقر إلى التوازن الاقتصادي تُهدر فيه الطاقات. وهو سبحانه و تعالی لا يحب تكدس الثروة بيد فئة دون غيرها: «كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ».<sup>(٢)</sup> وإذا كانت الثروة محصورة بيد فئة يختل التوازن الاجتماعي، ويُصاب الاقتصاد بظواهر مَرَضِيَّةٍ و ينكمش النمو الاقتصادي.

### القوانين الاقتصادية

الإنسان موجود اجتماعي و يحتاج إلى العلاقات الاجتماعية. و وجود العلاقات الاجتماعية يفرض عادة إلى ظهور تعارض و تضارب في المصالح. و لا بد من سنّ القوانين من أجل تنظيم العلاقات الاجتماعية. و على الصعيد الاقتصادي لا بد أن تتوضح حدود الحريات و النشاطات الاقتصادية للفرد، و مدى تدخل الحكومة في هذا القطاع. و لا مفرّ من وضع أطر ترسم كيفية ظهور الملكية، و تأثير النقد، و العمل و الاستثمار، و ما إلى ذلك. لقد بيّن الإسلام الخطوط العامة للاقتصاد في ما يتعلّق بالأهداف السامية لخلق الإنسان. و الحصول على الثروة، يجب أن يكون من طرق مشروعة و ليس عن طريق الباطل ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾.<sup>(٣)</sup> و النشاط الاقتصادي، يشترط فيه أن لا يؤدي إلى إلحاق ضرر بالغير. حيث أن الإسلام قد وضع قوانين عامة، و فرض أن تجري كلُّ النشاطات الاقتصادية في إطارها، تفادياً لوقوع الظلم و عدم المساواة. و من هذه الزاوية قال أمير المؤمنين عليه السلام:

١- الخوانساري، شرح غرر الحكم، ج ٢، ص ٥٨٤، الحديث ٢٣١١ إلى ٢٣١٣.

٢- سورة الحشر (٥٩)، الآية ٧.

٣- سورة البقرة (٢)، الآية ١٨٨.

«الْفَقْرُ ثُمَّ الْمُتَجَرُّ»<sup>(١)</sup>. وهذا ما جعل الفقهاء يصرّحون بأن من الواجب، تعلّم فقه المعاملات و مسائلها على قدر الحاجة.

### الفقر؛ أسبابه وتأثيراته

كل من يعجز عن توفير متطلباته الضرورية يُسمّى فقيراً. ومن المعروف أن الإسلام يذم الإقبال على الدنيا وزخرفها، غير أنه في الوقت ذاته يذم الفقر أيضاً. قال لقمان الحكيم في وصف الفقر: «ذُقْتُ المرارات كُلَّهَا فَمَا ذُقْتُ شَيْئاً أَمْرٌ مِنَ الْفَقْرِ»<sup>(٢)</sup>. وبيّن حديث شريف مدى سلبيات الفقر وإفرازاته بما يلي: «إِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ»<sup>(٣)</sup>. لأنّ همّ الفقير هو التخلص من مخالب الفقر، ولا يعير كثير اهتمام لما يسيء إلى كرامته الإنسانية. ولذلك ذهب بعض الروايات إلى ذمّ الفقر قائلة: إنّ القبر خير من الفقر،<sup>(٤)</sup> وذهب في أحيان أخرى إلى وصفه بالموت الأكبر،<sup>(٥)</sup> وأنه كاد أن يكون كفراً،<sup>(٦)</sup> والفقير غريب حتى في بلده،<sup>(٧)</sup> والفقر يخرس الفطن.<sup>(٨)</sup> و بالاضافة إلى ذم الفقر، اهتمت الروايات أيضاً بذكر أسبابه، ومنها:

١- الكسل، و لذلك دعت إلى الهمة والكدّ والعمل. ومّا جاء في ذم الكسل والتواكل قول النبي ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ أَلْقَى كَلَّهُ عَلَى النَّاسِ»<sup>(٩)</sup> وروي أيضاً: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُبْغِضُ الْعَبْدَ النَّوَامَ الْفَارِعَ»<sup>(١٠)</sup> هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى شجعت الروايات العمل،

- ١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١ من أبواب آداب التجارة، ج ١٧، ص ٣٨١، الحديث ١.
- ٢- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤٢١، الحديث ١٦.
- ٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٣١٩، ص ٥٣١.
- ٤- الأمدي، غرر الحكم، ص ٣٦٥، الحديث ٨٢١٧.
- ٥- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ١٦٣، ص ٥٠٠.
- ٦- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣٠.
- ٧- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٣، ص ٤٦٩.
- ٨- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٣.
- ٩- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٦ من أبواب مقدمات التجارة، ج ١٧، ص ٣٢، الحديث ١٠.
- ١٠- المصدر السابق، الباب ١٧، ص ٥٨، الحديث ٣.

و وصفت الكادَّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله: «الكادُّ عَلَى عِيَالِهِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».<sup>(١)</sup>

٢- الخيانة، حيث اعتبرت الأحاديث الشريفة هذا العمل من أسباب الفقر، ومن ذلك قول نبيِّنا ﷺ: «الْخِيَانَةُ تَجْلِبُ الْفَقْرَ»،<sup>(٢)</sup> وقول إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ».<sup>(٣)</sup>

٣- الإسراف والتبذير، فقد دعا الإسلام إلى الاقتصاد في النفقات وعدم التبذير مبيناً أنَّ الإسراف كثيراً ما ينتهي بالمسرف إلى الفقر، وإلى العجز عن توفير المتطلبات الأساسية في الحياة، إذ قيل: «إِنَّ السَّرْفَ يُورِثُ الْفَقْرَ».<sup>(٤)</sup>

٤- عدم كفاءة المسؤولين الحكوميين وميلهم إلى المحاباة. وهذه الظاهرة تؤدي بطبيعة الحال إلى خلق فوارق طبقية وإلى إشاعة الفقر في المجتمع. كما أنَّ فرض المزيد من الضرائب يؤدي إلى ارتفاع أسعار السلع، و يفضي بالنتيجة إلى استثناء الفقير. قال علي عليه السلام: «مَنْ طَلَبَ الْخَرَجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَ أَهْلَكَ الْعِبَادَ وَ لَمْ يَسْتَقِمَّ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً».<sup>(٥)</sup>

### الملكية و أنواعها

في الرؤية التوحيدية، الوجود وكل ما فيه لله: «وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ».<sup>(٦)</sup> و أما ملكية الآخرين فهي نسبية وتقع في طول ملكية الله، و تجعل للمالك حقاً في التصرف في إطار ما رُسم له، و ليس كما يشاء. والدين يرى أنَّ من كمال الإنسان أن يعتبر كل ما تحت تصرفه من أموال ملكاً لله.

سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام عن حقيقة العبودية، فذكر له عدَّة أمور منها: «يَرُونَ الْمَالَ

١- المصدر السابق، الباب ٢٣، ص ٦٧، الحديث ١. ٢- الحرَّاني، تحف العقول، ص ٤٥.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٨، ص ٥٣٣.

٤- الحرَّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٢ من أبواب مقدمات التجارة، ج ١٧، ص ٦٤، الحديث ١.

٥- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص ٤٣٦.

٦- سورة النجم (٥٣)، الآية ٣١.

مَالَ اللَّهِ، يَضَعُونَهُ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ»<sup>(١)</sup> وفي الوقت ذاته جعل الله للإنسان مكانة رفيعة في الأرض، وسخر له كل ما فيها ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾<sup>(٢)</sup> وأنه تعالى قال: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾<sup>(٣)</sup> وقال: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾<sup>(٤)</sup>

والملكية التي جعلها الله للناس على نوعين: ملكية عامة، و ملكية خاصة.

### الملكية العامة

جعل الإسلام قسماً من الأموال ملكاً لعموم الناس، وليس لها مالك خاص. وقد يدخل قسمٌ منها في ظروف معينة في الملكية الخاصة للأشخاص، أو تصبح حقاً خاصاً بهم. وهذه الأموال هي الأنفال والمشتركات.

أ - الأنفال؛ وهي الأموال العامة وتخضع للدولة الإسلامية الصالحة وتستثمر لما فيه منفعة الجميع. والأنفال عبارة عن:

- ١- الأراضي الموات والأراضي التي أعرض عنها أصحابها وتركوها.
- ٢- رؤوس الجبال و بطون الأودية والآجام.
- ٣- البحار و سواحلها والأنهار الكبيرة.
- ٤- المعادن.
- ٥- صفايا الغنيمة، وهي النفائس التي تعود لرؤساء حكومات وتقع في الحرب في أيدي المسلمين.
- ٦- غنائم الحروب التي تقع بغير إذن الإمام المعصوم أو الحكومة الإسلامية الصالحة.
- ٧- الأراضي التي يستولي عليها المسلمون من الكفار من غير قتال.
- ٨- أموال من لا وارث له.

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٢٥، الحديث ١٧.

٢- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٩.

٣- سورة الرحمن (٥٥)، الآية ١٠.

٤- سورة هود (١١)، الآية ٦١.

ب - **المشتركات**؛ وهي الأماكن التي ليس لها مالك، وهي مشتركة بين الناس. وهي عبارة عما يلي:

١ - الشوارع، والفروع، ومسالك البر والبحر والجو، ومراتع القرى لأهالي تلك القرى.

٢ - المساجد، والمزارات، وما يُبنى للناس.

الأنقال والمشتركات للدولة الإسلامية، وهي تتصرف فيها لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين. ويتساوى كل الناس في الانتفاع من الأموال والمشتركات، والأولوية فيها لمن سبق. والأموال التي يمكن تملكها كالأسمك والمعادن تُمتلك بالحيازة بشروط. ومن حق الدولة الإسلامية أن تسيطر عليها أو تعطيها لبعض الأشخاص بشكل مؤقت أو دائم، بناءً على مقتضيات الدولة والشعب.

### الملكية الخصوصية

يمكن حيازة قسم من الثروات الطبيعية بالكد والعمل وفقاً لشروط، فتكون ملكاً خاصاً، وعلى هذا الأساس، فالملكية الخاصة محترمة، لأن ذلك يبعث في الإنسان دوافع العمل، وبهذا تزداد معطيات العمل. وبهذا الأمر يُمنع الظلم والإجحاف أيضاً.

### الثراء

كما بيّنا سابقاً إنَّ للفقر مساوىء كثيرة و تنتج عنه انحرافات شتى، ولكن في الوقت ذاته يلاحظ أن بعض الآيات والروايات قد دَمَّت الثراء واعتبرته سبباً للغرور والكِبْر والتباهي على الغير، ومدعاة لضعف الوازع الديني.

يُستفاد من مجموع التعاليم الدينية أنَّ تنمية الثروة ليست شيئاً معيباً، ولكن تُذم الثروة إذا أُريدت لذاتها وبعيداً عن الروح المعنوية. والشيء الخطير هو اللُّهات وراء الدنيا والتعلُّق بالمال. ولهذا وصفت الروايات من يغالي في حُبِّ المال بأنه عبد للدنيا.<sup>(١)</sup>

١- سورة التكاثر (١٠٢)، الآيتان ١- ٢؛ سورة الكهف (١٨)، الآية ٤٦. وروايات مثل: «المالُ مادة الشّهوات»،



و بعبارة أخرى، يُذم جمع المال حينما يكون هدفاً بحد ذاته، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يكون الثراء سبباً للسعادة، بل بالعكس يكون سبباً للتعاسة والشقاء. يُذم الثراء لأنه يؤدي بالإنسان عادة إلى الغفلة عن ذكر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. (١) ولهذا وُصفت الأموال في القرآن بالفتنة والاختبار ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾. (٢) و انطلاقاً من هذه النظرة أيضاً ذمّت الأحاديث من يحترم الغني لغناه: «مَنْ آتَى غَنِيًّا فَتَوَاضَعَ لَهُ لَغْنَاهُ، ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ». (٣)

و من هنا فإنّ ممّا يُحمد كثيراً أن يستفيد المرء من المال والثروة على طريق الكمال، ولكن الكثير من الناس لا ينجحون في هذا الاختبار. فمع أن الكثير منهم يسعون في مستهل الأمر لكسب المال لغايات وتطلّعات إنسانية، غير أنّ تلك الغايات تودع بمرور الزمان على رفّ النسيان، و تحل محلّها مآرب ماديّة، و ينسحق ذكر الفقراء والاهتمام بأبناء الجنس البشري والدفاع عن الحق، تحت عجلة الرغبة في كسب الثروة.

### الإسراف والتبذير

الإسراف هو الإكثار في الاستهلاك إلى حدّ يفوق المتعارف. والتبذير فمعمناه العبث والتبديد في الإنفاق. و هذه من الأعمال المذمومة. و قد ربطت إحدى آيات القرآن الكريم بين الإسراف و عدم دفع الحقوق الإلهية:

﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَ لَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. (٤) و وصفت آية أخرى

الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٥٨، ص ٤٧٨: «يا كميل! هلك خُزّان الاموال»، نهج البلاغة، ١٤٧، ص ٤٩٦: «إِغْلَمُوا أَنْ كَثُرَ الْمَالُ مُفْسِدَةً لِلدِّينِ»، الحرّاني، تحف العقول، ص ١٩٩: «حُبُّ الْمَالِ يُوْهِنُ الدِّينَ»، الآمدي، غرر الحکم، ص ٣٦٨، الحديث ٨٣١٦: «أربع يُمِثْنُ الْقَلْبَ... و مجالسة الموتى، فقبل له: يا رسول الله! وما الموتى؟ قال: كل غنيّ مترف»، الصدوق، الخصال، باب الاربعة، ص ٢٢٨، الحديث ٦٥.

١- سورة المنافقون (٦٣)، الآية ٩.

٢- سورة الأنفال (٨)، الآية ٢٨.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٨، ص ٥٠٨.

٤- سورة الأنعام (٦)، الآية ١٤١.

المبذرين بأنهم إخوان الشيطان: ﴿وَآتِ ذَاتِ الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا \* إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾. (١)

### العمل والسعي

لقد خلقت الثروات الطبيعية و وضعت بين يدي الإنسان من أجل أن يستثمرها نحو حياة أفضل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. (٢)

العمل يؤدي إلى زيادة قوة الإنسان الروحية والبدنية، وبالعكس تؤدي البطالة إلى إهدار طاقاته و طمس النبيوع الدافق الذي يُنتج القدرة والقوة. قال الإمام علي عليه السلام: «مَنْ يَعْمَلْ يَزِدْهُ قُوَّةً». (٣) و فضلاً عن ذلك فإن العمل يخلق في النفس بهجة، و يحول دون ظهور الفساد والقبائح. روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: الناس بالفراغ يصيرون إلى غاية الأشر والبطر حتى يكثر و تظهر الفواحش. (٤)

والعمل ليس للناس المحتاجين فقط، بل حتى من لديهم ثروة تكفيهم للعيش بلا عمل، عليهم أن يعملوا أيضاً. فكم من الأثرياء دفعتهم البطالة إلى السقوط في الفواحش. قال الإمام الصادق عليه السلام لمن استشاره بترك العمل بسبب غناه: لا تترك التجارة فإن ذلك يذهب العقل. (٥)

والمراد من العمل هنا طبعاً هو العمل المُنتج والمفيد، والذي يؤدي إلى إيجاد حياة أفضل. والتعاليم الإسلامية تدم العمل الذي لا تأثير له في الإنتاج أو الخدمات. قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: إني أكره أن أستاذجر رحاة ثم أُوجرها إلى شخص آخر بسعر أكثر من غير أن أطورها وأجهزها. (٦)

١- سورة الإسراء (١٧)، الآيتان ٢٦ و ٢٧.

٢- سورة لقمان (٣١)، الآية ٢٠.

٣- الأمدي، غرر الحكم، ص ١٥٢، الحديث ٢٨٠٢.

٤- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣، ص ١٠٦.

٥- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢ من أبواب مقدمات التجارة، ج ١٧، ص ١٤، الحديث ٤.

٦- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٠ من أبواب كتاب الاجارة، ج ١٩، ص ١٢٤، الحديث ١.

### شروط الملكية

لكل إنسان حق العمل والكسب المشروع، وأن يتمتع بحق الملكية. وفي الإسلام هناك ثلاثة شروط أساسية للتملك:

١- أن يكون المال من مصدر حلال؛ أي أن يأتي عن طريق مشروع لا يتعارض مع أحكام الشريعة.

٢- إيجاد الملكية وديمومتها يستلزم عدم الإضرار بالغير.

٣- أن لا يستلزم ذلك إبطال حق أو إحقاق باطل.

وإذا كان المال مكتسب من مصدر حرام كالسرقة، والاحتيال، والغصب، والغش، والرشوة، والغناء المحرّم، ومدح الظالم و تقويته، وبيع بضاعة محرّمة كالخمر، وغير ذلك، فهو حرام، والمتصرّف فيه ضامن له.

### الوصية

هي أن يوصي الإنسان أن يقوموا له بعمل بعد موته، أو يملك شخصاً شيئاً من ماله بعد موته، أو يعين قِيماً مشرفاً على أولاده و من هم تحت ولايته. ويُسمّى من يُوصي بالوصية «الموصي»، ويُسمّى الشخص الذي يوصى إليه «الوصي». روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن من مات بغير وصية فقد مات ميتة جاهلية.<sup>(١)</sup> وقال ﷺ: ما ينبغي لامرئ مسلم أن يبيت ليلة الآ و وصيته تحت رأسه.<sup>(٢)</sup> وقال أيضاً: من لم يُحسن وصيته عند موته كان نقصاً في مروّته.<sup>(٣)</sup>

إذا ظهرت علامات الموت على المسلم وجب عليه العمل بما يلي:

١- تأدية ما عنده من الأمانات إلى أصحابها بأسرع ما يمكن. وإذا كان عليه دين و قد حلّ موعده يجب أن يدفعه، وإن لم يكن قد حلّ موعده يجب أن يوصي به، و يشهد على

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، كتاب الوصايا، الباب ١، الحديث ٨.

٢- المصدر السابق، الحديث ٧.

٣- المصدر السابق، الباب ٦، الحديث ٢.

الوصية. وإذا كان دينه معلوماً وكان مطمئناً بأنَّ الورثة يوفونه عنه لا تجب الوصية.

٢- إذا كان مديناً بالخمس والزكاة والمظالم يجب عليه أن يدفعها فوراً. وإذا لم يستطع دفعها فإن كان يحتمل أن يدفعها شخص عنه يجب أن يوصي بها. وكذا إذا كان الحج واجباً عليه.

٣- إذا كان عليه قضاء صلاة و صوم يجب عليه أن يوصي أن يستأجروا له من ماله. بل إذا لم يكن له مال و يحتمل أن يؤدبها شخص عنه بدون أجره يجب عليه أن يوصي أيضاً.

٤- إذا كان له مال عند شخص أو في مخبأ لا يعلم به الورثة، وكان جهلهم به يسبب ضياع حقهم، يجب عليه إخبارهم. و يجب عليه أن يعين على أولاده الصغار قِيماً أميناً، إذا كان بقاؤهم بلا قيم يسبب ضياع مالهم أو ضياعهم. يشترط في الموصي أن يكون بالغاً و عاقلاً، و أن تكون وصيته عن إرادة واختيار. وكذلك المفلس الذي صدر من قبل الحاكم الشرعي حكم منعه من التصرف بأمواله، لأتمضى وصيته، إلا إذا تنازل الدائنون عن حقوقهم، ولكن تصح وصية الطفل الذي يبلغ عشر سنين و يميز بين الحسن والقبيح، إذا أوصى بثلاث تركته لأقاربه أو لعمل خير. وصحة وصية السفه في ثلث ماله لأهله أو لأعمال الخير محل إشكال.

و يشترط في الوصي أيضاً أن يكون عاقلاً و ثقة، و على الأحوط وجوباً أن يكون بالغاً. وإذا كان الموصي مسلماً، وكان العمل بالوصية يوجب سيطرته على الورثة، يجب أن يكون الوصي مسلماً. وإذا لم يكن يوجب سيطرة فالأحوط وجوباً أن يكون الوصي مسلماً.

تصح وصية المتوفى في ثلث ماله، و أمّا ما زاد عن ذلك فيحتاج الزائد منه إلى إذن الورثة.

إذا أوصى الإنسان بإعطاء شيء معين إلى شخص فالأحوط وجوباً أنه يملك ذلك الشيء فيما إذا قبله بعد وفاة الموصي، و كفاية القبول في زمان حياة الموصي موضع إشكال.

## الإرث

الإرث أحد طرق الحصول على المال، و موجبات الإرث ثلاثة أمور:

١- القرابة بالنسب، وهم ثلاث طبقات:

**الطبقة الأولى** - أبو الميِّت وأُمُّه وأولاده، ومع عدم وجود الأولاد، فأولاد الأولاد وإن نزلوا، يرث منهم أيُّهم أقرب إلى الميِّت، و مادام يوجد شخص واحد من هذه الطبقة فلا ترث الطبقة الثانية.

**الطبقة الثانية** - الجدّ والجدة للأب أو الأمّ وإن علوا، والأخ والأخت. ومع عدم وجود الأخ والأخت، فأولادهم وإن نزلوا يرث منه أيُّهم أقرب إلى الميِّت. و مادام يوجد شخص واحد من هذه الطبقة فلا ترث الطبقة الثالثة.

**الطبقة الثالثة** - العمّ والعمّة والخال والخالة مهما علوا، وأولادهم مهما نزلوا، و مادام يوجد شخص واحد من أعمام الميِّت وعمّاته وأخواله وخالاته فلا يرث أولادهم. أمّا إذا ورث الميِّت عمّه لأبيه، و ابن عمّه لأبيه وأُمُّه، و لم يكن له وارث غيرهما، فالذي يرثه هو ابن عمّه لأبيه وأُمُّه، و لا يرث عمّه لأبيه.

٢- **القربى السببيون**: وهم القربى عن طريق الزواج، و به يتوارث الزوج والزوجة المتزوَّجان بالزواج الدائم فيما بينهما، بالأقسام الثلاثة المذكورة آنفاً، و بأقسام الولاء وفقاً للترتيب المذكور في الأحكام الشرعيّة.<sup>(١)</sup>

٣- **الولاء**: و به يكون لأحدٍ نوع من الولاية على آخر - حين انعدام القرابة النسبية فيرثه. و من أقسام الولاء «ضمان الجريرة» و «الإمامة». في ضمان الجريرة يتعاقد شخص مع آخر على أن يضمن عنه ما يجنيه من جنابة توجب الدية عليه. وإذا لم يكن للمسلم وارث مسلم، يرثه أمام المسلمين.

و قد ورد تفصيل أحكام الإرث و كفيّتها في الأحكام الشرعيّة.<sup>(٢)</sup>

١- راجع: الأحكام الشرعيّة، المسائل ٢٩٨٨-٢٩٩٨.

٢- راجع: المصدر السابق، المسائل ٢٩٤٤-٣٠٠٦.

و لا بد من الإشارة إلى أنّ التفاوت في أحكام الإرث بين المرأة والرجل قد شرع استناداً إلى نظام المسؤولية الاقتصادية في الأسرة، الذي جعل على عاتق الرجل مهمّة النفقة؛ أي تأمين متطلبات العيش لنفسه و زوجته و أولاده، بما في ذلك المأكل والمشرب والمسكن، ونفقات التعليم والتربية والصحة، بينما لا تتحمّل المرأة أيّ شيء من ذلك، و لا حتى نفقة نفسها، و هي في الوقت ذاته تتمتع بالاستقلال المالي.

### الغصب

لا يمكن سلب الملكية الشرعية من أحد، إلا بحكم الحاكم الشرعي في محكمة صالحة. و كذلك في الحالات التي تقتضيها الضرورة و يوجبها حفظ المصالح العامة -مثل شق الطرق- إذا كانت تستدعي سلب الملكية، يمكن عند ذاك سلبها مع دفع تعويض فوري و عادل عنها. و في غير هذه الحالة لا يجوز سلب الملكية؛ لأن مال المسلم حرام كحرمة دمه.<sup>(١)</sup>

و على هذا لو تسلّط شخص على مال شخص آخر أو حقّه فهو غاصب. و هذا العمل من الكبائر التي إذا ارتكبتها الشخص فله يوم القيامة عذاب شديد. فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: من غصب شبراً من أرض جاره، جعل الله ذلك طوقاً في عنقه من تخوم الأرض السابعة إلى أن يلقى الله مطوقاً به يوم القيامة.<sup>(٢)</sup>

### المحجور عليه

من لا يحق له في الشرع التصرف بأمواله، و يتولّى الآخرون إدارة شؤون حياته، يُسمّى محجوراً عليه، و يشمل هذا العنوان كلاً من:

١- الصبي الذي لم يبلغ.

٢- المجنون.

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٥٢ من أبواب أحكام العشرة، ج ١٢، ص ٢٨١، الحديث ٩.

٢- المصدر السابق، الباب ١ من أبواب كتاب الغصب، ج ٢٥، ص ٣٨٦، الحديث ٢.

- ٣- السفيه؛ وهو من لا يعرف ما ينفعه أو يضره في الشؤون المالية، وغالباً ما يصرف أمواله في أعمال عبثية.
- ٤- المُفلس الذي صدر حكم إفلاسه من قبل الحاكم الشرعي.

### أنواع المعاملات

تُسنّ في الأعراف الاجتماعية طرائق للمعاملات تتناسب مع متطلبات الإنسان. و تجوز هذه الطرائق إذا كانت متطابقة مع الشروط التي يقرّها الإسلام. وبعض أنواع هذه المعاملات والعقود لم تكن معروفة في الماضي كالتأمين، ولكن لا إشكال في المعاملات التي يقوم بها عقلاء كل زمان إذا لم تكن تتعارض مع المعايير والأحكام الشرعية العامة، وتعتبر نافذة. نستعرض في ما يلي مجموعة من أنواع المعاملات:

١- البيع، أو البيع والشراء وهو مبادلة عين السلعة بسلعة أخرى أو بمال، من قبيل بيع الدار أو السيارة وما إلى ذلك. وفي معاملات (الصرافة) عبارة عن مبادلة نقدٍ بنقدٍ آخر. وهكذا الحال في مبادلة الحقوق المالية كحق التأليف، وحق الاختراع، وحق الاشتراك، وما شابه ذلك.

٢- الإجارة، وهي بيع منفعة شيء يدخل في ملكه إلى شخص آخر لقاء عوض إجارة، على أن يبقى أصله، نظير وضع دارٍ تحت تصرّف طرف آخر لمدة معيّنة لقاء مبلغ معيّن. ويُسمّى صاحب المُلْك مؤجراً والمنتفع منه مستأجراً، والشيء المؤجر «متعلق الإجارة» والمبلغ الذي يدفع لقاء المنفعة «مال الإجارة».

٣- الشراكة، وهي أن يشترك اثنان أو أكثر في مال خاص أو دَين أو منفعة أو حق. وتحصل الشركة تارة بالاختيار وبعقد، وتأتي تارة أخرى من غير اختيار، كشركة شخصين أو أكثر في إرث يرثونه.

٤- الشفعة، إذا ما أراد أحد الشريكين بيع كلٍّ أو قسم من عقار يعود له، يحق للشريك الآخر قلب المعاملة لنفسه مع دفع القيمة النهائية واستملاك ذلك السهم. ويُسمّى هذا بحق الشفعة، ولا شفعة لغير المسلم على المسلم.

٥- **الصلح**، هو أن يتصالح شخص مع آخر على تملكه مقداراً من ماله أو من منفعة ماله، أو يتنازل له عن دين أو حق له عليه، و يعطيه الآخر في مقابل ذلك مقداراً من ماله أو منفعة ماله، أو يتنازل عن حق أو دين له عليه. بل الصلح صحيح أيضاً إذا لم يأخذ عوضاً و أعطى الآخر من ماله أو من منفعة ماله و قبل الشخص، و كذلك إذا تنازل الشخص بعنوان الصلح عن دين أو حق له عليه، و قبل ذلك الطرف.

٦- **المضاربة**، عقد تجاري يتفق بموجبه صاحب المال مع العامل (و هو من يستثمر ذلك المال) على المشاركة في الأرباح بنسبة مئوية. و يجب أن يكون طرفا المضاربة عاقلين و بالغين و أن يكون للمالك حق التصرف في أمواله، و يستطيع العامل المتاجرة بذلك المال واستثماره. و يجب أن يكون أصل رأس المال معلوماً و نقداً. والأرباح فيه تقسم بينهما حسب السهم المشاع الذي اتفقا عليه، و الضرر فيه يقع على صاحب المال.

٧- **المزارة**، هي أن يعطي المالك أرضه إلى الزارع بقصد المزارعة، ليزرعها و يعطيه حصّة مشاعة من حاصلها.

٨- **المساقاة**، إذا تعامل شخصان على أن يضع أحدهما الأشجار المثمرة التي يملك ثمرها، أو التي يكون ثمرها تحت تصرّفه بيد الآخر ليقوم بتنميتها و سقيها، على أن يأخذ من الثمار حصّة مشاعة يتفقان عليها.

٩- **الجعالة**، هي أن يجعل الإنسان مقداراً معيناً من المال و يلتزم بدفعه إلى شخص آخر مقابل عمل يؤدّيه له، فيقول مثلاً: من وجد ما ضاع مني أدفع له كذا مبلغ، و يسمى من يلتزم بذلك «جاعلاً» و من يقوم بذلك العمل «عاملاً» و الفرق بين الجعالة و الإجارة: أن الأجير في الإجارة يجب عليه القيام بالعمل بعد إيقاع صيغة الإجارة، و أن من استأجره يكون مديناً له بالأجرة. أمّا في الجعالة فللعامل أن لا يقوم بالعمل، و ما لم يقم بالعمل، لا يكون الجاعل مديناً له بشيء.

١٠- **التأمين**، اتفاق و عقد بين المؤمن له و المؤسسة، أو الشركة، أو الشخص الذي يقبل التأمين، و مفاده ضمان الشخص، أو المال بواسطة الشخص، أو الشركة، أو المؤسسة التي تقبل التأمين في مقابل عوض معين يدفعه المؤمن له، و هو عقد مستقلّ ظاهراً.



١١- الوكالة، هي أن يفوض الإنسان العمل الذي له حقّ التدخّل فيه، إلى شخص آخر للقيام به من قبله. مثلاً، يوكل أحداً أن يبيع بيته.

١٢- القرض، إعطاء سلعة أو مال إلى شخص آخر على أن يعيد مثله أو قيمته إليه في مدّة معيّنة.

١٣- الرهن، هو أن يضع المدين مقداراً من ماله عند الدائن بعنوان الوثيقة، ليستوفي منه دينه إذا لم يدفعه المدين.

١٤- الحوالة، إذا أحال المدين دائته ليستوفي دينه من شخص آخر، وقبل الدائن والشخص الآخر؛ فإذا وقعت الحوالة، يصير الشخص الآخر مديناً، ولا يجوز للدائن أن يطالب المدين الأول.

١٥- الضمان، وهو على نوعين:

أ - ضمان عقد، وهو ضمان يحصل بعقد معيّن على نحو أن يضمن شخص آخر دفع دين المدين في يوم معين. وهنا يُسمّى من يتكفّل بدفع الدّين ضامناً.

ب - ضمان إلزامي، وهو ضمان يحصل من غير عقد خاص، مثل الحالات التي يستولي فيها شخص على آخر أو على أمواله و حقوقه المشروعة و يلحق بها ضرراً، يؤدّي إلى إتلافها أو زوالها، سواء أتلفها بنفسه أم أمر آخر بإتلافها.

١٦- الكفالة، أن يضمن شخص تسليم شخص المدين في أي وقت يريد الدائن، وكذا إذا كان لشخص على آخر حق أو ادّعاء حق يمكن قبول دعواه، و ضمن إنسان تسليم المدّعى عليه في أي وقت أراد صاحب الحق أو المدّعي. فهذا العمل يسمّى «كفالة» و يُسمّى الضامن بهذا النحو «كفياً».

١٧- الأمانة، إذا أعطى شخص ماله إلى أحد، و قال له: هذا المال أمانة عندك من أجل حفظه، و أخذه ذلك الشخص أيضاً بقصد حفظه، صار ذلك أمانة، و يجب عليه العمل فيه بأحكام الأمانة.

١٨- العارية، هي أن يعطي الإنسان ماله إلى شخص آخر ليستفيد منه و لا يأخذ منه عوض استفادته شيئاً.

- ١٩- الهبة، وهي تملك شيء لشخص مجاناً.
- ٢٠- الوقف، وهو تحبب ملك ثابت و إنفاق ريعه على شخص أو أشخاص أو لعمل آخر، كأن يوقف أرضاً و يخصص ريعها و منافعها لمسجد أو حسينية أو مدرسة أو للفقراء. ويُقال للعين التي تُحبس، «موقوفة» و يُسمى الشخص الذي يوقفها «الواقف» و تُسمى الجهة التي يُنفق عليها الريع «الموقوف عليه».

### الأحكام العامة للمعاملات

- الشروط العامة التي يجب توفرها في المعاملات والعقود هي:
- ١ و ٢- أن يكون طرفا المعاملة بالغين و عاقلين.
  - ٣- البلوغ العقلي، و هو أن تكون لديهما معرفة بالحدود المتعارفة للمعاملة التي يقومان بها. و على هذا الأساس، لا تصح معاملة السفیه، و هو الذي يصرف ماله عبثاً، و يقوم بأعمال غير عقلانية في نظر العرف.
  - ٤- أن لا يكونا مجبرين.
  - ٥- أن يكون لدى الطرفين اطلاع تام على الشيء الذي تجري عليه المعاملة من حيث المقدار و الخصائص المهمة كالشكل، واللون، و كيفية التسليم و ما شابه ذلك، بحيث لا يبقى هناك لدى أي منهما غموض يؤدي إلى الاختلاف لاحقاً.
  - ٦- أن لا يكون الحاكم الشرعي قد منع أحدهما أو كليهما من التصرف في أمواله.
  - ٧- أن يكونا مالكين للسلعة و عوضها، أو يكون بيدهما التصرف في المال كأب الصغير، وجدّه، و الوكيل في المعاملات.
  - ٨- أن يتحقق عندهما قصد المعاملة.

### أنواع البيع

- يحصل البيع والشراء بواحد من الطرق التالية:
- أ- البيع النقدي، المعاملة النقدية هي ما لا يشترط فيها مدّة في تسليم البضاعة و عوضها.

ب - النسبئة، معاملة النسبئة هي أن يسلم البائع البضاعة للمشتري، ولكن يتفقان على أن يسلم المشتري ثمنها إلى البائع في وقت آخر. ويجب في هذا النوع من المعاملة، أن تعين المدّة بشكل كامل.

ج - السلف، بيع السلف هو أن يدفع المشتري ثمن البضاعة عند المعاملة، وتبقى في ذمّة البائع على أن يتسلم المشتري البضاعة بعد مدّة في زمان معيّن.

### موارد فسخ المعاملة

يُسمّى حق فسخ المعاملة، الخيار. و يحق للبائع أو المشتري في الموارد التالية أن يفسخ المعاملة:

- ١- خيار المجلس، إذا لم يفترقا من مجلس البيع.
- ٢- خيار الغبن، أن يكون مغبوناً. فيحق للمغبون أن يفسخ أصل المعاملة، أو يرضى بها بالقيمة التي عُيّنَت البضاعة بها، ولا يحق له إجبار الطرف الآخر على دفع تفاوت القيمة، ولكن لا مانع منه برضى الطرفين.
- ٣- خيار الشرط، أن يشترط في المعاملة حق الفسخ لأحدهما أو لكلٍ منهما إلى مدّة معيّنة.
- ٤- خيار التدليس، إذا عرض البائع أو المشتري سلعته بأحسن ممّا هي، و عمل بنحو يزيد قيمتها المائيّة في نظر الناس.
- ٥- خيار تخلف الشرط، إذا اشترط البائع أو المشتري القيام بعمل، أو أن يكون المال الذي يعطيه بنحو خاص، و لم يعمل بالشرط، فيحق للطرف الآخر أن يفسخ المعاملة.
- ٦- خيار العيب، أن يوجد عيب في السلعة أو ثمنها.
- ٧- خيار تبعض الصفقة، إذا تبين أن مقدار من السلعة المباعة ملك لشخص آخر، ولم يرض بوقوع المعاملة، فيحق للمشتري أن يفسخ أصل المعاملة، أو يأخذ ثمن ذلك المقدار من البائع. وكذلك إذا تبين أن مقدراً من الثمن المتفق عليه ملك لشخص آخر، ولم يرض صاحبه، فيحق للبائع أن يفسخ أصل المعاملة، أو يأخذ عوض ذلك المقدار من المشتري.

٨- خيار الرؤية، إذا أخبر البائع المشتري بخصوصيات السلعة المعيّنة التي لم يرها المشتري، ثم تبين بعد ذلك أنها لم تكن كما قال، فيحقّ للمشتري في هذه الصورة أن يفسخ المعاملة. وكذلك الأمر أيضاً إذا أخبره المشتري بخصوصيات العوض المعين، ثم تبين بعد ذلك أنه لم يكن كما قال، فيحقّ للبائع أن يفسخ المعاملة.

٩- خيار التأخير، أن لا يدفع المشتري الثمن الذي اتّفقا على دفعه تقدماً إلى ثلاثة أيام، ولم يدفع البائع السلعة أيضاً فإذا لم يشترط المشتري تأخير الثمن، وكذلك لم يشترط تأخير دفع الثمن، فيحقّ للبائع أن يفسخ المعاملة. وإذا كانت السلعة المشتراة مثل بعض الفواكه التي تفسد إذا بقيت لمُدّة يوم، ولم يدفع ثمنها حتى الليل، ولم يشترط تأخير دفع الثمن، ولم يشترط أيضاً تأخير دفع الثمن، فيحقّ للبائع أن يفسخ المعاملة.

١٠- خيار الحيوان، إذا اشترى حيواناً فيحقّ للمشتري أن يفسخ المعاملة حتى ثلاثة أيام.

١١- خيار تعذّر التسليم، أن يتعذّر على البائع تسليم المبيع. كأن يفرّ الفرس الذي باعه. ففي هذه الصورة يحقّ للمشتري أن يفسخ المعاملة.

### آداب البيع والشراء

يُستحب للبائع أن لا يميّز بين المشتريين في قيمة السلع، وأن لا يتشدد في السعر، وإذا ندم المشتري وطلب فسخ المعاملة أن يقبل منه. روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إِيْمَا عبد اقال مسلماً ندامة في بيع، اقال الله عثرته يوم القيامة.<sup>(١)</sup> ومن الأمور التي تذكر في المعاملة كراهة القسم وإن كان صادقاً، وإذا كان كاذباً فهو حرام.

### الاحتكار والتسعير

من الأعمال الخاطئة احتكار السلعة التي يحتاجها الناس حتى يرتفع سعرها، بحيث يواجه الناس شدةً وضنكاً بسبب هذا العمل. سواء كان ذلك بقصد الإضرار بهم أم بعدم القصد.

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٣ من أبواب آداب التجارة، ج ١٧، ص ٣٨٦، الحديث ٢.

ذمّت الأحاديث الشريفة الاحتكار والمحتكر، ووصفت المحتكر بالملعون والخاطيء والخائن، وذهبت بعض الأحاديث إلى حدّ وصفه بالقاتل. والمحتكر كما قالت بعض الأحاديث ملعون ومحروم من نعمة الله.<sup>(١)</sup>

و على الحكومة الصالحة أن تمنع الاحتكار، ولكن لصاحب السلعة حرية البيع بالسعر الذي يشاء. وقد امتنع رسول الله ﷺ عن تقويم أو تسعير السلع المحتكرة، ولما طلبوا إليه أن يأمر بتسعير السلع غضب و قال: ذلك إلى الله يرفع السعر إذا شاء ويخففه إذا شاء.<sup>(٢)</sup> والحقيقة هي إنّ معادلة العرض والطلب كفيلة بحلّ المشكلة، ولكن على أية حال لو تواطأ الباعة و أجحفوا في الأسعار فعلى الحكومة الصالحة أن تمنع الإجحاف بالمقدار اللازم، وتعيّن سعراً متوازناً يضمن مصلحة الطرفين.

### المعاملات الباطلة

تبطل المعاملات في الموارد التالية:

- ١- شراء و بيع الأعيان النجسة لمنفعة محرّمة كالسكر، و لكن شراء و بيع ما فيه منفعة حلال كالدم للترزيق فحلال.
- ٢- شراء و بيع المال المستحصل عن طريق غير مشروع كالمال المغصوب أو المال الذي يأتي عن طريق السرقة أو القمار أو المعاملات الباطلة.
- ٣- شراء و بيع الأشياء التي ليست مالاً و لا قيمة لها أو تكون منافعتها في العمل الحرام فقط كأدوات اللهو واللعب، حيث يستفاد منها في الحرام فقط.
- ٤- الشراء و البيع الذي فيه غش. و «الغش» هو مزج بضاعة غير مرغوبة ببضاعة مرغوبة بحيث لا يمكن تمييزها. روي عن رسول الله ﷺ انه قال: «من غشّ أخاه المسلم نزع الله بركة رزقه و أفسد عليه معيشتة، و وكله إلى نفسه».<sup>(٣)</sup>
- ٥- المعاملة التي فيها ربا.

١- المصدر السابق، الباب ٢٧ من أبواب آداب التجارة، ج ١٧، ص ٤٢٣-٤٢٧.

٢- المصدر السابق، الباب ٣٠، ج ١٧، ص ٤٣٠، الحديث ١.

٣- المصدر السابق، الباب ٨٦ من أبواب «ما يكتسب به»، الحديث ١١.

## الأعمال المحرّمة

من جملة الأعمال المحرّمة التي يجني أصحابها المال بواسطتها! السرقة، والربا، والرشوة، والمال المستحصل عن طريق الغناء المحرّم، ومدح وتقوية الظالم، وبيع الخمر، والسحر، والكهانة، والتنجيم، إذا كان يُنسب فيه التأثير لغير الله، والشعبذة إذا كانت تُظهر الحق باطلاً والباطل حقاً، والشخص الذي يحصل على مال من هذه الطرق يحرم عليه التصرف فيه وهو ضامن له.

## النقد

قبل ان تتسع الحياة الاجتماعية و حينما لم يكن هناك تقسيم للعمل والاختصاصات وتطوّر في الاتصالات والعلاقات، كانت حاجات الناس بدائية و بسيطة و يمكن تليتها بكل سهولة عن طريق المقايضة (و هي عملية تبادل سلعة مُنتجة بأخرى)، و لكن في اعقاب التطوّر الصناعي والتنمية الاقتصادية و تنوع السلع و تشعب العلاقات، أخذ تبادل السلع يتعقد و يواجه مشاكل كثيرة. و لهذا صار لا بد من اتّخاذ النقد وسيلة لتبادل السلع و تعيين قيمتها. و قد أدّى هذا العمل إلى تذليل الكثير من الصعوبات و لكنه أدّى في الوقت ذاته إلى خلق مشاكل جديدة من أهمها أن النقد فقد دوره الأساسي و خرج من كونه وسيلة و غدا يتخذ موضوعاً للمعاملة على نحو مستقل. و هكذا صار الأفراد يتخذون النقد طريقاً لكسب الثروة و هذه الطريقة بالنسبة إليهم أكثر اطمئناناً من الانتاج والعمل والجهد والمخاطرة. فصاروا يقرضون الآخريين مالاً و يطالبونهم بأرباح ثابتة ازاء ذلك. و هذا طبعاً يؤدّي إلى زيادة ثروتهم يوماً بعد آخر، و ان كان يؤدّي من جهة أخرى إلى سحق جماعة آخريين. و هكذا فقد أفضى هذا العمل إلى ظهور نوع آخر من الربا، و أحدث اضطراباً في المعاملات الاقتصادية و ساهم في تفاقم الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع. و على هذا المنوال غدا النقد عاملاً من عوامل الفساد الاقتصادي والاجتماعي.

### القرض الحسن

الإقراض من المستحبات التي وردت تأكيدات كثيرة عليها في آيات القرآن الكريم و في أحاديث المعصومين عليهم السلام. قال تعالى في كتابه الكريم ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾. (١) و قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من أقرض مؤمناً قرضاً ينظر به ميسوره، كان ماله في زكاة، والملائكة تصلي عليه حتى يؤديه. (٢) و قال أيضاً في حديث آخر: ألف درهم أقرضها مرتين أحب إلي من أن أتصدق بها مرة. (٣)

والمقترض مدين طبعاً بذلك المبلغ لا أكثر، و لكن بما أن التضخم الاقتصادي يؤدي أحياناً إلى إيجاد فارق واسع بين القدرة الشرائية للمبلغ حين الإقراض و حين الإعادة. ففي هذه الحالة يكون دفع المبلغ نفسه موضع إشكال، والأحوط أن يتصالح الطرفان.

### الربا

من أقبح الممارسات الاقتصادية هي المعاملات الربوية التي تعد في الواقع من أظلم و أبشع أنواع الاستثمار. و الإسلام يحرم الربا، و يذم المرابين بشدة. أعلنت حرمة الربا في آيات القرآن الكريم على عدة مراحل -تدرجت من اللين إلى الشدة- ففي المرحلة الأولى بينت أن زيادة الثروة بالربا لا يكون مدعاة للزيادة عند الله: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾. (٤) و في مرحلة أخرى ذمّت المرابين اليهود، لأنهم لا يلتزمون بما نهوا عنه في دينهم: ﴿وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ

١- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٤٥.

٢- الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٦ من أبواب الدين والقرض، ج ١٨، ص ٣٣٠، الحديث ٣.

٣- المصدر السابق، الباب ٨، ص ٣٣٤، الحديث ٥.

٤- سورة الروم (٣٠)، الآية ٣٩.

عَدَاباً أَلِيماً»<sup>(١)</sup> ونهت آية أخرى عن الربا المضاعف، وهو عبارة عن إضافة الربا الناجم عن عدم الدفع في وقته المقرر إلى أصل المبلغ، واحتساب الربا على المبلغ كله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾<sup>(٢)</sup> وأخيراً حرّمت الربا بشدّة وبيّنت و أذرت المؤمنين بحرب من الله ورسوله إذا لم يتركوا ما بقي من الربا في أعناقهم، وأوضحت لهم أنهم إذا تابوا فلهم رؤوس أموالهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ \* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وأعلنت الأحاديث أن «درهم ربا أشدّ من سبعين زنية كلها بذات محرم»<sup>(٤)</sup>.  
على المسلم أن يتّجه نحو الفرض الحسن لما فيه من الخير والبركة والرحمة، بدلاً من الربا و ما يترتّب عليه من تكديس للثروة بلاكد ولا تعب، و ما ينتجه ذلك من تأثيرات مدمّرة على الاقتصاد.

### المعاملة والربا

بعدما نزلت آيات تحريم الربا، أخذ المرابون يتساءلون: ما الفرق بين الربح الحاصل من الربا والربح الحاصل من البيع والشراء: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾<sup>(٥)</sup> وجاء جواب القرآن تأكيداً لما سبق: ﴿وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا﴾<sup>(٦)</sup> والفرق واضح طبعاً، وهو أن البيع فيه خدمة يحتاجها المجتمع وهي عبارة عن عملية توزيع للسلع، بينما الربا و ما ينتج عنه من أرباح كبيرة وتكديس للثروات يُخلّ بالوضع الاقتصادي. و فضلاً عن ذلك فإن المعاملات خاضعة للعرض والطلب، وهي بالنتيجة ليست ذات ربح ثابت، بل تتوقف أرباحها على مدى الجهد والمعرفة بالشؤون الاقتصادية، بينما يؤدي الربا بسبب ما فيه من

١- سورة النساء (٤)، الآية ١٦١.

٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٣٠.

٣- سورة البقرة (٢)، الآيتان ٢٧٨ - ٢٧٩.

٤- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١ من أبواب الربا، ج ١٨، ص ١١٧، الحديث ١.

٥- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٧٥.

٦- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٧٥.



أرباح ثابتة إلى إلحاق الضرر الكبير بالمقترضين. والربا بطبيعته معادلة تراكمية تدفع الفقراء نحو مزيد من الفقر، وبأصحاب الثروة نحو مزيد من الثراء من غير أن يحملوا أية هواجس أو هموم إزاء ما يصيب السوق من تضخم و بطالة و... والربا بطبيعته يؤدي إلى إفقار مئات الأشخاص خلال عدّة سنوات، وتكديس أموالهم في يد شخص واحد.

### أنواع الربا

الربا على نوعين:

- أ - الربا المعاملي، وهو ما يكون في المعاملات، وهو بيع أحد المثلين مما يُكّال و يوزن بالآخر مع زيادة في أحدهما. والزيادة إما أن تكون عينية كبيع مئة كيلو حنطة بمئة و عشرين كيلو حنطة، أو بيع مئة كيلو حنطة بمئة كيلو حنطة و دينار، أو بيع عشرين كيلو حنطة نقداً بعشرين كيلو حنطة نسيئاً، وفي كل هذه الموارد تُعتبر المعاملة ربوية وهي باطلة.
- ب - الربا القرضي، وهو أن يشترط المقرض على المقرض مبلغاً زائداً على ما اقترضه، أو يضيف إليه مقداراً من سلعة أخرى، أو يقوم له بعمل أو أن يعيد له المبلغ بكيفية خاصة ذات قيمة مالية، ولكن لا إشكال لو دفع المقرض أكثر من المبلغ بإرادته ورغبته دون أن يشترط عليه المقرض ذلك، بل تُستحب مثل هذه الزيادة.
- والربا القرضي لا يحلّ أبداً، والحيل الشرعية الواردة في بعض الكتب لتحليله غير جائزة، و ما يؤخذ فيه من زيادة حرام.

### المصارف

في أعقاب رواج النقد والعملية والنشاط التجاري، بات إنشاء المصارف ضرورة من ضروريات الحياة الاجتماعية. فالمصارف تقدّم للناس خدمات شتى، و تتلقى في مقابلها أجوراً، و تدخل في المعاملات التجارية كالمضاربة، و تدفع للإيداعات أرباحاً على الحساب، غير أن هذه الأرباح لا يمكن أن تكون ثابتة. و من جهة أخرى إذا كانت عقود المصارف ذات طابع صوري فحسب و بهدف التهرب من الربا، ففي ذلك إشكال.

### الكُمبِيَالَة (السند)

الكُمبِيَالَة نوع من السندات والحوالات و هي على قسمين:

أ - السندات الحقيقية، و هي ما يقدّمه المدين إلى الدائن مقابل دَيْنِهِ.

ب - سندات الصداقة، و هي التي يدفعها الأصدقاء لبعضهم دون أن يكون من يعطيها مديناً لصاحبه.

يجب أن يكون التعامل مع شخص آخر بالسندات الحقيقية التي يأخذها من المدين بنحو لا يستلزم الربا، كأن يقترض مبلغاً من شخص آخر أو من مصرف و يوكله بتحصيل السند، و بعد تحصيله يأخذ ما أقرضه لصاحبه و يأخذ الباقي كعمولة، بشرط أن يكون بمقدار العمولة المتعارفة، و لا يراد به الفرار من الربا. وإذا لم يعمل على هذا النحو، واقترض من شخص ثالث مبلغاً، و دفع له السند على أن يأخذ ذلك الشخص حين الموعد أكثر من قرضه، فهو ربا و حرام. وإذا باع مبلغ السند إلى شخص آخر بمبلغ أقل، فصحتّه موضع إشكال.

### التكاليف المالية

يمكن من خلال نظرة بسيطة إدراك مدى الفوارق بين الدخل الفردي الناس. و هذه الأنواع من التفاوت تعود لأسباب و عوامل متعددة، يعزى بعضها إلى ممارسات و ظلم الحُكَّام و أصحاب الثروات. فالغصب، والاحتكار، والتطاول على بيت المال و ما إلى ذلك، تؤدي عادة إلى ذهاب حقوق بعض أفراد المجتمع إلى جيوب عدد قليل من الناس، و هو ما ينتهي بالنتيجة إلى ظهور فوارق هائلة بين أفراد المجتمع. قال تعالى مذكراً بنعمه: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾<sup>(١)</sup>. والظاهر ان المراد هو أن ما تقتضيه طبيعتكم و خلقتكم قد خلق لكم، و ان نعم الله لا تحصى. والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هنا هو: إذاً لماذا كل هذا الفقر والعوز؟ و قد جاءت الجملة

١- سورة ابراهيم (١٤)، الآية ٣٤.

الأخيرة جواباً عن هذا السؤال: وهو أن هذا النقص والعوز جاء بسبب ظلم الظالمين الذين يعتقدون على أموال و حقوق الآخرين. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فما جاع فقيرٌ إلا بما مُتّع به غنيٌّ». (١) فهناك جماعة يحصلون على أموال طائلة من غير تعب، و يتمتعون بكل مستلزمات الرفاه. و في المقابل يؤدي كسل بعض الناس إلى عجزهم اقتصادياً و هو ما ينتهي بالنتيجة إلى ظهور فوارق طبقيّة هائلة. ان الظلم والكسل يؤديان إلى الاختلافات الاقتصادية بين الناس. و هذه الأمور لا يقرّها الدين و ينبغي أن لا توضع في دائرة القضاء و القدر. و ينبغي طبعاً السعي لإقامة العدالة تلافياً للتعدي و التمييز، هذا من جهة، و يتعيّن من جهة أخرى ان يسعى كل فرد لتوفير رفاه نسبي لأسرته من خلال السعي و الكد.

و خلافاً للحالتين السابقتين اللتين تأتیان نتيجة للعلاقات الظالمة و طبيعة السلوك الفردي، هناك حالة أخرى تقوم على أساس الخلقة و استعداد الإنسان. فبعض الناس يخلقون عاجزين أو مصابين بعاهات، و آخرون يصابون بعاهات بسبب حوادث و سوانح طبيعية. و من جانب آخر هناك من الناس من يتمتع بدرجة ذكاء فائقة، و جسم قوي، و لديه خلاقية، أو حاز مقدرة عالية على أثر الدراسة و ارتقاء المستوى العلمي. و من الطبيعي أن كل من يحظى بقوة أكثر تكون لديه مقدرة أعلى على الاستفادة من الإمكانيات و النعم الطبيعية. و أما العاجز فله فيه فرصة أقل للاستفادة من المصادر الطبيعية.

و على أية حال فالناس مختلفون في مدى قدرتهم على الحصول على المال و المقدرات الأخرى. و قد أقر الإسلام هذا التفاوت الطبيعي. و لكي لا يكون هذا العامل مدعاة للتمايز بين الناس، و لكي لا يعيش الأثرياء في رغد و رفاه و يعيش آخرون في فقر مدقع، فقد فرض على الأثرياء مجموعة من التكاليف إزاء الفقراء و أوصاهم بهم خيراً بهدف إزالة الفوارق الاجتماعية و الاقتصادية، حتى أنه ورد حديث عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال فيه: من سمع رجلاً ينادي بالمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم. (٢)

والتكاليف الدينية في هذا المجال كثيرة، نذكر منها في ما يلي مجموعة من التكاليف المالية:

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٨، ص ٥٣٣.

٢- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٥٩ من أبواب جهاد العدو، ج ١٥، ص ١٤١، الحديث ١.

## ١- الإنفاق

من أكثر المواضيع التي تحدّث عنها القرآن في ما يخص الفرائض الاقتصادية هو موضوع الإنفاق. فقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرّة بتعبيرات مختلفة، وهي تحث المسلمين على إعطاء الآخرين قسماً مما أعطاهم الله.

المالك الحقيقي - حسب الرؤية الإسلامية - هو الله كما يقول: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾،<sup>(١)</sup> وقال أيضاً: ﴿... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾،<sup>(٢)</sup> وهو يحضّ المؤمنين على الإنفاق قبل أن يأتي يوم لا تنفعهم فيه الأموال. ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾.<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ \* الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَعْفَرَةً مِنْهُ وَفَضلاً﴾.<sup>(٤)</sup> فهو تعالى قد جعل في أموال الأغنياء حقاً للسائل والمحروم.<sup>(٥)</sup> وهذا الحق ينطبق على الصدقات والزكاة الواجبة والمستحبة التي وردت في بحث الزكاة و شروطها وكيفية جمعها. جاء في الحديث «لقد فرض الله للفقراء في أموال الأغنياء ما يكتفون به و إنما يؤتى الفقراء من منع من مَنَعَهُم حقوقهم».<sup>(٦)</sup> و على أية حال فإن كثرة الثروة إذا لم يرافقها إنفاق، تؤدّي إلى انحراف اقتصادي. و في هذه الحالة تصبح محرّمة.

## ٢- النهي عن تكديس الثروة

فرض على المسلم أن لا يحرص على تكديس الثروة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ أَلْهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي

١- سورة النور (٢٤)، الآية ٣٣.

٢- سورة البقرة (٢)، الآية ٣.

٣- سورة المنافقون (٦٣)، الآية ١٠.

٤- سورة البقرة (٢)، الآيتان ٢٦٧-٢٦٨.

٥- سورة المعارج (٧٠)، الآيتان ٢٤-٢٥.

٦- الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١ من أبواب ما تجب فيه الزكاة، ج ٩، ص ٩ إلى ١٣، الحديث ٢ و ٣ و ٦ و ٩.

نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿١﴾.

والكنز: جعل المال بعضه على بعض و حفظه. (٢) وهذا مما نهت عنه التعاليم الدينية، وتوجهت بشديد الذم لمكتنزي الأموال و مكديسي الثروات. قال الإمام الصادق عليه السلام: لقد أعطاكم الله هذه الأموال لتنفقوها حيث أراد لالتكنزوها. (٣) و على أية حال فإن العلة في النهي عن اكتناز الثروة هو إن هذا العمل يؤدي إلى تكديس الثروة في موضع واحد و حرمان الآخرين، و يمهد لأعمال محرمة مثل الربا، و هو ما ينتهي في ختام الأمر إلى الطغيان و التمرد على الله.

### ٣- إيتاء الزكاة

من التكاليف المالية الأخرى المفروضة على الأثرياء من أجل سدّ النواقص الاقتصادية في المجتمع، هو إيتاء الزكاة. و قد اقترنت في القرآن والأحاديث الزكاة بالصلاة. و حسب الرؤية الإسلامية تُسدّ النواقص و المتطلبات الأساسية للمجتمع بالزكاة كما كان الحال في زمان حكومة النبي صلوات الله عليه وآله، و حكومة الإمام علي عليه السلام. والأشياء التسعة التي تشملها الزكاة كانت هي الثروة المهمة لدى الناس يومذاك.

هناك روايات كثيرة حول أهمية الزكاة والتأكيد على دفعها، منها قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: حصّنا أموالكم بالزكاة، و داووا مرضاكم بالصدقة، فما تلف مال في برّ أو بحر إلا بمنع الزكاة. (٤) فالزكاة في الحقيقة ضمانّة للمال مثلما زكاة الفطرة ضمانّة للعمر.

واستناداً إلى المشهور تجب الزكاة في تسعة أشياء: الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، والذهب، والفضة، والإبل، والبقر والغنم.

١- سورة التوبة (٩)، الآيتان ٣٤-٣٥.

٢- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧٢٧.

٣- الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٣٢، الحديث ٥.

٤- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٣ من أبواب ما تجب فيه الزكاة، ج ٩، ص ٢٤ و ٢٥، الحديث ٨.

فإذا ملكَ شخصٌ واحداً من هذه الأشياء التسعة، وكان بالغاً وعاقلاً و يستطيع التصرف في ذلك المال، وبلغ ذلك المال مقدار النصاب، تجب عليه الزكاة.

وإذا ملك الإنسان البقر والغنم والإبل والذهب والفضة أحد عشر شهراً يُعطي زكاتها. والأحوط أن تُعطى زكاة السُّلت (وهو نوع من الحبوب له نعومة الحنطة، و خاصية الشعير)، وزكاة العَلَس (وهو مثل الحنطة)، وكذلك زكاة الرُّز والذرة «و سائر الغلات» وفقاً لشروط الحنطة والشعير. بل ربّما يمكن القول: إنّ موضوع الزكاة أوسع من الموارد المذكورة، ويمكن للحاكم الإسلامي فرض الزكاة على أموال الناس وفقاً للحاجة والثروة العامة، و بالنتيجة تؤخذ الضرائب كزكاة واجبة.

### مصرف الزكاة

يمكن إنفاق الزكاة في الموارد التالية:

- ١- الفقير، وهو من لا يملك مؤونة سنة له و لعيله. و من كانت لديه صنعة أو ملك أو رأس مال يمكنه أن يحصل منها على مؤونة سنته، فليس بفقير.
- ٢- المسكين، وهو أسوأ حالاً من الفقير.
- ٣- العامل عليها و هو المنصوب لجمع الزكاة و حفظها و حسابها.
- ٤- المؤلفة قلوبهم، وهم الكفّار الذين إذا أعطوا الزكاة يميلون إلى دين الإسلام، أو يساعدون المسلمين في الحرب. و كذلك المسلمون ضعاف الإيمان، الذين إذا استميلوا بواسطة الزكاة يقوى إيمانهم.
- ٥- في الرقاب، أي في شراء العبيد و تحريرهم.
- ٦- الغارم، وهو المدين الذي لا يستطيع وفاء دينه. و بشرط أن لا يكون الدين قد صرف في معصية.
- ٧- في سبيل الله، أي الأعمال ذات المنفعة الدينية العامة، مثل بناء المساجد والمدارس أو مثل إنشاء الجسور و إصلاح الطرق ....
- ٨- ابن السبيل، وهو المسافر المنقطع في سفره، وإن كان غنياً في بلده.

### زكاة الفطرة

زكاة الفطرة زكاة واجبة في كل سنة على كل مكلف جامع للشرائط؛ وهي تصرف على الفقراء والمساكين في المجتمع. و زكاة الفطرة تحفظ الإنسان من الموت المفاجيء في ذلك العام. وجاء في الروايات أن من تمام الصوم إعطاء الزكاة، مثلما أن الصلاة على النبي ﷺ من تمام الصلاة.<sup>(١)</sup>

من كان عند غروب ليلة عيد الفطر بالغاً، و عاقلاً، و ليس مغمى عليه، و لا فقيراً، يجب عليه أن يُعطي عن نفسه، و عمّن يعولهم إلى المستحق، عن كل واحدٍ منهم صاعاً واحداً، وهو ما يُعادل تقريباً ثلاث كيلوات من الحنطة أو الشعير أو التمر أو الزبيب أو الرز أو الذرة و أمثالها، بقصد زكاة الفطرة. والأحوط أن يدفع الفطرة من القوت المتعارف في بلده. و إذا أعطى ثمن أحد هذه الأشياء كفاه ذلك.

### ٤- الخمس

الخمس واحد من خمسة من الدخل والأرباح التي تأتي من طرق متعددة، و يجب أن تُنفق في زمان غيبة إمام الزمان (عج) في مصارف معيّنة في الشرع تحت إشراف المجتهد الأعلام والجامع للشرائط. والحقيقة هي أن الخمس ميزانية، تُلبى فيها الحاجات والمتطلبات المشروعة للفقراء من السادات في زمان غيبة إمام الزمان (عج)، و إضافة إلى ذلك تضع الركائز العلمية والعملية لحكومة الحق القائمة على المذهب الجعفري. و لهذا فقد ورد في بعض الروايات ذكر الخمس بعنوان «حق الإمارة».

و جاء في الأحاديث تأكيد وافر على دفع الخمس، و من ذلك ما جاء في رواية أن الإمام الرضا (عليه السلام) كتب في جواب رسالة بعثها إليه أحد التجار يسأله الإذن في الخمس:.... إنَّ الخمس عوننا على ديننا، و على عيالاتنا و على أموالنا و ما نبذله و نشترى من أعراضنا

١- المصدر السابق، الباب ١ من أبواب زكاة الفطرة، ج ٩، ص ٣١٨، الحديث ٥.

ممن نخاف سطوته فلا تزووه عنا، و لا تحرموا أنفسكم دعاءنا ما قدرتم عليه فإن إخراجهم مفتاح رزقكم، و تمحيص ذنوبكم و ما تمهدون لأنفسكم ليوم فاقتكم، و المسلم من يفي لله بما عهد إليه، و ليس المسلم من أجاب باللسان و خالف بالقلب.<sup>(١)</sup> و قال الإمام الباقر عليه السلام: من اشترى شيئاً من الخمس لم يعذره الله، اشترى ما لا يحل له.<sup>(٢)</sup>

على كل مسلم إخراج الخمس بما يتعلق به الخمس من أمواله. و كل تصرف في ذلك المال حرام و لا تصح الصلاة فيه.

و هذا الواجب و إن كان لسدّ النواقص و المتطلبات، و لكنّه في الوقت نفسه واجب عبادي و يجب أدائه بقصد القرية.

و يجب الخمس في سبعة أشياء: أرباح المكاسب، المعدن، الكنز، المال الحلال المختلط بالحرام، الجواهر التي تُستخرج بالغوص، غنائم الحرب، و الأرض التي يشتريها الكافر الذمّي من المسلم.<sup>(٣)</sup>

### مصرف الخمس

يجب بناءً على المشهور تقسيم الخمس إلى قسمين متساويين: قسم منه سهم الإمام عليه السلام، الذي يجب أن يُعطى في زماننا إلى المجتهد الجامع للشرائط، أو إنفاقه في المصرف الذي يجيزه. و القسم الآخر سهم السادة الذي يجب أن يُعطى إلى المجتهد الجامع للشرائط، أو يُعطى بإذنه إلى سيد فقير، أو سيد يتيم، أو سيّد ابن سبيل (و ان لم يكن فقيراً)، و لكن لو زاد سهم السادة عن حاجة السادة، صرفه المجتهد الجامع للشرائط في مصارف سهم الإمام. و كذلك إذا لم يكف سهم السادة لحاجة السادة، يُصرف على السادة الفقراء من سهم الإمام عليه السلام. و الحقيقة هي أن الخمس، و خاصّة خمس أرباح المكاسب حق لإمام المسلمين، و لكن ينبغي سدّ حاجة فقراء السادة منه.

١- المصدر السابق، الباب ٣ من أبواب الأنفال، ج ٩، ص ٥٣٨، الحديث ٢.

٢- المصدر السابق، الباب ١ من أبواب ما يجب فيه الخمس، ج ٩، ص ٤٨٤، الحديث ٥.

٣- راجع: الأحكام الشرعية، المسائل ١٨١١ - ١٩١٠.



# السياسة

## الدين والحكومة

### الحكومة، ضرورة اجتماعية

إحدى ضروريات الحياة البشرية وجود نظام اجتماعي و حكومي يضمن حقوق أفراد المجتمع. و لهذا السبب كان هناك في جميع أدوار حياة البشر - و حتى في دور العصر الحجري والحياة البدائية - نوع من الحكومة ولو بصورة بسيطة، و كانت مهمتها حماية مصالح الجماعة.

و على صعيد آخر تختلف مصالح و نزعات أفراد المجتمع، و هذا ما يؤدي بطبيعة الحال إلى وقوع تراحم و تعارض بين مصالحهم. فقد تؤدي استفادة فردٍ من حقٍ معين إلى الإضرار بمصالح الآخرين و حرمانهم من حقوقهم. أو أحياناً قد تكون الحاجات المتاحة أقل من الطلب عليها، و هذا يؤدي بطبيعة الحال إلى نشوب نزاعات، و هذا يستدعي طبعاً وضع تدابير وقائية، أو يستلزم الحكم والبث فيها. و هذه الأمور تتطلب وجود حكومة طبعاً.

إذاً، الحكومة من ضروريات الحياة الاجتماعية لبني الإنسان، فهي القادرة على تفادي الفوضى والنزاعات؛ و ذلك لأن أبناء المجتمع لا يمكنهم - كأفراد - القيام بإقرار الأمن مثلاً، أو توزيع الإمكانيات العامة بشكل صحيح، أو النظر في الخلافات و حسمها والبث فيها. إذاً، فلا بد من وجود حكومة تأخذ على عاتقها مهمة الأعمال العامة للمجتمع.

و من ناحية أخرى ينبغي تطبيق تعاليم الدين و قيمه في المجتمع على نحو معقول و منطقي، و هذا يتطلب بطبيعة الحال وجود سلطة تتكفل بمهمة التخطيط لهذه المهمة، و أن تكون لديها الامكانيات لتنفيذ ذلك، و توظيف الطاقات من أجل إشاعة القيم المعنوية بين

الناس، وإزالة الموانع التي تقف دون ذلك. والكثير من هذه الأمور يتعدّر تنفيذها من دون وجود حكومة. جاء في القرآن الكريم في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ إِِنْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(١)</sup>. وفضلاً عن ذلك ينبغي الانتباه إلى أنّ بعض أحكام الدين تُعدّ في الواقع ضمانات تنفيذية للأحكام الأخرى، كما هو الحال بالنسبة للأحكام الجزائية كالحدود، والديّات، والقصاص. وفي مثل هذه الحالات لا يمكن للأفراد الإقدام على تنفيذ تلك الأحكام بأنفسهم؛ لأن ذلك يؤدي إلى انتشار الفوضى. وهذا أيضاً من الجوانب التي تتطلب وجود حكومة. ومن الطبيعي أن تكون الأهداف التي ذكرناها للحكومة، إضافةً إلى دورها في تحقيق الأمن والعدالة والحرية، لا يقتصر على الحكومة الدينية فقط؛ إذ بالإضافة إلى المهام التي تضطلع بها سائر الحكومات، يقع على الحكومة الدينية واجب الاهتمام بالقيم المعنوية والالتزام بتطبيقها.

كانت ضرورة إقامة الحكومة من الأمور التي أكّدت عليها تعاليم الأئمة ووصاياهم؛ ومن ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «لأبدٍ للناس من أميرٍ برٍّ أو فاجرٍ»<sup>(٢)</sup> وقوله أيضاً: «والظلم غشومٌ خَيْرٌ مِنْ فِتْنَةٍ تَدُومُ»<sup>(٣)</sup>.

### الغاية من إقامة الحكومة

الغايات التي يرمي إليها الناس من وراء إقامة الحكومة، أو من وراء إيجاد النظام الحكومي أساساً، هي عبارة عما يلي:

- ١- بسط الأمن في جميع مجالات الحياة، وعلى الصعيدين الداخلي ومجابهة العدوان الخارجي.
- ٢- بسط العدالة والمساواة بين جميع الناس بما في ذلك المساواة أمام القانون، والتوزيع

١- سورة الحج (٢٢)، الآية ٤١.

٢- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ٤٠، ص ٨٢؛ وراجع الكليني، الكافي، ج ٨، ص ٣٧٣، الحديث ٥٦٠:

«ولا بدّ من إمرةٍ في الأرض، برّةٍ أو فاجرة...».

٣- الآمدي، غرر الحكم، ص ٤٦٤، الحديث ١٠٦٧٢.

العادل للثروات بينهم، و مشاركة الجميع في المسؤوليات، و في الثواب والعقاب في ما يستلزم ذلك من الإثابة والعقوبة.

٣- تنمية المجتمع وتطويره في جميع المجالات الاقتصادية والثقافية؛ المعنوية منها والمادية.

و قد كانت هذه الغايات والأهداف منذ مطلع الحياة الاجتماعية -و بغض النظر عن التعاليم والأحكام الاجتماعية- مَحْطَ أنظار كل أنواع الحكومات، و لم تزد عليها الحكومات الدينية شيئاً سوى اعتبار دعوة الناس إلى تلك الأهداف، بل اعتبار الدنيا كلها مقدمة للآخرة.

هذه الأهداف دفعت نحو تأسيس حكومة و وضع سنّ قوانين، فتطوّرت و تكاملت على مرّ الزمن. و في هذا السياق اعتبر الدّين الرقي المعنوي للإنسان من الضروريات الداعية لوجود الحكومة. فقد جاء في رواية: «الدّينُ وَالسّلطانُ أخوان توأمان لا يبدّ لكلّ واحدٍ مِنْهُمَا مِنْ صاحِبِهِ وَالدّينُ أَسُّ والسّلطانُ حارِسٌ وَ ما لا أَسُّ لَهُ منهدمٌ وَ ما لا حارِسَ لَهُ ضائعٌ»<sup>(١)</sup>.

### القدرة على تنفيذ القوانين و حماية المجتمع

لا بد أن تكون لدى الحكومة القدرة على تطبيق القانون و إقرار النظم؛ لأن الحكومة الضعيفة لا تستطيع حماية الناس و ضمان حقوقهم. و أهم مصدر لسلطة الحكومة هو ثقة الشعب بها.

و على جانب آخر قد تتعرض مصالح شعبٍ ما لهجوم دول و قوى أخرى، و هذا يوجب أن تكون لدى الحكومة قوّة عسكرية تحفظ بها هيبتهها و تدفع بواسطتها أيّ عدوان خارجي. و هذا المبدأ صرّح به القرآن الكريم بكل وضوح بقوله: ﴿وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

١- المفيد، الاختصاص، ص ٢٦٣؛ المُتَّقِي الهندي، كنز العمال، ج ٦، ص ١٠، الحديث ١٤٦١٣.

٢- سورة الأنفال (٨)، الآية ٦٠.

## الحكومة وسيلة لتحقيق الأهداف الدينية

كل أحكام الشريعة وسيلة لتحقيق الأهداف الدينية. وهذه الأهداف كفيلة بضمان سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. وهذه الأحكام في الشؤون الاجتماعية تترتب على بعضها الآخر، وتؤلف وحدة متكاملة تضمن للناس سعادتهم فيما لو روعيت كل جوانبها، ولكن لا بد من الإذعان إلى أن الأفراد يفتقرون عادة إلى الدوافع الذاتية للالتزام بالقوانين بكل حذافيرها، بل إن البعض يرى في بعض الحالات أن تجاهل القوانين أكثر انسجاماً مع رغباته. وهذا ما يفرض على الحكومة أن تكون ذات نظرة شاملة وأن تحرص على تطبيق كل القوانين. جاء في رواية صحيحة عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءٍ؛ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالْوَلَايَةِ. قَالَ زُرَّارَةُ: فَقُلْتُ: وَ أَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: الْوَلَايَةُ أَفْضَلُ، لِأَنَّهَا مِفْتَاحُهُنَّ وَالْوَالِي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِنَّ...»<sup>(١)</sup>

و على الحكومة باعتبارها الجهة التي تتكفل بتطبيق أحكام الدين، أن توفر الحريات اللازمة لتحقيق أهداف الدين. ولا ينبغي - طبعاً - النظر إلى المناصب الحكومية كأداة للسلطة الفردية و منطلقاً لاقتناص مآرب دنيوية، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَ لَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

من المفترض أن يكون كلّ هم الشخص من وراء تسلّم أيّ منصب حكومي هو إحقاق الحقّ، وإصلاح الفساد و بسط العدالة والأمن الاجتماعي «لِنُرَى الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَ نُظْهَرَ الْإِضْلَاحَ فِي بِلَادِكَ وَ يَأْمَنُ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَ يُعْمَلُ بِقَرَائِصِكَ وَ سُنَنِكَ وَ أَحْكَامِكَ»<sup>(٣)</sup>. فالحكومة التي تقوم على أساس تطبيق أحكام الدين والقوانين الإنسانية هي حكومة دينية، و عليها أن توفر متطلبات الأمن والعدالة والتقدم لأبناء شعبها. و في ظل مثل هذه الحكومة يعيش الناس في أمن، و لا يأمن في ظلّها أي معتدٍ على حقوق الآخرين.

١- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٨ و ١٩، الحديث ٥؛ راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ١، ص ١٨٨ و ١٨٩.

٢- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٥، ص ٣٦٦؛ راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ١، ص ٣٤٤.

٣- الحرّاني، تحف العقول، ص ٢٣٩؛ راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ١، ص ٣١٣.

و كما ذكرنا سابقاً، إنّ أحكام و تشريعات الدّين الإسلامي الحنيف لا تنحصر في دائرة المسائل العبادية والشؤون الأخلاقية فحسب، بل للإسلام تشريعاته و تعاليمه في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، و في مجال القضاء والحكم و شروط الحاكم والعلاقات الدولية. و حاكم المسلمين معنيّ -طبعاً- بتطبيق هذه الأحكام والتشريعات، و لا يمكن أن يقف إزاءها موقف اللامبالاة.

### أنواع الحكومات، والحكومة الدينية

جَرَّب الإنسان طيلة تاريخ حياته أنواعاً شتى من الحكومات التي يمكن تقسيمها إلى أنواع عدّة تبعاً لهذا المعيار أو ذاك، ولكن يمكن تقسيمها من حيث الطبيعة والماهية العامّة إلى نوعين: الحكم الاستبدادي والمطلق، والحكم الدستوري والمقيّد.

#### أ- الحكم الاستبدادي والمطلق

في ظلّ الحكم الاستبدادي والمطلق، سواء كان فردياً أو جماعياً، تبقى مصلحة الفرد أو الجماعة الحاكمة هي المعيار، و ليس هناك أي قانون أو وسيلة يمكن بواسطتها تقييد ممارسة السلطة السياسية. و مثل هذه الحكومة تعتبر نفسها فوق المساءلة، و غير خاضعة لاستجواب الشعب حول سلوكها.

و من أقسام هذا النوع من الحكم، الحكم الملكي المطلق، والحكم الجمهوري مدى الحياة، و أنواع الحكومات الخالية من أي نوع من الشورى أو المجالس الاستشارية الحقيقية.

للإسلام موقف صريح و قاطع ضد الاستبداد، و هو يحذّر المسلمين من القبول به. و ورد في القرآن الكريم رفض حازم لمنطق العَلْبَةِ و نفي حازم لصفة التجبّر، حيث قال تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾،<sup>(١)</sup> ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾،<sup>(٢)</sup> ممّا يدلُّ على مذمة و رفض

١- سورة الغاشية (٨٨)، الآية ٢٢.

٢- سورة ق (٥٠)، الآية ٤٥.

منطق التسلّط والتجبر. قال عليّ عليه السلام: «ألا وإنّ اللّيب من استقبل وجوه الآراء بفكرٍ صائبٍ ونظرٍ في العواقب». (١) وقال عليه السلام: العاقل هو من يشك على الدوام في صواب رأيه. (٢) ومعنى ذلك أنه لا ينبغي له أن يستبد برأيه، إذ جاء في رواية أخرى أن: «من استبد برأيه هلك». (٣) وهذه المواقف تبين نظرة الإسلام الراضة للاستبداد، سواء كان استبداداً فردياً أو حزبياً أو فتوياً.

إحدى الخصائص واللوازم السلبية للحكم الفردي، الطغيان. فالإنسان غير معصوم من الخطأ عادة، وهو معرّض على الدوام - فيما إذا توفرت بيده مستلزمات القوة - للانزلاق في منزلق الطغيان. وهذا المعنى أكده القرآن الكريم وبيّن أن هذه القاعدة تنطبق على الناس كلّهم: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَىٰ \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَىٰ﴾. (٤)

وهناك في الإسلام حكم قرآني صريح ينهى عن التحاكم إلى الطاغوت، وهو قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾. (٥) وقد كانت سيرة النبي ﷺ وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام من بعده مغايرة تماماً للحكم الاستبدادي.

وفضلاً عن كل ذلك فإنّ العقل يرفض الحكم الاستبدادي الفردي؛ وذلك لأنّ المتطلبات الكثيرة والمتشعبة للمجتمعات البشرية، وسبل تليتها، ليست بالشيء اليسير الذي يمكن أن ينهض به شخص واحد. فالفرد مهما كانت لديه من مقدرة عقلية، لا يمكنه الإحاطة بكل الأمور والقضايا، ولا يمكنه وضع حلول عملية لشتى المشاكل والمعضلات. ويُستدل من مجمل ذلك على أن الحكم الفردي - حتى وإن لم يكن استبدادياً، وكان حكماً دستورياً - يفتقر إلى القدرة والكفاءة، ولا يخلو من نواقص و معاييب.

الملاحظة المهمّة في ما يتعلق برفض الحكم الاستبدادي، هي أن الحكم - تحت أيّة تسمية كان - يُقرّر للآخرين ويتصرّف في شؤونهم. وهذا التقرير والتصرّف إنّما يصح فيما لو

١- الخوانساري، شرح غرر الحكم، ج ٢، ص ٧٣٧، الحديث ٢٧٧٨.

٢- الخوانساري، شرح غرر الحكم، ص ٤٦٤، الحديث ١٨٥١.

٣- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢١ من أبواب أحكام العشرة، ج ١٢، ص ٤٠، الحديث ٦.

٤- سورة العلق (٩٦)، الآيتان ٦-٧. ٥- سورة النساء (٤)، الآية ٦٠.

كان هناك قبول ورضى من أبناء الشعب. في حين أنّ الحكم الاستبدادي يتخذ القرارات و يتصرّف في شؤون الناس من غير استشارتهم ولا الرجوع إلى آرائهم. وبما أنه قائم خلافاً لإرادة الشعب فهو غير مشروع. قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب بعثه إلى شيعته: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ عليّ عهداً فقال: يا ابن أبي طالب، لك ولاء أمتي، فإن ولوك في عافية و أجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم، وإن اختلفوا عليك فدعهم<sup>(١)</sup>.

### ب - الحكم الدستوري

نوع الحكم الذي يكون في مقابل الحكم الاستبدادي والتسلطي، هو الحكم الدستوري. وفي هذا النمط من الحكم تكون المصلحة العامة هي المعيار الأساسي للقرارات، و تمارس السلطة السياسية عملها في ضوء القوانين الموضوعة لها. و وفقاً لهذا المبدأ تُعتبر الحكومة بمثابة أمانة يفوضها الشعب إلى الحُكّام. و على هذا الأساس فالحُكّام منتخبون من قِبَل الشعب و مسؤولون أمامه.

أمر الله تعالى النبيّ محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الكريم قائلاً: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(٢)</sup>. فعندما يكون النبيّ، مع عصمته، مُلزماً بالتشاور في ما يتّخذ من قرارات، تتضح لنا حينذاك أهمية الحكم الجماعي، و ندرك المراد من الآية الشريفة: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>. البلدان التي تبني فيها الحكومة قراراتها على الشورى والتشاور و استناداً إلى القرآن والسنة و وفقاً لما يحكم به العقل، فمعنى ذلك أن الحكومة هناك إسلامية. إذًا، فالحكومة الدينية هي تلك التي تحكم وفقاً لدين الله و من خلال التشاور مع الجميع و خاصة العلماء و أهل الاختصاص والخبرة. والحُكّام فيها منفّذون لآراء الشعب و أحكام الشريعة.

أمّا في الأمور العقلية التي ليس للشريعة المقدّسة حكم قطعي فيها، فالمعيار الذي تتبناه الحكومة هو رأي أكثرية الشعب أو نوابهم و علمائهم: «ثمّ أمضٍ ما يجتمع عليه اقاويل

١- ابن طاووس، كشف المحجّة، ص ١٨٠. وللإطلاع على مزيد من المعلومات حول أدلّة شرط انتخاب الحاكم، راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ١، ص ٤٩٣-٥١١.

٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٥٩. ٣- سورة الشورى (٤٢)، الآية ٣٨.

الفقهاء بحضرتك من المسلمين...»<sup>(١)</sup> لأنّ ترجيح رأي الأقلية على الأكثرية غير معقول، وجاءت في أقوال المعصومين عليهم السلام أيضاً دعوة للأخذ برأي الأكثرية و ترك رأي الأقلية.<sup>(٢)</sup>

### ج - الحكم الديني الدستوري

ذكرنا أن الإسلام يرفض الحكم المطلق بما يعنيه من عدم التزام الحُكّام بالقوانين الإلهية والمواثيق البشرية، ممّن لا يهتمهم سوى تنفيذ الرغبات العابرة والنزوات الطائشة للحُكّام أو لفئة من الشعب.

و في مقابل الحكم المطلق يأتي الحكم الدستوري الذي يتضمّن معنى الالتزام بالقوانين والمواثيق الرسمية. فقد كان سول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام يشاورون الناس، امتثالاً لما ورد في القرآن من دعوة إلى مشاورة الناس في أمورهم. و من الطبيعي أنّ كل الشروط التي يتضمّنها الحكم الدستوري من فصل بين السلطات، وتحديد الصلاحيات، لأبّد و أن يسري مفعولها على حكومة غير المعصوم. و هذا يعني أن الحكم الديني حكم جماعي و دستوري.

### خصائص الحكم الديني

يمكن تلخيص الخصائص التي تتصف بها الحكومة الدينية بما يلي:

١- بما أن النصب العام للفقهاء في زمان الغيبة (غيبة الإمام المعصوم) مُنتفٍ في مقام الثبوت والإثبات، فهذا يعني أن الحكم الإسلامي في هذا الزمان مُنتخب، و يفوّض إلى أبناء الشعب حق تقرير مصيرهم السياسي، و انتخاب الحاكم من بين من تتوفر فيهم الشروط اللازمة للحُكم.

٢- أن شكل الحكم الديني و كيفية انتخاب الحاكم، و شروط و خصائص المُنتخبين، من الأمور غير المنصوصة، و قد تركها الشرع للعقلاء، و هي خاضعة لظروف و مقتضيات كل عصر.

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢٥٢.

٢- راجع: الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٩ من صفات القاضي، ج ٢٧، ص ١٠٦، الحديث ١.



٣- الحكم الديني معاقدة و معاهدة لازمة بين الأمة والوالي و تؤيده الشريعة. والشعب بصفته أحد طرفي هذا العقد يستطيع تضمين هذا العقد اللازم عن طريق مجموعة من الشروط والقيود على الحاكم.

٤- يمكن للشعب تعيين مدّة لرئاسة الحاكم أو الحُكّام ضمن هذا العقد اللازم. وفي هذه الحالة و بعد انقضاء المدّة المذكورة، لا يبقى للحاكم أية مشروعية دينية أو سياسية، إلا إذا مدّدها الشعب؛ بمعنى أن ينتخبه مرة أخرى.

٥- مثلما يحق للشعب انتخاب الحاكم، يحق له عزله أيضاً، فيما إذا فقد الشروط اللازمة للحكم أو أخلّ بالتزاماته.

٦- الحالات التي لا يوجد في الشريعة نص معيّن عليها، يُقدّم رأي الأكثرية على رأي الأقلية، ولكن لا يجوز للأكثرية هضم حقوق الأقلية والتضييق عليها. ولا بدّ من الانتباه إلى أن تغليب رأي الأكثرية على رأي الأقلية لا يعني الكشف عن الحقيقة، وإنما هو إجراء يُتخذ عند التزاحم والتعارض من أجل الحفاظ على النظم الاجتماعي.

٧- في ظل الحكم الديني يجب أن يرى كل الحُكّام أنهم مسؤولون، و يحق لأبناء الشعب استجوابهم والإشراف على عملهم - عن طريق المؤسسات الشعبية التي تنشأ لهذا الغرض - كما يحق للشعب انتقاد الحُكّام، بل إن هذه الممارسة تأتي من باب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» و «النصيحة لأئمة المسلمين». و على هذا الأساس يحق لأبناء الشعب تأسيس أحزاب سياسية وإصدار صحف مستقلة.

٨- لا يحق للحكومة الإسلامية التدخل في الشؤون الشخصية والخصوصية للناس، أو فرض أساليب و أنماط عيش معيّنة عليهم. والناس في مثل هذه الأمور والمجالات أحرار، ما لم يضرّوا بحقوق المجتمع و أفراده. و واجب الحكومة فقط رسم الخطوط العريضة للحياة، والتوجيه، و توفير متطلبات الحياة اللازمة للجميع، في إطار ما توجبه الشريعة و مصلحة المجتمع.

٩- على الحاكم الإسلامي - بعد ما ينتخبه الشعب لإدارة المجتمع - أن يجتنب الاستبداد برأيه، و إنّما عليه أن يمارس الحُكم على أساس التشاور و تبادل الآراء. و بعد التشاور

يكون المعيار هو ما يستقر عليه رأيه، و يكون هو المسؤول عنه، و لكن يمكن في الدستور تضمين شرط في العقد، يلزمه في بعض الحالات بالأخذ بالرأي الاستشاري لذوي الاختصاص.

١٠- القضاء واستنباط الأحكام من المصادر الشرعية يقع على عاتق المجتهدين، و لكن يمكن الاستعانة بآراء الشعب في السلطات الثلاث مع رعاية الضوابط الشرعية.

### الاستفادة من التجارب البشرية في الحكم

أمر الله تعالى النبي ﷺ في القرآن بمشاورة الناس: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(١)</sup>. و هذا يعني أن بقية الناس والحكام أولى و أجدر بهذا العمل حتى و إن كانوا على درجة عالية من النبوغ. و قد يعترض البعض و يقول: إنه لو كانت الشورى و الانتخاب من قبل الأمة مصدرًا للولاية شرعاً، لكان على الشريعة الإسلامية تنقيف الأمة و تنويرها بالنسبة إلى هذا الأمر، و بيان حدوده و شرائطه و كفياته. و يمكن أن يُجاب على هذا الاعتراض بالقول: أولاً- و ردت توصيات حول مبدأ التشاور و أطراف المشاورة. ثانياً- من ميزات الدين الإسلامي عدم تحديد الشورى و الانتخاب بحسب الكيفية، و عدم مواصفات الناخب كما و كيفاً و غير ذلك، و عدم صوغهما في قالب معين، حيث أراد الشارع بقاءها إلى يوم القيامة و انطباقها على مختلف الأعصار.<sup>(٢)</sup> و بالإضافة إلى ذلك، فإن أسلوب القرآن هو عدم الدخول في التفاصيل و الجزئيات، فالقرآن لم يتطرق إلى بيان الجزئيات حتى في الأحكام العبادية مثل الصوم و الصلاة.

لقد طرح الإسلام مبدأ الشورى و لزوم التشاور، و لكنّه ترك كيفية ذلك إلى عقلاء كل قوم و في أي زمان، و الغاية هي توظيف ثمرة العقل الجماعي لصالح المجتمع الإسلامي. و لاشك في أن تجاهل التشاور ظلم للأمة.

أمّا الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى و استقاء العبر من تاريخ الأقاليم المختلفة فهو

١- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٥٩.

٢- لمزيد من التفصيل، راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ١، ص ٥٤٨ فما بعدها.

مما أكّدت عليه الشريعة المقدسة. وهذا ما يستلزم طبعاً دراسة تاريخ الحضارات البائدة والحاضرة، والتنقيب في الجوانب السلبية والإيجابية فيه. فالتجارب البشرية تكشف لنا أن حُبَّ التسلُّط من الغرائز التي لا تعرف الحدود، وفيها من المغريات أكثر ممّا في غيرها، وهذا ما يجعل منها خطراً يفوق غيره من المخاطر. ولذلك يجب اتّخاذ كل التدابير الوقائية لكبحها والسيطرة عليها، ومن جملة ذلك الفصل بين السلطات، وحرية الصحافة، وتحديد مدّة معيّنة لها، وغير ذلك من الإجراءات والأساليب التي كشفت عنها التجارب البشرية. ومن ناحية أخرى، لدى الشعوب المتقدّمة في عالم اليوم تجارب يمكن أن تكون ذات فائدة للدول المتخلّفة. وهذا يستلزم طبعاً الأخذ بأساليبهم ومناهجهم مع رعاية القيم والخصائص الثقافية.

### الفصل بين السلطات

من التجارب البشرية المفيدة هي فكرة الفصل بين السلطات، وعدم تركيز السلطات كلّها بيد شخص واحد. ومع أن رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين عليه السلام كانا يجمعان في أيديهما منصب الإفتاء (التشريع)، والتنفيذ، والقضاء، ولكنهما كانا معصومين، إضافة إلى أن الحكومة كانت بسيطة وبعيدة عن التعقيد الذي تتصف به الحكومة في الوقت الحاضر. وتركيز السلطة بيد غير المعصوم يؤدي إلى الفساد عادة. وأفضل الحلول لمعالجة مشكلة الاستبداد وإدارة شؤون البلاد على نحو سليم، هو أن يتم الفصل بين السلطات، بحيث تكون كل واحدة من السلطات مستقلة ولها طاقاتها ومقدّراتها - وفقاً لما يرسمه القانون ورأي الشعب - ولا تتدخل أي منها في عمل الأخرى.

ولاشكّ في أنّ إشراف كل واحدة من السلطات على الأخرى، واستقلال كل واحدة منها عن الأخرى يأتي بنتائج طيبة للمجتمع، ومن تلك النتائج تقليص النفقات بسبب تحاشي تكرار الأعمال. ثم إنّ كل واحدة من هذه السلطات تستمد مشروعيتها من إرادة الشعب، وهناك علاقة منطقية بين مناصب الأفراد ومسؤولياتهم أمام أبناء الشعب، وبالنتيجة يحترز الحكّام من النزعة الذاتية التي تتعارض عادة مع إرادة الشعب، إضافة إلى ذلك يترسّخ

الانسجام بين الشعب والحكومة.

و أما السلطة القضائية فإنّها إذا كانت مستقلة عن الحكومة فستكون ملاذاً لكل من يشعر بالغبن. و هناك ينبغي أن يتساوى الحاكم مع غيره من أبناء الشعب في الدعاوى وإعطاء كل ذي حق حقه، ليشعر الناس كلهم بالاستقرار والأمن النفسي.

و لاشكّ في أنّ أحد السُّبل الكفيلة بمنع وقوع الفساد هو التوزيع السليم للمقدّرات بين أبناء الشعب، والتوزيع الصحيح هو أن لا يوضع أي فرد أو فئة في موضع يجعله يشعر بالطغيان؛ إذ ليس من الصحيح توفير كل موجبات الطغيان و أسبابه و لوازمه لشخص ثم يُطلب منه العفاف والورع والزهد و عدم ممارسة سلطته المطلقة. فالشأن الاجتماعي لا يبنى على الاحتمالات الضعيفة، و على الاستثناءات. بل لا بُدّ من إتخاذ التدابير العملية لتلافي الفساد والطغيان، لكي تنتفي موجباته و دواعيه من الأساس.

و يتّضح من خلال النظرة العامّة، و في ضوء نظرية الانتخاب في الحكم الإسلامي - في زمان غيبة المعصوم - يحق للشعب أن يبايع الحاكم وفقاً لعقد معيّن، و وضع أي شرط لا يتعارض مع الشريعة، و على الحاكم أن يلتزم بما يشترطه عليه الشعب. و من جملة ذلك يمكن للشعب تضيق صلاحيات الحاكم أو توسيعها، و فصل المناصب السيادية و توزيعها على عدّة أشخاص، أو تعيين مدّة محدّدة لبقائهم في السلطة، أو إيكال مهمة الإشراف على القوانين إلى شخص، و إيكال مهمة تطبيقها إلى شخص آخر، أو اختيار شكل آخر لحكومتهم الدينية.

و على هذا الأساس يمكن أن تكون للحكومة الدينية أشكال شتى بما يتناسب مع متطلّبات كل زمان.

## الحكومة: وكالة أم ولاية

### أ - الوكالة، عقد جائز

الوكالة اصطلاحاً عبارة عن عقد جائز يُبرم بين الموكل والوكيل، و على أساسه تُفوض إلى الوكيل صلاحيات من الموكل لكي يمارسها نيابة عنه. و هذا التفويض يسمح طبعاً

للموكل بممارسة الإجراءات نفسها في ما يخص مورد الوكالة؛ بمعنى أن هذا العقد لا يسلب الحق من الموكل، ويحق لكل واحد منهما القيام بالعمل في ما يخص مورد الوكالة، ومتى ما شاء الموكل يمكنه عزل الوكيل وسلب الصلاحية منه، ولكن قلماً يشاهد وجود مثل هذه العلاقة في سياقات عمل الحكومة؛ إذ غالباً ما يحصل الوكلاء من موكلهم على حق ممارسة دورهم، بدون أن يكون للموكلين حق عزلهم - طيلة مدة التوكيل أو النيابة - أو يكون لهم حق ممارسة دورهم في مورد الوكالة.<sup>(١)</sup>

المناصب الحكومية التي فوضها ويفوضها أبناء الشعب لنوابهم، تتخذ في الحقيقة حالة تختلف عن الوكالة باصطلاحها الشرعي، و تتشابه معها في الاسم فحسب. فالانتخابات أو مبايعة الحاكم وإن كانت تعني توكيل الأمور و تفويضها إلى شخص آخر، غير أن هذا يختلف اختلافاً أساسياً عن مسألة الوكالة، و يبدو أنه لا يمكن اعتبار قضية الحكومة نوعاً من أنواع الوكالة.

إذا اعتبرنا أي نوع من تفويض الاعمال للآخرين و كالة، فهذا المعنى يشمل أيضاً الإجارة واستخدام الأجير والعايل لإنجاز الاعمال الشخصية، في حين أن الرأي الفقهي لا يقصد هذا النوع من التوكيل طبعاً. و هذا الاختلاف موجود في تفويض الشؤون الاجتماعية أيضاً.

#### ب - الحكومة، عقد لازم

إن طبيعة الحكومة تقتضي اللزوم والثبات؛ وإلا لا يتسنى إقرار النظم الاجتماعي. و لهذا فإن الطريقة الأساسية وربما الوحيدة في سيرة العقلاء وتاريخ الحكومة هي اعتبار العلاقة والقوانين ذات الصلة بالحكومة والشعب أموراً إلزامية.

والعقود اللازمة قد تكون دائمية، تارة، و قد تكون مؤقتة تارة أخرى، و قد تكون مطلقة حيناً و مقيدة حيناً آخر؛ أي لا يمكن إلغاء العقد بدون دليل و مستند قانوني، و يكون

١- في الحكومة الدينية يثبت هذا الحق للحاكم طالما لم يفقد الشروط اللازمة لتولي المسؤولية، و مادام ملتزماً بمفاد مبايعة الشعب له.

الطرفان ملزمان بمفاد العقد و مستلزماته.

رجال الحكومة يجب أن يتمّ انتخابهم من قبل أبناء الشعب - بشكل مباشر أو غير مباشر - و حكم الناس بدون رضاهم عمل غير مشروع. في الماضي كانت هناك استثناءات في أصل الانتخاب، و هو أن الله عزّ وجلّ كان يصطفي الصالحين للحكم، و لكن موافقة الناس و رضاهم كان سبباً لتحقيق إرادة الله، بحيث إنهم إذا كانوا لا يرتضون الحاكم، فإنّه لا يصل إلى سدّة الحكم. جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾. (١) و هذا كان يتعلّق ببني إسرائيل و جاء في أعقاب إخفاقهم في الوصول إلى نتيجة في انتخاب حاكم، و تتحقّق بعد رجوعهم في هذا الأمر إلى نبيّهم، و قد عُرضت لهم الأدلّة الموجبة لتفضيله على سائر الناس و هي أنه: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾. (٢) و في غدیر خم طُرحت هذه القضية أيضاً، و عُيّن أمير المؤمنين عليه السلام بأمر الله إماماً للمسلمين، من قبل النبيّ ﷺ، و أخذت منهم البيعة له. و هذا العقد الإلهي تحقّق في الواقع الخارجي من خلال بيعة الناس لبسط الحكم الإسلامي في العالم على يد أمير المؤمنين عليه السلام و أولاده الطاهرين، و لكن بعد رحلة النبيّ ﷺ نُقِضت بيعة الغدير بتحريك سياسي، و على أثر ذلك تصدّى آخرون لأمر الحكومة.

### ج - الولاية مستقاة من العهد والميثاق

في بحث الحكومة، تعني الولاية: الإمارة والرئاسة الظاهرية، والتصدي لمناصب حكومية رسمية. إنّ التصدي لشؤون الحكومة - و هو أمر يعود لأبناء الشعب أنفسهم و يُفوض إلى أفراد معيّنين انطلاقاً من ضرورة الحياة الاجتماعية و تعدّد تصدي جميع الناس للأعمال الاجتماعية - لا يحصل من دون توافق و التزامات متبادلة و لو أن أحداً تصدّى لأمر الحكومة بدون موافقة الشعب، و لم يتخذ الشعب أي موقف معارض له، يكون ملزماً عقلاً و عرفاً بالالتزامات و الشروط العامّة للحكومة الصالحة، حتى وإن لم يكن هناك عقد رسمي. و بعبارة أخرى: إنّ الحكومة نفسها بصفتها سلوكاً عقلياً تستلزم مجموعة من الشروط،

١- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٤٧.

٢- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٤٧.

ويمكن تضيقها أو توسيعها في عقد رسمي. ولذلك هناك في ولاية القضاء أو ولاية الإفتاء أو ولاية التنفيذ، شروط عرفية و عامة وعقلية إلى جانب شروط العقد (الشرعية أو العقلية)، وهي التي تعين واجبات المتولين.

و أمّا قولنا: إنّ الولاية المنبثقة من عهد و ميثاق أو من عقد لازم التنفيذ، فمعنى ذلك أنه لا يحق لأحد التخلف عن العقد، سواء كانت عقود الشريعة المقدسة مع الشعب، أو بعقود بشرية وضعية صرفة، و حقوق الحكام والشعب -فضلاً عن الموارد التي عينها الله- إنّما تكون بناءً على ما يرضيه و يقرّه الطرفان.

في الحكومة الدينية لأبّد من رعاية المستلزمات العقلانية للحكومة، و منها ضرورة رضا الشعب و قبولهم العملي؛ و ذلك لأن الحكومة أمر تبعي و ليس أصلياً، و المعيار الأصلي لها ممارسة حق سيادة الشعب، و لا يمكن تحقيق سيادة الشعب بالقوة والإكراه.

سيرة العقلاء في كل العصور والبلدان مبنية على الدوام على أساس أنه توضع في كل منطقة مجموعة من الأنظمة والقوانين بهدف إيجاد النظم الاجتماعي، و تأمين المصالح العامة و منع الاعتداء و الظلم، ثم يختارون الفرد أو الأفراد الصالحين من بينهم لتطبيقها. و هذا يعني أنه يُبرم بينهم و بين ذلك الفرد أو الأفراد عقد اجتماعي. و نلاحظ أنّ القرآن و السُنّة قد أقرّا هذه السيرة و أمضاها استناداً إلى مفاد الآية الشريفة: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(١)</sup> و ﴿أَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾<sup>(٢)</sup> و بهذا تثبت مشروعية هذا العمل. و معنى هذا الكلام أن أمر الحكومة ليس أمراً شرعياً أو أن الشريعة قد أسسته، و إنما هو أمر عرفي و عقلائي و شأنه شأن سائر العقود الاجتماعية. و أصبح متداولاً بين الناس بسبب الضرورة والحاجة، و لم ترفضه الشريعة المقدسة.

و عندما ينصب الله أشخاصاً لأمر الحكومة -كالأئمة المعصومين عَلَيْهِ السَّلَام- تجب على الناس طاعتهم، و يصبح حكم غيرهم فاقداً للشرعية. و في زمان عدم وجود الإمام المعصوم وُضعت للحاكم المُنتخب مجموعة من الشروط التي يجب أن تتوفر فيه رعاية للمصالح العامة، و يجب على المنتخبين إحراز توقرها فيه.

١- سورة المائدة (٥)، الآية ١.

٢- سورة الاسراء (١٧)، الآية ٣٤.

## د - البيعة و دورها في شرعية الحكومة

«البيعة» و «البيع» مترادفان من حيث المعنى اللُّغوي، ولكن أُطلقت كلمة البيعة اصطلاحاً، على العقد الذي يُبرم بين الناس والحاكم. و مثلما يفعل الناس في عملية البيع والشراء، و يتفحصون و يدققون في الأشياء التي يريدون شراءها، ثم يتوافقون على أسعارها، ثم يجرون عقد البيع والشراء برضى و توافق، و إذا أرادوا وضع شروط أخرى، فإنهم يدرجونها في العقد، و هكذا تجري الأمور في البيعة بين الناس والحاكم أو الحكّام. الفارق الوحيد بين ما كان يسير عليه الماضون، و بين ما هو سائد اليوم، هو كيفية البيعة. ففي الماضي كانوا يضعون أيديهم في أيدي الحكّام و يضغطونها كدلالة على البيعة. أما اليوم فتتم البيعة عن طريق الانتخابات والتصويت لمن يرشّحون أنفسهم للانتخابات، وفقاً لمجموعة من الشروط القانونية المتفق عليها كالدستور مثلاً.

و من الطبيعي أن الحكم يتوقف على انتخاب الشعب و موافقته. بل حتى الصالحون الذين ينصبون من قبل الله إذا لم يرتضهم الناس لا يمكنهم إقامة حكومة. نذكر على سبيل المثال أن النبي ﷺ عندما كان في مكة لم تتوفر له الظروف لإقامة حكومة، ولكنه بعدما التقى في العقبة الثانية بثلاثة و سبعين من رجالات أهل المدينة في موسم الحج، و قرأ عليهم مجموعة من آيات القرآن الكريم و دعاهم إلى الإسلام، استجابوا له، و قال لهم: «أبايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم و أبناءكم» فبايعوه على ذلك ثم أنّهم اختاروا بأمر النبي من كبارهم اثني عشر رجلاً ليضطلعوا بدور الإشراف على الآخرين، و يكونوا حلقة وصل بينهم و بين النبي. و هذه البيعة مهّدت لإرساء أسس حكومته في المدينة، و كانت في الواقع بمثابة عقد اجتماعي بينه و بين أهل المدينة. و بعد دخول النبي ﷺ إلى المدينة أبرمت عهود مع يهود المدينة من أجل التعايش السلمي معهم و رعاية حقوقهم. و بعد ما فتح النبي مكة و بايعه الرجال فيها، طلبت النساء البيعة أيضاً، و ارتضى النبي بيعتهنّ.

و حصل مثل هذا في حكومة أمير المؤمنين عليّ أيضاً؛ أي رغم أن النبي ﷺ كان قد



طرح خلافة عليّ عليه السلام في مواقف متعددة، غير أنه بعدما نصبه بأمر الله تعالى للخلافة في غدیر خم، أمر الناس بمبايعته، فبايعوه.

و بعد مقتل عثمان، هرع الناس إليه و بايعوه و قبلوا حكومته. و قد أشار هو عليه السلام عدّة مرّات إلى بیعة الناس له، واحتجّ بها.<sup>(١)</sup>

و قد ورد في روايات كثيرة أنّ الإمام المهدي (عج) بعدما يظهر، يبايعه الناس، ولو لم يكن للبيعة تأثير في تحقيق الحكم، كما كان كلّ هذا التأكيد عليها من قبل النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام، و كما أخذها القرآن بنظر الاعتبار.

و لما امتنع الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام عن قبول حكومة يزيد بن معاوية و عن مبايعته -و هو ذلك الموقف الذي انتهى به إلى ثورة عاشوراء- قال في كلام له: «مثلي لا يُباعُ مثله».<sup>(٢)</sup> ولو لم يكن للبيعة إزام شرعي، كما كان سيد الشهداء قد رفضها كل ذلك الرفض.

و نشير أخيراً إلى أن تحقيق الحكومة في الواقع الخارجي في زمان غيبة الإمام المهدي (عج) يتوقف على رضا الناس عن الحاكم و انتخابهم له، و لكن هذا لا يعني أن كل حكومة يرتضيها الناس، حكومة مشروعة في نظر الدّين. فبحكم الشرع والعقل يجب أن تتوفّر في الحاكم شروط خاصة. و من الطبيعي أن الحكم يدوم فيما إذا لم يكن ظالماً و يرعى حقوق الناس، حتى وإن كان الحاكم كافراً. و هذا ما استجلاه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «الملك يبقى مع الكفر و لا يبقى مع الظلم».<sup>(٣)</sup>

### القيد الزماني للمناصب الحكومية

في الماضي، و حتى قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام كان هناك حكّام يستمر حكمهم مدى الحياة، و كانت هناك أيضاً حكومات توكل المناصب والمسؤوليات للأفراد لمدد محدودة،

١- يمكن في هذا الخصوص الرجوع إلى خطب نهج البلاغة، خاصة الخطب ٣، ٨، ٣٤، ١٣٧، ١٧٢، ٢١٨ و ٢٢٩

٢- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٥.

٣- وردت هذه الرواية بهذا المضمون بكثرة في المصادر الشيعية، و لكن وردت بهذا التعبير في كتاب الغزالي، نصيحة الملوك، ص ٨٢.

ثم توكل بعد انتهاء المدّة إلى غيرهم. وفي أكثر الحكومات في عالم اليوم تحدد مدّة زمنيّة معيّنة للأفراد الذين يتسلّمون مناصب مثل رئاسة الجمهورية، ومجلس النواب وحتى القضاء.

و ليست هناك في مصادرنا الدينية دلالات صريحة -بشأن غير المعصومين- حول مدّة الحكم والسلطة وهل تكون دائميّة أم مؤقتة. ويبدو أن هذا الأمر متروك لفهم عقلاء كل قوم، ليقرروا أفضل السُّبُل على أساس مصالح وتجارب البشر. ولا تخفى اليوم أفضلية ورجحان تحديد مدّة التصدي للحكم، على الحكم مدى الحياة، وذلك من أجل أن يكون من الممكن استبدال الحُكّام في حالة مخالفتهم للدستور، بحكّام أكفأ وأصلح، ولكن عندما يكون تولّي الحاكم للحكم مدى الحياة، يضمن هذا الاحتمال كثيراً، وكثيراً ما يميل الحاكم إلى الاستيلاء على كل مراكز القوّة، ويفرض عليها سلطته. ومن الطبيعي أن عزل مثل هذا الحاكم ليس بالأمر الهين فكثيراً ما يلحق بالمجتمع خسائر فادحة.

### السُّبُل القانونيّة لعزل الحاكم

بما أن الناس غير معصومين، ومعرّضون لكثير من الأخطاء في حياتهم الفرديّة والاجتماعيّة، فلا بد من البحث عن سبيل لعزل من ينبغي عزله عن السلطة والحكم، بشكل لا يؤدي إلى إثارة الفوضى، من جهة، ويؤدّي من جهة أخرى إلى إغلاق طريق الاستبداد والتفرد بالسلطة.

فمع أن خروج الحاكم عن الدستور وعن قبول الشعب له، وفقدانه الأهلية الشرعيّة والقانونيّة، يجعله غير مؤهل للاستمرار في الحكم، لا بدّ من وجود طريقة قانونيّة لعزله عن الحكم. فإذا رفض الحاكم التخلّي عن السلطة، لا بدّ أن تكون مفاصل الحكم موزّعة على نحو يتيح ممارسة عملية العزل عند الحاجة إليها.

إن ما ورد في التعاليم الدينية، سواء كانت آيات أم روايات، حول الكيفية التي ينبغي أن يكون عليها سلوك الحُكّام، أو الحالة التي يُفترض أن يكون عليها موقف الشعب إزاءهم، غالباً ما يتركّز حول مفاد ما ورد في حديث نبوي شريف وهو: «إِذَا خَالَفَ الْأَمِيرُ أَمْرِي،

فَاجْعَلُوا مَكَانَهُ مَنْ يَتَّبِعُ أَمْرِي»<sup>(١)</sup>.

عندما ينهى القرآن عن قبول حكم الطاغوت: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾<sup>(٢)</sup> أو يرفض تسلط منكري الحق والحقيقة على المسلمين تحت قاعدة «نفي السبيل» التي ترسمها الآية الشريفة ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup> أو حينما تتحدث الروايات عن تعذيب من يحجبون حق مؤمن «مَنْ حَبَسَ حَقَّ الْمُؤْمِنِ... ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِهِ إِلَى النَّارِ»<sup>(٤)</sup> فهذا في الحقيقة يبين للناس سبيل بقاء أو نفي هيمنة أصحاب القدرة على شؤون الناس.

و على هذا الأساس لا بد أن يؤخذ بالحسبان أسلوب حل عملي و قانوني في العقد الرسمي للحكومة (الدستور) لعزل الحكام. و من الطبيعي أن تحديد التصدي للمناصب بمدة معينة يمثل طريقاً للحل لتخلص الشعب من السلطة الفردية التي تخرج عن المسار الصحيح، ولكن ينبغي أيضاً أن يؤخذ بنظر الاعتبار سبيل للعزل قبل الموعد المقرر فيما إذا اقتضت الضرورة ذلك، لكي تجري هذه العملية بلا تبعات سلبية أو أضرار اجتماعية. أما كيفية الوصول إلى الوضع المطلوب فينبغي انتزاعها والعمل بها في ضوء معطيات التجارب البشرية، ولكن النصوص والأحكام الدينية قد بينت أيضاً الحالات التي ينبغي فيها تجريد الحاكم من صلاحياته، و منها نقض العهد، و فقدان الشروط اللازمة للمسؤولية، و المخالفات الحقوقية و الجزائية و ما شابه ذلك. و بعض هذه الحالات تابعة للقانون و للشروط التي توضع حين الانتخاب.

### شروط الحاكم

الجهة التي تثبت الشروط المعتبرة في الحاكم، العقل والنقل (يشمل الكتاب والسنة). ولا شك في أن الشروط العامة للحاكم مشتركة لدى جميع الشعوب والدول. وإذا كان هناك

١- المُنْفِي الهندي، كنز العمال، ج ٥، ص ٧٩٨، الحديث ١٤٤١٥.

٢- سورة النساء (٤)، الآية ٦٠.

٣- سورة النساء (٤)، الآية ١٤١.

٤- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٦٧، الحديث ٢.

أيُّ فارق بينها في هذا المجال فهو لا يتعدى الشروط الخصوصية. وقد سبق ذكر بعض هذه الشروط في الجانب الاخلاقي عند شرح أخلاق المسؤولين، ولكن توضيح بعضها الآخر مفيد هنا. وقد ذهب عقلاء العالم إلى اعتبار عدّة شروط يلزم توفّرها فيمن يتصدّون لمناصب حكومية، وهي العقل والتدبير، والتخصص في علم يرتبط بمسؤوليتهم، والكفاءة التنفيذية، والمقدرة الجسمية والنفسية، والأمانة، والعدالة. وهذه طبعاً من الأمور العقلية التي يدرك كل عاقل أنّها يجب أن تتوفر في الحُكّام، ولا حاجة لأمر شرعي في هذا المجال. وهناك شروط أخرى ترى الشريعة المقدسة ضرورة توفّرها فيمن يحكم المسلمين، لتكون مدعاة لمزيد من وثوق الشعب بالحاكم وذوي المناصب، وهي:

#### أ- الإسلام والإيمان

وهذا شرط وضعه الدّين بالنسبة إلى من يتولّى حكم المسلمين، وهو أن يكون مسلماً ومؤمناً بالدين وأحكامه، ولا يتصدّى لهذا المنصب من لم يكن مؤمناً. جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾<sup>(١)</sup> وجاء في آية أخرى من القرآن أيضاً: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولاشكّ في أنّ هذا الشرط أساسي، ومن غير المنطقي أن يتصدّى غير المؤمن لمنصب حكومي مع وجود أناس متدينين. وإذا كان الإيمان شرطاً في مناصب اجتماعية صغيرة مثل إمامة الجماعة، فمن الأولى أن يؤخذ هذا الشرط بنظر الاعتبار في مناصب اجتماعية أكبر وأهم.

وفضلاً عن ذلك، هناك شروط أخرى لا بدّ منها لبعض المسؤوليات كظاهرة المولد، وقد وردت في النصوص الدينية، ويؤدي توفّرها في الحاكم إلى مزيد من ثقة أبناء الشعب بالحكومة الدينية.

٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ٢٨.

١- سورة النساء (٤)، الآية ١٤١.

## ب - النضوج العقلي

بغض النظر عن الدليل العقلي وسيرة العقلاء، تؤكد النصوص الدينية على لزوم النضوج العقلي للحاكم، وعدم إيكال الأمور إلى السفيه أو الضعيف العقل. قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾<sup>(١)</sup>. فمن الواجبات الأساسية للحاكم توفير و توزيع المقدرات المالية والاقتصادية. ومن الواضح أن الأمن والكرامة أثن من المستلزمات المادية. ولهذا فمن الأولى أن لا تجعل بيد السفهاء.

روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لَا يَكُونُ السَّفِيهُ إِمَامَ التَّقِيِّ»<sup>(٢)</sup>.  
و جاء في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ شَرًّا وَلَّى عَلَيْهِمُ سَفَهَاءَهُمْ...»<sup>(٣)</sup>.

و بين أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له أن المراد من العقل ليس العقل العام؛ وذلك لأنَّ ضرورته من البديهيات، و إنما المراد، النضوج العقلي، أو العقل المتكامل القادر على إدراك الأمور المعقدة، و على التدبير الحكيم: «لَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَ لَكِنَّ الْعَاقِلَ مَنْ يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرِّينَ»<sup>(٤)</sup>. العاقل هو من لا يتوقف في حياته الاجتماعية عند مفترق طريقين، و إنما يسلك الطريق العقلاني في خضم حركة المجتمع حين يضطر إلى مجاراتها.

و في مجال الحكومة تحصل حالات كثيرة، يُرغم المرء فيها على الاختيار بين الضرر القليل، والضرر الكثير، مع الانتباه إلى أن أي إهمال أو تساهل يلحق ضرراً فادحاً بالدين والدولة. والحاكم الذي يرتضيه الدين هو من يستطيع إدراك الأمور المعقدة والدقيقة. و هذا ما يعبر عنه باسم النضوج أو البلوغ العقلي، أو حسب تعبير القرآن: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾<sup>(٥)</sup>.

١- سورة النساء (٤)، الآية ٥.

٢- الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٧٥، الحديث ٢.

٣- المُنْقِي الهندي، كنز العمال، ج ٦، ص ٧، الحديث ١٤٥٩٥.

٤- المجلسي، بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٦، الحديث ٥٨.

٥- سورة يوسف (١٢)، الآية ٢٢.

## ج - حُسن التدبير والسياسة

هناك بؤن شاسع بين الأعمال الحكومية من حيث سعة مجال المسؤولية الاجتماعية، وبين الأعمال الفردية. وكلما كانت الجماعات تحت سلطة أوسع، يكون وضع الخطط أصعب، و تنفيذها يتطلب مزيداً من الدقة والبحث، وتكون الأرقام أضخم، ومديات التعديل والموازنة أدق، وترتيب الأمور أعقد، وإدارتها أصعب. ومن الواضح أن أصحاب المناصب الحكومية لا يستطيعون، من دون تدبير و أنظمة صحيحة، إدارة شؤون المجتمع على نحو منظم و متطور، و ضمان سعادة و كمال أبنائه. و حتى لو كانت كل القطاعات الاجتماعية تؤدي عملها بشكل جيد على نحو انفرادي، مع انعدام النظم و التدبير و الانسجام الصحيح على الصعيد العام، فمن المؤكد أن ذلك المجتمع ينحدر نحو الهبوط، و لا يذوق طعم السعادة.

أهم الشروط العملية لتسلم منصب حكومي - من الوجهة العقلية و الشرعية - بعد العقل والنسوج، هو حُسن التدبير. فقد يكون بعض الناس ناجحين في أعمال اجتماعية صغيرة أو شؤون فردية، و لكنهم يفشلون في إدارة شؤون اجتماعية كبيرة. قال أمير المؤمنين عليه السلام «سبب التدمير سوء التدبير»<sup>(١)</sup> و قال: «قوامُ العيشِ حُسنُ التَّفْديرِ و مِلاكُهُ حُسنُ التَّدبيرِ»<sup>(٢)</sup>.

حُسن السياسة و التدبير الصحيح يؤدي إلى تماسك المجتمع، و تلاحم أبناء الشعب، و استقرار النظم الاجتماعي: «حُسنُ السِّياسةِ قِوامُ الرِّعية»<sup>(٣)</sup> و حتى لو كان لدى الشعب اقتصادية هائلة، فإنه يقع ضحية للفقر و الانحطاط و التخلف فيما إذا انعدم التدبير، في حين أن حُسن التدبير يرفع الشعوب و يسير بها قُدماً حتى و إن كانت فقيرة. «الْقَليلُ مَعَ التَّدبيرِ أَبْقَى مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ التَّبْذِيرِ»<sup>(٤)</sup> و جاء في حديث أيضاً أن سبب سقوط الدول و زوالها هو سوء التدبير<sup>(٥)</sup> و صرّح بأن «من ساء تدبيره تعجل تدميره»<sup>(٦)</sup>.

١- الآمدي، غرر الحكم، ص ٣٥٤، الحديث ٨٠٨٨.

٢- المصدر السابق، الحديث ٨٠٨٤.

٣- المصدر السابق، ص ٣٣١، الحديث ٧٦١٦.

٤- المصدر السابق، ص ٣٥٤، الحديث ٨٠٧٩.

٥- المصدر السابق، الحديث ٨٠٩٦.

٦- المصدر السابق، الحديث ٨٠٩١.

## د - العلم والإجتهد

أحد الشروط المهمة التي يجب أن تتوفر في الحاكم الإسلامي هو أن يكون لديه علم و تخصص في أحكام الأعمال التي يتكفل بها، بحيث تكون لديه إحاطة تامة بالمهمة الموكلة إليه؛ وذلك لأن الحكم الإسلامي يجب أن يجري على أساس قوانين الإسلام. وهذا طبعاً من الشروط التي يؤكدّها العقل والعقلاء وأقرتها الشريعة المقدّسة؛ و سبب ذلك هو أن تصدي الجاهل و غير الواعي لأية مسؤولية يعدّ عملاً غير حكيم، و يتعارض مع الغاية من وجود الحكومة الإسلامية.

بيّن القرآن الكريم معياراً أفضلية طالوت على غيره في التصدي لزمّام الحكم، حين قال: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾<sup>(١)</sup> و هذه القضية على درجة من الوضوح بحيث إنّ البارئ عزوجلّ طرحها لحكم الآخرين و قضائهم فيها: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

و قد ورد في أحاديث شريفة متعددة كلام مفاده أن من سابق غيره للتصدي لمنصب، وكان بين الآخرين من هو أعلم منه، إنّما يكون سبباً في ضلال الناس و انحطاط المجتمع. وهناك أحاديث أخرى مثل: «مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ نَفْسِهِ وَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ»،<sup>(٣)</sup> و قول رسول الله ﷺ: «مَا وَلَتْ أُمَّةٌ أَمْرَهَا رَجُلًا قَطُّ وَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ يَذْهَبُ سِفَالًا حَتَّىٰ يَرْجِعُوا إِلَىٰ مَا تَرَكَوْا»،<sup>(٤)</sup> تبيّن بكل وضوح مدى اهتمام الدّين بالعلم والتخصص إلى حد أنه اعتبر انحطاطهم ناتجاً عن هذا الإهمال. في الحكومة الإسلامية، لا تنحصر الشروط الأساسية للحاكم في التخصص والاجتهد البسيط، بل يشترط أن يكون هو الأعلّم في الفقه والاجتهد. و من واجب الفقهاء و علماء

١- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٤٧.

٢- سورة يونس (١٠)، الآية ٣٥.

٣- الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٧٥؛ النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ٨ من أبواب جهاد العدو، ج ١١، ص ٢٩، الحديث ٣.

٤- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، المصدر السابق، ص ٣٠، الحديث ٤.

الدين - طبعاً - فيما يخص أمر الحكومة، الإشراف على التنفيذ الدقيق لأحكام الله في المجتمع، وخاصة من قبل أصحاب المناصب الحكومية، وليس من الضروري أن تكون الشؤون التنفيذية في أيدي الفقهاء. ويُفهم من هذا أنّ مناصب الإشراف الأساسية في الحكومة الدينية، لا بُدَّ أن تكون بيد الفقيه الأعلّم - أو شورى الفقهاء الذين يجب أن يكون الأعلّم أحدهم - استناداً إلى آراء أكثرية الشعب للحيلولة دون التخلف عن تنفيذ أحكام الله. وهناك أحاديث كثيرة دالة على هذا المعنى، وقد ورد ذكرها بالتفصيل في كتاب ولاية الفقيه<sup>(١)</sup> وجاء في رواية صحيحة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إنَّ أبي قال - وكان أفضل من على الأرض وأعلمهم بالقرآن - إنَّ نبينا صلى الله عليه وآله قال: إنَّ من دعا الناس إلى نفسه بالسيف وكان في المسلمين من هو أفضل منه، فهو ضال متعسف<sup>(٢)</sup>.

وجاء في تفسير النعماني عن أمير المؤمنين عليه السلام في بيان صفة من يتولى إمامة المسلمين، عند ذكر الصفة الثانية التي يجب توفرها فيه، وهي أنه يجب أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه وما يحتاجه الناس<sup>(٣)</sup>.

وورد في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ اسْتَعْمَلَ عَامِلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِيهِمْ أَوْلَىٰ بِذَلِكَ مِنْهُ وَأَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٤)</sup> وقال سيد الشهداء عليه السلام في خطبة منقطعة النظر حول العلماء: «مَجَارِي الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ عَلَىٰ أَيْدِي الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ الْأَمْنَاءِ عَلَىٰ حَالِهِ وَحَرَامِهِ»<sup>(٥)</sup>.

إنَّ ما جاء في رسم معالم الحكومة الإسلامية تحت عنوان ولاية الفقيه - في شكلها الحالي - أو ما يُذكر بشأنها في دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، يمثّل نموذجاً لحكومة دينية يمكن أن تكون هناك نماذج أخرى لها، ولكن الشيء المسلم به الذي لا يمكن تجاهله هو ضرورة تطابق التشريعات الحكومية مع أحكام الدين، وهذا يستدعي بطبيعة الحال إشراف الفقهاء وأصحاب الاختصاص في أحكام الدين.

١- دراسات في ولاية الفقيه، ج ١، ص ٣٠٢-٣١٨.

٢- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٩ من أبواب جهاد العدو، ج ١٥، ص ٤٢، الحديث ٢.

٣- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٤٤ و ٤٥. ٤- سُنن البيهقي، ج ١٠، ص ١١٨.

٥- الحرّاني، تحف العقول، ص ٢٣٨.



## هـ- العدالة

يوصف بسط العدالة بأنه أحد أهداف الأنبياء وهو الغاية من إرسال الأنبياء ﷺ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(١)</sup>. ولا شك في أن بسط العدالة يتطلب أن يقوم به عادل و منصف. ومن لا يتصف بالعدل والإنصاف لا يمكن أن يقيم العدالة. وإذا كانت الحكومة الدينية تمهيداً لتطبيق أحكام الدين، فلا بد أن يكون القائمون عليها قادرين على تطبيق أحكام الدين و تشريعاته. ومن يعجز عن النهوض بالتكليف الفردية، لا يرتجى منه أن يكون قادراً على بسط العدالة. لا شك في أن اهتمام الإسلام بشرط العدالة في أدق الشؤون الاجتماعية وأعظمها يعزى إلى خاصية نفسية في بني الإنسان وهي أن من يفتقد فضيلة فإن هذا النقص يترك تأثيره في الآخرين، ويكون مصداقاً لقاعدة «الناس على دين ملوكهم»، وهي أن صفاته وعاداته السيئة تؤثر في المجتمع. و فضلاً عن ذلك فإن كل من يتصف بصفة قبيحة يحب أن يزداد المتصفون بها في المجتمع لكي يتخلص من رهبة التفرد بها، وتطيب حياته؛ وقد قيل: «فإن البلية إذا عمّت طابت».

من يفتقر إلى صفة العدالة يستهويه استشرء الظلم، إذ حين يعيش في أجواء حافلة بالجور يتحرر من الضغوط النفسية و من تأنيب الضمير، و لذلك لا يستطيع المشاركة في بسط العدالة في ظل حكومة دينية.

و هذا شرط يفرضه العقل و تؤيده الشريعة. و لذلك اعتبر شرط العدالة في كلمات المعصومين ﷺ أمراً مفروغاً منه، و ينصبُّ التركيز عادة على إفرزاته وعواقبه. نقرأ في رواية منقولة عن الإمام الباقر عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: لأعذبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية إمام جائر ظالم ليس من الله و إن كانت الرعية عند الله بارة تقيّة و لا عفون عن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله و إن

١- سورة الحديد (٥٧)، الآية ٢٥.

كَانَتْ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا ظَالِمَةً مُسِيئَةً»<sup>(١)</sup>.

وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: «انَّ السلطان لأمين الله في الأرض و مقيم العدل في البلاد والعباد و وزعته في الأرض»<sup>(٢)</sup> و عنه قال عليه السلام: «الظلم يدمر الديار»<sup>(٣)</sup>. و قال أيضاً: «العدل قوام البرية»<sup>(٤)</sup> و قال الله تعالى: ﴿قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

يتحمّل الحاكم في الحكومة الدينية العبء الأكبر من المسؤولية، و هو معرّض للاتهام أكثر من غيره. و هذا ما يوجب عليه طبعاً إغلاق أي منفذ يثير الشبهات ضدّه، و عليه أن يتحرّك على طريق العدل و تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية كاملةً غير منقوصة. يروى أن المسلمين في صدر الإسلام عندما شاهدوا الخليفة الثاني يرتدي ثوباً طويلاً اتهموه بأنه أخذ من بيت المال أكثر من سهمه، فاضطر إلى الإتيان بشاهد يدفع به هذه التهمة عن نفسه و القصة معروفة. و من الواضح أن الدافع الذي يقف وراء هذه الهواجس هو أن تسلّط الحكام على الأموال و المقدّرات العامّة إلى جانب وجود النفس الأمّارة، يفسح المجال لهم و لبطانتهم للاستغلال و الاستئثار. و هذا ما يجعل أبناء الشعب بصفقتهم أصحاب هذه الأموال يعيشون دائماً مثل هذه الهواجس. و لهذا تقع على عاتق الحكّام و المسؤولين مهمة تبديد هذه الهواجس من خلال سلوكهم القويم الذي يبعث في أنفس الناس الثقة و الأمان.

و من الطبيعي أن هذا الكلام لا يعني أن كل المشاكل ينقطع دابرها فيما إذا أحرزت صفة العدالة، أو أن وجودها كفيل بإغلاق كل منافذ الاستغلال و الاستبداد و الاستئثار بمقدّرات البلاد و العباد، و إنّما هذه الصفة مؤثّرة كوازع داخلي و رادع ذاتي، و لا بدّ طبعاً من وجود رادع خارجي تمارسه أجهزة الرقابة و مؤسسات الإشراف الحكومي.

١- الحزّ العاملي، إثبات الهداة، ج ١، ص ١٢٣، الحديث ١٩٣.

٢- الآمدي، غرر الحكم، ص ٣٤١، الحديث ٧٧٩٧.

٣- المصدر السابق، ص ٤٥٦، الحديث ١٠٤٢٧. ٤- المصدر السابق، ص ٣٣٩، الحديث ٧٧٥١.

٥- سورة الشورى (٤٢)، الآية ١٥.

## و- حُسن الخُلُق

هذا الشرط ليست له معالم واضحة، ولا يتَّسم بالشفافية في العقود والأنظمة القانونية المدوَّنة، ولكنَّ له تأثيراً غير خافٍ لدى كل شعوب العالم، بل إن بعض الأمم حكمها أشخاص بحُسن الأخلاق والسيرة الحميدة - رغم افتقارهم لشروط أساسية أُخرى - واستمروا في الحكم سنوات طويلة، وغدوا مثلاً و قدوات يحتذي بها نظراؤهم.

## كيفية الحكم

القضية المهمَّة في باب الحكومة الدينية، هي كيف ينبغي أن تتعامل الحكومة مع الشعب. فالحكومة التي تستمد كل كيائها وسلطتها من الشعب - والدِّين الحنيف أقرَّ صحَّة هذه العملية - عليها أن ترسم في الخطوة الأولى السُّبل العملية الموصلة إلى الأهداف البشرية والدينية المطلوب من الحكومة تحقيقها. ويمكن إيجاز ذلك بأن الفارق الأساسي الذي يميِّز الحكومة الدينية عن غيرها من الحكومات، هو دأبها وحرصها على مداراة أبناء الشعب، و توفير حياة آمنة لهم، واحترام شخصيات المواطنين، والشعور بالمسؤولية إزاءهم. جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقارن فيها بين حكومة بني أمية و حكومة أهل البيت عليهم السلام: «أما عَلِمْتَ أَنَّ إِمَارَةَ بَنِي أُمِّيَّةٍ كَانَتْ بِالسَّيْفِ وَالْعَسْفِ وَالْجَوْرِ، وَ أَنَّ إِمَامَتَنَا بِالرَّفْقِ وَالتَّأَلُّفِ وَالتُّقَاتِ وَالتَّقِيَّةِ وَ حُسْنِ الخِلْطَةِ وَالتَّوَرَّعِ وَالتَّجْتِهَادِ؛ فَرَغَّبُوا النَّاسَ فِي دِينِكُمْ وَ فِي مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

إذا كان الإنسان في حياته الفردية يحتاج إلى نظام، و لا يمكنه دون ذلك أن يكون على تقوى أو تدبُّن صحيح، فهو في حياته الاجتماعية أحوج إلى ذلك. و انطلاقاً من هذه الرؤية يوصي أمير المؤمنين عليه السلام ولديه الحسن والحسين عليهما السلام بقوله: «أوصيكُما وَ جميعَ ولدي وَ أَهلي وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَ نَظْمِ أَمْرِكُمْ»<sup>(٢)</sup>. كلام الإمام هذا يعبر بكل جلاء عن

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٤ من أبواب الأمر والنهي، ج ١٦، ص ١٦٥، الحديث ٩.

٢- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٤٧، ص ٤٢١.

يقينه بأن المجتمع المبني على التقوى لا يمكن أن يتحقق من غير وجود نظم وتخطيط منهجي، وليس هناك مروق على التقوى الاجتماعية أسوأ من الفوضى وضياع النظم الاجتماعي. والفوضى بطبيعتها مدخل للكثير من المعاصي والآثام. لذلك يُفضل الحاكم الفاجر على حالة الفوضى.<sup>(١)</sup> ولا بدّ طبعاً من أن يكون النظم الاجتماعي مبنياً على أسس وركائز و أهداف منطقية لكي يتبلور قوامه. ونحن نعرض هنا على بساط البحث مجموعة من هذه الأهداف؛ لكي تتوضح في ضوء ذلك طبيعة السلوك الذي يتوخّاه أبناء الأُمَّة من الحاكم الديني.

#### أ- صيانة الحريات الفردية والاجتماعية

بما أنّ الغاية من وجود الحكومة هي تنظيم شؤون المجتمع، ولهذا يحق لها التدخل فقط في الأمور الاجتماعية التي لا يوجد من يتصدّى لها، ولكن لا يحق لها التدخل في الشؤون الشخصية للأفراد أو في الشؤون الاجتماعية التي تتولاها جهة غير حكومية، وأوكلت مهمة الإشراف عليها إلى الآخرين، إلا إذا كان فيها ما يتعارض مع ضرورات اجتماعية حكومية، وتثبت بالأدلة المنطقية ضرورة تصدّي الحكومة لها. و انطلاقاً من هذه الرؤية يجب أن يكون الناس أحراراً في مجالات مثل الزراعة، والصناعة، والتجارة، والمسكن، والملبس، والأسرة، والتعليم، والسفر، والتجمّعات، والأحزاب، والصحف، ووسائل الإعلام، وما شابه ذلك، إلا إذا كانت هناك ضرورة تستدعي تدخل الدولة.

من الواضح أن المصالح الاجتماعية والفردية تقتضي أن يكون الناس أحراراً في شؤون حياتهم، والحكومة ملزمة بمساعدتهم ورعايتهم، وإلا فإنّ روح الإبداع والانتاج تضمحل، ولكن ينبغي أن تقوم الدولة بدورها عند الضرورة ومعالجة حالات التزاحم والتعارض.<sup>(٢)</sup> إذاً، تدخل الدولة في مثل هذه الحالات يأتي من باب الاضطرار «الضرورات تتقدّر بقدرها».

١- الآمدي، غُرر الحكَم، ص ٤٦٤، الحديث ١٠٦٧٢.

٢- للاطلاع على مزيد من المعلومات في هذا المضمار راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ٢، ص ٢٥-٣٠.

إنَّ أيَّ نوع من الإكراه و منع الناس من نيل حقوقهم و حرّياتهم الفردية والاجتماعية يتعارض مع الميول والتوجهات الطبيعية، و يناقض روح الدّين؛ لأنّ الدّين يتطابق مع الفطرة. جاء في رواية معتبرة أنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «الْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنَ الْكُفْبَةِ».<sup>(١)</sup>

### ب - المساواة أمام القانون

من عوامل ضعف و انهيار الحكومات و انحطاط الدول هو التمايز بين الناس في تطبيق القانون. فأصحاب القوّة يُستثنون عادة من شمول القوانين. و غالباً ما يحظى ذووهم و أقاربهم و أصدقاؤهم بتسهيلات لا يحصل عليها سائر الناس. و من الطبيعي أن مثل هذا السلوك يؤدّي إلى فقدان ثقة الشعب بالحكومة، و ينتهي بها إلى الانهيار و السقوط. نقل عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ؛ وَ أَيُّمَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»<sup>(٢)</sup> و كتب علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أحد عماله ما يلي: «وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لُهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ وَ لَا ظَفِرَا مِثِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ مِنْهُمَا وَ أزيلَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتَيْهِمَا».<sup>(٣)</sup> و كتب عليه السلام أيضاً في عهده إلى مالك الأشتر حديثاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، و هذا الحديث بلغ في كتب الفريقين حد التواتر (التواتر الإجمالي على الأقل) و هو أنه قال: «فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرِ مُسْتَتَعٍ».<sup>(٤)</sup>

لاشكّ في أنّ فقدان القيم في مجتمع يُعزى سببه إلى انعدام القيم في نظامه الاجتماعي. و معنى ذلك أنه إن كان هناك ظلم، و يشعر الضعفاء بعدم الأمان، أو يعجزون عن استيفاء

١- الصدوق، الخصال، باب الواحد، ص ٢٧، الحديث ٩٥.

٢- صحيح مسلم، كتاب الحدود، حد السرقة، ج ١١، ص ١٨٦.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٤١، ص ٤١٤.

٤- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص ٤٣٩.

حقوقهم، فالسبب يعود إلى افتقار ذلك المجتمع إلى القيم الدينية والإنسانية. و مثل هذا المجتمع خالٍ من القدسية.

### ج- الإشراف العام على المسؤولين

النظام الاجتماعي يتطلّب إشرافاً متبادلاً بين المسؤولين والمواطنين على سلوك بعضهما الآخر. أي إضافة إلى الاطلاع على آراء وتوجّهات كل منهما، يجب أن يكون هناك أيضاً إشراف عام و دائم على الأعمال والأولويات، وإصرار على تطبيق القانون. في العصور التي كانت فيها وسائل الاتصال محدودة، كان الإشراف، و مراقبة أعمال المسؤولين متعذراً، إلا عن طريق الرسائل والعيون أو المسافرين الذين يشاهدون بعض الأحداث هنا و هناك، إلا أن ذلك لم يمنع من الدعوة إلى أن يمارس أبناء الأمة حق الرقابة والإشراف على ممارسات المسؤولين.

أما في عصرنا الحاضر فقد تطوّرت وسائل الاتصال، و تأثرت علاقات الناس مباشرة بمعطيات هذا التطور؛ و أصبح بالإمكان الإطلاع على ما يجري في أقصى بقاع العالم بكل سهولة، و إبداء الآراء بشأنها.

و بناءً على ذلك تكون أفضل وسائل الاتصال في حقل الإشراف والرقابة هي وسائل الإعلام العامّة -التي لا تخلو من الآفات طبعاً، و تستعمل أحياناً في أمور مخالفة للشرع والعقل والعرف- إذ إنّ فوائدها لا يمكن تجاهلها، و من جملة هذه الوسائل هي الصحف التي تؤدّي أهم الأدوار في ثبات و إصلاح سيرة الحكومات و الأنظمة السياسية و الاجتماعية. و هناك أيضاً وسائل إعلام أخرى كالإذاعة و التلفاز و الشبكات الفضائية، و الإنترنت، و الهاتف، فضلاً عن السينما و المسرح و النتاجات الثقافية و الفنية، و كلّها تقوم بدور لا يستهان به في نقل المعلومات بسرعة، مقارنة مع ما كانت عليه الأمور في الماضي. و هذا ممّا يوفرّ فرصاً واسعة للاتصال المستمر و الإشراف الدقيق. من المعروف أنه كلّما ازدادت الرقابة و الإشراف على مسؤولي الأمور الاجتماعية، تضيق عليهم سبل التخلف، و تكثر الأعمال القانونية و الحميدة، و كلّما ضعف الإشراف تزداد المخالفات و الفساد و استغلال السلطة.

في عصر نزول الوحي كان الإسلام يشجع إلى حدٍّ بعيد على استقاء التجارب من سيرة الماضين، من أجل أن تتبلور للمسلمين أمة وسط في كل المجالات الفكرية والعلمية: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾. (١)

و أوضح شاهد على هذا، هو سرد قصص الأنبياء؛ إذ إنَّ القرآن حين عرض تاريخ و قصص الأمم السالفة، دعا المسلمين إلى التأمل والتدبر فيه، واستقاء العبر من تواريخ الغابرين. فقد أشار في سورة الحشر إلى تاريخ يهود المدينة الذين كانوا قد أخرجوا من وطنهم، ثم قال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾. (٢)

و في أقوال المعصومين عليهم السلام تأكيدات كثيرة و متكررة حول لزوم الوعي و فهم القضايا الاجتماعية. فهذه دعوة يوجهها الإمام الحسين عليه السلام إلى علماء الدين الذين يلقفهم الصمت و لا يبدر منهم أي نقد لإساءات الحكام، يقول فيها: «وَقَدْ تَرَوْنَ عَهْدَ اللَّهِ مَنقُوضَةً فَلَا تَفْرَعُونَ وَ أَنْتُمْ لِبَعْضٍ ذِمَّةَ آبَائِكُمْ تَفْرَعُونَ». (٣)

و كان عليه السلام قد استعرض في صدر هذه الخطبة ما قصه القرآن حول الأحبار و الرهبان، قائلاً: إن الله قد ذمَّ عمل علماء بني اسرائيل لعدم قيامهم بواجباتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «و إِنَّمَا عَابَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ مِنَ الظُّلْمَةِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْمُنْكَرَ وَالْفُسَادَ فَلَا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ ذَلِكَ». (٤)

كان اطلاع الإمام الحسين عليه السلام على المظالم والانحرافات قد حدا به إلى أن تكون خطبته هذه زاخرة بالتقريع والمذمة، و نقل الكثير من وقائع و ظروف المجتمع الإسلامي إلى علماء الدين، ليستحثهم على تحمل مسؤولياتهم إزاء القضايا الاجتماعية.

و قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة باسم القاصعة: اخذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال و ذميمة الأعمال فتذكروا في الخير و الشر أحوالهم و اخذروا أن تكونوا أمثالهم فإذا تفكرتم في تفاوت حالهم فالزموا كل أمر لزمتم العزة به شأنهم و زاحمت الأعداء له عنهم و مدت العافية به عليهم و أنقادت النعمة له معهم و وصلت الكرامة عليه

١- سورة البقرة (٢)، الآية ١٤٣. ٢- سورة الحشر (٥٩)، الآية ٢. ٣- الحزاني، تحف العقول، ص ٢٣٨. ٤- المصدر السابق، ص ٢٣٧.

حَبَلَهُمْ مِنَ الْاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ وَاللُّزُومِ لِلْأَلْفَةِ وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا وَالتَّوَاصِي بِهَا وَاجْتِنَابِ كُلِّ أَمْرٍ كَسَرَ فَفَرَّتْهُمْ وَأَوْهَنَ مِنْتَهُمْ مِنْ تَضَاعِنِ الْقُلُوبِ وَتَشَاخُنِ الصُّدُورِ وَتَدَابُرِ الثُّفُوسِ وَتَحَاذُلِ الْأَيْدِي. (١)

و جاء في عهد أمير المؤمنين إلى مالك الأشر: ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَالَهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدُودٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَتَحَفُّظِ مِنَ الْأَعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَتِهِ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَحْبَارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ. (٢)

الملاحظة الأخرى هي إشراف كل واحد من أبناء الشعب على السلوك الاجتماعي لولاة الأمور، وهو ما يتجسد عادة على شكل أحزاب و جمعيات سياسية و اجتماعية و نقابية. وكل هذه الأمور يجب أن تجري بأساليب مستساغة، و تحت إشراف قنوات رسمية و قانونية، لكي لا تكون منفذاً للفوضى و التدخل الاعتباطي في شؤون الآخرين.

#### د - الرضا العام

يجب أن تحرص الحكومة على أن يؤدي سلوكها إلى كسب رضا الشعب، و أن لا تتعدى القوانين في هذا السياق. فقد ورد في ما كتبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في عهده إلى مالك الأشر: «وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَ أَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ وَ أَجْمَعَهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بَرِضَى الْخَاصَّةِ وَ إِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ... وَ إِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَ جَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعِدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صَعُوكَ لَهُمْ وَ مَيْلُكَ مَعَهُمْ». (٣)

و تضمّنت مقبولة عمر بن حنظلة سؤالاً عرض على الإمام الصادق عليه السلام حول ما يكون فيه اختلاف بين الروايات، فأجاب عليه السلام: يُنظر إلى الرواية المُجمع عليها بين الأصحاب فيؤخذ بها، ويُترك الشاذ عن المشهور بين الأصحاب؛ لأن المُجمع عليه بين الأصحاب

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، ص ٢٩٦ و ٢٩٧.

٢- المصدر السابق، الكتاب ٥٣، ص ٤٣٥ و ٤٣٦. ٣- المصدر السابق، الكتاب ٥٣، ص ٤٢٩.



لايُستراب به. (١)

و ليس مراد الإمام الصادق هنا هو أن الرواية المشهورة لاريب في صحّتها، بل المراد إنّها أكثر مدعاة للاطمئنان العرفي والاجتماعي من الرواية غير المشهورة، وهذا يعني إنّها في الحد الذي يوثق به دون تردّد.

و إذا كان هذا المعيار مقبولاً في ما يخص أصل حكم الله، فلا بد أن يكون هذا المنطق مقبولاً فيما يخص عمل الحكومة أيضاً. و كل سلوك يخالف الفهم العام للعلماء و عرف العقلاء. فهو سلوك غير منطقي.

و على أية حال، ينبغي العمل في ما يتعلّق بشؤون الناس وفقاً لما يرتضون، و ذلك لأنّ ضرر الاستبداد و فرض آراء الحكام على الناس - مهما كانت تلك الآراء صحيحة - أكثر بكثير من أن يسير الناس أنفسهم في طريق ثم يدركون خطأهم. ففي الحالة الأخيرة يسببون على طريق التكامل، و أما في الحالة الأولى فتعني التوقف عن المسير.

#### هـ- التساهل

كل من أدرك إلى حدّ ما حقيقة الإنسان، واستوعب ما يكتنفها من نقص أو كمال، لا بد و أن يعلم بوقوع كثير من المخالفات والأخطاء - رغم كل الوصايا والإرشادات والأحكام الشرعية والقانونية - حتى بات من المتيقّن أنه لا يوجد شخص - عدا المعصومين عليهم السلام - مصون من الخطأ.

استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله إرساء بناء اجتماعي سليم و تربية شخصيات تفتخر بها الإنسانية - في مجتمع غارق بالفساد - بسبب ما كان يتّصف به من الصبر والرأفة والدعوة إلى شريعة سمحاء. يقول القرآن: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، (٢) و ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، (٣) و ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. (٤)

١- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٦٨، الحديث ١٠. ٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٥٩. ٣- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ١٠٧. ٤- سورة القلم (٦٨)، الآية ٤.

من يتصدّون لمنصب قيادة المسلمين يجب أن يقتدوا بأخلاق النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام. وكل من يحمل رذيلة أخلاقية أو صفة سيئة أو خصلة قبيحة غير جدير بمناصب اجتماعية. ومجرّد وجود واحدة من هذه السيئات في شخص ما يكفي لإثبات عدم كفاءته لتسلّم منصب اجتماعي مهم.

ومن الصفات الحسنة التي ينبغي أن يتحلّى بها الحاكم الإسلامي هي صفة التغاضي والتغافل عن أخطاء الناس وعيوبهم. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «نِصْفُ الْغَافِلِ إِحْتِمَالٌ وَنِصْفُهُ تَغَافُلٌ»<sup>(١)</sup> وقال في موضع آخر: «لَا عَقْلَ كَالْتَّجَاهِلِ»<sup>(٢)</sup> وينبغي أن لا يتّصف الحاكم بسوء الظن في الناس: «لَا إِيمَانَ مَعَ سُوءِ ظَنٍّ»<sup>(٣)</sup> ومن القبيح أن يرى الحاكم أنه أفضل من غيره وأن رأيه يرجح على آراء الآخرين: «شَرُّ النَّاسِ مَنْ يَرَى أَنَّهُ خَيْرُهُمْ»<sup>(٤)</sup> ويُفترض أيضاً أن يتّصف بالحلم، وذلك لعلمه أنه «لَا خَيْرَ فِي عَقْلِ لَا يُقَارِنُهُ حِلْمٌ»<sup>(٥)</sup> وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بِالْإِحْتِمَالِ وَالْحِلْمِ يَكُونُ النَّاسُ أَنْصَاراً وَأَعْوَاناً»<sup>(٦)</sup> وروي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ سَمِيحٌ لَهُ خُلُقٌ حَسَنٌ، وَالْكَافِرُ فَظٌّ غَلِيظٌ لَهُ خُلُقٌ سَيِّئٌ وَفِيهِ جَبَرِيَّةٌ»<sup>(٧)</sup>.

الأخلاق الفاضلة تقتضي التغاضي إلى أبعد حدّ ممكن عن عيوب الأفراد و نواقصهم. وأن نحرص على التغافل إلى الحد الذي لا يؤدي إلى الإخلال بالنظم الاجتماعي العام.

### و - حفظ المصلحة العامة داخلياً وخارجياً

قد يكون المسؤولون الحكوميون -بغض النظر عن المكانة الاجتماعية الناجمة عن

١- الأمدي، عُزْرُ الْحِكْمِ، ص ٢٤٥، الحديث ٥٠٢٦.

٢- المصدر السابق، ص ٥٣، الحديث ٤٣٢.

٣- المصدر السابق، ص ٢٦٤، الحديث ٥٦٨٩.

٤- المصدر السابق، الحديث ٧٠٨٢.

٥- المصدر السابق، ص ٢٨٧، الحديث ٦٤٤٩.

٦- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٠٦ من أبواب أحكام العشرة، ج ١٢، ص ١٥٩، الحديث ٤.

المنصب الحكومي - أصحاب عزة واعتبار. و من بعد تسلّم المنصب الحكومي يبقى اهتمامهم منصباً على مكانتهم الفردية، و يحصل أحياناً تضارب و تعارض بين المصلحة والاعتبار الفردي أو الفتوي من جهة، و بين المصلحة التي يتطلبها المنصب الحكومي من جهة أخرى، بحيث أنه إذا أراد حفظ اعتباره الشخصي، لا يتمكن من أداء مسؤوليته الاجتماعية على نحو صحيح و كامل، فيضطر على أثر ذلك أن لا يقف بوجه باطل و لا يصمد أمام سلطة أعلى. و في مثل هذه الحالة إذا رجّح المصلحة العامة قد يفشل في الحفاظ على مكانته و اعتباره الفردي، أو قد يفقد منصبه.

و مما ينبغي أن لا يغيب عن الأذهان أنّ المنصب الحكومي عبارة عن ميثاق يُبرم بين أصحاب السلطة و بين الشعب. و يجب في كل الأحوال إعطاء الأولوية للمصلحة العامة على المصلحة الفردية و الفتوية للحكّام، و إلا ففي ذلك خيانة للأمة، و خيانة الأمة عقابها شديد عند الله. روي عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَخْوَنِ الْخِيَانَةِ، تِجَارَةُ الْوَالِي فِي رِعِيَّتِهِ»<sup>(١)</sup> و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ هَذِهِ الْإِمَارَةَ أَمَانَةٌ، فَمَنْ جَعَلَهَا خِيَانَةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

و على صعيد العلاقات الخارجية يجب التعامل بمزيد من الحرص والدقة عند إبرام العقود، و أن تكون المصلحة العامة فوق كل اعتبار. و لا يفترض بالمسؤولين أن يجنوا لأنفسهم منافع و أرباحاً عن هذا الطريق. و يجب أن لا يستغلوا ما كان منهم مَرْضِيّاً عند الشعب من مواقف سياسية يوماً ما، ثم بدّلوا و حالوا عنها و انقضى تاريخ صلاحيتها، ليكسبوا بها مصالح شخصية بما يلحق الضرر بالأمة. و من لم يجد في نفسه القدرة على تلبية هذه المتطلبات، عليه أن لا يقحم نفسه في مناصب حكومية. روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ وُلِّيَ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَضَيَّعَهُمْ، ضَيَّعَهُ اللَّهُ تَعَالَى»<sup>(٣)</sup>.

١- المُتَّقِي الهندي، كنز العمال، ج ٦، ص ٢٧، الحديث ١٤٦٩٨.

٢- القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج ٢، ص ٥٣١، الحديث ١٨٩٠.

٣- الصدوق، ثواب الاعمال و عقاب الاعمال، ص ٣٠٩، الحديث ١.

## ز - اجتناب إثارة التوتر

إحدى الآفات المرافقة للسلطة، الغرور والتكبر. فبعض الأشخاص الذين يتصفون بضيق الأفق، بمجرد أن يتسلموا منصباً حتى يستحوذ عليهم شعور بالتفوق على غيرهم، يدفعهم إلى الاستهانة بالآخرين وخاصة معارضيتهم.

ومن الطبيعي أن الاستهانة بالمعارضين السياسيين، واتخاذ مواقف حادة إزاءهم من قبل السلطة - سواء بالقول أو بالفعل - يدفع أولئك المعارضين وأنصارهم إلى اتخاذ مواقف متطرفة شديدة ضد السلطة، تفضي في نهاية المطاف إلى إثارة التوتر وخلق الأزمات بين الحكومة والشعب.

أما الذين يتصفون بسعة الفكر وبعُد الأفق من المسؤولين السياسيين فلا يثيرون التوتر والأزمات؛ لأنهم يتعاملون مع الآخرين بالمدارة وحسن الخلق انطلاقاً من التعاليم الشرعية التي تحظر أية نظرة تستهين بالآخرين وكرامتهم وتثير مشاعرهم.

وهذا ما ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار في العلاقات الخارجية، لأن أي نوع من الاستهانة بمقدساتهم يثير مشاعرهم وسخطهم، وربما يدفعهم إلى اتخاذ مواقف مماثلة،<sup>(١)</sup> وهذا مما قد يسوق البلد إلى الدخول في صراعات، وهو ما تأباه الشريعة قطعاً.

قد تنشأ الصراعات والحروب من كلمة يتفوه بها بعض أركان السلطة، أو من سلوك طائش يبدر من أحد منهم. جاء في الحديث: «رُبَّ فِتْنَةٍ أَثَارَهَا قَوْلٌ»<sup>(٢)</sup> وقيل أيضاً: «كَمْ مِنْ دَمٍ سَفَكَهُ فَمٌ»<sup>(٣)</sup>.

من المؤكد أن مساعي الحكّام في البلد الإسلامي إذا كانت في سياق السعي نحو التعايش السلمي فإن مثل هذه الأمور لا تحصل ولا تؤدي إلى إثارة التوتر.

١- مثلما دعا القرآن الكريم (في الآية ١٠٨ من سورة الأنعام) إلى عدم سب من يدعون من دون الله فيسبوا الله جهلاً.

٢- الأمدى، غرر الحكم، ص ٢١٣، الحديث ٤١٥٢.

٣- المصدر السابق، الحديث ٤١٥٨.

## ح - الاقتصاد في النفقات

الأموال العامة أمانة في أيدي الحُكَّام، لكن هذا لا يعني استباحة التصرف بها خارج ما تمليه الالتزامات الشرعية. و توفير متطلبات الشعب مسؤولية كبرى ينوء بحملها المسؤولون الحكوميون، و يُحاسبون عليها حساباً عسيراً في الدنيا والآخرة. و لكل من صفة البخل أو التبذير في إنفاق بيت المال تبعات و انعكاسات سلبية لا تُعوّض.

كتب أمير المؤمنين في عهده إلى مالك الأشر لَمَّا و لَّاه مصر: وَ لَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَغْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَ يَعِدُّكَ الْفَقْرَ وَ لَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَ لَا حَرِيصًا يُزِيلُ لَكَ الشَّرَّهَ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَ الْجُبْنَ وَ الْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ. (١) و روي عن الإمام الصادق عليه السلام أن عيسى بن مريم عليه السلام قال: داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله و أبرأت الأكمه و الأبرص بإذن الله و عالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله، و عالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه فقيل: يا روح الله، و ما الأحمق؟ قال: المعجب برأيه و نفسه، الذي يرى الفضل كُله له لا عليه، و يوجب الحق كُله لنفسه و لا يوجب عليها حقاً، فذاك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته. (٢) و هم المراد من السفهاء في هذه الآية: ﴿وَ لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾. (٣) الذين لو تسلطوا على الأموال و الأنفس، زادوا خساراً. يستطيع تلبية المتطلبات الاقتصادية للناس من لديه قدرة على التخطيط، و يتصف بحسن التدبير، و هذه الصفات لا تتوفر إلا فيمن يتحلَّى بفضائل بينها الإمام الباقر عليه السلام، و هي فهم الدين، و الصبر، و الجَلَد في الشدائد، و القدرة على التخطيط الاقتصادي. (٤)

## ط - حفظ حقوق الأقلّيات

من أصعب المهام في العلاقات الاجتماعية، رعاية حقوق الأقلّيات القومية، و الدينية،

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص ٤٣٠.

٢- المجلسي، بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣١٩ و ٣٢٠.

٣- سورة النساء (٤)، الآية ٥.

٤- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٢، الحديث ٣٢.

والسياسية. فتعاليم الدين الحنيف تؤكد بصراحة على وجوب رعاية حقوق الأقليات، وترى أنّ في تجاهلها دلالة على عدم التمسك بأحكام الشريعة. من الصور المشرقة التي قدّمها الإسلام أنه ساوى بين الناس و أزال التمايز الاقتصادي والسياسي والثقافي، ودحض موجبات التفاخر القومي، حتى بلغ الحال بأمر المؤمنين ﷺ أن بادر في بداية حكمه إلى إلغاء الامتيازات التي منحها الخلفاء السابقون لبعض الأفراد والفئات، و أعاد إقرار المساواة بين الناس من جديد.

في ما يتعلّق باحترام حقوق الأقليات الدينية، تُعتبر موثيق النبيّ وعهوده مع المسيحيين واليهود من الأدلّة الساطعة على ذلك. كما كانت سيرة المسلمين معهم على مرّ الزمن سيرة إنسانية. فقد جاء في العهد الذي أبرمه النبيّ ﷺ مع نصارى نجران، ما يلي: «لا يُعَيَّر ما كانوا عليه ولا يغيّر حقّ من حقوقهم و أمثلتهم»<sup>(١)</sup>.

و جاء أيضاً في وثيقة النبيّ ﷺ مع يهود المدينة: إنّ يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليتهم و أنفسهم إلّا من ظلم و أثم، فإنه لا يُوتغ إلا نفسه و أهل بيته، و إنّ يهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، و إنّ يهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، و إنّ يهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، و إنّ يهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، و إنّ يهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، و إنّ يهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلّا من ظلم و أثم.<sup>(٢)</sup>

أما بالنسبة إلى الأقليات السياسية التي تظهر بين المسلمين و تحمل اتجاهات سياسية مختلفة، فالأمر واضح و هو التساوي في الحقوق، حتى أن علماء الدين لم يبحثوا هذا الموضوع كثيراً بسبب وضوحه. و في سيرة المعصومين ﷺ و أقوالهم كثير مما يؤيد هذا المعنى.

كتب أمير المؤمنين ﷺ في عهده إلى مالك الأشتر حول رعاية حقوق الناس ما يلي: «فإنهم صنفان، إمّا أخ لك في الدين و إمّا نظير لك في الخلق»<sup>(٣)</sup>.

١- البلاذري، فتوح البلدان، ص ٧٦. ٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٤٩.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص ٤٢٧.

و معنى هذا الكلام أن الحاكم ملزم برعاية حقوق الآخرين سواء اتفقوا معه في الرأي أم لا. هذا فضلاً عما ورد من أحاديث في ذم الإساءة إلى الناس<sup>(١)</sup> أو التصرف بأموالهم ومصادرة حقوقهم.<sup>(٢)</sup> جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إنَّ الله لا يؤوي خائناً. فسأله الراوي: ومن الخائن؟ قال: «مَنْ أَدَخَرَ عَن مَوْمِنٍ دَرَهَمًا أَوْ حَبَسَ عَنْهُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا».<sup>(٣)</sup> جاء في حديث معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ الصَّدُودُ لِأَوْلِيَائِي؟ فَيَقُومُ قَوْمٌ عَلَى وَجُوهِهِمْ لَحْمٌ فَيَقَالُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آذَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَنَصَبُوا لَهُمْ وَعَانَدُوهُمْ وَعَتَقُوهُمْ فِي دِينِهِمْ ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: كَانُوا وَاللَّهِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِقَوْلِهِمْ: وَ لَكُنْهُمْ حَبَسُوا حَقُّوهُمْ وَ أَذَاعُوا عَلَيْهِمْ سَرَّهُمْ».<sup>(٤)</sup>

و جاء في حديث معتبر آخر عن الصادق عليه السلام انه قال: «مَنْ حَبَسَ حَقَّ الْمُؤْمِنِ أَقَامَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمْسِمِائَةَ عَامٍ عَلَى رِجْلَيْهِ حَتَّى يَسِيلَ عَرْقُهُ أَوْ دَمُهُ وَ يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ: هَذَا الظَّالِمُ الَّذِي حَبَسَ عَنِ اللَّهِ حَقَّهُ. قَالَ: فَيُؤَبِّخُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِهِ إِلَى النَّارِ».<sup>(٥)</sup>

و بغض النظر عن سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ازاء المعارضين الذين رفعوا عقيرة مخالفتهم علانية و على شكل تكتلات و جماعات، و لكنه لم يحرمهم من حقوقهم و لم يقطع عنهم عطاءهم من بيت المال و لم يسلبهم شيئاً من حرية الرأي والعمل، هناك أدلة أخرى على ضرورة صيانة حقوق الأقليات، منها عهده إلى مالك الأشر، حيث جاء فيه: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ان الله لا يقدر أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع». و هذا الحديث منقول عن طريق الفريقين باسناد مختلفة.<sup>(٦)</sup>

١- الصدوق، معاني الاختيار، باب معنى الغايات، ص ١٩٥ و ١٩٦، الحديث ١.

٢- الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١ من أبواب كتاب الغصب، ج ٢٥، ص ٣٨٥.

٣- الصدوق، الخصال، باب الثلاثة، ص ١٥١، الحديث ١٨٥.

٤- الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٤٥ من أبواب الأحكام العشرة، ج ١٢، ص ٢٦٤ و ٢٦٥، الحديث ٢ و ٣.

٥- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٦٧، الحديث ٢.

٦- المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣، الأحاديث ٥٥٤٤، ٥٥٤٩، ٥٥٨٧، ٥٥٨٨، ٥٥٩٠، ٥٥٩١، ٥٦٠٦ و ٥٦١١.

وقد ورد مضمون هذا الحديث في حديث بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «ما قدّست أمة لم تأخذ لضعيفها من قوّيتها بحقّه غير مُتّضع»<sup>(١)</sup>.

وقد أُشير في موضعه إلى أربعة عشر حقاً من حقوق المعارضين مسندة بالأدلة سواء كان معارضين في المعتقد أم معارضين سياسيين، و سواء كانوا يقرّون أصل الحكم الديني أو يرفضونه، و سواء كانوا يقرّون أو يرفضون أهلية الحكّام.

هذه الحقوق - بعضها مشترك بين المؤيّد والمعارض - عبارة عما يلي:

- ١- حق حرّية البيان والتعبير عن الرأي في شتى مجالات الحياة.
- ٢- حق تأسيس الجمعيات والتنظيمات، و يشترط في هذين الحقين عدم المساس بحقوق الآخرين.

٣- حق الاطلاع على قرارات السلطات الحاكمة و أسرارها، عدا الأسرار العسكرية في وقتها.

٤- حق الحصول على الحقوق المشروعة، أي يجب على السلطة الحاكمة اتخاذ التدابير الكفيلة بحصول الأفراد الضعفاء في خارج السلطة - سواء كانوا من المعارضين أم من المؤيدين - على حقوقهم.

٥- حق استيفاء الحقوق المشروعة و عدم المماطلة من قبل السلطة.

٦- حق المعاملة العادلة البعيدة عن التمييز.

٧- حق رعاية الكرامة الإنسانية.

٨- حق حماية النفس، و المال، و الكرامة، و العمل، من أي تهديد.

٩- حق الحصانة من الملاحقة القضائية لمجرد مخالفة السلطة.

١٠- حق ستر العيوب و عدم كشفها.

١١- حق العفو و التسامح إزاء الاشتباهات.

١٢- حق اللقاء الخاص مع الحكّام دون حجّاب.

١- الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ١٨٠، الحديث ٣٧١.



١٣- حق الحصول على الحقوق الاجتماعية والمدنية. و لافرق في هذا المضمار بين المسلم وغيره، أو الشيعي وغيره و هذه الطائفة من الحقوق تثبت لكل فرد من بعد قبوله القواعد الاجتماعية، وسلب أي واحد من هذه الحقوق يتطلب دليلاً.

١٤- حق المعارضين في ما يتعلق بالمحاكم والسجون. هذا طبعاً مع ملاحظة عدم مشروعية سجن المعارضين السياسيين الذين يمارسون نشاطهم السياسي ضد النظام بشكل غير مسلح، إذ لم تكن لهذا العمل سابقة في عهد النبي ﷺ و في عهد أمير المؤمنين عليه السلام.

## الأحكام السياسية

في الدين الإسلامي أحكام تُعنى بالحياة السياسية والاجتماعية للمسلمين، وفيه تعاليم تهتم بتحسين و توثيق العلاقات في ما بينهم؛ فتروج لبعض الأعمال و تحث عليها، أو تدم أعمالاً أخرى و تنهى عنها. و هذه الأحكام والتعاليم تتعاطى مع الصعيدين الفردي، والاجتماعي.

### أ- الواجبات السياسية والاجتماعية الفردية

قسم من الأحكام السياسية-الاجتماعية في الإسلام يهتم بالواجبات الفردية، وليس للتحوّلات الاجتماعية تأثير في كيفية أدائها. أي أن كل فرد مكلف بأداء ذلك العمل بمفرده على النحو الصحيح، سواء واكبه الآخرون فيه أم لا. و هناك قسم آخر من الأحكام يهتم بالواجبات الفردية، ولكنّه يتأثر بالتحوّلات الاجتماعية، ولإقبال الناس عليه أو إعراضهم عنه تأثير في لزوم أو عدم لزوم أدائه.

نتناول في هذا القسم بيان الأحكام التي يُنظر إليها في جميع الأحوال كواجبات فردية، ولا يشترط قيام الفرد بها بالتزام الآخرين بها.

### صلاة الجماعة، والجمعة والعيد

العبادة بحدّ ذاتها أمر فردي تتحقق بقصد القربة إلى المعبود تعالى و بالنية الصحيحة. و أما الحكم بالتجمع لأدائها فقد شرّع لأجل الحياة الاجتماعية، والفوائد المترتبة على تجمع الناس. و فضلاً عن التكليف العام للمسلمين بالتكثّل واجتتاب الفرقة، فإن كل مسلم ملزم بأن يرسخ في ذاته دواعي التلاحم والتآزر مع الآخرين، و خاصة أبناء دينه. لزوم المشاركة في صلاة الجمعة والعيد عند إقامتها مع مراعاة سائر شروطها، و حتى التأكيد على المشاركة في صلاة الجماعة، فريضة فردية تماماً، و كل فرد مكلف بأدائها بنفسه، و لا يمكن إيكالها إلى الغير، و الحقيقة هي إن أي حكم غير كفائي (عيني) في الإسلام يشمل كل المسلمين؛ و حتى إذا كان واجباً اجتماعياً و سياسياً، فالجانب الفردي منه يحظى باهتمام الشارع المقدّس أيضاً. و الصلوات المذكورة تدخل في عداد هذه الواجبات والفرائض. إن ضرورة تطرّق إمام الجمعة إلى مشاكل المسلمين في خطبتي صلاة الجمعة، و اعتبار هاتين الخطبتين جزءاً من الصلاة، لا يدع مجالاً للشك في أنّ صلاة الجمعة ذات جانب سياسي أيضاً. جاء في مضمون رواية عن الإمام الرضا عليه السلام: إنّ الخطبة جعلت يوم الجمعة؛ لأن الجمعة مشهد عام؛ فأراد أن يكون للأمر سبب إلى موعظتهم و ترغيبهم في الطاعة، و ترهيبهم من المعصية، و توقيفهم على ما أراد من مصلحة دينهم و دنياهم، و يخبرهم بما ورد عليهم من الآفاق من الأهوال التي لهم فيها المضرّة والمنفعة.<sup>(١)</sup>

على الإمام طبعاً أن يحذّر الناس من الظلم، و يوقظ فيهم روح مقارعة الظلم و عدم الخنوع له، و ينبّه المسلمين بكل شجاعة إلى وظائفهم الفردية والاجتماعية. و إذا تحقق هذا التجمع الضروري بكل شروطه، يستطيع أن يكون عائقاً صلباً أمام حكّام الجور، و قوّة هائلة تحمي المظلومين، و تضمن الحضور الدائم للناس في ميدان الحياة الاجتماعية.

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٥ من أبواب صلاة الجمعة، ج ٧، ص ٣٤٤، الحديث ٦.

## الحج، تجمع عبادي - سياسي دولي

لعلّ الحضور في زمان مُعيّن لم تكن ضرورته مكشوفة للجميع يوم شرّع الدّين فريضة الحج، ولكن في عصر الاتصالات يمكن إدراك مدى بُعد نظر الشريعة و عمق تدبيرها. فاليوم لا تستطيع أية قوة، حشد مثل هذه الجموع الغفيرة من الناس يمثل هذا التنوع القومي واللّغوي. ولولا القيود والموانع التي تضعها السلطات السياسية لكانت أعداد المشاركين في هذا الحشد، أكبر من الأعداد الحالية بكثير، وكان لها تأثير حاسم في رسم مستقبل المسلمين.

و من المؤسف أن هذه القدرات بقيت مهملة و معطلة على مدى قرون متمادية بسبب تجاهل بعض ولاة أمور المسلمين، و ظلّت قيمة هذه الفريضة الإلهية خافية على المسلمين. ورغم أن وسائل الاتصال الحديثة في عالم اليوم قد تغلغلت داخل كل بيت بكل سهولة، غير أنّها لم تستطع قط أن تضع بين أيدي المسلمين فرصة تضاهي موسم الحج من حيث تأثيره الثقافي.

إنّ إهمال ولاة أمور المسلمين و تجاهلهم لهذه الفريضة لا يعتبر مدعاة لعدم نهوض المسلمين بواجباتهم الفردية للاتصال بحجّاج الشعوب الأخرى، و فهم مشاكلهم والتعرف على ما لديهم من طاقات و قدرات، و بسط روح الأخوة و التضامن معهم. فعلى كل مسلم أن يعتبر نفسه ملزماً باستثمار هذا التجمّع العظيم لإيجاد مزيد من التفاهم مع أبناء الشعوب الإسلامية؛ لأن الغاية الأساسية من تشريع الحج - بعد عبادة الله - هي الترابط و التفاهم بين المسلمين.

روى هشام بن الحكم عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه صرّح بأنّ الله أمر المسلمين بالحج لمصلحة دينهم و دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب، ليتعارفوا وليحصلوا على منافع تجارية و مادية، و ليتذكروا الأفكار الدينية... فذلك علّة الحج. <sup>(١)</sup>

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١ من أبواب وجوب الحج، ج ١١، ص ١٤، الحديث ١٨.

### الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من أهم التعاليم السياسية الاجتماعية في الإسلام، مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي تُعتبر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: كل أعمال البر في مقابلها كقطرة في بحر لُجِّيٍّ.<sup>(١)</sup> ومفاد هذا الحكم الإلهي تحمل المسؤولية الاجتماعية المفروضة على جميع المسلمين، وإلقاء المسؤولية على كل واحد منهم إزاء سلوك الآخرين.

والحقيقة هي أن الدور التربوي للمجتمع ومسؤوليته، قد جعل بالنحو الذي يدفع كل فرد للنهوض بدوره؛ لكي يغدو السلوك الصحيح والمحمود اتجاهًا عامًا يسير عليه الجميع، ولكي يُجابَه السلوك المنكر والقبیح بردود فعل رادعة من قبل المجتمع لتزول موجبات وقوعه.

تصوّر البعض أن «المعروف» و «المنكر» يقعان في مصاف الأحكام الواجبة والمحترمة، ظناً أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيان للأحكام والإزام للناس بها. غير أن المعروف يجب أن يكون كل الناس على معرفة بحسنه. وهذا يستدعي - إن لم يكن الحكم قد وصل إلى هذه المرحلة - توفير المتطلبات الكفيلة بمعرفة الناس له ووعيمهم بهذا الحكم.

لأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراحل، نلخصها في ما يلي:

المرحلة الأولى: هي أن يستنكر المسلم بقلبه أي عمل قبيح، و ينبغي أن يظهر هذا الاستنكار في وضعه و سلوكه الظاهري، لكي يتنبّه فاعل المنكر إلى قبح عمله و يشاهد تأثيره السلبي و يكفّ عنه.

و على العكس من ذلك ينبغي إظهار الارتياح إزاء الأعمال الحسنة، ليكون في ذلك تشجيعاً لفاعل الخير والمعروف على الاستزادة منه.

أمّا المرحلة الثانية: فهي التصريح بالكلام عن الرضا أو السخط إزاء المعروف أو المنكر؛ وهذا يتضمن الترحيب بفعل المعروف و فاعله، سواء بالقول أو الكتابة. و في مقابل ذلك

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٤، ص ٥٤٢.

إظهار الرفض والاستنكار بالكلام لكل فعل قبيح. وهذه المرحلة قد لا يقدر عليها جميع الناس. وكل إنسان مكلف في هذا المجال على قدر طاقته.

في هذه المرحلة يمكن توظيف جماعات سياسية واجتماعية كالأحزاب والمنظمات والنقابات المهنية والثقافية و وسائل الإعلام العامة لأداء ما عليها من مسؤولية في هذا المضمار. فالواجب يحتم على كل مسلم أن ينهض بواجبه الديني والاجتماعي على أفضل نحو ممكن. وإذا كان تأسيس النقابات والجمعيات والأحزاب يساعد على أداء هذا العمل بشكل أفضل، فعليهم المبادرة إلى تأسيس مثل هذه التنظيمات.

ومن أعظم ثمار توسيع هذه المسؤولية الاجتماعية هي مشاركة كل المسلمين في تقرير مصيرهم، بحيث يكون في ذلك رادع يمنع كل من تسوّل له نفسه تجاوز حدوده القانونية.

و انطلاقاً من هذه الرؤية جاء في كلام الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:  
 «لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَيْنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيْسْتَعْمَلَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ فَيَدْعُو خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني منح تخويل رسمي لكل من يمارس دور الرقابة والإشراف. وعلى الرغم من تأكيد الشرع والعقل على هذا العمل، إلا أن الأفراد يتنصّلون عادة عن هذه المسؤولية و يتملّصون منها خشية ما ينجم عنها من متاعب و مخاطر، ولكن يوجد في كل عصر من ينهض بها بكل جرأة وإقدام.

وقد دعا القرآن الكريم إلى تحمل أعباء هذه المسؤولية: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»<sup>(٢)</sup>.  
 ولا بد من التنبيه إلى أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عامة، أي أنها واجب يقع على كل مسلم بعينه، ولكن إذا نهض بها من يفني بالعرض ينتفي حكمها عن الآخرين.

الملاحظة الأخرى هي أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشترط فيه التأثير. فلو

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١ من أبواب الأمر والنهي، ج ١٦، ص ١١٨، الحديث ٤.

٢- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٠٤.

أدى هذا العمل إلى عناد المقابل وإصراره على فعله، أو قد لا يؤثر فيه هذا العمل، أو إذا كان فيه خطر أو ضرر على أحد، ينتفي حكمه كذلك.

أمّا الحالات المهمّة التي فيها مساس بالدين أو تحريف، له فلا بد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى وإن كان في ذلك خطر أو ضرر على النفس والمال.

المرحلة الثالثة: وهذه المرحلة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من اختصاص الحكومة الصالحة التي تتوفر فيها الشروط. وهو ما سيأتي بحثه لاحقاً.<sup>(١)</sup>

### رعاية القوانين الاجتماعية

على كل مسلم يعيش في أي مجتمع أن يلتزم بالقوانين والتقاليد السائدة هناك. وإذا كانت تلك القوانين تتعارض مع أحكام الإسلام فعليه اجتناب ذلك المجتمع جهد الإمكان. وإذا كان حضوره ضرورياً في الوسط الاجتماعي فعليه أن يتجنّب مخالفة أحكام الإسلام دون أن يظهر معارضته لتلك القوانين الاجتماعية.

في المجتمعات الإسلامية التي تُدار شؤونها وفقاً لأحكام الإسلام لا يجوز التخلف عن أحكام الإسلام.

يُنظر إلى القوانين الاجتماعية وكأنها اتفاقيات و معاهدات متبادلة بين الدول والشعوب. وإذا لم يكن هناك إشكال شرعي في أصل العقد يصبح العمل بها بعد إقرارها ملزماً للجانبين.

أما بالنسبة إلى من يرغب في الإقامة أو السفر أو اكتساب الجنسية في بلاد غير إسلامية، فعليه الاطلاع على قوانينهم مسبقاً؛ فإذا وجد فيها ما يتعارض مع الإسلام بشكل صريح، ولم تكن هناك ضرورة ملحة لوجوده في تلك البلاد، عليه الامتناع عن الذهاب إليها. وإذا لم يكن هناك ما يتعارض مع أحكام الإسلام بشكل صريح، أو كان هناك تعارض جزئي، فلا إشكال في ذهاب المسلم إلى تلك البلاد.

١- راجع: البند «و» من المورد الخامس من الوظائف السياسية والاجتماعية، ص ٤٧٤ و ٤٨٠ في هذا الكتاب.

## التقية والكتمان

أحكام الإسلام ليست كلها على درجة واحدة من حيث الوجوب أو من حيث الحرمة. فبعضها على النحو الذي يأمر الله العباد بتنفيذها أو الامتناع عنها في كل الظروف والأحوال، وهي ما يُعبر عنها بـ«الواجبات المؤكدة» أو «المحرّمات المؤكدة». أما البعض الآخر من الأحكام فهي أدنى منها من حيث التأكيد، بل هناك تساهل فيها.

الإنسان له قيمة عليا وكرامة سامية، فقد جاء في رواية صحيحة عن الإمام الصادق عليه السلام إن حرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة الكعبة.<sup>(١)</sup> وجاء في الأثر أيضاً: إن حرمة مال المؤمن كحرمة دمه، و لعرضه أيضاً مثل هذه الحرمة.

هناك حقيقة لا بد من الالتفات لها، وهي أن أحكام الإسلام شُرعت كلها من أجل سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. وهذا يعني أنها تتطابق مع الفطرة. ولو حصل تعارض بين حفظ نفس المؤمن و شخصيته و حفظ أحكام الدين، أو كان العمل بالأحكام مدعاة للمخاطرة بالنفس والعرض، فهنا يكون حفظ النفس والعرض مقدّم.

جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ التقية ديني و دينُ آبائي»<sup>(٢)</sup> ومفاد هذه الرواية واضح، وهو أن التأكيد على العمل بالحكم يلغى في حالة وجود خطر يهدد كرامة المسلم أو نفسه، ولكنّ التقية ربّما لاتعني أحيانا أداء أو عدم أداء حكم، بل تعني الكتمان و حفظ السرّ؛ أي عدم إفشاء الأسرار التي تؤدي إلى الإضرار بماله و نفسه و أموال و أنفس غيره. بل لاتعني التقية في حالات كثيرة ترك واجب و فعل محرّم، وإنّما التكنم في أداء الواجبات و عدم المجاهرة. غير أن هذا يتوقف عند حدود معينة؛ إذ لايجوز لأحد أن يبيح لنفسه قتل بريء لمجرّد الخوف من القتل فيما لو امتنع عن تنفيذ أوامر الجائرين. وهذه الحالات تدخل في عداد حقوق الناس. والتقية تجوز، بل تجب في بعض الموارد في حق الله، عندما تتحقق شروطها.

١- الصدوق، الخصال، باب الواحد، ص ٢٧، الحديث ٩٥.

٢- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٤ من أبواب الأمر والنهي، ج ١٦، ص ٢١٠، الحديث ٢٤.

و مما ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار في هذه الأمور والأحوال هو ترتيب الأولويات و تقديم الأهم على المهم.

و هناك نوع آخر من التقية، وهو ما يسمّى بتقية المداراة التي تعني مراعاة الظرف الاجتماعي والمذاهب الإسلامية والأوضاع الدولية. وهو ما سيأتي شرحه لاحقاً في قسم الواجبات السياسية.

### المشاركة في الحياة الاجتماعية و عدم العزلة

من الحالات التي تسود بين الأفراد أحياناً هي نزعة العزلة والانعزالية أو الرهبانية، وهو ما نهى عنه الإسلام و دعا إلى المشاركة في ميادين الحياة الاجتماعية. فقد نهت روايات كثيرة لدينا عن الرهبانية والجلوس في كنف العزلة حتى بذريعة العبادة.

جاء في القرآن ﴿وَلَاتَتَسَّنَّ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾<sup>(١)</sup> و جاء في رواية: «لا رهبانية في الإسلام»<sup>(٢)</sup> و جاء في رواية أخرى: «وَرَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي الْجَهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup> و قال القرآن في النصارى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

كُنَّا قد أشرنا في بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أنّ هذا الحكم يدعو إلى ضرورة الإشراف والرقابة الاجتماعية المستمرة لكل أبناء الشعب في ضوء ما تمليه مسؤوليتهم الشرعية، و من يعتزل الحياة الاجتماعية يعطل هذا الجانب من أحكام الله، وهي أحكام على درجة عالية من الأهمية.

### ب - الواجبات السياسية - الاجتماعية العامة للمسلمين

بعض الأحكام الدينية شرّعت -بغض النظر عمّا فيها من مسؤولية على المسلمين

١- سورة القصص (٢٨)، الآية ٧٧.

٢- القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج ٢، ص ١٩٣، الحديث ٧٠١.

٣- النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، باب ٦٠ من أبواب الدفن، ج ٢، ص ٤٠١، الحديث ٤٢.

٤- سورة الحديد (٥٧)، الآية ٢٧.



كأفراد - كقوانين إجتماعية، وأوكلت مهمة النهوض بها إلى المجتمع الإسلامي وإلى ولاية الأمور فيه.

الشؤون التي تتطلب تنظيمًا وإدارة، لاتقع على عاتق المسلمين كأفراد، وإنما يجب أن تقوم بها الدولة نيابة عن عموم الناس، ومنها مثلاً الشؤون الثقافية، والاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، والأمنية، والقضائية. والاهتمام ينصبّ هنا على الجانب الاجتماعي من هذه الأحكام ودورها في الاستقرار السياسي، ولايعنى بحقوق و واجبات كل واحد من أفراد المجتمع.

نأتي في ما يلي على بحث الأحكام السياسية و واجبات عموم المسلمين تفصيلاً.

### ١- الشؤون الثقافية

المراد بالشؤون الثقافية هنا: الأعمال ذات الاتجاه الثقافي التي تحظى باهتمام الشريعة المقدسة. و نأتي هنا على ذكر القطاعات المهمة منها:

#### أ- التعليم والتربية العامّة

تقع مهمة التخطيط لتعليم و تربية أبناء المجتمع وتطويرها علمياً وثقافياً على عاتق الدولة و ولاية الأمر فيها، و يجب على المعنيين بذل أقصى ما يمكن من الجهود في هذا المجال «طلب العلم فريضة على كل مسلم»<sup>(١)</sup> و قد بيّن القرآن الكريم أن واجب الأنبياء تعليم و تربية الأمة: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(٢)</sup>.

و هناك تأكيد شرعي على طلب العلم حتى وإن كان في مناطق قاصية مثل الصين «أطلبوا العلم ولو بالصين»<sup>(٣)</sup>.

عملية التخطيط للتعليم والتربية يُفترض أن تكون بالنحو الذي يُعطى أكبر قدر من

١- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٠، الحديث ١. ٢- سورة الجمعة (٦٢)، الآية ٢.

٣- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٤ من أبواب صفات القاضي، ج ٢٧، ص ٢٧، الحديث ٢٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ١، ص ١٧٧، الحديث ٥٥.

الاهتمام والاعتبار الاجتماعي، للعلم والتقنية، ويرفع المكانة الاجتماعية للعلماء والباحثين فوق مكانة الحكام، إذ قيل: «العلماء حكام على الملوك».<sup>(١)</sup>

### ب - الدعوة إلى الدين

الدين عبارة عن مجموعة من الأحكام والمعتقدات التي يتوقف قبول تفاصيلها أحياناً على فهم الأمور الدقيقة في العلم والحكمة، وبعض الأحكام شرّعت لمنع التجاوز على حقوق الغير. وكل من يروم الدعوة إلى شيء، لا يذهب عادة إلى غوامضه أو الأمور المعقدة فيه، بل يركّز على الجوانب البسيطة والقريبة إلى الأذهان والمحبية إلى النفوس.

عند الدعوة إلى الدين وإلى شريعة الإسلام ينبغي الإبتداء بما تمتاز به شريعة المصطفى على غيرها من الشرائع، و عرض الأوجه المشتركة في موضعها. والحقائق الشرعية تكون مقبولة عند الناس حين تُقدّم لهم على أنها قوانين قطعية لا مناص منها و تؤدّي إلى بناء مجتمع متكامل أخلاقياً، و سياسياً، و اقتصادياً و اجتماعياً. و لا يصح طبعاً التركيز على الأحكام القاسية التي شرّعت لمنع الظلم والعدوان -و هي طبعاً لازمة أحياناً- إذ أنها قد تكون سبباً لعدم قبول الدين عند الناس، و بهذا يكون هذا الأسلوب ناقصاً لغرض الدعوة.

يصف القرآن الكريم و مضات من الشريعة المحمدية على النحو التالي: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.<sup>(٢)</sup>

تؤكد الأحاديث الشريفة على منهج الترغيب: «رَغَّبُوا النَّاسَ فِي دِينِكُمْ».<sup>(٣)</sup> و من أعظم الآثام التي قد يقترفها المرء، تنفير الناس من الدين بسبب سوء الدعوة إليه.

ها هو القرآن الكريم يلخص لنا ببيان جميل، المنهج المناسب في الدعوة إلى الدين:

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١، ص ١٨٣، الحديث ٩٢.

٢- سورة الأعراف (٧)، الآية ١٥٧.

٣- الصدوق، الخصال، باب السبعة، ص ٣٥٥، الحديث ٣٥.

﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup>.

من البديهي إنَّ أفضل أساليب الدعوة وأكثرها تأثيراً هو أن يكون ولاية الأمر - على اعتبار أنهم على رأس المتصددين لقضية الدعوة - أنفسهم أناساً صالحين و يسلكون النهج القويم في أداء مسؤولياتهم الاجتماعية و واجباتهم القانونية. قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «كُونُوا دُعَاةَ النَّاسِ بِغَيْرِ أَسِنَّتِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

والحكومة التي تحكم باسم الدين تبرز فيها هذه الخصائص على نحو أوضح. قال الإمام الصادق عليه السلام: «أَنَّ الْحَسَنَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ حَسَنٌ وَإِنَّ مِنْكَ أَحْسَنَ لِمَكَانِكَ مِنَّا، وَإِنَّ الْقَبِيحَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَإِنَّ مِنْكَ أَقْبَحُ»<sup>(٣)</sup>.

هذا البيان يظهر أن الحكومة الدينية تتحمل مسؤولية كبرى و شاقّة، وإنَّ أدنى خطأ يصدر منها قد تكون له آثار وخيمة تسيء إلى صورتها الشرعية.

يقع على عاتق المتصدّين لزمام الأمور من الحكّام المسلمين أن يكرّسوا وسائل الإعلام، و كل وسائل الاتصالات الحديثة والواسعة في عالم اليوم، من أجل النهوض بما عليهم من واجبات شرعية، و في اتجاه الدعوة إلى الدين، و في ضوء ما تملّيه الأولويات القانونية والمنطقية.

### ج - العلاقات الثقافية الدولية

العلاقات الدولية في عالم اليوم تخضع للنهج الذي يسير عليه حُكّام البلدان فما يريده أو ما لا يريده الحُكّام هو الذي يودّي إلى بناء أو قطع العلاقات بين الدول، و تضع الشعوب أحياناً في مواجهة بعضها الآخر. و هذه الأمور تخضع في الشريعة الإسلامية إلى مصلحة عموم أفراد المجتمع الإسلامي. فإذا كانت المصلحة تقتضي إيجاد علاقات مع دولة، على الحكام أن يستجيبوا لهذه المصلحة و يقيموا علاقات معها. و أما إذا كان ضرر تلك العلاقات أكثر من فائدتها، فعليهم أن لا يتقدموا عليها. و لا بد من التنبيه طبعاً إلى أنَّ مصلحة عموم

٢- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٣٠٩.

١- سورة النحل (١٦)، الآية ١٢٥.

٣- المصدر السابق، ج ٤٧، ص ٣٤٩ و ٣٥٠.

المجتمع الإسلامي حين تؤخذ بنظر الاعتبار، فذلك لا يعني إلحاق الضرر بحقوق شعوب أخرى أو أناس آخرين.<sup>(١)</sup>

أما على الصعيد الثقافي، فإن وجود العلاقات مفيد عادة باستثناء حالات قليلة تستدعي قطع العلاقات الثقافية بين المسلمين وشعوب أخرى. والتبادل العلمي والثقافي شيء مطلوب على الدوام في الشريعة المحمدية، ولا ينبغي منعه إلا في حالات الضرورة؛ لأن الإسلام يقوم على منطق رصين ولا يخشى مواجهة الأفكار الأخرى.

و من جملة واجبات الدولة الإسلامية، تعريف المسلمين بعلوم وثقافات شعوب الدول الأخرى، و تسويق الفكر الإسلامي و فنون المسلمين إلى تلك الشعوب. فمن المعروف أن الشعوب الأخرى لديها علوم كثيرة ينبغي الاطلاع عليها. فقد قيل: «أَعْلَمُ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ».<sup>(٢)</sup>

هناك مكونات من حضارات و ثقافات الدول الأخرى لا يمكن نقلها، كالأثار والأبنية التاريخية. وهذا ما يستدعي طبعاً اطلاع المسلمين عليها لاستقاء العبر منها امتثالاً لما أمر به القرآن من السير في الأرض والنظر في تواريخ الأمم. و على المسؤولين المعنيين أن يطلعوا على تجارب الأمم الأخرى و ينقلوها إلى المسلمين للاستفادة منها.

#### د- الكتب و وسائل الإعلام

على الدولة الإسلامية و مسؤوليها العمل على توفير المستلزمات الكفيلة بالارتقاء بالمجتمع الإسلامي إلى قمة التطور العلمي والفني، و فسخ المجال أمام التبادل الثقافي والنقد والانتقاد. و عدم منع شيء منها إلا حين تكون تأثيراته السلبية - حسب رأي أهل الاختصاص - أكثر من الإيجابيات.

و أما إذا اختلفت آراء ذوي الاختصاص المسلمين حول مدى ضررها أو نفعها بحيث

١- راجع: رسالة الحقوق (باللغة الفارسية)، ص ١٥ و ٣٢-٣٩.

٢- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٩٥، باب النوادر، الحديث ٥٨٤٠.

لم يحصل اطمئنان برجحان ضررها على نفعها، لا يحق للحكومة شرعاً حرمان المجتمع من تلك النتاجات الثقافية، أو من وسائل الإعلام التي تنقلها، وفي هذه الحالة تترك القضية إلى الوجدان الفردي للمسلم ليتعامل معها وفقاً لتكليفه الشخصي، و يجتنب ما فيها من آثام و أضرار، و يأخذ منها ما يمكن أن ينفعه في تطوير ذاته و ما يؤدي إلى سعادته و كماله. ينبغي أن يعلم أبناء الشعب والمسؤولون والعلماء أن الكثير من مشاكل المسلمين ناجمة عن النظرة الضيقة، و عدم الاطلاع على مدى الفوائد والأضرار التي تنطوي عليها التقنيات الحديثة والمنتجات الصناعية الجديدة. و نظراً إلى أنها ذات قابليات متفاوتة، و هي بمثابة سيف ذي حدين، و يمكن الاستفادة منها على نحو السلب والإيجاب، فالأنظار تتركز عادة على أضرارها و تتجاهل منافعها.

و إذا كان تجاهل الحكام المسلمين لأمثال هذه الأمور سبباً لتخلف الشعوب الإسلامية، و رغبة منهم في اتباع السبيل الأقل متاعباً حسب الظاهر، فإن هذا التجاهل يؤدي إلى حجب التطور والمدنية عن المجتمع، والمسؤولية في ذلك تقع على عاتق الحكام؛ لأن مثل هذا العمل يثبّط عزائم العلماء المسلمين، و يسيء إلى سمعة الإسلام. والملاحظة الأخرى التي ينبغي أن تؤخذ بنظر الاعتبار، هي أن منع نشر كتاب أو مقالة غالباً ما يكون سبباً لتشجيع المنشورات السريّة أو توزيع ذلك الكتاب بالخبفية، ممّا يدعو إلى المزيد من الإقبال عليه والولع به والحرص على اقتنائه والاطلاع عليه، خاصة في الظروف الحالية حيث سهّلت وسائل الطباعة الحديثة كل صعب. والمنع في مثل هذه الحالة يوهن الحق؛ لأن التظاهر بالمظلومية يفضي إلى المزيد من إشاعة الباطل و ترويجه، و يعمي المنطق والاستدلال. و أفضل الحلول لمثل هذه الحالات هو الارتقاء بالمستوى الفكري والثقافي لأبناء الشعب. عن طريق النقد و تبادل الآراء بأسلوب المنطق والاستدلال.

## ٢- الشؤون الاقتصادية

أثبتت التجارب البشرية أن الدولة غير ناجحة في إدارة الشؤون الاقتصادية، و يجب أن لا تتدخل فيها مباشرة، و واجبها الأساسي في هذا الحقل هو الإشراف، و تشريع القوانين و

تنفيذها في سبيل تحسين الوضع الاقتصادي للشعب. والشؤون المالية ينبغي أن تسير في ظل التنافس الاقتصادي السليم. وكثيراً ما يؤدي تدخل السلطات وأصحاب النفوذ فيها إلى خلق مشاكل عديدة، إلا إذا كان ذلك لمنع الفساد الاقتصادي و رعاية ضمانات العمل والاستثمار وفقاً لرأي علماء الاقتصاد ومفاد قوانين العمل.

الإسلام بصفته دين الفطرة، يؤكد على ضرورة النشاط الطبيعي في الإنتاج و توزيع الثروة والخدمات، و يدعو المسؤولين إلى رعاية المعطيات الطبيعية للشؤون الاقتصادية، و يحذر من المشاريع غير المدروسة.

و بالإضافة إلى عملية التبادل التجاري الطبيعي، فإن بعض القضايا المالية الكبيرة تقع على عاتق المسؤولين، وهو ما يعني أن الكثير من الثروات الطبيعية خاضعة للدولة الإسلامية.

و نحن نستعرض في ما يلي -بإيجاز- القطاعات الاقتصادية الخاضعة للدولة الإسلامية.

### أ- الأَنْفَال

ذكرنا في فصل الاقتصاد، أن بعض ما يتعلق بعموم الناس من الأموال يُسمى «الأَنْفَال». و ذكرت مصادرها. والأَنْفَال في الحقيقة هي من الثروات الطبيعية والأموال العامة التي تكون تحت تصرف الدولة الإسلامية. و ينبغي الاستفادة منها بشكل صحيح و مفيد لكل المجتمع. العائدات التي يدرّها إيجار و استثمار هذه الأموال، يعد جزءاً من بيت المال و يجب إنفاقه في مظانّه. و على المسؤولين التخلّي عن النظرة الضيقة و عدم فرض قيود في هذا المجال، بل عليهم ممارسة دور الإشراف، و تفويض أمر الاستفادة من هذه المصادر إلى ذوي الخبرة لكي لا تضمحلّ دواعي الجهد والكسح والنشاط.

و حتى إذا فُوض أمر الاستفادة منها إلى الأفراد، فإنّ الدولة هي صاحبة القرار العملي لتوجيهها و إدارتها بما يصب في مصلحة الأمة.

## ب - المباحات العامة

و هي الأشياء الموجودة في الطبيعة و لا تعود ملكيتها إلى شخص معين. جاء في حديث نبوي شريف: «الناس شركاء في ثلاثة: النار والماء والكأ»<sup>(١)</sup> و يبدو أن المراد من النار، الطاقة الحرارية، و لكن هناك احتمال قوي بأن المراد منها هو مصدر الحرارة؛ أي الوقود. و على هذا فإن مسؤولية إدارتها تقع على عاتق الدولة تفادياً لما قد يقع بين الناس المستفيدين منها من تعارض في المصالح. و من الطبيعي أن تقع مهمة حماية البيئة أيضاً على عاتق الدولة التي يجب أن تشرع القوانين التي تتكفل بالحفاظ على الغابات والمراتع والمياه والجبال والهواء النقي والبحار، و منع إهدارها.

هذه المباحات ملك لجميع الناس و لا يجوز أن تكون حكراً على فئة معينة؛ لأن هذا يتعارض مع ما تدعو إليه الشريعة المحمدية.

لقد تحولت حماية البيئة اليوم إلى قضية دولية، و هكذا الحال بالنسبة إلى المصادر المشتركة خاصة ما يتعلق بالمياه والبحار والنفط والغاز؛ لأن هذه المصادر غدت سبباً لصراعات مدمرة. و على الدول الإسلامية أن تسعى إلى الالتزام بالمعاهدات والاتفاقيات الدولية، مع الحفاظ على مصالح شعوبها و حماية الحقوق الإنسانية والطبيعية لشعوبها.

## ج - الضرائب

كل دولة مكلفة بالقيام بمجموعة من الخدمات إضافة إلى حماية أمن شعوبها ضد أي تهديد داخلي أو خارجي. و هي تتفق على هذه الأمور من الضرائب التي تستوفيها من العائدات العامة. فهي تفرض الضرائب بنسبة مئوية معينة على الدخل الفردي، و تقرّر تعرفه معينة على الصادرات والواردات، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

والإسلام لا يعارض هذا العمل و لكن يشترط فيه العدالة و رعاية حقوق دافعي الضرائب.

١-النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ٤ من أبواب إحياء الموات، ج ١٧، ص ١١٤، الحديث ٢.

**د- الخمس والزكاة**

بعض الضرائب ذكرتها المصادر الدينية صراحة، ومن أشهرها الخمس والزكاة. وأساس تشريع هاتين الفريضتين المائيتين هو ما يقتضيه الإنفاق على بعض الشؤون الاجتماعية، كالاهتمام بشؤون الفقراء والمساكين و أبناء السبيل و حتى بعض الأعمال الخيرية التي يعود نفعها على جميع المسلمين.

تنفق أموال الخمس والزكاة في زمان غياب الإمام المعصوم عليه السلام تحت إشراف المجتهد الجامع للشرائط، في الموارد التي عينتها الشريعة. ولأبد طبعاً من وضع نظام لاستلام ودفع هذه الضرائب، و تركها إلى المكلفين لا يفي بالغرض الذي ترمي إليه الشريعة.

**هـ- الأوقاف العامة**

الدولة الإسلامية هي المسؤولة شرعاً عن الأوقاف العامة وإدارتها. ومع أن الأوقاف يجب أن تنفق وفقاً لإرادة الواقف، ولكنها مما ينطبق عليه الصدقة الجارية، ويجب على الدولة إنفاق عائداتها في تلك الموارد و بناءً على ما تقتضيه مصالح المسلمين.

**العلاقات الاقتصادية الدولية**

في هذه الظروف التي تقاربت فيها حياة الناس بشكل لافت للنظر، حيث تطوّرت واتّسعت سبل و وسائل النقل إلى حدّ بعيد، وكثرت الاتفاقيات والمعاهدات الاقتصادية الدولية، تعاضمت تبعاً لذلك دور الحكومات في ضمان مصالح أبناء الشعب بالعدالة؛ إذ أن العلاقات السياسية والثقافية البناءة تعود على الشعب بفوائد اقتصادية هائلة، والعكس صحيح أيضاً. وهذا ما يستدعي العمل من أجل تعزيز العلاقات الدولية برؤية شمولية، وعدم اللجوء إلى قطعها أو إضعافها؛ لأن الناس من سنخ واحد و بحاجة ملحة للتعايش السلمي.

و على الدولة أن تحرص على حفظ حقوق الشعب -مع عدم الإضرار بسائر الشعوب-



في العقود والاتفاقيات الاقتصادية الدولية، مع الحرص على مشاركة القطاعات غير الحكومية والاهتمام بالمتطلبات الضرورية لعموم الشعب.

و في هذا المجال ينبغي إعطاء الأولوية لحرية التجارة، و فسخ المجال أمام الصادرات والواردات، هذا طبعاً إلى جانب رعاية الاستقلال والسيادة الوطنية و حماية المنتج والمستهلك.

و على الدولة أيضاً أن تحول دون تسلط الأجنبي على اقتصاد البلاد انطلاقاً من قاعدة نفي السبيل المستفاعة من قوله تعالى ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

و من الواضح أن الوضع المعقّد للتجارة العالمية في عصرنا الراهن يتطلب خبرة لا يجيدها إلا المختصون في حقل الاقتصاد والسياسة. و على أصحاب القرار في الدولة الإسلامية أن يستفيدوا من أصحاب هذه الاختصاصات لمعرفة السبيل الصحيحة والسير عليها.

لاشك في أن التشدد في العلاقات الاقتصادية الدولية، أو التساهل في العقود، يؤدي عادة إلى إهدار حقوق الشعوب و تضييع مصلحة الناس. و هؤلاء ينالهم سخط الله. جاء في حديث شريف: «مَنْ وُلِّيَ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَضَيَّعَهُمْ، ضَيَّعَهُ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

### العدالة الاقتصادية

للدولة دور مهم في تحقيق العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي والمساواة؛ و ذلك لأنّ مصادر الثروات العامّة بيدها. والقرارات التي تتخذ عادة في المجال الاقتصادي تؤدّي إلى إثراء البعض على نحو يساهم في حصول فوارق طبقية شاسعة، و تؤدّي في الوقت ذاته إلى إفقار البعض إلى أدنى درجات الفقر.

من المعروف أن الإسلام يعارض تكديس الثروة والفوارق الطبقية، ولكن بعض

١- سورة النساء (٤)، الآية ١٤١.

٢- الصدوق، ثواب الاعمال وعقاب الاعمال، ص ٣٠٩، الحديث ١.

الضرورات الاجتماعية تمنع القيود. و توزيع الثروات والمقدّرات العامّة مهمّة دقيقة، و تحتاج إلى تدبير سليم من قبل المسؤولين. و ينبغي - طبعاً - ترجيح رضا العامّة على رضا الخواص.

و يجب بطبيعة الحال مراعاة الاختلاف في القدرات والاستعدادات؛ لأنّ هذه الظاهرة طبيعية و معقولة، و تتماشى مع العدل و الانصاف. فليس المراد من العدالة الاجتماعية النظر إلى الاستعدادات بعين واحدة و تجاهل الاختلاف في الطاقات والقدرات. و مع ذلك لا بدّ من الانتباه إلى عدم فرض رغبات و ميول غير عادلة على المجتمع تحت ذريعة هذه المتطلّبات الصحيحة.

يمكن من خلال الحسابات الصحيحة والإحصائيات الدقيقة استشراف النتائج التي تتمخض عن القرارات والإجراءات السياسية، والاقتصادية والثقافية، و معرفة مدى تطابقها أو عدم تطابقها مع الأهداف والغايات المنشودة. فالقرار الصحيح يؤثّر إيجابياً في حركة المجتمع، و أدنى خطأ يُرتكب في هذا المجال تظهر تأثيراته. هذا يستدعي طبعاً الوقوف بوجه استمرار و تراكم القرارات الخاطئة، تلافياً لوقوع المزيد من الخسائر.

جاء في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «ما أوسع العدل، إنّ النَّاسَ يَسْتَعْتُونَ إِذَا عُدِلَ فِيهِمْ وَ تَنْزِلُ السَّمَاءُ رِزْقَهَا وَ تُخْرِجُ الْأَرْضُ بَرَكَتَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى». (١)

تجدر الإشارة إلى أنّ الشعوب الإسلامية مرّت بعهود من الظلم والتمييز أدت إلى ظهور طبقات تفصلها فوارق شاسعة من الفقر والغنى. والمتصدّون العادلون لا يتسنّى لهم ادّعاء تطبيق العدالة دون أخذ الماضي بنظر الاعتبار.

المجتمع الذي أرسيت فيه ركائز كل أنواع التمييز، و ظهرت فواصل طبقية عميقة بين شرائحه، إذا أريد تطبيق العدالة فيه، لا بدّ من معرفة الأسباب الجذرية والتعويض عمّا فات. و أحياناً تتطلب الحاجة توجيه المقدّرات إلى مناطق عاش الناس فيها في فقر و حرمان مريرين.

١- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٥٣، باب الخراج والجزية، الحديث ١٦٧٧؛ الكليني، الكافي، ج ٣، ص ٥٦٨، الحديث ٦؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٤، ص ١٣٦، الحديث ٣٨٠.

و يتعين في هذا المضمار توخي الدقة وأخذ المصلحة العامة بنظر الاعتبار، لكي لا تتخذ إجراءات ظالمة تحت ذريعة إعادة الحق إلى أصحابه. وإذا كانت مدة التمييز قد طالت و بات من المتعذر معرفة أصحاب الأموال الأصليين، ينبغي إزالة الحرمان عن أبناء المجتمع عن طريق التركيز على تخصيص المزيد من الثروات العامة للمحرومين.

أوصى أمير المؤمنين عليه السلام مالكا الأشر في عهده إليه: «ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لِاحِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمَحْتَجِينَ وَ أَهْلِ الْيُوسَى وَ الزَّمَنِ... وَ اجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ وَ قِسْمًا مِنْ غَلَاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى...»<sup>(١)</sup>.

و بالإضافة إلى واجب الدولة في التخطيط من أجل رعاية عموم الشعب و إدارة دفة البلاد، عليها أيضاً أن تأخذ بنظر الاعتبار الضعفاء الذين يعجزون عن تأمين لقمة العيش لأنفسهم ولأسرهم، وأن تحوّلهم بمزيد من الرعاية: «وَ تَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَفْتَحِيهِ الْعُيُونُ وَ تَحْقِرُهُ الرِّجَالُ فَفَرِّغْ لِأَوْلِيكَ ثِقَّتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَ التَّوَاضُعِ»<sup>(٢)</sup> أي على مسؤولي الدولة أن يبذلوا للفقراء من الجهد والرعاية ما يُعذرون به أمام الله يوم القيامة «ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ»<sup>(٣)</sup>.

و قال عليه السلام أيضاً في موضع آخر: «إِنَّ السُّلْطَانَ لَأَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَ مُتِمِّمُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ وَ وَزَعْتُهُ فِي الْأَرْضِ»<sup>(٤)</sup>.

### ٣- الشؤون السياسية

#### أ- الوحدة والأخوة الإسلامية

يؤكد القرآن كثيراً على وحدة الأمة الإسلامية، و يأمر بها، كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(٥)</sup> و في هذه الآية أمر بالوحدة و نهي عن الفرقة.

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب ٥٣. ٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق. ٤- الآمدي، غرر الحكم، ص ٣٤١، الحديث ٧٧٩٧.

٥- سورة آل عمران (٣)، الآية ١٠٣.

الأحكام الشرعية إما أن يؤمر بها وإما أن يُنهى عنها، وتُترك لوازمها للمكلف؛ أي أن المكلف يعلم بالعمل الذي يؤمر بالامتناع عنه، ولكن في ما يخص الوحدة التي ضدها الفرقة ورد التصريح بكلا الأمرين. فقد ورد التصريح بوجود الوحدة من جهة وحرمة الفرقة من جهة أخرى. ولعل هذا الأمر قد جاء من أجل إغلاق الباب أمام أي ذريعة للتهدُّب من قضية الوحدة. ولعل النظرة إلى الواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم، والفرقة المريرة التي نشأت بينهم منذ أربعة عشر قرناً، والأضرار التي لحقت بهم من جرّاء ذلك، يمكن أن تكشف لنا عن السر الكامن وراء كل هذا التأكيد الإلهي على قضية الوحدة.

### ب - حوار الأديان

أمر القرآن الكريم النبي ﷺ بدعوة أهل الكتاب إلى الالتفاف حول راية التوحيد في العبادة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> وفي هذا الأمر لم يرد ذكر نبوة محمد ﷺ رغم أهميتها وقطعيتها، لكي لا تكون هناك كلمة اختلاف، تؤدّي إلى فشل الوحدة في الخطوة الأولى.

و على المسلمين نبذ كل ما يدعو إلى الاختلاف وسوء الظن، والالتفاف حول كلمة «سواء» وجعلها قاعدة للوحدة، واجتناب كل قول أو فعل يؤدّي إلى الفرقة. لعل أهم سبيل عملي للوحدة هو الاعتراف باختلاف الآراء، والابتعاد عن الإساءة إلى البعض الآخر، والتأكيد على المشتركات. و يحق طبعاً لعلماء جميع الأديان والفرق طرح وجهات نظرهم، ولكن من الأفضل طبعاً أن يجري بحث مواطن الاختلاف من خلال البحث والنقاش في أجواء علمية، من أجل التوصل إلى وفاق واتفاق في الآراء. ثم يُطرح ذلك في الأوساط الأخرى. وفي حالة بقاء اختلاف الآراء، يبقى كل واحد متشبّثاً بما لديه من أدلّة و حجج يراها صائبة.

١- سورة آل عمران (٣)، الآية ٦٤.

## ج- التعايش السلمي

على المتصدّين لإدارة شؤون الدولة الإسلامية الحفاظ على الاستقرار والتعايش السلمي، والابتعاد عن التوتر وإثارة الصراعات بين الناس، إضافة إلى معاملة أتباع الأديان الأخرى بالحسنى، بل يعاملون بالحسنى كل الناس. يصرّح القرآن الكريم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(١)</sup> و يأمر النبي ﷺ بما يلي: ﴿وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.<sup>(٢)</sup> و عن الصادق عليه السلام: «أفش السلام في العالم».<sup>(٣)</sup>

و على هذا الأساس يجب أن تكون كلمات وسلوك جميع الحكّام المسلمين دقيقة، وتأخذ بنظر الاعتبار ما يمكن أن يتمخض عنها من نتائج على الصعيد العالمي. و عليهم الاحتراز من كل كلام يثير التوتر و يمهد لوقوع الحرب والعداوات أو يؤدي إلى تضيق الخناق على المسلمين، و خاصة في الأماكن التي يشكل فيها المسلمون أقلية. و ينبغي تقديم توضيح منطقي و معقول لأي سوء فهم ينتج عن بعض الأقوال والمواقف حفاظاً على الاستقرار. و إذا كان اهمال المسؤولين سبباً في إثارة الأديان والمذاهب الأخرى و أدّى إلى وقوع خسائر مادية و معنوية، فالمسؤولية الشرعية تقع على عاتق اولئك المسؤولين. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كُلُّ انْسَانٍ مُؤَاخَذٌ بِجَنَائِيَةِ لِسَانِهِ وَ يَدِهِ»<sup>(٤)</sup> و قال في موضع آخر: «رُبَّ فِتْنَةٍ أَثَارَهَا قَوْلٌ».<sup>(٥)</sup>

الذين يشغلون مناصب حكومية مهمة يجب أن يكونوا ممّن يزنون الكلام، و إذا بدّر منهم خطأ عليهم المسارعة إلى تلافيه في أسرع وقت.

لقد كانت النزعات القومية والأثنية أهم أسباب الحروب التي شهدتها البشرية. و قد

١- سورة الممتحنة (٦٠)، الآية ٨.

٢- سورة الأنفال (٨)، الآية ٦١.

٣- الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٣٤ من أبواب جهاد النفس، ح ١٥، ص ٢٨٤، الحديث ٧.

٤- الأمدي، غرر الحكم، ص ٢١٣، الحديث ٤١٥٧.

٥- المصدر السابق، الحديث ٤١٥٢.

نهى الإسلام عن كل هذه النوازع. إنّ الدعوة التي أطلقها نبي الإسلام ﷺ للأديان التوحيدية و دعاها فيها الى التضامن والوحدة، أبرز دليل على لزوم التعايش السلمي بين أبناء البشرية. وهذه الدعوة لازالت باقية على قوتها. و على أتباعه ان يشمروا عن سواعد العزم على هذا السبيل.

من الواضح أنّ التعايش السلمي يعني الاعتراف بالآخر والاحترام المتبادل. أما الفوارق الموجودة بين الناس فهي من أجل التعارف فحسب<sup>(١)</sup> وهذا يعني إمكانية التعايش السلمي رغم وجود الفوارق والاختلافات. إنّ الصورة السلبية التي تُكرّس في بعض المجتمعات و تظهر أن دين الله لا يحتوي على رسالة سوى رسالة الحروب وإراقة الدماء، لا تتسجم طبعاً مع حقيقة دين الله، و لا تقوم على أي اساس علمي و منطقي.

و استناداً إلى ما سبق ذكره، إضافة إلى كثرة أدلة لزوم العدل والإنصاف بشأن كل أبناء العالم، فإنّ أي إقدام يرمي إلى العبث بالاستقرار مخالف للعقل والشرع. و لا يحق لمسلم الإقدام على أعمال عدائية ما لم يكن هناك من يقومون بمثل هذه الأعمال العدائية ضده. والسبيل الوحيد المتاح لهم هم الدعوة إلى أفكارهم و آرائهم بالحق.

#### د - المعاهدات الدولية

من الجائز، بل من الواجب أحياناً عقد الاتفاقيات والمعاهدات بين المسلمين والدول الأخرى بناءً على ما فيها من منافع و مكتسبات، مثلما كان رسول الله ﷺ يتعاقد مع المشركين، مثلاً. و من الأهداف التي تسعى إليها الحكومة عادة بسط الأمن و توفير الأجواء المناسبة للتجارة الدولية بما يحفظ مصالح الشعوب. والإسلام يؤيد هذا المسعى أيضاً و يدعو إليه.

و من الواضح أن الاتفاقيات مع البلدان الأخرى يجب أن لا يكون فيها مَساس بكرامة المسلمين، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. قال الإمام

١- سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٣. ٢- سورة المناقون (٦٣)، الآية ٨.

الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوَضَّ إِلَى الْمُؤْمِنِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا إِذْ لَالَ نَفْسِهِ»<sup>(١)</sup>.  
 الاتفاقيات التي تضمن مصالح بلد معين ولكنها تضر بشعب آخر أو تنطوي على ظلم فادح له، لا ترضاها الشريعة المحمدية، ويجب اجتنابها. قال تبارك و تعالی في آية الإحسان -التي ذكرناها في المبحث السابق- و في قوله: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ \* إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ ظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ<sup>(٢)</sup> و يُسْتَفَادُ مِنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَ مِنَ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ وَ النَّالِيَةِ لَهَا، وَ مِنَ آيَاتٍ أُخْرَى أَيْضًا، أَنَّ الْإِحْسَانَ يَشْمَلُ كُلَّ النَّاسِ، وَ لَا يَسْتَثْنِي مِنْهُ إِلَّا الْمُحَارِبُونَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَ مِنْ يَمَارِسُونَ الظلم ضد المسلمين.

#### هـ- تَقْيَةُ الْمَدَارَاةِ

يستطيع المتصدون لإدارة الشؤون الاجتماعية التغاضي وقتياً عن بعض الفروع الجزئية للأحكام رعاية لمبدأ الوحدة بين المسلمين، أو تفادياً لما يمكن أن يقع بينهم من سوء فهم للتعاليم الدينية. وهذا هو ما يُسمى بتقية المداراة، وهو يُعدّ من المباحث المهمة في السياسة الاجتماعية في الإسلام.

يعمل بالتقية عادة في مقابل جهات أقوى أو في حالات الضرر البالغ، ولكنها تكون أحياناً بمثابة نوع من ضبط النفس رعاية لمصالح ذات نطاق أوسع و بما له صلة بالمذاهب الإسلامية. و في ضوء ذلك إذا تبين للدولة الإسلامية من خلال القنوات المختصة أنّ العمل ببعض الأحكام يعود على الأمة الإسلامية أو على الإسلام بأضرار لا تُعوّض، يمكنها، بل ينبغي عليها التغاضي مؤقتاً عنها. خاصة إذا كانت الأوضاع الداخلية أو الدولية تؤدي إلى إثارة الفوضى والسخط، و إلى زعزعة مرتكزات الدين و ثقة الناس بالحكومة الدينية فيما إذا أصرت الحكومة على بعض الأعمال الشرعية أو القرارات الحكومية الداخلية.

١- الكليني، الكافي، ج ٥، ص ٦٣، الحديث ٣. ٢- سورة الممتحنة (٦٠)، الآيتان ٨-٩.

جاء في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «التَّقِيَّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَضْطَرُّ إِلَيْهِ ابْنُ آدَمَ، فَقَدْ أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ». (١) وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الدِّينِ فِي التَّقِيَّةِ وَلا دِينَ لِمَنْ لا تَقِيَّةَ لَهُ». (٢) وقال «كَلِّمًا تَقَارَبَ هَذَا الأَمْرَ كَانَ أَشَدَّ لِلتَّقِيَّةِ». (٣)

وجاء في رواية إنَّ الإمام الصادق عليه السلام حدَّ هشام بن الحكم من الإتيان بعمل يكون سبباً للملامة أو مدعاة للإساءة لأهل البيت، قال الإمام في هذه الرواية: «... صَلُّوا فِي عَشَائِرِهِمْ وَ عودوا مَرْضَاهُمْ وَ اشهدوا جنائزهم وَ لا يسبقوا نكحكم إلى شىءٍ مِنَ الخَيْرِ؛ فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْهُمْ. وَاللَّهِ ما عبد الله بِشَىءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الخَبَأِ. فقال الراوي قُلْتُ: وَ ما الخَبَأُ؟ قال عليه السلام: التَّقِيَّةُ». (٤)

لابد أيضاً من الالتفات إلى أن ما ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار، مصالح العالم الإسلامي على الصعيد الدولي؛ وذلك لأن الكثير من السياسة في العالم أو المفكرين غير المسلمين قد وقعوا تحت تأثير السلوك المغلوط لبعض المسلمين على مدى التاريخ - من قبيل الممارسات الدموية القاسية التي كانت ترتكب في أيام الدولة العثمانية والصفوية، أو في أيام بني أمية و بني العباس، أو ما يُقترَف اليوم من جرائم باسم الإسلام - وهو ما يحملهم على تكوين صورة غير واقعية عن الإسلام و أحكامه. ولعلهم لا ذنب لهم في هذا التصوّر. ولهذا فإنَّ واجب قطاع الإعلام في الدولة الإسلامية هو إراءة صورة دقيقة وصحيحة عن الإسلام، من أجل تبديل أية دوافع لمعارضة أحكام الإسلام، ولكي لا تتكون لدى علماء العالم صورة سيئة عن أحكام الإسلام النيرة.

و هذا بطبيعة الحال طريق طويل و شاق. و إذا كان هذان العاملان يحولان دون اتّخاذ الطُّرُق الصحيحة للوصول إلى هذه الغاية، فسوف تطول مدّة وجوب التقية، و تمتد حالة الاضطراب للعمل بالأحكام الثانوية و المتطابقة مع المصالح العامّة للمسلمين. و مسؤوليّة ذلك تقع على عاتق أولئك الذين يتوانون عن وضع الخطط الطويلة المدى، و يكتفون

١- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٢٠، الحديث ١٨. ٢- المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٧، الحديث ٢.

٣- المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٢٠، الحديث ١٧.

٤- المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٩، الحديث ١١؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢١٩، الحديث ٢.



بالخطط القصيرة المدى، وفي ذلك يتبيح بعض الأفراد بالقول: إننا نطبق أحكام الإسلام و لا نبالي لما يقوله الآخرون، ولكن عدم المبالاة لانعكاسات السلوك الاجتماعي ليست دليلاً على الكمال والتقوى. إذ من واجبات المسلمين ملاحظة تأثير سلوكهم في المجتمعات الأخرى. و عليهم أن يجذبوا الآخرين إلى الإسلام بحسن سلوكهم.

ومن الضروري أيضاً التنبيه إلى أن السلوك العنيف لبعض المسلمين في الماضي والحاضر لا يتطابق مع القيم الدينية، ولا مع سنة النبي ﷺ أو سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام. ومثل هذه الأعمال لا تتماشى مع الأحكام الأولية للإسلام. وفي هذه الحالات لا يصل الدور إلى الأحكام الثانوية ولزوم التقية، ويجب اجتنابها على أية حال.

#### و- الإصلاح بين الناس في السياسة الخارجية والداخلية

يتعين على المسؤولين في الدولة الإسلامية الالتزام بمتطلبات التصدي للمناصب الاجتماعية، وأهم تلك المتطلبات قيامهم بدور الحكم في الوسط الاجتماعي. فالقرارات التي تُتخذ شبيهة إلى حد ما بالتحكيم الذي تؤدي فيه العدالة إلى استقرار السلطة وثباتها، وأما الظلم فيه فيؤدي إلى زعزعة السلطة. «الْحَيْفُ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ»<sup>(١)</sup>.

تبرز عادة في الوسط الاجتماعي اختلافات فئوية، وقومية، وسياسية وغيرها. وعلى المسؤولين أن يؤديوا فيها دور الحكم المحايد، كالأب الذي يسعى إلى إقامة الحق بين أبنائه بعيداً عن جرح مشاعر أحد منهم، ويحاول التوفيق بينهم وإصلاح ذات بينهم. وهكذا الحال أيضاً على صعيد الصراعات بين الدول، إذ يجب السعي لحل الاختلافات عن طريق السلوك المنطقي، و بالنحو الذي يعكس الوجه الحقيقي للدولة الإسلامية، التي تُعتبر في الواقع الترجمان الأصيل للروح الإسلامية التي أوجزها القرآن بالآية الشريفة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

الدولة الإسلامية ترحب بإحلال السلام والمحبة بين شعوب العالم، وتعتبر ذلك جزءاً

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة ٤٧٦، ص ٥٥٩.

٢- سورة الأنبياء (٢١)، الآية ١٠٧.

من أهدافها. وفي الوقت ذاته تعتبر دعم المظلومين وإحقاق حقوقهم المشروعة جزءاً من سياستها القائمة على العدالة.  
إن الإصلاح بين الناس دعوة قرآنية، وهو مما أكدت عليه روايات كثيرة.

#### ز - الاستقلال التام

يجب أن تتمتع الدولة الإسلامية بالاستقلال التام في جميع قراراتها، بما يخدم مصالحها الداخلية والخارجية، ولا تسمح بأن يُفرض عليها شيء خارج المسار الطبيعي. والتدبير الصائب للمسؤولين قادر على منع الكثير من القرارات الاضطرارية، وإبقاء طريق الاستقلال مفتوحاً على مصراعيه ولا يوقع الشعب في ما لا يرغب فيه.  
إنَّ القدرة على التحليل وكشف متطلّبات الأمور، والجسّ السياسي واستشراف الوقائع يمكن أن يرسم معالم الشخصية المستقلة للحاكم الإسلامي. ويجب أن لا تكون أفعال الدولة الإسلامية بمثابة ردود أفعال على الواقع الذي يخلفه الآخرون، بل يجب أن يكون لها دور فاعل يؤثر في الواقع، وأن ترسم سياستها قبل وقوع الحوادث.<sup>(١)</sup> فكل من تفوته الفرص التاريخية ولا يستثمرها في حينها، يجد نفسه في اتخاذ القرار فاقداً لاستقلاله.

#### ٤- الشؤون العسكرية والأمنية

من ضرورات الحياة الاجتماعية وجود قوات مسلّحة لمواجهة الحوادث المحتملة والدفاع عن ثغور البلاد ضد أي عدوان خارجي. ووجود قوى الأمن، للحفاظ على الأمن الداخلي.  
لقد أكّد الإسلام على الاهتمام بهذه الأمور، حين أقرّ الأساليب التي كانت سائدة في المجتمعات السابقة، وقدم إرشادات للاستفادة المثلى من تلك الأساليب. ولا شكّ في أنّ الالتزام بهذه القيم والمبادئ يساعد على تحقيق أهداف الدولة الإسلامية و تمييز المجتمع الديني عن غيره.

١- عن عليّ (عليه السلام): «كلّ شيء طلبته في وقته فقد فات وقته» ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٣٢٣، الحديث ٧٠٠.

## أ- تأسيس وإدارة القوات المسلحة

دعا القرآن الكريم صراحة إلى إعداد القوة العسكرية: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>. وهذه الدعوة تبدو رد فعل طبيعي لا يغمض عينيه عن الواقع في عالم يحتكم فيه كل شيء إلى القوة وإلى السلاح.

ورغم أن الدين يتطلع إلى بناء عالم يخلو من الصراعات والحروب، وهو بطبيعة الحال عالم لا يحتاج إلى كثير من إعدادات القوة العسكرية، ولكن هذا العالم المليء بالقوى العسكرية المجهزة بأحدث الأسلحة المدمرة، لا يمكن للعالم الإسلامي أن يتوانى أو يتهاون في تجهيز نفسه بالقوة العسكرية اللازمة للدفاع عن كيانه وعن كرامة المسلمين.

وأما على الصعيد الداخلي للدولة الإسلامية فلا بد أيضاً من وجود قوة قادرة على ردع الظالمين وحماية المظلومين. و طالما كان هناك تعدد على حقوق الآخرين، فلا بد من وجود قوة مسلحة تردع الظالمين عن التعدي على المظلومين.

من المعروف أن الواجب الأساسي للدولة بسط الأمن الاجتماعي والاقتصادي والسهر على أموال الناس وأرواحهم، ولا بد طبعاً أن تكون لدى الدولة الإسلامية الوسائل المناسبة للنهوض بهذه المهمة.

## ب- الجهاد والدفاع

سبق - عند الحديث عن أهداف الحكومة - أن إحدى الضرورات التي دفعت الإنسان إلى إقامة الدولة والحكومة هي الحاجة إلى الدفاع عن المجتمع ومصالحه ضد أي عدوان. وانطلاقاً من هذه الرؤية أقر الإسلام مبدأ الدفاع والجهاد الدفاعي، لكي يكون توازن القوى سبباً لإزالة أو تقليل احتمالات التفكير بالهجوم والعدوان على الغير. وإذا كان هناك عدو

١- سورة الأنفال (٨)، الآية ٦٠.

غاشم فلا بد أن يواجه مقاومة من أجل أن تكون كلفة العدوان غالية، فيصدّه ذلك عن التفكير في العدوان.

و قد قَسَمَ الفقهاء، الجهاد، إلى نوعين: ابتدائي و دفاعي، ولكن بعد إمعان النظر في هذا الموضوع يمكن القول: إنّ الجهاد في كل الأحوال دفاعي؛ أي لمنع الظلم ولأجل الدفاع عن الحق. وقد حدثت بعض الوقائع التي يوحى ظاهرها بأن جبهة الحق هي التي بدأت بالهجوم والعدوان، ولكن حقيقة الحال هي أن مواقفها لم تكن إلاّ دفاعاً عن القيم الإنسانية، وعن حقوق الناس المسحوقين تحت عجلة الظلم. وهذا من أكثر الأساليب منطقية. جاء في القرآن الكريم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَ لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَ مَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ (١)

و قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَ لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٢)

الغاية من تشريع الجهاد هو الدفاع ضدّ من يعتدي على حقوق الناس ويُربك الأمن. وما حصل في صدر الإسلام في زمان رسول الله ﷺ من معارك مثل معركة بدر، إنّما كان دفاعاً تأخّر عن حينه بضع سنين بسبب الافتقار للقوة الدفاعية. كان المسلمون قبل ذلك قد أخرجوا من ديارهم وهاجروا من مكّة و بقيت أموالهم فيها بسبب شدّة الضغوط التي واجهوها من المشركين. واستطاعوا في معركة بدر استعادة قسم منها بما غنموه من المعتدين. ولو أنّ شعباً مظلوماً كالشعب الفلسطيني أُتيح له فرصة استعادة أرضه - حتى وإن كان ذلك بعد عشرات السنين من اغتصابها - فإنّ عمله هذا يُعتبر جهاداً دفاعياً وليس هجومياً. و هناك كلام لأمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه: «فإنّ الحق القديم لا يبطله شيء»، (٣) ويمكن جعله قاعدة لهذا العمل.

١- سورة الحج (٢٢)، الآيتان ٣٩ - ٤٠.

٢- سورة البقرة (٢)، الآية ٢٥١.

٣- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ذيل الخطبة ١٥، ج ١، ص ٢٦٩.

و نحن إذا نظرنا من هذه القاعدة و هي أن الحق لا يبطل على مرّ الزمان، سنلاحظ أن الأعمال العسكرية التي قام بها النبي، و غزواته و سراياه، لم تكن إلاّ دفاعاً عن المظلومين و لإزالة العراقيل التي وضعها المشركون على طريق المسلمين، أو على طريق من يريدون اعتناق الإسلام، حرصاً على توفير السبيل أمامهم لاختيار معتقدهم بحريّة.

### ج - السلام والأمن

إذا توفرت سبل أخرى لاستحصال حقوق المسلمين من غير الطرق العسكرية، ينبغي اغتنامها و دراسة إمكانية الاستفادة منها، و لكن ينبغي أن لا يكون ذلك سبباً للفتور و التهاون، بل يجب الاحتفاظ بالقوّة العسكرية الكافية للدفاع.

يدعو القرآن الكريم بصراحة إلى السلام و نبذ الحرب: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(١)</sup> قال الإمام الصادق عليه السلام في بيانه لمعنى حديث منقول عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا حاصر جيش المسلمين قوماً من المشركين، ثم برز أحدهم فقال: أعطوني الأمان حتى أحدث أميركم و أناظره، فأعطاه أحد المسلمين الأمان و جب حتى على كبار قادة الجيش الالتزام بذلك الأمان.<sup>(٢)</sup>

### د - تأمين الطرق والحدود والمدن في زمان الصلح

من الواجبات المهمّة للحكومة حراسة حدود البلد، و مراقبة تحرّكات القوات المسلّحة للبلد المجاور، هذا إضافة إلى ضبط الأمن على الطرق و في المدن. اليوم يتولّى جهاز الشرطة بسط الأمن الاجتماعي و كسب ثقة الشعب و محاربة الجريمة. طبعاً ليس هناك مجتمع يخلو من المخالفات و الجرائم. و يتولى هذا الجهاز أيضاً تنفيذ الأحكام القضائية. و الشريعة المقدّسة لا تمنع من اتباع هذا الأسلوب، و إنّما تقرّ ما يرضيه العقلاء.

١- سورة الأنفال (٨)، الآية ٦١.

٢- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٠ من أبواب جهاد العدو، ج ١٥، ص ٦٧، الحديث ١.

روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «أَقِمِ النَّاسَ عَلَى سُنَّتِهِمْ وَ دِينِهِمْ... وَ تَعَاهَدُ تُغَوِّرَهُمْ وَ أَطْرَافَهُمْ». (١)

و لكن رغم كل ذلك ينبغي أن لا يغيب عن الأذهان أن نجاح عمل القوات المسلحة و قوى الأمن يتوقف على تعاون الشعب، و مسانيرتهم له. و هذا ما يدعوهم إلى الابتعاد عن أساليب الظلم و الشدة و التدخل في الشؤون الشخصية للأفراد، مع التغاضي عن الهفوات و عدم الخوض في الصراعات الحزبية و الفتوية.

### هـ- الأمن و المخابرات

من الأجهزة التي تمارس بها الحكومة دورها و إشرافها على طريق تحقيق أهداف المجتمع، هو جهاز الأمن و المخابرات. و هو طبعاً من الأجهزة الحساسة التي تتوقف ثقة الشعب بالحكومة أو عدمها على كفاءتها و حسن أدائها. و من المعروف أن تطوّر وسائل الاتصال عقّد مهمة ضبط الأمن. و من الطبيعي إن كل شعب لديه أسرار يجب أن تبقى طيّ الكتمان؛ لما لها من أهمية في تقدّم البلد أو تخلّفه، سواء كانت من نوع الأسرار العسكرية أو الاقتصادية أو العلمية أو السياسية أو التقنية.

في العصر الذي نعيش فيه يحتل الأمن مكانة مهمة. و يُفترض بالمجتمع الإسلامي أن لا ينسى موقعه في هذا التنافس و الصراع. و على الحكومة الإسلامية بصفتها ممثلاً عن شعبها ان تهتم بالأمن آخذة بنظر الاعتبار دوره في استقرار البلد أو إثارة الاضطرابات فيه. و ان تستفيد من التجارب البشرية في الجانب الإيجابي و المشروع منها.

لقد دعا الإسلام منذ مطلع ظهوره و إقامة دولته في مدينة النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلى الأخذ بأساليب حفظ الأمن التي كانت متبعة في ذلك الوقت. و هذا ما يلاحظ وجوده في الآثار المتبقية منذ ذلك الوقت، مثل كلمات العيون، و «العين» و الشرطة، و العرفاء، و ما إلى ذلك، التي تشير إلى أجهزة الأمن و الاستخبارات.

١- الآمدي، غرر الحكم، ج ٢، ص ٢١٥، الحديث ٢٤١٩.

و من أهم الضرورات التي تدعو في الوقت الحاضر إلى وجود أجهزة الأمن والاستخبارات هي:

١- وجود جهاز مركزي لجمع المعلومات الأمنية والاهتمام بالجانب الأمني ومكافحة عمل الأجهزة الأمنية المضادة.

٢- الإشراف الأمني على القوات المسلحة في ضوء ما يمكن أن يحصل من مؤامرات عسكرية وسوء استغلال للسلاح، وما قد يحصل من تحركات تزعزع أمن البلاد. و ينبغي أن يقتصر دورها هنا على جمع المعلومات، وأما بقية الأمور فتترك لمسؤولي البلاد.

٣- مكافحة النشاط الأمني الأجنبي المعادي والمضاد لمصالح المجتمع الإسلامي في داخل و خارج البلد.

في العهود الماضية كانت مهمة مراقبة أعمال الولاة و عمّال الدولة توكل إلى وكلاء سرين (العيون) وإلى الأجهزة الأمنية، ولكن هذه المهمة أصبحت تؤدى في العصر الحديث من قبل وسائل الإعلام بسبب ما تتصف به من سرعة نقل المعلومات.

و نظراً إلى ما يتسم به عمل الأجهزة الأمنية من سرية لذلك تصعب مراقبته. وهذا ما يجعله معرّضاً لكثير من الانحرافات كالخيانة، والتقارير الكاذبة، واختلاق التهم للآخرين. ولهذا يجب أن يكون لمؤسسات الدولة إشراف دقيق و رقابة صارمة على الأجهزة الأمنية، مع وضع تشريعات رادعة في هذا المجال. إذ كلما كان تدخل هذه الأجهزة في شؤون البلد أقل، يستتب الأمن في البلد أكثر. و في مثل هذه القضايا ينبغي الاكتفاء بما هو ضروري منها، و لا يجوز أن يُسمح لجماعة بالاطلاع على جميع أسرار الناس و استغلالها.

و لعل قول رسول الله ﷺ - كما جاء في إحدى الروايات -: «إِنَّ الْعُرْفَاءَ حَقٌّ وَ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنَ الْعُرْفَاءِ وَ لَكِنَّ الْعُرْفَاءَ فِي النَّارِ»،<sup>(١)</sup> ينم عن مدى خطورة هذا العمل، و سبب اخفاق بعض العاملين في هذا الحقل في إنجاز واجباتهم الشرعية والقانونية، و تخطيهم الحدود المرسومة لهم. و انطلاقاً من ذلك يفترض توخي أقصى درجات الدقة في تفويض

١- سنن أبي داود، باب في العرافة، ج ٣، ص ١٣٢، الحديث ٢٩٣٤.

المسؤوليات الأمنية إلى الأفراد بالنحو الذي لا يؤدي إلى هتك الحرمات والإساءة إلى الناس، و بالتالي إلى التشكيك في مشروعية النظام.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: «إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ... شُرْطِيًّا أَوْ عَرِيفًا... فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَتَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: أَمَا إِنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِي لَا تَرَدُّ فِيهَا دَعْوَةُ الْإِدْعَاةِ عَرِيفٍ... أَوْ شُرْطِي...»<sup>(١)</sup> وكل هذه الأحداث تدل على مدى حساسية عمل الأجهزة الأمنية والمنزقات التي تحفّ به.

و على أية حال فإنّ وجود مثل هذا الجهاز ضروري لحفظ الأمن، ولكن ينبغي الاكتفاء فيه بما تمليه الضرورة. و يجب طبعاً منع هذا الجهاز من التجسّس على الحياة الخصوصية للناس، كما ينبغي أن لا يدخل فيه إلا من تتوفر فيهم الأهلية الأخلاقية والإنسانية، ولا يكون منفذاً يستغله المفسدون للإساءة إلى أبناء الشعب.

و على هذا الأساس لا بدّ أن يقتصر عمل هذا الجهاز على الشؤون الأمنية الداخلية منها والخارجية، و لا تفوّض إليه صلاحيات قضائية؛ لأنّ القضاء و مقدّماته من الأمور التي يجب أن تجري في العلن. بينما عمل الأجهزة الأمنية يقوم على مبدأ الكتمان. و يفترض أيضاً أن تكون صلاحيات و مجالات عمل هذا الجهاز محددة، و يخضع لإشراف دقيق من قبل أجهزة حكومية، و تكون عليه رقابة من قبل وسائل الإعلام و المؤسسات الشعبية، عدا الأسرار العسكرية في مدّة معيّنة. و عندئذ يكون هذا الجهاز مفيداً للدولة الإسلامية.

## ٥- الشؤون القضائية

للقضاء في الدولة الإسلامية أهمية فائقة؛ و يعزى سبب هذه الأهمية إلى وجود خلافات قد تقع بين أبناء الشعب، أو بينهم و بين مسؤولين حكوميين، و يتعيّن على القضاء الحكم فيها. فالقضاء في حقيقته يمثّل حلقة وصل بين الشعب والحكومة؛ لأنه يمارس سلطته بواسطة قوّة الدولة و مؤسّساتها، و هو بذلك يُظهر استقلاله عن الحُكّام و المسؤولين في

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٠٠ من أبواب ما يُكتسب به، ج ١٧، ص ٣١٥، الحديث ١٢.



الدفاع عن حقوق الشعب أمام السلطة ورجال الحكم. في الماضي كان هذا المنصب في يد السلاطين ورؤساء الحكومات، ولكن التجربة البشرية أثبتت أنّ تقسيم السلطات يُقلل من مساوئ الحكم. ولهذا يفترض ان يكون هذا الأمر إلى القضاة وان يكون مستقلاً عن عمل الحكومة. الكثير من الفقهاء لا يجيزون تصدّي غير المجتهد الجامع للشرائط لمنصب القضاء، وهذا موافق للاحتياط أيضاً. وينبغي أن يكون القضاء أيضاً في يد من لا يدخل في تنافس مع أبناء الشعب في القضايا الاجتماعية أو السياسية، وأن لا يكون من ذوي الميول والاتجاهات الحزبية والفئات السياسية. وأفضل السبل لاختيار مسؤولي القضاء الرجوع إلى آراء ذوي النظر في الشؤون الحقوقية والقضائية أو الرجوع إلى الرأي العام.

#### أ- القضاء وشروطه

مهمّة القضاء أصعب المهام وأكثرها تعرّضاً للمحاسبة يوم القيامة؛ لأنّ أدنى ظلم يرتكبه القاضي يؤاخذ عليه أمام الله. وقد وردت في الأحاديث تأكيدات كثيرة على آداب المحاكمات والعدالة في سلوك القاضي. ومن ذلك أن الإمام الصادق عليه السلام قال في تصنيف القضاء: إنّ القضاة أربعة؛ ثلاثة في النار و واحد في الجنّة: رجل قضى بجور وهو يعلم، فهو في النار. ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنّة.<sup>(١)</sup>

إنّ صعوبة هذه المهمة جعل الكثير من الفقهاء العظام يتردّدون في التصدّي لها؛ لأنّ إجراء الكثير من أحكام الله يختص بزمان وجود الإمام المعصوم عليه السلام.

يقوم أساس القضاء في الإسلام على مبدأ تحقيق العدالة والدقة في حقوق الناس، مع تفويض الكثير من الصلاحيات للقاضي للعتفو في ما يخص حق الله، أو منع إثبات الجرم.

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٤ من أبواب صفات القاضي، ج ٢٧، ص ٢٢، الحديث ٦.

ففي ما يخص الله يجب على القاضي تفهيم المتهم بالعقوبة التي تترتب به فيما لو اعترف بالذنب. وأما الإجراءات المعقدة لإثبات بعض الذنوب فهي نابعة من عدم رغبة الإسلام في إثبات الجرم والمعاقبة عليه؛ لأنه يُفضل في مثل هذه الحالة أن يتوب المجرم بنفسه، وليس من الضروري أن يتحمل القاضي مشقة تطهيره من الذنب. أما بالنسبة إلى حقوق الناس فقد وردت أقوال كثيرة في الحث على العفو عن المجرم وأن يصفح ذوو الحق عنه، ولكن إذا أصّر صاحب الحق على تنفيذ العقوبة لا يمكن للقاضي التفاوضي عن إحقاق حق الناس. جهاز القضاء يجب أن يكون على النحو الذي لا يفقد فيه أحد الأمل بأخذ حقه، ولا يشعر فيه المجرمون بالأمان من العقاب. و ينبغي أن لا يحمل جهاز القضاء أية توجهات سياسية أو فئوية تجعل حكم القاضي معروفاً سلفاً.

و من الأفضل، بل من اللازم في القضايا الصعبة والمعقدة، أن لا يتحمل قاضٍ واحد عبء الحكم فيها، وإنما تقوم جماعة من المحققين بالتشاور و تطبيق المصاديق على القوانين و إصدار الحكم. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ عَرَضَ لِي أَمْرٌ لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ قَضَاءٌ فِي أَمْرِهِ وَ لَا سُنَّةٌ، كَيْفَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: تَجْعَلُونَهُ شُورَى بَيْنَ أَهْلِ الْفِئَةِ وَالْعَابِدِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَا تَقْضِي بِرَأْيٍ خَاصَّةٍ»<sup>(١)</sup>. و جاء في حديث نبوي شريف: «شَرَارُ أُمَّتِي مَنْ يَلِي الْقَضَاءَ، إِنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ لَمْ يُشَاوِرْ وَ إِنْ أَصَابَ بَطَرَ وَ إِنْ غَضِبَ عَنَّفَ»<sup>(٢)</sup>.

و من المؤكّد أنّ شمولية أدلة المشورة يمكن أن تشمل الشؤون القضائية أيضاً. أما الشروط والحالات الأخرى فقد أشبعتها الكتب الفقهية بحثاً. و يمكن لمن يشاء الرجوع إليها للاطلاع على مزيد من المعلومات.

### ب - كيفية القضاء

لا ينبغي عند التحري والاسْتِنْبَاط دفع المتهم إلى الإقرار تحت التهيب أو الترغيب أو

١- المُتَّقِي الهندي، كنز العمال، ج ٥، ص ٨١٢، الحديث ١٤٤٥٦.

٢- المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٣، الحديث ١٤٩٩٠.

التعزير؛ لأن الإقرار الناجم عن هذه الأساليب غير معتبر، ولا يجوز شرعاً الاستناد إليه. نقل الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَنْ أقرَّ عِنْدَ تَجْرِيدٍ أَوْ حَبْسٍ أَوْ تَخْوِيفٍ أَوْ تَهْدِيدٍ فَلَا حَدَّ عَلَيْهِ»،<sup>(١)</sup> أي ليس لإقراره اعتبار شرعي. وهناك أحاديث معتبرة دالة على هذا، والفقهاء كلهم متفقون عليه. وحتى الإقرار في جلسة المحاكمة يجب أن يكون خالياً من هذه العوامل، وإن جاء تحت تأثير أي منها فلا اعتبار له.

يجب أن يأتي إقرار المتهم في حالة من السكينة لأجل أن يكون له اعتبار. وإقرار المتهم يُقبل في ما يَخُصُّه هو فقط ولا يسري إقراره على غيره. و لمثل هذا الإقرار اعتبار في حدود وجود القرينة.

و أمّا الشهود فيجب أن يكونوا عدولاً، وأن لا تكون لهم مصلحة في الحكم، ويجب أن يكون هناك شاهد مع القسم على الأقل في بعض الموارد، أو شاهدان في بعض الأحكام (أو أربعة شهود عدول على الزنا - مثلاً - بشروط خاصة) لكي يكون هناك إثبات شرعي.

و في القسامة يجب أن يقسم خمسون شخصاً ليثبت الجرم، والاكتفاء بما دون الخمسين مع تكرار القسم من قبل الأشخاص الموجودين، موضع إشكال.

والبينة الشرعية، وإن كانت في أمور خاصة كشهادة الشهود العدول والقسامة، ولكن كل ما يؤدي إلى كشف الحقيقة و يتضح أن لا خطأ فيه و مفيد للعلم كقطع الأصابع و تحليل الدم و ما شابه ذلك، يمكن للقاضي أن يتخذه مستنداً لحكمه، وإن كان اعتبار علم القاضي في بعض الأمور - خاصة الجنسية - موضع إشكال.

و يجب أن تكون المحاكمات علنية، ولا يجوز أن تجرى في أماكن يتعذر وصول الناس إليها كالمعتقلات السريّة، أو الزنانات، أو الغرف المغلقة. و يجب أن تتوفر للمتهم إمكانية الاعتراض و إيصال صوته إلى الآخرين حين التحري و الاستنطاق، و إذا كان ذلك يجري في أماكن مجاورة للأماكن العامّة تتقلّص احتمالات الضغط على المتهم. و لهذا يفترض بالدولة الإسلامية و جهاز القضاء فيها توفير الظروف التي تتيح للمتهم مزيداً من السكينة

١- الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ١٠، ص ١٤٨، الحديث ٥٩٢؛ الكليني، الكافي، ج ٧، ص ٢٦١، الحديث ٦.

والاستقرار. كما يجب على الأجهزة القضائية توفير الأمن للشهود بأي نحو ممكن، لكي لا يكون خوفهم على حياتهم سبباً في عدم كشفهم عن الحقائق. وعلى صعيد آخر ينبغي اتخاذ كل ما من شأنه منع شهادة الزور.

يجب على جهاز القضاء أن لا يجعل مبدأ عمله إثبات تحقق الجرم، ثم محاولة إثبات ذلك بأي نحو ممكن. بل ينبغي أن ينظر بحيادية إلى وقوع الجرم أو عدمه، وأن يدرس الأدلة والشواهد والقرائن، وفي حالة عدم ثبوت الجرم شرعاً وقانوناً، يجعل الأمانة لبراءة المتهم. والملاحظة الجديرة بالذكر هنا، هي أن بعض الاجراءات السائدة اليوم في العالم لإظهار الحق وتحقيق العدالة، لم تكن معروفة في النظام القضائي الإسلامي، ولكن بما أنها تصب في مسار العدالة و تساهم في تقليص احتمالات خطأ القاضي، فمن الضروري اتباعها في جهاز القضاء مثل وجود محامٍ عن المتهم، وحضور هيئة إنصاف في المحاكم، وحق الطعن في الحكم أو ما يُسمى بالتمييز، وعدم قطعية الحكم في المرحلة الأولى، ومساائل من هذا القبيل. وبما أن العدالة هي أساس القضاء وغايته القصوى، لذلك يجب الاستفادة من أية وسيلة تساعد على تحقيق هذا الهدف. وتجدر الإشارة إلى أن بعض هذه الأساليب يمكن استنباطها من المصادر الإسلامية.

### ج- الحدود والتعزيرات

في أحكام الإسلام الجزائية نوعان من العقوبات. نوع يبينته الشريعة المقدسة و شرحت حدوده كمّاً وكيفاً، وهو ما يُعرف باسم الحدود. ونوع آخر لم تبين بوضوح كمّيته وكيفيته، وإنما عيّنت السقف الأعلى له، و تركت جزئيات و تفاصيل العمل به إلى الحاكم، وهو ما يُسمى بالتعزير.

والحدود إما أن تكون من موارد حق الله، مثل حدّ شرب الخمر، أو من موارد حق الناس، مثل حدّ المحاربة و حدّ السرقة، أو ما يجتمع فيه كلا الأمرين كبعض العقوبات المقررة لجرائم الفساد الأخلاقي. وهناك تعزيرات لكلا هاتين الحالتين. ويمكن للقاضي المجتهد الجامع للشرائط اعتماد رأيه في هذه الأمور.

في الحدود الشرعية يُعتبر أي زيادة أو تهاون خارج حدود الصلاحيات تخلفاً. والمتخلف عن القانون تجب معاقبته. وفي موارد الشبهة، يجب توخي الدقة والاحتياط لكي لا يطمس حق. قال النبي ﷺ: «إدراؤا الحدودَ بالشبهات»<sup>(١)</sup>.  
 ومما ينبغي ملاحظته أيضاً أن العقوبات المقررة للجرائم الموجبة للحد، ذات طابع ردعي، وقد جعلت طريقة إثباتها بالنحو الذي يندر تحققه، وعلى فرض تحققها فإن حالات سقوط العقوبة كثيرة أيضاً فيها.  
 والملاحظة الأخرى التي تُستشف من الأحاديث، هي أنّ الغاية من التعزيرات إصلاح الفرد والمجتمع و عدم تكرار الجرم. ويُفهم من ذلك ما يلي:  
 أولاً: إنّها لا تنحصر في الجلد والسجن وإنما تشمل كل عقوبة تحقق هذه الغاية.  
 ثانياً: لَمَّا كان تنفيذ العقوبة نوعاً من التصرف في شؤون إنسان آخر، فهذا التصرف يكون ذا مشروعية فيما إذا كانت الشريعة قد أجازت ذلك.  
 ثالثاً: نوع التعزير و كيفية إجرائه يجب أن لا يكون مدعاة للإساءة إلى الشخص و انتهاك كرامته، أو يتعارض مع القيم الأخلاقية السائدة في المجتمع. و انتهاك الكرامة من العناوين العرفية والمتغيرة، و تختلف تبعاً لاختلاف الزمان والمكان و عادات الشعوب.

#### د - القصاص

وضع القصاص في الشريعة لرعاية حق الناس، و لمنع وقوع المزيد من الخسائر، و تقليل الجريمة إلى أدنى حدٍّ ممكن. في الكثير من موارد حق الناس و وضعت العقوبات وفقاً للقانون الفطري والطبيعي و هو قانون المقابلة بالمثل. و في بعض الحالات يحثّ الشرع أصحاب الحق على اختيار عقوبة أخف و أقل من الجريمة، كالامتناع عن القصاص في حالات قتل النفس، والاكتفاء بالدية.  
 القصاص يجب أن يكون على يد صاحب الحق، و لا يجوز لجهاز القضاء أن يبادر إلى

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٨، ص ٤٧، الباب ٢٤، الحديث ٤.

تطبيق العقوبة؛ لأنه في مثل هذه الموارد قد لا يملك الإنسان القدرة أحياناً على اتخاذ قرار القتل، مما يؤدي بالنتيجة إلى حقن الدماء، أو ربّما يُعفى عن القاتل أو تؤخذ منه دية، ولكن لو كُلف جهاز القضاء بأداء هذا العمل وأخذ على عاتقه تنفيذ حكم القصاص، فسوف تنتفي الغاية من تشريع هذا الحكم، وهذا لا يتساقط طبعاً مع ما تنبغيه الشريعة المقدّسة، ويؤدي إلى إراقة مزيد من الدماء.

القصاص حق لوليّ دم من يُقتل أو يُجرح في وضع عادي، وفي ظروف آمنة ومستقرة، من غير سبب شرعي أو قانوني. وفي مثل هذه الحالة يُقتضئ من الفاعل في حالتي القتل أو الجرح، ولكن في الظروف غير الآمنة كالحروب والصراعات المسلّحة لو قُتل أو جُرح شخص، ثم تبين بعد انتهاء الحرب والصراع أن شخصاً معيّناً هو الذي ارتكب تلك الحادثة، فلا يمكن تنفيذ القصاص فيه هنا؛ لأن من يذهب إلى ميدان الحرب يُعرّض نفسه للقتل. وحكم القصاص ينطبق على أجواء الحياة العادية الآمنة، ولا ينطبق على ساحة المعركة.<sup>(١)</sup> وعلى أيّة حال فإنّ من الأفضل أن يعفو أولياء الدم أو يأخذوا الدية.

#### هـ- الديّات

عيّنت الشريعة المقدّسة مبالغ مالية كديّات للحالات المختلفة، وقد وردت تفاصيلها في الكتب الفقهية والحقوقية. وهناك فوارق في مبالغ الديّات تبعاً للحالات، فهناك مثلاً فارق بين دية الرجل ودية المرأة. ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى الدور الاجتماعي لكلّ منهما، وإلى عبء المسؤولية التي تقع على عاتق كل منهما، ولا صلة لذلك بالشخصية والمنزلة الحقيقية لكلّ منهما.

#### و- المرحلة الثالثة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

و من الوظائف الأخرى للحكومة، تنفيذ المرحلة الثالثة من مراحل الأمر بالمعروف

١- للإطلاع على مزيد من المعلومات في هذا المجال راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ٢، ص ٧٩٦.

والنهي عن المنكر. ذكرنا قبل هذا إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجري في ثلاث مراحل. وفي مرحلتي الإنكار بالقلب واللسان يقع على كل الناس وعلى كل المسؤولين واجب مشترك. أما المرحلة الثالثة، فهي مما لا يستطيع الناس التدخل فيها مباشرة. ولو تدخل فيها الأفراد وانتهت الأمور إلى ضرب و جرح و قتل، فهذا بحد ذاته من أكبر المنكرات وربما يؤدي إلى الفوضى والفلتان. وهذا طبعاً خطر ماحق يهدد أساس النظام. وعندما تؤخذ كل جوانب هذا الموضوع بنظر الاعتبار، يلاحظ أن الشريعة المقدسة أوكلت هذه المهمة إلى الحكام الصالحين ولا يمكن الإقدام على أمر من هذا القبيل إلا بأمرهم وبالتنسيق معهم.

#### ز - الردة و حكم المرتد

في بداية قيام الدولة الإسلامية (في مدينة النبي)، حيكت مؤامرة كان الهدف منها زعزعة معتقدات الداخلين حديثاً في الإسلام. والمخطط الذي رسمته تلك المؤامرة هو أن يأتي جماعة إلى النبي ﷺ و بعدما يطرحون عدداً من الأسئلة يتظاهرون بأنهم قد آمنوا برسالة النبي واعتنقوا الإسلام، و في آخر النهار يختلقون بعض الأسباب والمبررات التي يثيرون فيها الشكوك، و يزعمون أن الإسلام دين ناقص، و ذلك بغية تشييط عزائم المسلمين و إثارة الشكوك في نفوسهم. و قد نبّه الله تعالى في القرآن الكريم النبي ﷺ إلى ذلك.<sup>(١)</sup> و كانت هذه الواقعة والقضايا المشابهة التي حصلت لاحقاً سبباً لتشريع حكم الردة في الإسلام. و هو حكم كان معروفاً لدى الأمم السابقة أيضاً.

لهذا الحكم طابع ردعي، والغرض الأساسي من تشريعه درء أية محاولة للاستهانة بالأديان والشرائع السماوية. أما الشروط التي وُضعت لهذا الحكم، و موضوع الحكم - كالجحود والإنكار والقصد والإرادة و تناسب الحكم والموضوع - فتظهر أن الغاية التي كان النبي يرمي إليها من وراء تشريع هذا الحكم الشديد هي إجهاض أية محاولة للتآمر و

١- سورة آل عمران (٣)، الآية ٧٢.

إيجاد الفساد. وكان الرد على ذلك بأسلوب المجابهة الثقافية.

ينطبق حكم المرتد على من يحاول غرس بذور الشك عمداً، في حين أنه مؤمن بذلك ﴿وَجَدُّوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾<sup>(١)</sup> و غرضه التآمر على المجتمع الإسلامي. وهذا يعني أن المرتد هو من يبذل جهداً لتغيير الركائز العقائدية للمسلمين بهدف صدّ الناس عن الرقي والتكامل المعنوي، وإفشاء الفساد بدلاً من ذلك.

و بعبارة أخرى: إنَّ معيار حكم المرتد ليس تغيير الاعتقاد القلبي، وذلك لأن العقيدة تابعة عادة لمقدماتها، و خارجة عن إرادة الفرد، و إنّما المعيار في ذلك محاولة الإفساد. و يبدو أن الفوارق بين حكم المرتد الملي والمرتد الفطري<sup>(٢)</sup> مردها إلى هذا الجانب؛ وذلك لأن المرتد الملي يُحتمل أن تؤثر فيه معتقداته السابقة والتقاليد القديمة التي نشأ عليها. ولهذا فقد أُتيح له فرصة أكثر. أما بالنسبة إلى المرتد الفطري، فليست له مثل هذه الخلفيّة، و لذا هناك احتمال أكثر بالجحود والإنكار و انعدام الدافع المقبول.

و لكن لو أن أحداً لم يتوصّل إلى حقائق الدّين، أو أثّرت فيه استدلالات خصوم الدّين، و أثارت في نفسه شكوكاً في أحكامه الضرورية أو في الأصول الاعتقادية، من غير أن تكون لديه تيّبة في التّأمر أو زعزعة إيمان أحد، و قد خرج من الدّين ظناً منه بإمكانية البحث عن الحقيقة خارج دائرة الدّين، و أخذ بالتعبير عن مخالفته للدّين عن طريق الاستدلال و النقاش العلمي فحسب، فهو ليس مصداقاً لحكم المرتد؛ و ذلك لأنّنا في زمان غيبة المعصومين عليهم السلام، و كثرة الاختلافات بين المسلمين في الكثير من المعتقدات و الأحكام، و تداخل الحق و الباطل، و لبس ثوب الإسلام بالمقلوب<sup>(٣)</sup> - حسب تعبير أمير المؤمنين عليه السلام - يصبح من العسير علينا - نحن الناس العاديين - فهم حقائق الدّين و الشريعة، و لا يمكن أن يترك الناس شؤون حياتهم و يتفرّغوا لكشف حقائق الدّين، هذا

١- سورة النمل (٢٧)، الآية ١٤.

٢- المراد من المرتد الملي هو أن يرتد عن الإسلام شخص لم يكن مسلماً بالولادة ثم أسلم لاحقاً ثم ارتد بعد ذلك. أما المرتد الفطري فهو من وُلد على الإسلام، و بعد البلوغ يرتد عن الإسلام.

٣- «لبس الإسلام بُسّ القُرُو مقلوباً.» الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨، ص ١٥٧ و ١٥٨.



فضلاً عن عدم وجود ضمانة بالتوصل -بعد بذل كل الجهود- إلى أصل الدين و عدم الانحراف عن الحق.

و انطلاقاً من ذلك إذا جاء تغيير العقيدة على أثر شبهة، ثم طالب المرتد بالإجابة عن تلك الشبهة، لا بدّ من تلبية طلبه، و لا يمكن إجراء حكم الردّة عليه. و كذلك الحال إذا كان الشخص جاهلاً و جاءت ردّته من غير بصيرة مثلما كان إسلامه من غير بصيرة. إضافة إلى ذلك يبدو أن حكم المرتد أو حكم الناصبي كان في الأساس حكماً سياسياً و لائياً، و تؤخذ بنظر الاعتبار فيه ظروف الزمان و المكان. نذكر على سبيل المثال أنه جاء في كتاب الإمام الرضا عليه السلام إلى المأمون: «لا يحلُّ قتلُ أحدٍ مِنَ النُّصَابِ و الكُفَّارِ فِي دارِ التَّقِيَّةِ إِلَّا قَاتِلُ أَوْ سَاعٍ فِي فَسَادٍ»<sup>(١)</sup>.

### ح - الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتجديف

كل من يتناول على القيم الدينية و المعتقدات الصحيحة للمسلمين أو ينشر ما يسيء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته عليهم السلام، يُدان من جانبين: الأول: إنَّ السَّبَّ و الإساءة لا تصدر إِلَّا مَمَّنْ يفتقرون إلى العِلْمِ و العقل؛ أي من الجَهْلَةِ؛ و ذلك لأن إيذاء الغير و الإساءة إلى الآخرين عمل قبيح، فما بالك بالإساءة إلى الرموز الدينية و إلى المقدّسات.

الثاني: كل من يسيء إلى معتقدات الناس، فمعنى ذلك أنه أقحم نفسه في معترك الصراع مع الأكثرية و إثارة مشاعرهم. و من حق المجتمع في مثل هذه الحالة أن يُقدم على ردع ذلك الشخص.

و في ما يخص حكم التجديف و السَّبَّ و الإساءة إلى المقدّسات، لا بدّ من تسليط الضوء على الأمور التالية:

١- الحُرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٦ من أبواب جهاد العدو، ج ١٥، ص ٨٢، الحديث ٩؛ و في عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٢٤، وردت كلمة «لا يجوز»، بدلاً من كلمة «لا يحل».

١- كلمة «سب» ذات ميزة خاصة، وهو أخص من الإهانة؛ فالسبُّ شتم صريح و لا يشمل كل قول ولا حتى كل إهانة. فقد يُعتبر بعض الكلام أو السلوك مهيناً ولكنه لا يُعتبر سباً، وإن كان السبُّ يُعتبر إهانة.

٢- حكم السبِّ يختص بسب النبي ﷺ والسيدة فاطمة عليها السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام والأنبياء عليهم السلام.

٣- يتوقف إجراء حكم السبِّ على ما يلي:

أولاً: أن يكون عن اختيار، لا عن إكراه.

ثانياً: أن يصدر في حالة عادية وليس في حالة هياج أو ضغط نفسي أو جنون آني. وعند الشك يجب عدم إجراء الحد، تطبيقاً لقاعدة «الحدود تُدرأ بالشبهات»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: أن يثبت السبُّ بالبيّنة الشرعية أو الإقرار في محكمة صالحة، وليس تحت الإكراه والخوف.

رابعاً: أن لا تنتج عن إجراء الحكم من قبل المحكمة الصالحة عواقب سلبية مهمّة.

٤- المقصود من الإساءة كل قول أو فعل ينطوي على إهانة أو تحقير أو استهزاء أو اعتداء على حرمة إنسان. ولا بُدَّ أن يثبت للقاضي قصد الإهانة. وليس من سبيل إلى ذلك سوى إقرار المتهم نفسه بحريّة تامة. كما ينبغي أن يؤخذ العرف في ذلك المجتمع بنظر الاعتبار، أي أن يُعتبر ذلك العمل إساءة في عرف ذلك المجتمع.

٥- كلمة مقدّسات: مشتقة من كلمة «قدس» وتعني الطهارة والتنزيه. والمراد من مقدّسات الإسلام الأمور التي تُعتبر بحد ذاتها طاهرة ومنزهة من النواقص والعيوب، ولا اختلاف بين المسلمين في قدسيّتها. ولا بُدَّ طبعاً أن يكون الشخص الذي صدرت منه الإهانة عالماً بقدسية ذلك الأمر.

٦- إذا ثبت السبُّ بالإقرار في المحكمة الصالحة، يجوز للحاكم الإسلامي العفو عنه. وكل الأنواع الأخرى من الإساءة تخضع تعزيراتها لظروف الزمان والمكان، ونوع الإساءة و

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٤ من أبواب مقدمات الحدود، الحديث ٤.

شدتها، ويتراوح التعزير عليها بين الوعظ والتغاضي والتخويف والتهديد إلى المراتب العليا من التعزير. وتشخيص ذلك بيد الحاكم الشرعي. وبناءً على ذلك يمكنه العفو عنه استناداً إلى بعض الاعتبارات. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «رَبِّ ذَنْبٍ مَقْدَارُ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ إِعْلَامُ الْمَذْنِبِ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

٧- لا يجوز في الإسلام سب مقدّسات أي دين و مذهب، حتى وإن كان محرّفاً أو باطلاً. ورد هذا في بيان صريح دعانا إليه القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهنا لا بُدّ من التنبيه إلى ملاحظة وهي: إنّ النهي عن الإهانة والإساءة يجب أن لا يتخذ سيفاً يُشهر ضد أي نقد أو نقاش علمي. ولا بُدّ أن تبقى أبواب البحث والنقد العلمي في المجتمع الإسلامي مفتوحة في كل المجالات. ولو أن شخصاً في المجتمع الإسلامي أثار تساؤلاً أو نقداً، فعلى العلماء والباحثين المسلمين تقديم إجابة منطقية صحيحة، مثلما كان عليه الحال في السيرة العملية للأئمة المعصومين.

#### ط - السجن والسجناء

ترى الشريعة الإسلامية لزوم سجن المجرمين في حالات خاصة، وتجزئ ذلك في موارد معدودة. واستناداً إلى قول الإمام علي عليه السلام: «السُّجْنُ أَحَدُ الْقُبْرَيْنِ»<sup>(٣)</sup>. يجب عدم الاستهانة بحكم السجن أو إصدار هذا الحكم على أحد من غير مسوّغات شرعية. أي أن التعزير بالحبس يجب أن يقتصر على الحالات الضرورية، والحرص على تطبيق أنواع التعزيرات الأخرى بدلاً منه كالغرامات المالية مثلاً.

الحكم بالحبس يكلف خزينة الدولة أموالاً طائلة. وهذا الحكم يتضمن أيضاً حكماً على بيت المال بدفع النفقات للمجرم. وهذا لا يتناسب طبعاً مع تعزير و معاقبة المجرم. كما

١- الآمدي، غُرر الحكم، الحديث ٥٣٤٢. ٢- سورة الأنعام (٦)، الآية ١٠٨.

٣- الآمدي، غُرر الحكم، ص ٤٧٩، الحديث ١١٠٢٦.

أن عقوبة السجن تقترن عادة بمعاينة أسرة المجرم أيضاً، وهذا يتنافى مع العدالة طبعاً. وعلى هذا الأساس يجب اتباع أساليب تجعل الضرر موجهاً نحو المجرم وحده، وأن تكون ذات قوة رادعة تمنع المجرم من تكرار جريمته، خاصة حين يفقد السجن دوره الإصلاحي، ويتحوّل إلى مركز لتعليم الجريمة وإيجاد العصابات الخطيرة.

و لا مناص من القول: إنّ السجن في شكله الحالي ليس له أساس ديني، ولا جذور له في تاريخ صدر الإسلام. والسجن في الإسلام على أنواع ثلاثة:

١- أن يكون السجن حداً على المجرم في الحالات الموجبة للحد.

٢- أن يكون السجن تعزيراً على الجرائم التي يستطيع فيها حاكم الشرع الواجد للشرائط تعزير المجرم بالجلد أو السجن. وفي هذه الحالات يتعين أن يكون عدد الجلدات أقل من الحد، ومدة السجن يجب أن تتناسب أيضاً مع التعزير بالجلد الذي هو أقل من الحد. وتعيين مدته بيد أهل الاختصاص. وبما أن الغاية الأساسية من التعزير - كما أوضحنا من قبل - هي تنبيه وإصلاح المجرم وليس الانتقام منه بدافع الحقد، لهذا فإنّ التعزير لا ينحصر في عقوباتي السجن والجلد، وإنّما له مراتب تبدأ عادة بالتوبيخ والتهديد إلى أن يصل الدور في آخر المطاف إلى الجلد أو السجن. وقد كان هذا النوع من العقوبات شائعاً في المجتمعات السابقة، ولكن هناك في الوقت الحاضر أساليب أخرى أكثر تأثيراً في إصلاح نفوس المجرمين، ويجب اتباعها طبعاً.

السجن في الحالتين الآنف ذكرهما (الحد والتعزير) يجب أن يكون من بعد ثبوت الجرم في المحكمة الصالحة التي يتصدى لها المجتهد العادل الواعي. ولا يجوز قبلها سجن المتهم أبداً.

٣- سجن التحري؛ وهو أن يُحبس المتهم قبل إثبات الجرم إلى أن يتم التحقيق والتحري. والذي يُستفاد من الأحاديث ومن فتاوى الفقهاء أن القدر المتيقن لهذا النوع من السجن يقتصر على تهمّة القتل ولا يتعدى السبعة أيام.

جاء في حديث ان الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يحبس في تهمّة الدم

ستة أيام، فإن جاء أولياء المقتول بثبت، وإلا خلى سبيله»<sup>(١)</sup> ويمكن أن يُستنبط من ذلك أيضاً جواز حبس المتهم في حالات الاعتداء على الحقوق المهمة الأخرى، فيما إذا كان يُحتمل فيها هروب المتهم.

و على أساس ذلك يجوز حبس المتهمين في الحالات التي يحصل فيها طمس واضح لحقوق الآخرين، و تكون للتهمة صلة بجرائم كبرى كالقتل، مع مراعاة جميع الجوانب القانونية و ضمن المدة المحددة، و لكن لا يجوز حبس أحد مدة طويلة لمجرد كونه متهماً، حتى و ان كانت التهمة ثقيلة. و يجب في مثل هذه الحالات إطلاق سراح المتهم بضمانة تناسب مع حجم الجريمة. و يجب أن نعلم بأن ما يرتجيه الإسلام من مسؤولي الشؤون القضائية هو الاهتمام والسعي لإحقاق الحق و ليس إحقاق الحق نفسه. و من الطبيعي ان فرار متهم من قبضة العدالة أفضل من مكوث بريء في السجن خلافاً لمقتضيات الحق و العدالة و حرمانه من حقوقه الأساسية.<sup>(٢)</sup> جاء في الحديث: «مَنْ حَبَسَ حَقَّ الْمُؤْمِنِ... ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِهِ إِلَى النَّارِ».<sup>(٣)</sup>

و أما بالنسبة إلى حقوق السجين في الحالات التي توجب السجن، فهي من الأمور التي أكد عليها الإسلام و منها: صيانة كرامته و حقوقه الإنسانية، و تلبية متطلباته و حاجاته المادية و المعنوية، كالجوانب الصحية و المأكل المناسب و الأشياء الضرورية، و توفير متطلبات المقابلة مع السجناء. و من الضروري أيضاً أن يهتم المسؤولون الجدد في جهاز القضاء بأوضاع و أحوال السجناء القدامى. كما أن على الحكومة الضمان في حالة التقصير أو التفريط في حقوق السجناء. و ينبغي أيضاً الاهتمام بشؤونهم الدينية، و أن يكون له محام يتولّى مهمة الدفاع عنه، و غير ذلك.<sup>(٤)</sup>

١- الحر العاملي، وسائل الشريعة، باب ١٢ من أبواب دعوى القتل، ج ٢٩، ص ١٦٠، الحديث ١.

٢- راجع في هذا المجال: دراسات في ولاية الفقيه، ج ٢، ص ٤٨١ و ٤٨٢.

٣- الصدوق، ثواب الاعمال و عقاب الاعمال، باب عقاب من منع مؤمناً شيئاً، ص ٢٨٦، الحديث ١؛ الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٦٧، الحديث ٢.

٤- وردت دراسة السجن و السجناء بالتفصيل في كتاب دراسات في ولاية الفقيه، ج ٢، ص ٤٢١ فما بعدها.

ان ملاقاتة الأسرة والأصدقاء أمر معقول و مؤثر في ما يتعلّق بالغاية من سجن المجرم. و يجب أن تكون في حدّ معقول و مؤثر في ايجاد العاطفة لدى المجرم و إصلاحه. و قد حثّت بعض الأحاديث المسؤولين على إحضار السجناء إلى صلاة الجمعة. و ينبغي طبعاً أن لا يكون ذلك على نحو يسيء إلى كرامة السجناء و يفضحهم أمام الناس. كما يفترض أن يكون برضاهم و عدم ارغامهم على ذلك.

### ى - العفو عن المحكومين

يمكن للدولة الإسلامية في بعض الظروف العفو عمّن حكم بسبب عدم رعاية حق الله، أو العفو عمّن خرموا من الحقوق الفردية أو الاجتماعية. و إزالة الحرمان عنهم، بل هناك حالات أخرى -ورد تفصيلها في كتب الفقه - يمكن فيها العفو حتى عن المحكومين بسبب التعدي على حق الناس.

في ما يتعلق بالعفو العام، قد يقول قائل: إنّ مثل هذا العفو قد يشمل أشخاصاً لا يستحقّون، و لا هم جديرين به، و لهذا يجب عدم إصدار مثل هذا العفو، و لكن ينبغي أن لا ننسى أنّ هناك أناساً يجب أن يتحرّروا من قيود الحرمان.

جاء في حديث معتبر عن الإمام الباقر عليه السلام قال فيه: «التَّدَامَةُ عَلَى الْعُفْوِ أَفْضَلُ وَ أَيْسَرُ مِنَ التَّدَامَةِ عَلَى الْعُقُوبَةِ»<sup>(١)</sup>.

و هذا ما يستدعي طبعاً أن يُقدم المسؤولون كل عدّة سنوات على إصدار عفو عام، و يستثنى من ذلك، المحكومون على جرائم الحق الخاص التي لها مدّع خاص. فهذا العمل يشيع العفو والتسامح في المجتمع الإسلامي. و حتى في ما يخص حالات حق الناس ينبغي توفير الأرضية لإحقاق حقوق المتضررين، بما يتيح الفرصة أمام إطلاق سراح السجناء.

١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١١٢ من أبواب أحكام العشرة، ج ١٢، ص ١٧٠، الحديث ٤.

### الأحكام في خدمة الأهداف

وردت في الأحاديث وفي أقوال الأعلام تأكيدات على ضرورة نظم الأمر من أجل تحقيق أهداف الدين، أو حتى من أجل بناء حياة سليمة. وكل الأديان متفقة على القول إنَّ عدم الالتزام بأحكام الدين يقود إلى الضلال والحيرة والابتعاد عن الأهداف الحقيقية للخلقة. والشريعة وضعت سبلاً أفضل لبلوغ الغاية. وهذا يعني أن الأحكام بمنزلة سبل لبلوغ الغاية، ولا تُعتبر بنفسها غاية.

من المعايير في كل عصر و زمان - للكشف عن الأحكام الاجتماعية - هو أن تكون متناسبة مع المصالح الاجتماعية والكمال المعنوي. وهذا يعود إلى القول بفطرية الأحكام الإلهية.

والأساس في فروع الأحكام هو انسجام كل حكم مع سائر الأحكام والمعتقدات. وإن كان هناك أي تعارض فهو دليل على عدم تطابقه مع الشرعية، وعدم شرعية ذلك الحكم.

#### أ - ضرورة الانسجام في الأحكام الاجتماعية

في كل نظام اجتماعي، محور النظم هو قوانين ذلك المجتمع. وإذا كان هناك أي تناقض أو تعارض فيها، فلا بد أن تحلَّ بالنظم الاجتماعي حالة من الاضطراب وفقدان الاستقرار. الدين يقدِّم لبني الإنسان أحكاماً و تعاليم قائمة على الفطرة، ولذلك لا يمكن أن يتَّصف بالتعارض و عدم الانسجام في منظومته الذاتية؛ وذلك لأنَّ الاختلال و فقدان النظم يتعارض مع الفطرة. نقل أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِذَا آتَاكُمْ الْحَدِيثُ مُتَجَاوِباً مُتَفَاوِتاً، فَمَا يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضاً، فَلَيْسَ مِنِّي وَ لَمْ أَقُلْهُ وَ إِنْ قِيلَ قَدْ قَالَهُ، وَ إِذَا آتَاكُمْ الْحَدِيثُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً فَهُوَ مِنِّي وَ أَنَا قُلْتُهُ»<sup>(١)</sup>.

١- الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص ١٥٣.

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «... إِنَّا عَنِ اللَّهِ وَ عَنِ رَسُولِهِ نُحَدِّثُ وَ لَا نَقُولُ قَالَ فَلَانٌ وَ فَلَانٌ فَيَتَنَاقَضُ كَلَامُنَا. إِنَّ كَلَامَ آخِرِنَا مِثْلُ كَلَامِ أَوَّلِنَا وَ كَلَامُ أَوَّلِنَا مُصَدِّقٌ لِكَلَامِ آخِرِنَا فَإِذَا آتَاكُمْ مِنْ يُحَدِّثُكُمْ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَرُدُّوهُ عَلَيْهِ».<sup>(١)</sup>

و جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.<sup>(٢)</sup>  
و في ضوء ما ذكر ينبغي أن يؤخذ انسجام الأحكام الشرعية بنظر الاعتبار. ويتعين أن يُعاد النظر بالأحكام الفقهية و آراء الفقهاء والقوانين الموجودة استناداً إلى هذا المعيار.

### ب - طريقتي الأحكام الشرعية

القوانين وسيلة لبلوغ الأهداف؛ سواء كانت قوانين إلهية أم بشرية، ولكن أحياناً ينحصر الطريق إلى الهدف بمورد واحد لا غير. و في هذه الحالة تكون أهمية الطريق بقدر أهمية الهدف. والظاهر أن الأحكام العبادية من هذا النوع، و هي الطريق الوحيد للوصول إلى الهدف و أدنى تخلف فيها ينفي أو يقلص بشدة إمكانية بلوغ الهدف. أما الأحكام غير العبادية فتابعة للمصالح والمفاسد الذاتية، وليست ذات معايير لا يمكن إدراكها؛ وذلك لأنها شُرعت من أجل الارتقاء بمستوى حياة الإنسان.<sup>(٣)</sup> و إن كانت آثارها و تبعاتها الأخروية موضع نظر الشارع أيضاً.

ليس لدينا دليل قاطع على أن جميع الأحكام غير العبادية في الإسلام ثابتة، و لا تتأثر موضوعاتها بظروف الزمان والمكان و لا تتغير تبعاً لها، و أنها قد شُرعت كطريق وحيد للوصول إلى الغاية، بل ان قبول بعض المستجدات كالمعاطاة في العقود والمعاملات أو الإقرار بتغيير موضوعات بعض الأحكام كالنحت والتصوير، والاستناد إلى بيئته علمية و عرفية إلى جانب الأدلة الشرعية في كشف الجرائم و ما شابه ذلك من الأمور من قبل الفقهاء،

١- رجال الكشي، سيرة المغيرة بن سعيد، ص ٢٢٤ و ٢٢٥، الحديث ٤٠١.

٢- سورة النساء (٤)، الآية ٨٢. ٣- راجع: دراسات في ولاية الفقيه، ج ٢، ص ٤٣٨.



يدل على أنَّ موضوعات مثل هذه الأحكام تتغير تبعاً للتحوّلات الاجتماعية و متغيّرات الزمان والمكان، و بالنتيجة تتغير أحكامها بما يتناسب مع تلك التغيّرات. و بعبارة أخرى، عندما نأخذ بالعقل كواحد من أدلّة الأحكام الشرعية، و نعتبر سيرة العقلاء - إذا لم يُحرز ردعها من قبل الشارع - حجة في هذا السياق، فإنَّ أيَّ أسلوب عقلائي يضمن تنفيذ مقصود الشارع يُعتبر شرعياً، و كل هذه الأمور تدلُّ على طريقتية الأحكام الشرعية في أمور غير عبادية (أي كونها وسيلة) و ليس موضوعيتها (أي كونها هدفاً و غاية).

كلمة الشرع والشرعة: تعني في الأساس النهر أو الشرعة التي تتفرّع من نهر أكبر أو من طريق أوسع بحيث تنتفع منها مناطق خاصة. و في الاصطلاح، الطريق أو الرافد الذي يستقي ماءه من الشرعة الواسعة أو الينبوع العظيم لدين الله. و لهذا جاء في القرآن الكريم:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَا جَاءَ﴾. (١)

يُعزى اختلاف الشرائع - بغض النظر عن الخصائص الزمانية والمكانية - إلى كمال الشرائع المتأخرة مقارنة بالشرائع المتقدمة. و هذا يعني بطبيعة الحال أن الشريعة المحمدية أكمل من سائر الشرائع: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾. (٢)

و قال الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (٣) يبدو أن هذه الآية تبين ضرورة اتباع أفضل الأساليب لتحقيق أهداف الدين. و لا ينبغي طبعاً التخلّي عن الطرق والأساليب الشرعية لمجرد توهم العثور على أسلوب أفضل، و إنما يجب تنقيح المناط - حسب إصطلاح الفقهاء - بشكل قطعي، و اتخاذ مناط و ملاك منصوص و موثوق بشأن الايصال إلى مقصود الشرع بأسلوب جديد يؤيده العقلاء.

٢- سورة المائدة (٥)، الآية ٣.

١- سورة المائدة (٥)، الآية ٤٨.

٣- سورة القصص (٢٦)، الآية ٤٩.

### ج- الأهداف النهائية هي الأحكام السياسية والاجتماعية

الهدف النهائي للشريعة الإسلامية المقدّسة - كما أشرنا من قبل - غاية الإنسان نحو طريق السعادة في الدنيا والآخرة. والحياة السعيدة هي تلك الحياة التي تقترب بالأمن، والرفاه، والرقى. والطريق الوحيد للسعادة هو العدالة. والنظم والعدالة يؤديان إلى الأمن والرفاه والرقى في الدنيا والآخرة.

ان الإيمان بالنظم الكامل والعدالة المطلقة لله تعالى في يوم الحساب والقيامة، والعمل الصالح، يكون فيه الأمان من العذاب الإلهي، و مدعاة لدخول جنّات عدن. ففي الحياة الدنيا يؤدّي الالتزام بالقوانين والاعتدال في القول والعمل إلى تحقيق الاستقرار الفكري والعملية في كل مجالات الحياة و يجلب الرفاه الاجتماعي و يفتح أمام الإنسان سبيل التقدّم المعنوي والعلمي.

في الكثير من آيات القرآن الكريم، حين يأتي ذكر الأحكام، تُبين عادة معطياتها والآثار والنتائج الإيجابية لها. و أفضل دليل على الأهداف الأساسية لدين الله هو ما يأتي على تبيانه من نتائج الأحكام الاجتماعية، كالخير، والأمن، والعدالة، والرفاه، والرقى. نقرأ في القرآن الكريم: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ \* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ أَمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾<sup>(١)</sup> و جاء في ما يخصّ القضاء: ﴿... وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

يضم هذا الكتاب بين دفتيه لمحات من مختلف جوانب الدين الإسلامي الحنيف. ولا يخفى على ذوي الحِجَا أنّ المواضيع التي جاءت فيه تستلزم مزيداً من البسط

١- سورة قريش (١٠٦)، الآيتان ٣ - ٤.

٢- سورة المائدة (٥)، الآية ٤٢.

والتفصيل، بيد أننا أرتأينا الاكتفاء بهذا القدر منها لما فيها من تناسب مع الشريحة المتوسطة من أبناء المجتمع.

وكلنا نأمل طبعاً أن يسعى العلماء والباحثون المسلمون إلى تبيين معالم الدين، وتبسيط الأضواء على مختلف جوانبه على النحو الذي يرتجيه هذا الدين من أبنائه، وخاصة من الدعاة إليه، وأن يكتفوا جهودهم ويكرسوا طاقاتهم من أجل تنوير الأمة بما يزخر به هذا الدين من قيم وأحكام، وما يدعو إليه من فضائل ومكارم أخلاق، وما ينشده لأتباعه من رقي وسمو في شتى ميادين الحياة.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الغاية من هذا الكتاب -كغيره من الكتب المشابهة- هو أن يتزود القارئ منها بما يعينه على العمل الصالح.

نسأل كل من تقع عيناه على هذه السطور أن يدعو لنا بالخير والمغفرة.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ



## المصادر

- ١- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، محمّد بن الحسن المعروف بالحرّ العاملي، مع تعليقات أبي طالب التجليل التبريزي، مطبعة العلمية، قم.
- ٢- الاحتجاج، أبو منصور احمد بن علي الطبرسي، تحقيق ابراهيم بهادري والشيخ محمّد هادي به، منشورات اسوه، مجلّدان، الطبعة الأولى.
- ٣- الاختصاص، أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرّسين، قم.
- ٤- اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشّي، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق حسن المصطفوي، جامعة مشهد، ١٣٤٨ هـ ش.
- ٥- اخلاق ناصري، الخواجة نصيرالدين الطوسي، تحقيق مجتبي مينيوي و علي رضا حيدري، طهران، شركت سهامی منشورات خوارزمي، ١٣٦٠ هـ ش.
- ٦- ارشاد القلوب، أبو محمّد الحسن بن محمّد الديلمي، منشورات الشريف الرضي، قم.
- ٧- الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان معروف بالشيخ المفيد، مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم.
- ٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عزالدين أبوالحسن علي بن الكرم، المعروف بابن الأثير، طهران، ناصر خسرو، پاساژ مجيدي.
- ٩- الاعتقادات، أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق غلامرضا المازندراني، نشر محقق قم، ١٤١٢ هـ
- ١٠- إعلام الوری بأعلام الهدی، امين الاسلام أبو علي الفضل بن الحسن المعروف بالطبرسي، مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم، الطبعة الأولى.
- ١١- الأمالي، أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق، مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى.
- ١٢- الإمام الصادق حياته و عصره، محمّد أبو زهرة، دارالفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣ م.

- ١٣- الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق علي شيري، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ١٤- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- ١٥- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسيني البحراني، دارالكتب العلمية، قم.
- ١٦- بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار القمي، تحقيق الميرزا محسن كوجه باغي التبريزي، مكتبة آية الله النجفي المرعشي، قم.
- ١٧- تاريخ الطبري، المعروف بتاريخ الامم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ.
- ١٨- ترتيب كتاب العين، خليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، منشورات اسوه، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ١٩- تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حسن بن علي بن الحسين الحرّاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٣٨٩ هـ.
- ٢٠- تصحيح الاعتقاد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان المعروف بالشيخ المفيد، مطبوع ضمن مصنفات المفيد، ج ٥، طبع مؤتمر الألفية العالمية للشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ.
- ٢١- تصنيف غرر الحكم و درر الكلم، عبدالواحد بن محمد التميمي الآمدي، تحقيق مصطفى درايتي، مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الأولى.
- ٢٢- تفسير العياشي، أبوالنضر محمد بن مسعود العياشي، مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- ٢٣- تفسير القمي، أبو الحسن علي بن ابراهيم القمي، تحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري، مكتبة الهدى، ١٣٨٧ هـ.
- ٢٤- تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق السيد هاشم رسولي المحلاتي، طبعة مطبعة العلمية، قم.
- ٢٥- التوحيد، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم.
- ٢٦- تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بالشيخ الطوسي، تحقيق و تعليق علي اكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ. ش.

- ٢٧- ثواب الاعمال و عقاب الاعمال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران.
- ٢٨- جامع احاديث الشيعة، الشيخ اسماعيل المعزي الملايري، مطبعة مهر قم، ١٤١٧ هـ.
- ٢٩- جامع السعادات، المولى محمد مهدي النراقي، مع تعليقات السيد محمد كلانتر، مطبعة النجف، النجف الاشرف، ١٣٨٣ هـ افسيت مؤسسة مطبوعات اسماعيليان قم.
- ٣٠- جامع الاخبار أو معارج اليقين في اصول الدين، محمد بن محمد السبزواري، تحقيق علاء آل جعفر، منشورات مؤسسة آل البيت عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ٣١- الجامع الصحيح، أو سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق كمال يوسف الحوت، دارالفكر، بيروت.
- ٣٢- جواهر الكلام في شرح شرايع الاسلام، محمد حسن النجفي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨١ م.
- ٣٣- الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.
- ٣٤- دراسات في ولاية الفقيه و فقه الدولة الاسلامية، حسين علي المنتظري، المركز العالمي للدراسات الاسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ.
- ٣٥- درس هايی از نهج البلاغة (= دروس من نهج البلاغة)، حسين علي المنتظري، نشر سرايي، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٨٠ هـ ش.
- ٣٦- الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق الشيخ نجدة نجيب، مع مقدمة بقلم عبدالرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ٣٧- دعائم الاسلام و ذكر الحلال والحرام، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي، تحقيق آصف بن علي اصغر الفيضي، دارالمعارف، مصر، الطبعة الثانية.
- ٣٨- دلائل الصدق، محمد حسن مظفر، دارالمعلم للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٦ هـ.
- ٣٩- ديدگاهها، البيانات والآراء الصادرة عن آية الله العظمى المنتظري، المجلد الأول، الطبعة الثانية، ١٣٨١ هـ ش.
- ٤٠- رسالة الاستفتاءات، طبقاً لفتاوى آية الله العظمى المنتظري، نشر سايه، طهران، مجلدان؛ المجلد الأول: الطبعة الثالثة، ١٣٨٤ هـ ش؛ المجلد الثاني: الطبعة الأولى، ١٣٨٣ هـ ش.

- ٤١- رسالة توضيح المسائل، طبقاً لفتاوى آية الله العظمى المنتظري، مع اصلاحات و اضافات، نشر تفكر، طهران، الطبعة العشرون.
- ٤٢- رسالة الحقوق، حسين علي المنتظري، منشورات سرايي، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٨٣ ش.
- ٤٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود آلوسي بغدادي، تحقيق السيّد محمود شكري آلوسي، منشورات جهان، طهران.
- ٤٤- سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبدالله محمّد بن يزيد القزويني، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، ١٣٩٥ هـ.
- ٤٥- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني، تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد، دار احياء السنة النبوية، بيروت.
- ٤٦- السنن الكبرى، أبو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي، مع كتاب الجوهر الثقي، دار المعرفة، بيروت.
- ٤٧- السيرة النبوية، أبو محمّد عبدالملك بن هشام بن ايوب، منشورات ايران، مطبعة مهر قم، ١٣٦٣ هـ ش.
- ٤٨- شرح غرر الحكم و درر الكلم، جمال الدين محمّد الخوانساري، منشورات جامعة طهران، ١٣٧٣ هـ ش، تحقيق المحدث الأرموي.
- ٤٩- شرح نهج البلاغة، عز الدين عبدالحميد المعروف بابن ابي الحديد، مكتبة آية الله النجفي المرعشي، الطبعة الثانية.
- ٥٠- الشفاء، ابن سينا، مع مقدمة ابراهيم مذكور، منشورات ناصر خسرو، طهران، مطبعة آرمان، الطبعة الأولى، ١٣٦٣ هـ ش.
- ٥١- الصحاح، تاج اللغة و صحاح العربية، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق احمد عبدالغفور العطار، دارالعلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ.
- ٥٢- الصحيح، المعروف بصحيح البخاري، أبو عبدالله محمّد بن اسماعيل بن ابراهيم، تحقيق الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دارالفكر، بيروت، ١٤١٩ هـ.
- ٥٣- الصحيح، المعروف بصحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، مع شرح النووي، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.



- ٥٤- الصحيفة السجادية الكاملة، الإمام زين العابدين عليه السلام، مؤسسة النشر الاسلامي، التابعة لجماعة المدرّسين قم، الطبعة الثالثة، القطع الجببي.
- ٥٥- الصواعق المحرقة، احمد بن حجر الهيتمي المكي، مع تعليقات عبدالوهاب عبداللطيف، مكتبة القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥ هـ.
- ٥٦- علل الشرايع، أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق، دارالحجة للثقافة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- ٥٧- عوالي اللثالي العزيزية، محمّد بن علي بن ابراهيم الاحسائي المعروف بابن أبي جمهور، مع مقدمة بقلم آية الله السيّد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق آقا مجتبي العراقي، مطبعة سيدالشهداء، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- ٥٨- عيون اخبار الرضا، محمّد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق سيد مهدي الحسيني اللاجوردي، الناشر رضا مشهدي، الطبعة الثانية.
- ٥٩- الغدير في الكتاب والسنة والادب، عبدالحسين احمد الاميني النجفي، دارالكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧ هـ.
- ٦٠- فتوح البلدان، أبوالحسن البلاذري، مع تعليقات رضوان محمّد رضوان، منشورات ارومية، قم، ١٤٠٤ هـ.
- ٦١- فرائد السمطين في فضائل المرتضي، ابراهيم بن محمّد بن المؤيد الحمّوي الخراساني، تحقيق محمّد باقر محمودي، مؤسسة محمودي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ ق.
- ٦٢- الفقه على المذاهب الاربعة، عبدالرحمن الجزري، داراحياء التراث العربي، ١٤٠٦ هـ.
- ٦٣- القاموس المحيط، مجدالدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة نوري.
- ٦٤- قصص الانبياء، السيّد نعمة الله الجزائري، مكتبة آية الله النجفي المرعشي، قم، ١٤٠٤ هـ.
- ٦٥- قصص الأنبياء، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، مؤسسة البحوث في الروضة الرضوية المقدّسة، ١٤٠٩ هـ.
- ٦٦- الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، تحقيق علي أكبر الغفاري، دارالكتب الاسلامية، ايران.
- ٦٧- كتاب الغيبة، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق الشيخ عبدالله الطهراني والشيخ علي احمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

- ٦٨- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمي المعروف بابن قولويه، مكتبة الصدوق، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٥ هـ ش.
- ٦٩- الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، طبعة عام ١٨٩٥ م.
- ٧٠- الكشاف عن حقائق غوامض من التنزيل، جارالله محمود بن عمر الزمخشري، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ٧١- كشف الريبة عن احكام الغيبة، زين الدين الجبجي العاملي الشامي، تحقيق علي الخراساني، مطبعة سيدالشهداء عليه السلام، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- ٧٢- كشف المحجة لثمره المهجة، السيد بن طاووس، النجف، مطبعة الحيدرية، ١٣٧٠ هـ.
- ٧٣- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الخواجه نصيرالدين الطوسي، تحقيق حسن حسن زاده الآملي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الطبعة الخامسة.
- ٧٤- كمال الدين و تمام النعمة، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الطبعة الثالثة.
- ٧٥- كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩ هـ.
- ٧٦- لسان العرب، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري المعروف بابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
- ٧٧- مباني فقهي حكومت اسلامي (= الأسس الفقهية للحكومة الاسلامية)، حسين علي المنتظري، ترجمة و تقرير محمود صلواتي و أبوالفضل شكوري، نشر تفكر، طهران.
- ٧٨- مثنوي معنوي، جلال الدين محمد البلخي المولوي، تحقيق نيكلسون، طبعة مهارت، منشورات بهزاد.
- ٧٩- مثنوي معنوي، جلال الدين محمد البلخي المولوي، تحقيق و تصحيح و تعليقات محمد استعلامي، كتابفروشي زوار، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٦٩ هـ ش.
- ٨٠- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن المعروف بالطبرسي، المكتبة الاسلامية، طهران.
- ٨١- مجموعة ورام أو تنبيه الخواطر و نزهة النواظر، أبوالحسين ورام بن أبو فراس المالكي الاثري، مكتبة فقيه، قم.

- ٨٢- المحاسن، أبو جعفر احمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق السيّد جلال الدين الحسيني، دارالكتب الاسلامية، قم، الطبعة الثانية.
- ٨٣- المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، محمد محسن بن المرتضى المعروف بالمولى محسن الفيض الكاشاني، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، الطبعة الثانية.
- ٨٤- المراجعات، السيّد شرف الدين، تحقيق و تعليق حسين الراضي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ.
- ٨٥- مروج الذهب و معادن الجواهر، أبو الحسن علي بن الحسين المعروف بالمسعودي، دارالفكر، بيروت.
- ٨٦- مسالك الافهام، زين الدين بن علي العاملي المعروف بالشهيد الثاني، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- ٨٧- مستدرک الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم، و طبعت منه حتى الآن تسعة مجلدات بعنوان الخاتمة.
- ٨٨- المسترشد في امامة امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام، محمد بن جرير بن رستم الطبري الآملي، تحقيق احمد المحمودي، مؤسسة كوشانيور للثقافة الاسلامية، الطبعة الأولى.
- ٨٩- المسند، احمد بن حنبل، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر.
- ٩٠- مصباح الشريعة و مفتاح الحقيقة، المنسوب الى الامام جعفر الصادق عليه السلام، ترجمة و شرح حسن المصطفوي، نشر انجمن اسلامي حكمت و فلسفة ايران، طهران، ١٣٦٠ هـ ش.
- ٩١- معاني الاخبار، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم.
- ٩٢- مفردات الفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الاصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دارالقلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- ٩٣- المقالات والفرق، سعد بن عبدالله ابي خلف الاشعري القمي، تحقيق محمد جواد شكور، مركز منشورات علمي و فرهنگي، مجلد واحد، الطبعة الثانية، ١٣٦٠ هـ ش.

- ٩٤- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ هـ
- ٩٥- مكارم الاخلاق، أبو نصرالحسن بن الفضل الطبرسي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.
- ٩٦- المكاسب المحرّمة، الشيخ مرتضى الأنصاري، تيريز، الطبعة الحجرية.
- ٩٧- الملل والنحل، الشهرستاني، نشر مطبعة حجازي، ١٣٦٨ هـ ش.
- ٩٨- مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني، دارالأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ
- ٩٩- من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق السيّد حسن الموسوي الخراسان، دارالتعارف، بيروت، ١٤٠١ هـ
- ١٠٠- منية المرید في ادب المفيد والمستفيد، زين الدين بن علي العاملي المعروف بالشهيد الثاني، تحقيق رضا مختاري، مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ
- ١٠١- الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلمي، بيروت.
- ١٠٢- نصيحة الملوك، محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تعليق و تحقيق جلال الدين همائي، منشورات بابك، ١٣٦١ هـ ش.
- ١٠٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجدالدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الاثير، تحقيق طاهر احمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
- ١٠٤- نهج البلاغة، أبو الحسن محمد بن ابي احمد الحسني المعروف بالشريف الرضي، شرح صبحي الصالح، مؤسسة دارالهجرة، ايران، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ
- ١٠٥- نهج الفصاحة، أبو القاسم باينده، سازمان منشورات جاويدان، الطبعة الخامسة عشر، ١٣٦٠ هـ ش.
- ١٠٦- الوافي، محمد محسن بن المرتضي، المعروف بالمولى محسن الفيض الكاشاني، مكتبة الإمام امير المؤمنين عليه السلام، اصفهان، الطبعة الأولى.
- ١٠٧- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن المعروف بالحرّ العاملي، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الثانية.

﴿ باسمه تعالى ﴾

## دروس سماحة آية الله العظمى المنتظري، متوقّرة بأقراص ممغنطة (CD)

- ١- مجموعة آثاره و فيها خمسون مجلّداً من كتبه المطبوعة (قرص واحد CD)
- ٢- دروس من نهج البلاغة، ١٩٥ درساً صوتياً (عشرة أقراص CD)
- ٣- دروس من نهج البلاغة، ١٩٥ درساً مصوراً (اربعة و ستون قرصاً CD)
- ٤- دروس الخارج في الفقه (المكاسب المحرمة)، ٥٦٥ درساً صوتياً (ستة اقراص CD)
- ٥- دروس بحث الخارج في الفقه (كتاب الزكاة)، ٧٢٢ درساً صوتياً (سبعة اقراص CD)
- ٦- العروة الوثقى (صلاة المسافر)، ٢٤ درساً صوتياً (قرص واحد CD)
- ٧- العروة الوثقى (صلاة المسافر)، ٢٤ درساً مصوراً (اثنا عشر قرصاً CD)
- ٨- دروس الفلسفة (منظومة الحكمة، امور عامة)، ١١٩ درساً صوتياً (قرص واحد CD)
- ٩- دروس الفلسفة (منظومة الحكمة، امور عامة)، ١١٩ درساً مصوراً (مائة و تسعة عشر قرصاً CD)
- ١٠- دروس الفلسفة (منظومة الحكمة، الالهيات)، صوتياً (الدرس متواصل) (قرصان CD)
- ١١- دروس الفلسفة (منظومة الحكمة، الالهيات)، مصوراً (الدرس متواصل) (عشرون قرصاً CD)
- ١٢- دروس بحث الخارج في الفقه (سبّ المؤمن)، ١٠ دروس صوتية (قرص واحد CD)
- ١٣- دروس بحث الخارج في الفقه (سبّ المؤمن)، ١٠ دروس مصوّرة (ستة اقراص CD)
- ١٤- من المبدأ إلى المعاد (نص الكتاب مقروءاً) (قرص واحد CD)
- ١٥- الروضة من الكافي، ١١٩ درساً صوتياً (ستة اقراص CD)
- ١٦- الروضة من الكافي، ١١٩ درساً مصوراً (ثمانية و اربعون قرصاً CD)
- ١٧- مراسيم صلاة عيد الفطر من عام ٢٠٠٥ إلى عام ٢٠٠٧ (ثلاثة اقراص CD)
- ١٨- دروس الاخلاق (جامع السعادات، صوتياً) (الدرس متواصل) (قرصان CD)
- ١٩- دروس الاخلاق (جامع السعادات)، مصوراً (الدرس متواصل) (مائة قرصاً CD)
- ٢٠- اسوة في الثبات - صوتي و مصوّر (قرص واحد CD)

## مسرد بمؤلفات المرجع الديني الأعلى سماحة آية الله العظمى المنتظري

### ● الصادرة باللغة الفارسية:

- ١ - درسهایی از نهج البلاغه (٣ مجلّات) (= دروس من نهج البلاغة - ثلاثة مجلّات) ١١٥٠٠ تومان
- ٢ - خطبة حضرت فاطمة زهراء عليها السلام (= خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام) ٣٠٠٠ تومان
- ٣ - از آغاز تا انجام (در گفتگوی دو دانشجو) (= من المبدأ إلى المعاد - في حوار بين طالبين) ١٥٠٠ تومان
- ٤ - إسلام دين فطرت (= الإسلام دين الفطرة) ٦٠٠٠ تومان
- ٥ - موعود اديان (= موعود الأديان) ٤٠٠٠ تومان
- ٦ - مبانی فقهی حکومت اسلامی (٨ مجلّات) (= الأسس الفقهية للحكومة الإسلامية - ثمانية مجلّات) ٢٥٠٠٠ تومان
- جلد اول: دولت و حکومت (= المجلد الاول: الدولة والحكومة) ٢٥٠٠ تومان
- جلد دوم: امامت و رهبری (= المجلد الثاني: الإمامة والقيادة) ٢٥٠٠ تومان
- جلد سوم: قوای سه گانه، امر به معروف، حسبه و تعزیرات (= المجلد الثالث: السلطات الثلاث: الامر بالمعروف، والحسبة، والتعزیرات) ٣٠٠٠ تومان
- جلد چهارم: احكام و آداب ادراة زندانها و استخبارات (= المجلد الرابع: أحكام و آداب ادارة السجون والاستخبارات) ٢٥٠٠ تومان
- جلد پنجم: احتكار، سياست خارجي، قوای نظامی و اخلاق كارگزاران حکومت اسلامی (= المجلد الخامس: الاحتكار، والسياسة الخارجية، والقوات المسلحة و اخلاق المسؤولين في الحكومة الإسلامية) ٢٥٠٠ تومان
- جلد ششم: منابع مالی حکومت اسلامی (= المجلد السادس: المصادر المالية للحكومة الإسلامية) ٣٠٠٠ تومان
- جلد هفتم: منابع مالی حکومت اسلامی، فیء، انفال (= المجلد السابع: المصادر المالية للحكومة الإسلامية، الفیء، الانفال) ٤٥٠٠ تومان
- جلد هشتم: احیاء موات، مالیات، پیوستها، فهارس (= المجلد الثامن: احیاء الموات، الضرائب، الملحقات، الفهارس) ٤٥٠٠ تومان

- ٧- رسالة توضيح المسائل (= رسالة توضيح المسائل) ٢٠٠٠ تومان
- ٨- رسالة استفتائات (٣ مجلدات) (= رسالة الاستفتاءات - ثلاثة مجلدات) ٩٠٠٠ تومان
- ٩- رسالة حقوق (= رسالة الحقوق) ٥٠٠ تومان
- ١٠- احكام يزسكى (= الاحكام الطبية) ١٥٠٠ تومان
- ١١- احكام و مناسك حج (= احكام و مناسك الحج) ٢٠٠٠ تومان
- ١٢- احكام عمره مفرده (= احكام العمرة المفردة) ٥٠٠ تومان
- ١٣- معارف و احكام نوجوان (= معارف و احكام الشباب) ١٥٠٠ تومان
- ١٤- معارف و احكام بانوان (= معارف و احكام النساء) ٢٠٠٠ تومان
- ١٥- استفتائات مسائل ضمان (= استفتاءات في مسائل الضمان) (غير متوقّر)
- ١٦- جلوه هاي ماندگار (= تجليات باقية) ٣٠٠٠ تومان
- ١٧- حكومت ديني و حقوق انسان (= الحكومة الدينية و حقوق الإنسان) ١٥٠٠ تومان
- ١٨- مجازات هاي اسلامي و حقوق بشر (= العقوبات الإسلامية و حقوق الإنسان) ١٥٠٠ تومان
- ١٩- مباني نظري نبوت (= الأسس النظرية للنبوة) ١٠٠٠ تومان

#### ● الكتب الصادرة باللغة العربية:

- ٢٠- دراسات في ولاية الفقيه و فقه الدولة الاسلامية (أربعة مجلدات) ١١٠٠٠ تومان
- ٢١- كتاب الزكاة (أربعة مجلدات) ١٠٠٠٠ تومان
- ٢٢- دراسات في المكاسب المحرمة (ثلاثة مجلدات) ١٢٠٠٠ تومان
- ٢٣- نهاية الاصول ٣٢٠٠ تومان
- ٢٤- نظام الحكم في الاسلام ٤٠٠٠ تومان
- ٢٥- البدر الزاهر (في صلوة الجمعة والمسافر) ٢٥٠٠ تومان
- ٢٦- كتاب الصوم ٤٥٠٠ تومان
- ٢٧- كتاب الحدود ٥٠٠ تومان
- ٢٨- الخمس والانفال ٤٥٠٠ تومان

- ٢٩- التعليقة على العروة الوثقى ٧٠٠ تومان
- ٣٠- الاحكام الشرعية على مذهب اهل البيت عليهم السلام ١٥٠٠ تومان
- ٣١- مناسك الحج والعمرة ٢٥٠ تومان
- ٣٢- مجمع الفوائد ٢٥٠٠ تومان
- ٣٣- من المبدأ الى المعاد (في حوار بين طالبين) ١٥٠٠ تومان
- ٣٤- الأفق أو الآفاق (في مسألة الهلال) ١٠٠٠ تومان
- ٣٥- منية الطالب (في حكم اللحية والشارب) ٥٠٠ تومان
- ٣٦- رسالة مفتوحة (رداً على دعايات شنيعة على الشيعة و تراثهم) ٥٠٠ تومان
- ٣٧- موعود الأديان ٤٠٠٠ تومان
- ٣٨- الإسلام دين الفطرة ٦٠٠٠ تومان



